



# قتل الطائر الملاكى

هارى برى

ترجمة ا.د. محمد عصام

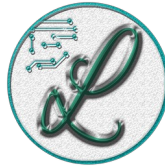
# قتلُ الطائرِ المُحاكي

تأليف: هاربر لي

ترجمة: د. محمد عصام

منصة ليلى الثقافية

2017م



العنوان: قتل الطائر المحاكي  
العنوان الأصلي باللغة الإنجليزية: To Kill a Mocking Bird  
تأليف: هاربر لي (Harper Lee)  
ترجمة: د. محمد عصام  
تصميم الغلاف: لبنى عصام  
الموقع الإلكتروني: <https://laylcp.net>

جميع الحقوق محفوظة © 2017 لمنصة ليلى الثقافية  
Copyright © 2017 Layla Cultural Platform (LCP)

هذا المُصنَّف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نَسب  
المُصنَّف - غير تجاري - الترخيص بالمثل 4.0 دولي

[Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)



المحتويات

الإهداء

**الجزء الأول**

1 الفصل

2 الفصل

3 الفصل

4 الفصل

5 الفصل

6 الفصل

7 الفصل

8 الفصل

9 الفصل

10 الفصل

11 الفصل

**الجزء الثاني**

12 الفصل

13 الفصل

14 الفصل

15 الفصل

16 الفصل

17 الفصل

18 الفصل

19 الفصل

20 الفصل

21 الفصل

22 الفصل

23 الفصل

24 الفصل

25 الفصل

26 الفصل

27 الفصل

28 الفصل

29 الفصل

30 الفصل

31 الفصل

## الإهداء

إلى السيد (لي) و(أليس)  
اعترافاً لهما بالحب والمودة

المحامون - كما أعتقد - كانوا أطفالاً في يومٍ ما.

تشارلز لامب

## الجزء الأول

### الفصل 1

عندما كان أخي (جيم) في الثالثة عشرة من عمره، تعرض لكسر سئ في مرفقه. عندما التئم الكسر وتبددت مخاوف جيم حول عدم قدرته على ممارسة رياضة كرة القدم مرة أخرى، ظل (جيم) يتذكر الإصابة أغلب الوقت. ذراعه اليسرى كانت قد أصبحت أقصر قليلاً من اليمنى. عندما كان يقف أو يمشي فإن يده كانت تكون متعامدة على جسده، وكان إبهامه موازياً لفخذه. ومع ذلك لم يكن (جيم) مهتماً كثيراً بالأمر طالما أنه يستطيع تمرير الكرة واللعب.

بعد مرور العديد من السنوات يمكننا أن نتأمل الماضي وأن نناقش الأحداث التي أدت للحادث. كنت دائماً أصر على أن آل (إيويل) هم السبب الأساسي فيما حدث، بينما كان (جيم)، الذي يكبرني بأربعة أعوام، يقول أن الأمر قد بدأ قبل ذلك بكثير. يقول (جيم) أن الأمر بدأ في ذلك الصيف حينما جاءنا (ديل) وقام بإعطائنا فكرة أن نحث (بو رادلي) على الظهور.

رأيت أنه كان إذا أردنا رؤية الموضوع من منظور شامل، فإننا يجب أن نعتبر الموضوع قد بدأ بـ(أندرو جاكسون). لو لم يقم الجنرال (جاكسون) بمطاردة هنود (الكريك) أعلى النهر، فإن (سايمون فينش) لم يكن ليتمكن من التجديف عبر (الاباما)، وبالتالي أين كنا سنكون لو لم يتم كل ذلك؟.

كنا أكبر من أن نحل الجدل عبر المشاجرة بالأيدي، وعليه فقد قمنا باستشارة (أتيكوس). قال والدنا أننا الاثنان على حق.

كنا من الجنوب، ولذلك كان عدم وجود تاريخ موثق يوضح وجود أجدادنا على جانبي معركة (هاستنجز) مصدر عار بالنسبة لبعض أفراد العائلة. كان كل ما نملك هو (سايمون فينش) – صيدلي صائد للفراء من (كورنوال) – والذي لم يكن شيئاً يفوق تقواه غير بخله الشديد. في بريطانيا كان (سايمون) منزحاً من

اضطهاد (الميثوديين)<sup>1</sup> على أيدي الإخوة الأكثر تحرراً. (سايمون) نفسه كان ميثودياً ولذلك قام بعبور الأطلنطي حتى (فيلادلفيا)، ومنها إلى (جامايكا) ثم (موبيل) وحتى (سانت ستيفنز).

(سايمون) كان مدركاً للقيود التي وضعها (جون ويسلي) على العديد من الكلمات المستخدمة في البيع والشراء، وقد قام بجمع ثروة عبر ممارسته للطب. غير أن (سايمون) لم يكن سعيداً خلال هذا السعي، خوفاً من إغراء الذهب والملابس الغالية، وهو الشيء الذي يعلم (سايمون) أنه لن يمارسه من أجل مجد الرب.

وهكذا فإن (سايمون)، وقد نسي رأي أستاذه القاطع حول امتلاك الرقيق، قام بشراء ثلاثة عبيد، وتمكن بمعاونتهم من بناء منزل على ضفاف نهر (الاباما)، على بعد حوالي أربعين ميلاً شمال (سانت ستيفنز). ومنذ ذلك الحين لم يعد إلى (سانت ستيفنز) غير مرة واحدة ليبحث عن زوجة. تزوج ثم قام بتأسيس عائلة أكثرها من الإناث، وقد عاش لفترة طويلة ومات ثرياً.

كان من المؤلف أن يظل رجال العائلة على أرض (سايمون) المعروفة باسم (مزرعة فينش) حتى يقوموا بجني معاشهم من القطن. كان المكان مكتفياً ذاتياً: رغم أنه كان متواضعاً بالنسبة للامبراطوريات الموجودة حوله، غير أن الأرض كانت تنتج كل الأشياء المطلوبة لتستمر الحياة ما عدا الثلج، ودقيق القمح، والملابس، وهي الأشياء التي كانت تأتي من (موبيل) عبر القوارب النهرية.

(سايمون) كان سينظر بغضب واهن للخلاف بين الشمال والجنوب، لأن هذا الخلاف جرد نسله من كل شيء ما عدا أرض أبيهم، واستمرت عادة السكن على هذه الأرض متواصلة حتى القرن العشرين، حينما غادر أبي (أتيكوس فينش) إلى (مونتجمري) لدراسة القانون، بينما غادر أخوه الأصغر إلى (بوسطن) لدراسة الطب. أما أختهما (ألكساندرا) فقد كانت سليلة (فينش) الوحيدة التي ظلت على أرض أبيها: تزوجت من رجل صموت يقضي معظم أوقاته

1 الميثودية عقيدة مسيحية نشأت في القرن الثامن عشر من خلال الحركة الانجيلية التي أسسها تشارلز وجون ويسلي وجورج وايتفيلد. الحركات الأخرى التي تأسست تشمل المعمدانيين والميثوديين والمينونيات والأسقفية.



## قتل الطائر المحاكي

مسترخياً على أرجوحة شبكية جوار النهر، مسائلاً نفسه هل امتلأت شبكة صيده بالسماك أم لا.

بعدما تم تسجيل أبي في النقابة، قام بالعودة إلى (مايكومب) لممارسة عمله في القانون. كانت (مايكومب)، الواقعة حوالي عشرين ميلاً شرق (مزرعة فينش)، هي مركز مقاطعة (مايكومب). مكتب (أتيكوس) في المحكمة لم يكن يحوي غير حامل قبعات، ومبصقة، ورقعة شطرنج، ونسخة أصلية من قانون (الاباما).

أول زبونين له كانا آخر شخصين يتم إعدامهما شنقاً بسجن مقاطعة (مايكومب). حاول (أتيكوس) إقناعهما بأن يقبلا عرض الولاية السخي والذي يسمح لهما بأن يعترفوا بجريمة القتل من الدرجة الثانية وينجوا من الموت، ولكنهما كانا من عائلة (هافرورد)، وهو الاسم الذي اقترن بالغباء في مقاطعة (مايكومب).

هذان الاثنان من عائلة (هافرورد) قاما بقتل أكبر حداد في (مايكومب) كنتيجة سوء تفاهم حدث - في زعمهما - بسبب احتجازه الخاطئ لفرس ما. ليس ذلك وحسب، بل إنهما كانا طائشين كفاية ليقوما بقتل الحداد في حضور ثلاثة شهود، وكانا يصران على أن (ابن العاهرة استحق ما حصل عليه) كان يمثل دفاعاً قانونياً جيداً.

والنتيجة كانت أنهما أصرا على أنهما ليسا مذنبين بجريمة القتل من الدرجة الأولى. وعلى ذلك لم يكن لدى (أتيكوس) الكثير ليفعله سوى أن يكون حاضراً لحظة إعدامهما، وهي اللحظة التي - على الأرجح - كانت بداية كراهية أبي لممارسة القانون الجنائي.

خلال سنواته الخمس الأولى في (مايكومب) قام (أتيكوس) بممارسة الاقتصاد أكثر من أي شيء آخر. وعلى مدار سنوات لاحقة عدة قام باستثمار مدخراته في تعليم أخيه. كان (جاك هيل فينش) يصغر أبي بعشر سنوات، وقد اختار دراسة الطب في الوقت الذي صارت زراعة القطن غير ذات جدوى. بعد أن بدأ عمي دراسته تمكن (أتيكوس) من تحصيل دخل لا بأس به من ممارسة القانون. (أتيكوس) كان يعشق (مايكومب) حيث ولد وتربى. كان يعرف الجميع كما كان

## قتل الطائر المحاكبي

الجميع يعرفونه. ونتيجة لمصنع (سايمون فينش) فإن (أتيكوس) كان مرتبطاً بقرابة الدم أو التصاهر مع جميع العائلات في البلدة.

إن (مايكومب) بلدة قديمة، ولكنها كانت بلدة قديمة ومنتعبة منذ أن عرفت أول مرة. حينما يكون الجو ممطراً فإن الشوارع تتحول لطين أحمر زلق، وينمو العشب على ممر المشاة، وتغرق المحكمة في الساحة. في ذلك الوقت، كانت البلدة أشد ما تكون حرارة: ترى كلباً أسوداً يعاني الحر في يوم من أيام الصيف، وترى بغالاً بارزة العظام مربوطة بعربات (هوفر) تنفض عنها الذباب في الظل القانظ لأشجار البلوط. الياقات الصلبة لقمصان الرجال تكون قد ذبلت بحلول الساعة التاسعة صباحاً. السيدات يكن قد اغتسلن قبل الظهر ومرة أخرى بعد قبولة الساعة الثالثة، وبحلول الليل كن يبيدين ككعك الشاي المغطى بالعرق وبودرة التلك.

في ذلك الوقت كان الناس يتحركون بصورة أبطأ. كانوا يسيرون متمهلين حول الساحة، يدخلون ويخرجون من المحلات المحيطة، ويأخذون وقتهم في فعل أي شئ كان. اليوم رغم أنه يتكون من أربع وعشرين ساعة، إلا أنه كان يبدو أطول. لم يكن هناك عجلة، حيث أنه لا مكان يذهب إليه، ولا يوجد شئ يستحق الشراء، كما أنه لا يوجد مال يمكن الشراء به، ولا يوجد شئ يستحق الرؤية خارج حدود مقاطعة (مايكومب). نفس هذا الوقت كان يمثل تفاؤلاً مبهماً لبعض الناس: مقاطعة (مايكومب) تم إخبارها حديثاً أنها يجب ألا تخاف من أي شئ إلا من مقاطعة (مايكومب) نفسها.

كنا نحن – أنا و(جيم) و(أتيكوس) و(كالبورنيا) الطباخة – نعيش في الشارع السكني الكبير في البلدة. أنا و(جيم) كنا نظن والدنا كافياً: كان يلعب معنا، ويقرأ لنا، ويعاملنا بانعزال مهذب.

أما (كالبورنيا) فقد كانت كائناً آخر. كانت تتكون في مجملها من مجموعة من الزوايا والعظام البارزة، كما أنها كانت تعاني من قصر النظر والحوّل، أما يدها فكانت عريضة كلوح السرير وأشد قساوة منه. كانت دائماً ما تطردني من المطبخ، ودائماً ما تسألني لم لا أتصرف بمسؤولية مثل (جيم) رغم أنها تعلم أنه أكبر مني، كما أنها دائماً ما كانت تتناديني للعودة للمنزل حينما لم أكن مستعدة لذلك. معاركنا كانت ملحمية، ومن جانب واحد. ذلك لأن (كالبورنيا) دائماً ما

## قتل الطائر المحاكي

كانت تفوز لأن (أتيكوس) كان يقف إلى جانبها. لقد كانت موجودة منذ ولادة (جيم)، ولا أستطيع تذكر وقت مضى بدون وجودها الطاعي.

لقد توفيت أمي حينما كان عمري سنتين، ولذلك لم أحس بفقدائها مطلقاً. كانت من عائلة (جراهام) من (مونتجيري)، وقد قابلها (أتيكوس) حينما تم انتخابه لأول مرة لمجلس تشريعي الولاية. في ذلك الوقت كان هو- في منتصف العمر، بينما كانت هي تصغره بخمس عشرة سنة. أخي (جيم) كان حصاد السنة الأولى من زواجهما، بينما جئت أنا بعد أربع سنوات، وتوفيت هي بعد سنتين من ولادتي نتيجة ذبحة قلبية مفاجئة. يقولون أن مرض القلب يجري في عائلتها. أنا لم أحس بفقدائها، لكني أعتقد أن (جيم) أحس بذلك. (جيم) كان يذكرها بوضوح، وفي بعض الأحيان بينما نكون في منتصف اللعب يتنهد (جيم) تنهيدة طويلة، ثم ينطلق ليلعب وحيداً خلف الجراج. حينما كان (جيم) في هذه الحالة لم أكن أحاول مضايقته على الإطلاق.

حينما بلغت السادسة وبلغ (جيم) العاشرة، كانت حدودنا الصيفية – على مرمى حجر من نداء (كالبورنيا) – تمتد من منزل السيدة (هنري لافاييت دوبوس) الذي يبعد منزلين شمالاً، وحتى منزل (رادلي) الذي يبعد ثلاثة منازل جنوباً. لم نحاول قط أن نذهب أبعد من هذا. منزل (رادلي) كان يسكنه كيان غير معروف، يكفي وصفه فقط ليجعلنا نتصرف بتهذيب لعدة أيام. السيدة (دوبوس) كانت جحيماً يمشي على قدمين.

كان هذا هو الصيف الذي جاءنا فيه (ديل).

في الصباح الباكر لأحد الأيام، وبينما كنا نلعب – أنا و(جيم) – في الفناء الخلفي، سمعنا صوتاً ما في حديقة الكرنب الخاصة بالأنسة (راشيل هافرورد) جارتنا. ذهبنا للسياح السلكي لنرى إن كان جرواً، حيث أن كلبه الأنسة (راشيل) كانت حاملاً، إلا أننا وجدنا شخصاً جالساً ينظر إلينا. حينما كان جالساً لم يبد لنا أطول من الكرنب. ظللنا نحقق فيه حتى خاطبنا.

"مرحباً".

"مرحباً بك". قالها (جيم) بلطف.

## قتل الطائر المحاكي

"أنا (تشارلز بيكر هاريس). وأستطيع القراءة".

"وماذا في ذلك؟". كانت هذه مني أنا.

"فكرت أنكما قد ترغبان بمعرفة أنني أستطيع القراءة. إن كان لديكما شيء يستحق القراءة فأنا مستعد لقراءته".

"كم عمرك". سأله (جيم). "أربع سنوات ونصف؟".

"أبلغ السابعة".

"إذاً لا عجب في ذلك". قالها (جيم) وهو يشير بإبهامه نحوي. "(سكاوت) هذه تقرأ منذ ولادتها، رغم أنها لم تدخل المدرسة بعد. أنت تبدو صغير الحجم لصبي في السابعة".

قال الفتى: "أنا صغير الحجم، ولكنني كبير السن".

أزاح (جيم) خصلات شعره للوراء لكي يرى أفضل. "لماذا لا تأتي معنا يا (تشارلز بيكر هاريس)؟ يا إلهي، ما هذا الاسم".

"ليس أعجب من اسمك. العمة (راشيل) تقول أن اسمك هو (جيريمي أتيكوس فينش)".

تجهم (جيم) وهو يتحدث. "أنا كبير بما يكفي ليلائم اسمي. لكن اسمك أطول منك. ربما كان أطول بقدم أو أكثر".

"الأصدقاء يدعونني (ديل)". قالها (ديل) وهو يجاهد ليعبر تحت السياج.

قلت له: "من الأفضل أن تعبر فوق السياج لا تحته. من أين جئت؟".

(ديل) كان من مدينة (مريديان) بولاية (ميسيسيبي)، وقد جاء لتقضية الصيف مع عمته (راشيل)، كما أنه كان سيقضي كل صيف مقبل بمدينة (مايكومب). عائلته كانت تتحدر أصولها من مقاطعة (مايكومب). أمه التي كانت تعمل

## قتل الطائر المحاكي

بمحل تصوير بمدينة (مريديان) كانت قد قامت بإدراج صورته في مسابقة (الطفل الأجل) ورحبت خمسة دولارات أعطتها لـ(ديل) الذي استخدمها لحضور الأفلام عشرين مرة.

"ليس لدينا أي عروض هنا، باستثناء عروض المسيح في المحكمة في بعض الأحيان". قالها (جيم). "هل شاهدت أي أفلام جيدة؟".

كانت معلومة أن (ديل) شاهد فيلم (دراكولا) كفيلة بأن تجعل (جيم) ينظر إليه باحترام أكثر. "احك لنا القصة".

كان منظر (ديل) مثيراً للدهشة. كان يرتدي سروالاً صوفياً قصيراً مزرراً، وكان قميصه محشواً داخل السروال. شعره كان أبيضاً وملتصقاً برأسه كصوف البطة. كان أكبر مني بسنة ولكنني كنت أطول منه بكثير. كانت عيناه الزرقاوان تشعان وتخيبان بينما كان يحكي لنا قصة الفيلم. ضحكته كانت مفاجئة وسعيدة، كما كانت لديه عادة جذب خصلة شعر تتوسط جبينه.

بعد أن انتهى (ديل) من حكاية الفيلم، وقال (جيم) أن الفيلم يبدو أفضل من القصة الأصلية، سألت (ديل) عن أبيه: "أنت لم تذكر شيئاً عنه".

"لم أظن بوالد".

"هل توفي؟".

"لا...".

"ما دام لم يتوفى فأنت لديك والد، أليس كذلك؟".

احمر (ديل) خجلاً بينما أخبرني (جيم) أن أصمت، وهي علامة واضحة أنه قد قام بدراسة (ديل) ومن ثم قبوله. انقضى الصيف برضا وقناعة. قناعتنا كانت: تصليح بيت الشجرة الخاص بنا والذي كان واقعاً بين شجرتين كبيرتين في الفناء الخلفي، والجدل والترثرة، ومناقشة قائمتنا الدرامية التي تتمحور حول (أوليفر أبتيك) و(فيكتور أبلتون) و(إدجار رايس بورو). في هذا الصدد كنا محظوظين بوجود (ديل)، حيث أنه كان يقوم بالأدوار التي كنت أقوم بها من

قبل، كالقرد في قصة (طرزان)، والسيد (كرايتري) في قصة (أبناء روفر)، والسيد (دامون) في قصة (توم سويقت). بالتالي أصبح (ديل) يعرف بـ(ميرلين الجيب) حيث كان رأسه يعج بالخطط الشاذة والأشواق الغريبة والخيلات الأغرّب.

ولكن بنهاية أغسطس كان مخزوننا المسرحي قد صار مملأً بالتكرار. حينها جاء (ديل) بفكرة معاينة (بو رادلي).

لطالما أعجب (ديل) بمنزل (رادلي). على الرغم من تحذيرائنا إلا أن (ديل) كان منجذباً للمنزل مثلما يجذب القمر المد والجزر، غير أن (ديل) لم يذهب أبعد من عمود النور الموجود في الركن، وهي مسافة آمنة بعيداً عن بوابة (رادلي). كان يقف هناك، محيطاً بالعمود بذراعه، محدقاً و غارقاً في خياله.

منزل (رادلي) كان يبرز بروزاً حاداً أمام منزلنا. حينما تمشي جنوباً فإنك تواجه الشرفة، بينما يلتوي الرصيف جارباً حول المكان. المنزل كان منخفضاً، والشرفة كانت يوماً ما ذات لون أبيض ومصاريع نافذة خضراء، ولكن اللون تحول منذ زمن بعيد للرمادي المشابه للفناء المحيط به. الألواح التي صدنت بفعل المطر كانت تغطي الشرفة، بينما كانت أشجار البلوط تطرد الشمس بعيداً. بقايا السياج الخشبي الثمل كانت تحرس الفناء الأمامي - التي لم يتم تنظيفه مطلقاً - حيث كانت تنمو الأعشاب بكثرة.

داخل المنزل كان يعيش شبح حاقد، ورغم أن الناس كانوا مصرين أنه كان موجوداً إلا أنني و(جيم) لم نره مطلقاً. كانوا يقولون أنه يخرج ليلاً تحت القمر ويطل من النوافذ. حينما تتجمد أزهار (الأزاليا) فذلك بسبب أنه تنفس عليها. كل الجرائم الصغيرة المستترة في (مايكومب) كانت بسببه. في مرة كانت المدينة مرتعبة بسبب سلسلة من الأحداث الليلية القاتلة: الدجاج والحيوانات الأليفة تم تشويهها. ورغم أن المجرم كان (أدي المجنون) الذي أغرق نفسه في دوامة (إيدي)، إلا أن الناس استمروا بالتحديق في منزل (رادلي)، غير قادرين على مفارقة شكوكهم الأولية. أي شخص أسود يعبر الطريق لم يكن يستطيع المرور أمام منزل (رادلي)، كان سيضطر لقطع الطريق والمرور على الرصيف المقابل، مع التصفير بشفتيه أثناء عبوره.

كانت أرض مدرسة (مايكومب) مجاورة لمنزل (رادلي) من الخلف، حيث كانت أشجار الجوز الطويلة ترمي ثمارها على فناء المدرسة. ولكن لم يكن أحد يجروء على التقاط الثمار لأن أشجار جوز (رادلي) ستقوم بقتلهم. أي كرة يبسبول تسقط في فناء (رادلي) كانت كرة مفقودة لن يبحث عنها أحد.

مأساة هذا المنزل بدأت لسنين خلت، قبل ولادتنا أنا و(جيم). عائلة (رادلي) والتي كانت مرحباً بها في أي مكان في المدينة، لم تكن تحب الاختلاط، وهو اختيار لا يعترف في بلدة (مايكومب). العائلة لم تكن تذهب للكنيسة - وهو الترفيه الوحيد في المدينة - بل كانوا يمارسون عبادتهم في المنزل. السيدة (رادلي) لم تكن تذهب لجيرانها في المنزل المقابل لشرب قهوة الصباح، كما أنها لم تتضمن لأي جماعة تبشيرية. السيد (رادلي) كان يذهب للمدينة كل يوم في الحادية عشرة والنصف صباحاً، ليعود في الثانية عشرة حاملاً كيساً ورقياً بنياً افتترض الجيران أنه يحوي البقالة. لم أتمكن أبداً من معرفة كيف كان السيد (رادلي) يجني قوته. كان (جيم) يقول أنه "يشترى القطن" وهي عبارة مهذبة لكي يقول أن الرجل لا يفعل شيئاً ذا قيمة، إلا أن السيد (رادلي) قد عاش هو وزوجته وابناه هنا منذ زمن طويل.

كانت مصاريع النوافذ والأبواب في منزل (رادلي) تغلق يوم الأحد، وهو الشيء الغريب على طباع (مايكومب). الأبواب المغلقة تعني المرض أو الجو البارد، فقط لا غير. يوم الأحد كان اليوم الرسمي للزيارات المنزلية: النساء يلبسن المشدات، والرجال يلبسون المعاطف، والأطفال يلبسون الأحذية. إلا أن الجيران لم يسبق لهم أن صعدوا شرفة منزل (رادلي) لإلقاء التحية يوم الأحد. منزل (رادلي) لم يكن به أبواب شبكية. في مرة من المرات سألت (أتيكوس) إن كان بالمنزل أبواب شبكية، فأجاب بأنه كانت هناك أبواب قبل أن أولد.

تقول الأسطورة المحلية أن ابن (رادلي) الصغير حينما كان مراهقاً تعرف على بعض الأشخاص من قبيلة (كانينجهام) المتحدرة من منطقة (ساروم القديمة)، وهي قبيلة كبيرة ومثيرة للحيرة وتوطن في شمال البلاد. الابن وأصدقائه قاموا بتشكيل مجموعة أقرب ما تكون للعصابة. لم يكونوا يفعلون الكثير، ولكن ما فعلوه كان كافياً ليتم مناقشتهم والتحذير منهم علناً عبر ثلاثة منابر: كانوا يجلسون حول محل الحلاقة، وكانوا يركبون الباص يوم الأحد إلى (أبوتسفيل) لمشاهدة الأفلام، وكانوا يذهبون للرقص في جيم القمار المسمى (قطر الندى)، وهو عبارة عن حانة ومخيم صيد أسماك، حيث كانوا أيضاً يشربون

## قتل الطائر المحاكى

الويسكي. لم يكن أحد في (مايكومب) يجرؤ على إخبار السيد (رادلي) أن ابنه منضم لجماعة سيئة.

في إحدى الليالي وبعد أن شرب الفتيان الكثير من الخمر، قاموا بالعودة إلى الساحة في سيارة قديمة مستعارة. حاول السيد (كونر) شماس الكنيسة ايقافهم ولكنهم عاندوه، ثم قاموا باحتجازه في المبنى الخارجي للكنيسة. من ثم قرر سكان المدينة فعل شيء، حيث قال السيد (كونر) أنه يعلم من هم الفتيان وأنه مصر على أن يدفعوا ثمن ما فعلوه. تم إحضار الفتيان أمام القاضي بتهم السلوك غير المنضبط وقلقلة الأمن والاعتداء بالضرب واستخدام عبارات بذيئة في حضور أنسة. حينما سأل القاضي السيد (كونر) لم قام بإدخال التهمة الأخيرة، أخبره (كونر) أن الفتيان كانوا يسبون بصوت عالٍ لدرجة أن كل إناث (مايكومب) قد سمعوا ما قالوا. قرر القاضي إرسال الفتيان لمدرسة الولاية الصناعية، وهو المكان الذي كان الفتيان يرسلون إليه لغير ما سبب سوى أن يتحصلوا على الغذاء والمأوى. هذا المكان لم يكن سجنًا، وبطبيعة الحال لم يشكل أي عار بالنسبة للفتية، إلا أن السيد (رادلي) لم ير الأمر كذلك. اقترح السيد (رادلي) أن يتم إطلاق سراح (آرثر)، وسيقوم هو بنفسه بالتأكد من أن الفتى لن يسبب أي مشكلة أخرى. كان القاضي يعلم أن كلمة السيد (رادلي) هي شرفه، ولذلك قام بإطلاق سراح الفتى بكل سرور.

بقية الفتيان تم إرسالهم للمدرسة الصناعية وتم تعليمهم أفضل تعليم ثانوي متوفر بالولاية، لدرجة أن أحدهم شق طريقه لكلية الهندسة بمدينة (أويرن). أما بالنسبة لمنزل (رادلي) فإن الأبواب صارت تغلق جميع الأيام بالإضافة ليوم الأحد، ولم ير أحد ابن (رادلي) لمدة خمس عشرة سنة.

ولكن (جيم) يتذكر أنه في يوم من الأيام تمت مشاهدة (بو رادلي) من قبل بعض الأشخاص، ليس من بينهم (جيم) نفسه. يقول (جيم) أن (أتيكوس) لم يكن يتحدث كثيراً عن عائلة (رادلي). حينما كان (جيم) يسأل فإن (أتيكوس) كان يخبره بأن يهتم بشئونه الخاصة، مثلما أن لعائلة (رادلي) الحق في خصوصيتهم. ولكن عندما حدث هذا الحادث قال (جيم) أن (أتيكوس) هز رأسه وقال: "هم.. مم.. مم..".

وعليه فإن معلومات (جيم) مستقاة أغلبها من الأنسة (ستيفاني كراوفورد)، الجارة سليطة اللسان، والتي أكدت أنها تعرف جميع ما حدث. حسب رواية



## قتل الطائر المحاكي

(ستيفاني) فإن (بو) كان جالساً في غرفة المعيشة، يقص بعض المقالات من صحيفة (منبر مايكومب) ليصقها في دفتر قصاصاته، حينما دخل أبوه إلى الغرفة. تقول (ستيفاني) أنها كانت تعبر الطريق في تلك اللحظة فرأت (بو) يغمد المقص في ساق والده ثم يخرجه ويمسح الدم على سرواله، ثم يعود لممارسة نشاطه.

السيدة (رادلي) خرجت تصرخ إلى الشارع مخبرة أن (آرثر) سيقوم بقتلهم جميعاً. عندما وصل المأمور للمنزل وجد (بو) جالساً في غرفة المعيشة، مواصلاً قص الصحيفة. كان (بو) في الثالثة والثلاثين من عمره في ذلك الوقت.

حينما تم اقتراح ارسال (بو) إلى مصحة (توسكالوسا)، تقول (ستيفاني) أن السيد (رادلي) قال أنه لا يمكن لأي فرد من عائلة (رادلي) أن يدخل إلى مصحة. اعترف السيد (رادلي) بأن (بو) ليس مجنوناً ولكنه يتوتر في بعض الأحيان، كما أنه أصر على ألا يتم اتهام (بو) بأي تهمة حيث أنه ليس مجرمًا. لم يتمكن المأمور من وضع (بو) في السجن مع الزوج، ومن ثم تم حجز (بو) في قبو الكنيسة.

عودة (بو) من قبو الكنيسة لمنزل العائلة كانت ذكرى ضبابية في ذاكرة (جيم). تقول الأنسة (ستيفاني كراوفورد) أن بعض أعيان مجلس المدينة أخبروا السيد (رادلي) أنه ما لم يتم باستعادة (بو) فإن (بو) ستقتله الفطريات التي تسببها الرطوبة. بالإضافة إلى أنه ليس من المعقول أن يعيش (بو) للأبد معتمداً على معونة المقاطعة.

لا أحد يعلم ماهية التهيب الذي اعتمده السيد (رادلي) لإبقاء (بو) بعيداً عن الأنظار، إلا أن (جيم) يعتقد أن السيد (رادلي) كان يقيد (بو) إلى السرير أغلب الأوقات. كان رأي (أتيكوس) أن الأمر ليس كذلك، وأنه توجد طرق أخرى لجعل الناس يتحولون لأشباح ويختفون عن الأنظار.

أذكر أنني في بعض الأحيان كنت أرى السيدة (رادلي) تخرج من الباب الأمامي، وتسير حتى طرف الشرفة، ثم تصب الماء فوق بعض الزهور. لكنني أذكر أنني و(جيم) كنا نشاهد السيد (رادلي) يسير يومياً من وإلى المدينة. هو رجل نحيف ذو عيين لا لون لهما، لدرجة أنهما لا تعكسان الضوء. كانت له

عظام وجنة بارزة وفم عريض، تحيطه شفة عليا رقيقة وشفة سفلى غليظة. الأنسة (ستيفاني كراوفورد) تقول أنه كان رجلاً مستقيماً لدرجة أنه لم يكن يؤمن بأي قانون سوى كلمة الرب، وقد صدقناها، لأن السيد (رادلي) كان منتصب القامة كمدق البندقية.

لم يحدث أن خاطبنا السيد (رادلي). حينما كان يمر أمامنا كنا ننظر للأرض ونقول: "صباح الخير، سيدي"، وكانت كحته هي الرد. ابن السيد (رادلي) الأكبر كان يعيش في مدينة (بنساكولا)، وكان يعود لحضور عيد الميلاد في المنزل. كان من القلة التي كنا نراها تدخل أو تغادر المنزل. الجيران يقولون أن المنزل مات يوم أن عاد السيد (رادلي) بابنه إليه.

ولكن في يوم من الأيام أخبرنا (أتيكوس) أنه سيضربنا ضرباً مبرحاً إذا أصدرنا أي ضجة في الفناء، كما أنه فوض (كالبورنيا) لتحل محله إن سمعت صوتاً لنا. السيد (رادلي) كان على فراش الموت يومها.

السيد (رادلي) أخذ وقته في عملية الموت. تم إغلاق الشارع من الناحيتين بالمصدات الخشبية، وتم فرش الممشى بالقش، كما تم تحويل المارة للشارع الخلفي. في كل مرة كان يتم طلب دكتور (رينولدز)، كان يوقف سيارته أمام منزلنا ويسير على قدميه لمنزل (رادلي). كنا نرحف - أنا و(جيم) - في الفناء لعدة أيام. في النهاية تم إزالة المصدات الخشبية، ووقفنا نشاهد السيد (رادلي) يقوم برحلته الأخيرة أمام منزلنا.

"الآن يغادر أكثر المخلوقات لوماً على وجه الأرض". كانت (كالبورنيا) تتمم وهي تتأمل المشهد وتبصق على أرضية الفناء. كنا ننظر إليها بدهشة، إذ قلما كانت (كالبورنيا) تعلق على طرق معيشة البيض.

ظن الجيران أنه بموت السيد (رادلي) فإن (بو) سيعاود الظهور. تبخرت هذه الفكرة عندما عاد الابن الأكبر من (بنساكولا) وحل محل والده. الفرق الوحيد بينه وبين أبيه كان فارق السن. يقول (جيم) أن السيد (نathan رادلي) كان "يشتري القطن" أيضاً. لكن السيد (نathan) كان يرد علينا حينما نحياه، وفي بعض الأحيان كنا نراه عائداً من المدينة حاملاً مجلة في يده.

## قتل الطائر المحاكي

كنا كلما أخبرنا (ديل) عن عائلة (رادلي)، كلما أراد معرفة المزيد، وكلما وقف محتضناً عمود النور في الركن مفكراً.

"أتساءل ما الذي يفعله هناك". كان (ديل) يدمدم. "يبدو كما لو أنه سيخرج رأسه من الباب في أية لحظة".

قال (جيم): "إنه يخرج حينما يكون الظلام حالكاً. الأنسة (ستيفاني كراوفورد) تقول أنها استيقظت مرة في منتصف الليل ورأته ينظر إليها مباشرة عبر النافذة... قالت أن رأسه الذي كان يرمقها كان يشبه الجمجمة. ألم يحدث أبداً أن استيقظت في الليل وسمعتة يا (ديل)؟ إنه يمشي هكذا...". قام (جيم) بزلق قدميه عبر الحصى وواصل: "لماذا تظن أن الأنسة (راشيل) تغلق الأبواب بعناية في الليل؟ لقد شاهدت آثار قدميه عدة مرات في باحتنا الخلفية عندما يأتي الصباح، وفي مرة سمعتة يخدش في بابنا الخلفي، إلا أنه غادر حينما جاء (أتيكوس)".

تساءل (ديل): "كيف يبدو؟".

قام (جيم) بإعطائنا وصفاً منطقياً ل(بو): استناداً على آثاره فإنه يبلغ من الطول ثمانية أقدام ونصف، وهو يأكل السناجب النيئة والقطط على العشاء، ولذلك كانت يده ملوثتين بالدماء – حينما تأكل حيواناً نينياً يصبح من المستحيل غسل الدماء عن يديك. توجد على وجهه ندبة خشنة طويلة. ما تبقى من أسنانه كانت صفراء اللون ومتعفة. عيناه كانتا جاحظتين، وكان لعابه يسيل أغلب الأوقات.

"لنحاول جذبه للخارج". قالها (ديل). "أريد أن أرى كيف يبدو شكله".

كان رأي (جيم) أنه لو أراد (ديل) أن يتم قتله، فما عليه إلا أن يذهب ويطلق الباب الأمامي للمنزل.

غارتنا الأولى حدثت بسبب أن (ديل) تحدى (جيم) مستخدماً (الشيخ الرمادي) في مقابل اثنين من (توم سويفت) أن (جيم) لن يتمكن من الذهاب أبعد من بوابة (رادلي). لم يحدث أن رفض (جيم) تحدياً في حياته كلها.

قام (جيم) بالتفكير في الأمر لمدة ثلاثة أيام. أعتقد أنه أحب الشرف أكثر من حبه لرأسه، لأن (ديل) قام باستفزازة بسهولة: "أنت خائف"، قالها (ديل) في

## قتل الطائر المحاكي

اليوم الأول. رد (جيم): "لست خائفاً. فقط أنا شديد الاحترام". في اليوم التالي قال (ديل): "أنت خائف لدرجة أنك لا تستطيع وضع إصبعك الكبير في الفناء". رد (جيم) بأنه لا يظن ذلك، فهو كان يعبر أمام منزل (رادلي) يومياً للذهاب للمدرسة.

"ودائماً في حالة الجري". قمت بالإضافة.

لكن (ديل) تمكن منه في اليوم الثالث، حينما أخبر (جيم) أن الشباب في (مريديان) ليسوا خائفين كنظرائهم في (مايكومب)، وأنه لم يحدث أن رأى أشخاصاً خائفين كالذين رأهم في (مايكومب).

كان هذا كافياً ليجعل (جيم) يسير نحو الزاوية، حيث توقف ومال على عمود النور، وراح يرمق البوابة المعلقة على المفصل المصنوع يدوياً.

"أتمنى أن تكون قد فهمت أنه سيقتلنا جميعاً، واحداً تلو الآخر، يا (ديل هاريس)". قالها (جيم) حينما وقفنا جوار هـ. "لا تلمني حينما ينتزع عينيك من محجريهما. تذكر أنك أنت من بدأ هذا".

"أنت لا زلت خائفاً". تتم (ديل) بصبر.

أراد (جيم) أن يعلم (ديل) للمرة الأخيرة أنه لا يخاف من شيء: "المشكلة أنني لا أستطيع التفكير في طريقة تجعله يخرج بدون أن يقبض علينا". بالإضافة لذلك فإن (جيم) كانت لديه أخت صغيرة ليفكر فيها.

حينما قال (جيم) ذلك، عرفت أنه خائف. (جيم) كانت لديه أخته الصغيرة ليفكر فيها حينما تحديته أن يقفز من سقف البيت. سألتني حينها: "لو سقطت وامت، ما الذي سيحدث لك؟". بعدها قفز وحط على الأرض بدون أن يتأذى، ثم فارقه إحساس المسؤولية حتى واجهه منزل (رادلي).

"هل سترفض تحدياً؟". تساءل (ديل). "إذا كان الأمر كذلك، حسناً...".

"(ديل)، يجب أن تفكر في هذه الأشياء". قال (جيم). "دعني أفكر قليلاً... الأمر أشبه بجعل سلحفاة تخرج من صدفتها...".

"كيف تفعل ذلك؟". تساءل (ديل).

"تشعل ثقاباً تحتها".

أخبرت (جيم) أنه إن كان ينوي إشعال منزل (رادلي) فإنني سوف أخبر (أتيكوس) عنه.

قال (ديل) أن إشعال عود ثقاب تحت سلحفاة أمر سيء.

"ليس أمراً سيئاً. ستقوم فقط بإقناع السلحفاة بالخروج. لن تتركها تحترق في النار". قالها (جيم) مقطباً جبينه.

"كيف لك أن تعرف أن الثقاب لن يؤدي السلحفاة؟".

"السلحفاة لا تحس يا غبي". رد (جيم).

"هل حدث أن كنت سلحفاة يوماً ما، هاه؟".

"يا إلهي! (ديل)! دعني أفكر قليلاً... أظن أننا يمكن أن نهزها...".

ظل (جيم) يفكر لفترة طويلة، لدرجة أن (ديل) قدم تنازلاً: "لن أقول أنك تراجع عن تحدي، كما أنني سأبادلك (الشبح الرمادي)، لو قمت فقط بالذهاب إلى المنزل ولمسه".

أشرق وجه (جيم): "اللمس المنزل؟ فقط؟".

أوماً (ديل) برأسه موافقاً.

"أنت متأكد أن هذا كل شيء؟ لا أحب أن أعود لكي تفكر لي في فكرة أخرى".

"حقاً... هذا هو المطلوب". أجاب (ديل). "سوف يطاردك على الأرجح حينما يراك في الفناء. حينها سننقض أنا و(سكاوت) عليه ونبقيه أرضاً حتى تتمكن من إخباره بأننا لن نؤذيه".

## قتل الطائر المحاكي

---

غادرنا الزاوية وقطعنا الطريق حتى وقفنا أمام بوابة منزل (رادلي).

"حسناً... يمكنك الذهاب". قالها (ديل). "أنا و(سكاوت) خلفك مباشرة".

"لا تستعجلني". تملل (جيم). "أنا ذاهب".

تحرك (جيم) حتى الزاوية، ثم عاد مرة أخرى، كأنه يدرس المنطقة ليحدد طريقة الدخول المثلى، بينما كان مقطباً ويحك رأسه.

عندها سخرت منه.

فتح (جيم) البوابة وأسرع إلى جوار المنزل، ثم ضرب الحائط بكفه وعاد يجري حتى سبقنا، بدون أن ينظر للوراء ليرى هل نجحت غزوته أم لا. جرينا أنا و(ديل) خلفه. حينما صرنا بمأمن على شرفتنا، وبين أنفاسنا المتقطعة، نظرنا للوراء.

المنزل القديم كان كما هو، مريضاً ومتساقطاً، ولكننا حينما نظرنا خيل إلينا أننا رأينا مصراع نافذة يتحرك. مجرد نفضة صغيرة غير مرئية، واستمر المنزل هادئاً كما هو.

## الفصل 2

في مطلع سبتمبر غادرنا (ديل) عائداً إلى (مريديان). شاهدناه وهو يغادر على باص الساعة الخامسة وشعرت بالبؤس في غيابه، حتى تذكرت أنني سأعود للمدرسة بعد أسبوع. لم يحدث لي أن تطلعت لشيء في حياتي من قبل. ساعات من زمن الشتاء مرت علي وأنا في بيت الشجرة، أتطلع من أعلى لفناء المدرسة، أتجسس على الأطفال باستخدام منظار أعطانيه (جيم) لأتعلم ألعابهم، وأتابع (جيم) في سترته الحمراء وهو يشق الدوائر الملتوية من الأشخاص الذين يتشاركون إخفاقاتهم ونجاحاتهم الصغيرة بسرية. كنت أشناق لأشراكهم ذلك.

تنازل (جيم) ليأخذني للمدرسة في يومي الأول، وهي مهمة يقوم بها الوالدان عادة، إلا أن (أتيكوس) قال أن (جيم) سيسعد بأن يأخذني لغرفة الدراسة. أعتقد أنه تم دفع بعض المال في هذه العملية لأنني سمعت شخصخة غير مألوفة في جيب (جيم) حينما أسرنا أمام منزل (رادلي). حينما أبطأنا السير قرب فناء المدرسة، كان (جيم) حريصاً بأن يوضح لي بأنني يجب ألا أضايقه أثناء ساعات المدرسة، وأنني يجب ألا أخرج بذكر حياته الخاصة، وأنني يجب ألا أتابعه أثناء الاستراحة. يجب علي أن أظل في الصف الأول ويظل هو في الصف الخامس. باختصار، يجب علي أن أتركه وشأنه.

"أنت تعني أننا لن نلعب سوياً على الإطلاق؟". سألته.

"سنفعل ما نفعله دائماً في المنزل". كان رده. "ولكن المدرسة مختلفة كما سترين".

وقد كان الأمر كذلك. قبل انقضاء اليوم الأول، كانت أستاذتنا الآنسة (كارولين فيشر) قد قامت بإحضاري أمام الفصل وضربت يدي بالمسطرة، ثم جعلتني أقف في الركن حتى الظهيرة.

لم يكن عمر الأنسة (كارولين) يتجاوز الواحدة والعشرين. كان لها شعر كستنائي اللون وخدود وردية، وكانت تضع طلاء أظافر قرمزيًا. كانت تلبس حذاءً ذا كعب عالٍ وثوباً مخططاً بالأحمر والأبيض. كان شكلها ورائحتها كحبة النعناع. كانت تقطن في الغرفة الأمامية لمنزل الأنسة (مودي أتكينسون) وهو البيت المقابل على بعد منزل واحد من منزلنا. عندما قامت الأنسة (مودي) بتعريفنا عليها، ظل (جيم) مرتبكاً لعدة أيام.

قامت الأنسة (كارولين) بكتابة اسمها على السبورة السوداء وقالت: "أنا الأنسة (كارولين فيشر). جنّت من مقاطعة (وينستون) بولاية (آلاباما الشمالية)". غمغم الفصل قلقاً من أن تكون حاملة للخصل الغربية المميزة لتلك المنطقة. (حينما انسحبت (آلاباما) من الاتحاد في 11 يناير 1861، انسحبت مقاطعة (وينستون) من ولاية (آلاباما)، وكل طفل في مقاطعة (مايكومب) كان يعرف هذه المعلومة). ولاية (آلاباما الشمالية) كانت تمتلئ بتجار الخمور، والبالغ الضخمة، وشركات الحديد والصلب، والجمهوريين، وأساتذة الجامعات، وأشخاص آخرين بدون خلفيات.

بدأت الأنسة (كارولين) اليوم بأن قرأت لنا قصة عن القطن. كانت القطط تجري حوارات طويلة مع بعضها البعض، وكانت تلبس ملابس صغيرة مأكرة، وكانت تعيش في منزل صغير دافئ تحت موقد في مطبخ. حينما قامت السيدة (قطة) بالاتصال بالمتجر لطلب شوكولاتة مصنوعة من الفئران الذائبة، كان الفصل يموج كدلو ممتلئ بالديدان. لم تكن الأنسة (كارولين) تعلم أن الفصل رث الثياب، المكون من الأولاد لابسي القطن والبنات لابسات أكياس الطحين، والذين كانوا يقطفون القطن ويطعمون الخنازير منذ أن تعلموا المشي، لم تكن تعلم أنهم محصنون ضد الأدب الخيالي. حينما انتهت الأنسة (كارولين) من قراءة القصة قالت: "يا للعجب. ألم تكن هذه قصة جميلة؟".

بعدها ذهبت الأنسة (كارولين) إلى السبورة، وقامت بكتابة الحروف الأبجدية بخط كبير، ثم التفتت إلى الفصل وسألت: "هل يعلم أي أحد ما هذا؟". جميع الفصل يعلمون، حيث أن أغلبهم رسبوا في السنة الماضية.



أعتقد أنها اختارتني لأنها كانت تعرف اسمي. بينما كنت أقرأ الأبجدية كان هناك خط رفيع يتكون بين حاجبيها. ثم بعدما جعلتني أقرأ معظم (كتابي الأول) واقتباسات سوق الأوراق المالية من جريدة (السجل الجوال) بصوت عالٍ، اكتشفت عندها أنني متعلمة وصارت تنظر إلي باحتقار واضح. أخبرتني الأنسة (كارولين) أن أخبر أبي بالأمر بيقوم بتدريسي مرة أخرى، لأن ذلك سيتعارض مع دراستي النظامية.

"تدريسي؟". قلت بدهشة. "أبي لم يعلمني حرفاً، آنسة (كارولين). إن (أنيكوس) ليس لديه وقت ليقوم بتدريسي أي شيء". وحينما ابتسمت وهزت رأسها أضفت: "إنه يكون متعباً في المساء لدرجة أنه يجلس في غرفة المعيشة ويقرأ".

"إذا لم يقم هو بتدريسك، إذاً من قام بذلك؟". كانت الأنسة (كارولين) تسأل بطيب خاطر. "لا بد أن أحدهم قد قام بذلك. أنت لم تولدي وأنت تقرأين (السجل الجوال)".

"ولكن (جيم) يقول أن ذلك صحيح، حيث أنه قرأ في كتاب ما أنني كنت من عائلة (بولفينش) بدلاً عن عائلة (فينش). يقول (جيم) أن اسمي أصلاً كان (جين لويس بولفينش)، وأني تم تبديلي حينما ولدت، وأني...".

من الواضح أن آنسة (كارولين) ظننتي أكذب. "يجب ألا ندع خيالنا يسرح بعيداً يا عزيزتي. والآن أخبرني أباك ألا يقوم بتدريسك مرة أخرى. من الأفضل أن نبدأ الدراسة بعقل نظيف. أخبريه أنني سأتولى الأمر من هذه اللحظة وسأحاول أن أصحح الدمار الذي...".

"سيدتي؟".

"والدك لا يعرف شيئاً عن التدريس. يمكنك العودة لمقعدك الآن".

تمتد بأنني آسفة وعدت لمقعدي أفكر في جريمتي النكراء. لم يحدث لي أن تعلمت القراءة عن قصد، ولكنني كنت أتخطب بصورة أو بأخرى في الجرائد اليومية. في الساعات الطويلة داخل الكنيسة – هل كان هذا هو الوقت الذي تعلمت فيه القراءة؟ لا أذكر يوماً لم أتمكن فيه من قراءة الترانيم. والآن وبما

أنني مضطرة للتفكير في الأمر، فإن القراءة كانت شيئاً أتى لي بصورة تلقائية، مثلما تعلمت إغلاق ملابسي بدون النظر إليها، ومثلما تعلمت عمل عقدتين من أربطة الحذاء المتشابكة. لا أستطيع أن أتذكر متى تحولت الخطوط أعلى إصبع (أتيكوس) المتحرك لكلمات، لكنني أذكر أنني كنت أحملق فيها جميع الأمسيات، مستمعة إلى أخبار اليوم، ومشاريع القوانين التي تم تحويلها لقوانين، ومذكرات (لورينزو دو) - أي شئ كان (أتيكوس) يقرؤه حينما كنت أزحف لحجره كل ليلة. لم يحدث أن أحببت القراءة حتى اللحظة التي صرت مهتدة بفقدانها. لا أحد يحب التنفس حتى يهاب فقدانه.

كنت أعلم أنني قمت بمضايقة الأنسة (كارولين)، لذلك جلست لوحدي وحدقت خارج النافذة حتى جاءت الاستراحة، حينما جاء (جيم) وأخرجني من سرب الصف الأول في فناء المدرسة. سألني كيف كان اليوم فأخبرته بما حدث.

"لو لم أكن مضطرة للبقاء لغادرت الآن. (جيم)، هذه المرأة السيئة تقول أن (أتيكوس) هو الذي علمني كيف أقرأ وأن عليه أن يوقفني من القراءة".

"لا تقلقي، عزيزتي (سكاوت) - قام (جيم) بتهدئتي - "مدرستنا تقول أن الأنسة (كارولين) أدخلت طريقة جديدة للتدريس، والتي تعلمتها في الجامعة. سوف يقومون بتطبيقها في جميع الفصول قريباً. ليس عليك أن تتعلمي الكثير من الكتب بهذه الطريقة. الأمر أشبه بأن تذهبي لتحلبي بقرة إذا كنت تريدين دراسة الأبقار. هل تفهمين؟".

"حسناً يا (جيم). ولكنني لا أريد دراسة الأبقار. أنا...".

"بالطبع تريدين ذلك. يجب عليك أن تدرسي الأبقار. الأبقار جزء كبير من الحياة في مقاطعة (مايكومب)".

أقنعت نفسي بأن أسأل (جيم) هل فقد عقله أم لا.

"أنا فقط أحاول إخبارك بالطريقة الجديدة لتدريس الصف الأول يا عنيدة. إنه نظام ديوي العشري".

حيث أنني لم أعارض تصريحات (جيم) من قبل، عليه لم أر سبباً لأفعل ذلك الآن.

نظام ديوي العشري كان يتكون - جزئياً - من البطاقات التي تلوح بها الأنسة (كارولين) أمامنا والتي كتب عليها كلمات مثل "شئ"، و"قطة"، و"جرذ"، و"رجل"، و"أنت". لم تكن تتوقع منا أي تعليق، وكنا نستقبل هذا الوحي الانطباعي في صمت. كنت أشعر بالملل، ولذلك بدأت في كتابة رسالة لـ(ديل). ألفت الأنسة (كارولين) القبض علي وأنا أكتب وأخبرتني أن أخبر أبي أن يتوقف عن تدريسي. قالت: "من ناحية أخرى، نحن لا نكتب في الصف الأول، بل نطبع. لن نتعلمي الكتابة حتى الصف الثالث".

(كالبورنيا) هي من يجب أن يلام. أعتقد أنها كانت تلهيني لكي لا أزعجها في بعض الأيام. كانت تعطيني وظيفة كتابية بأن تخربش الأبجدية على لوح، ثم كان يجب علي أن أقوم بنقل فصل كامل من الإنجيل أسفلها. إذا قمت بمحاكاة خطها بطريقة جيدة فإنها كانت تكافئني بشطيرة من الخبز والزبد والسكر. لم تكن هناك عاطفة في طريقة (كالبورنيا) التدريسية: كنت قليلاً ما أرضيها، وقليلاً ما كانت تكافئني.

"فليرفع يده كل من سيذهب للمنزل لتناول الطعام". قالتها أنسة (كارولين) لتقطع علي ضغيتتي الجديدة ضد (كالبورنيا).

رفع الأطفال أياديهم بينما كانت الأنسة تنظر إلينا.

"كل من أحضر طعامه معه عليه أن يضعه على الطاولة أمامه".

ظهرت الدلاء الممتلئة بديس السكر من اللامكان، ورقص السقف على الضوء المعدني للعلب. سارت الأنسة (كارولين) بين الصفوف ناظرة داخل علب الطعام. كانت تومئ إن أعجبها المحتوى، وتقطب جبينها أحياناً أخرى. ثم توقفت أمام طاولة (والتر كانينجهام) متسائلة: "أين طعامك؟".

نظرة واحدة لوجهه، وعرف كل من في الصف الأول أن (والتر كانينجهام) كان يعاني من الديدان الخطافية. رجلاه العاريتان أخبرتنا كيف أصيب (والتر)

بها. الناس كانوا يصابون بالديدان الخطافية جراء السير حفاةً في أفنية مخازن الحبوب وزرائب الخنازير. لو كان (والتر) يملك حذاءً فإنه كان سيلبسه أول يوم في المدرسة، ثم يلقيه جانباً حتى منتصف الشتاء. كان (والتر) يلبس قميصاً نظيفاً وثياب عمل مكوية بصورة جيدة.

"هل نسيت غداءك هذا الصباح؟". الأنسة (كارولين) تسأل مجدداً.

نظر (والتر) أمامه مباشرة وتحركت عضلة في فكه النحيل.

"هل نسيته هذا الصباح؟". الأنسة (كارولين) لا زالت تسأل. فك (والتر) يرتجف مرة أخرى.

"نعم". غمغم (والتر) أخيراً.

ذهبت الأنسة (كارولين) لطاوتها وفتحت حقبيتها. "خذ، هذا ربع دولار". قالت الأنسة لـ(والتر). "اذهب اليوم وكل في وسط المدينة. يمكنك أن تعيد النقود غداً".

هز (والتر) رأسه. "لا أستطيع. ولكن أشكرك سيدتي". رد (والتر) بحروف ممطوطة.

بدأ صوت الأنسة (كارولين) يفقد رنة الصبر: "(والتر)، تعال الآن وخذ النقود".

هز (والتر) رأسه مرة أخرى.

عندما هز (والتر) رأسه للمرة الثالثة، همس أحدهم: "(سكاوت)... اذهبي وأخبريها".

عندما التفت رأيت معظم الحضور ينظرون إلي. كانوا ينظرون إلي بذلك الفهم البرئ أن المعرفة تجلب التفاهم، ولأنني تداولت مع الأنسة (كارولين) مرتين منذ الصباح فهي إذا تعرفني.

## قتل الطائر المحاكي

كان علي أن أفف إلى جانب (والتر). قلت بلطف: "آآ.. أنسة (كارولين)؟".

"ماذا تريدين يا (جين لويس)؟".

"أنسة (كارولين)... هو من عائلة (كانينجهام)". ثم جلست مكاني.

"ماذا تقولين يا (جين لويس)؟".

كنت أعتقد أنني وضحت الأمر بصورة كافية. الأمر كان واضحاً بالنسبة لنا: (والتر كانينجهام) كان يكذب، هو لم ينس غداه ببساطة لأنه لم يكن لديه غداء، ليس اليوم ولا غداً ولا أي يوم آخر. هذا الفتى لم ير ثلاثة أرباع دولار مجتمعة من قبل في حياته.

حاولت التوضيح مرة أخرى: "(والتر) ينحدر من عائلة (كانينجهام) يا أنسة (كارولين)".

"أستمحك عذراً يا (جين لويس)؟".

"لا بأس سيدتي، مع مرور الوقت ستتعرفين على جميع سكان البلدة. عائلة (كانينجهام) لا تأخذ شيئاً لا تستطيع رده أبداً. لا سلة في الكنيسة ولا حتى ربع دولار. لم يحدث أن افترضوا شيئاً من أي شخص، بل يعيشون مما لديهم، وهو ليس بالشيء الكثير، ولكنهم يعيشون رغم ذلك".

معرفتي الخاصة بهذا الفرع من عائلة (كانينجهام) كان نتيجة لأحداث الشتاء الماضي. كان والد (والتر) أحد عملاء (أتيكوس). بعد أن تبادلوا حواراً كئيباً في غرفة المعيشة حول التزامات السيد (كانينجهام) المالية، قال السيد (كانينجهام) وهو يغادر: "لا أدري إن كنت سأتمكن من أن أدفع لك في يوم من الأيام يا سيد (فينش)".

"لا تحملهماً على الإطلاق يا (والتر)". رد عليه (أتيكوس).

## قتل الطائر المحاكي

حينها سألت (جيم) عن معنى الالتزام المالي، وأخبرني أنها تعني أن تجد ذيلك محصوراً في شق ضيق، عندها سألت (أتيكوس) إن كان السيد (كانينجهام) سيدفع لنا في يوم من الأيام.

"ليس مالاً". قال (أتيكوس). "ولكن قبل أن تنتهي السنة سأكون قد استلمت مستحقاتي. سترين بنفسك".

ولقد رأينا بالفعل. في يوم من الأيام وجدنا أنا و(جيم) حملاً من خشب الموقد في الفناء الخلفي. لاحقاً، ظهر شوال من الجوز على العتبة الخلفية. بحلول عيد الميلاد جاءنا صندوق من الأعشاب. في الربيع جاءنا كيس من اللفت الأخضر. (أتيكوس) قال أن السيد (كانينجهام) دفع أكثر مما عليه.

"لماذا يدفع لك بهذه الطريقة؟". تساءلت أنا.

"لأنها الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يدفع لي عبرها. الرجل لا يملك نقوداً".

"هل نحن فقراء يا (أتيكوس)؟".

هز (أتيكوس) رأسه موافقاً: "بالتأكيد".

تجدد أنف (جيم): "هل نحن فقراء كعائلة (كانينجهام)؟".

"ليس تماماً. عائلة (كانينجهام) مزارعون وبسطاء، وقد تأثروا كثيراً بالانهيار الاقتصادي".

قال (أتيكوس) أن المهنيين فقراء لأن المزارعين فقراء. نظراً لأن مقاطعة (مايكومب) كانت مقاطعة زراعية، لذلك فإنه كان من الصعب على الأطباء وأطباء الأسنان والمحامين الحصول على المال السائل. الالتزامات كانت جزءاً فقط من مصادر الازعاج بالنسبة للسيد (كانينجهام). الفدادين التي لم تكن موقوفة كانت جميعها مرهونة، وأي مبالغ مالية كان يتحصل عليها كانت تذهب لتسديد الفائدة. لو كان السيد (كانينجهام) يستطيع التحكم في أقواله كان يمكنه الحصول على وظيفة، ولكنه كان سيضطر للتضحية بأرضه، والسيد (كانينجهام) كان مستعداً لأن يجوع ويعرى في مقابل أن يحتفظ بأرضه وبحقه

في التصويت كما يشاء. كان (أتيكوس) يقول أن السيد (كانينجهام) ينحدر من سلالة خاصة من الرجال.

وبما أن عائلة (كانينجهام) لم يكونوا يملكون مالاً، فإنهم كانوا يدفعون لنا من المواد المتوفرة لديهم. يقول (أتيكوس): "هل كنت تعلمين أن دكتور (رينولدز) يعمل بنفس الطريقة؟ بعض الناس يدفعون له مكيالاً من البطاطس مقابل توليد طفل. إذا أعرتيني انتباهك، أنسة (سكاوت)، فإنني سوف أشرح لك بالضبط ما معنى التزام مالي. إن تعريفات (جيم) تكون دقيقة في بعض الأحيان."

لو كنت أستطيع شرح هذه الأمور للآنسة (كارولين) كنت سأوفر على نفسي المضايقة وعلى الآنسة (كارولين) العار اللاحق، ولكن للأسف لم أكن أتمكن من شرح الأمور بنفس طريقة (أتيكوس)، ولذلك قلت ببساطة: "أنت تعبيرينه يا آنسة (كارولين). ليس لدى (والتر) ربع دولار في البيت ليعيد لك مالك، كما أنك لن تستفيدي من حطب الموقد".

وقفت الآنسة (كارولين) متصلبة في مكانها، ثم قبضت علي من ياقتي وجرتني نحو طاولتها. قالت: "(جين لويس).. لقد اكتفيت منك تماماً هذا الصباح. لقد بدأت معي على نحو خاطئ تماماً يا عزيزتي. والآن افتحي يدك".

كنت أظن أنها ستبصق في يدي، وذلك هو السبب الوحيد لفتح اليد في (مايكومب): البصق في الكف كانت الطريقة المقدسة لختم العقود الشفهية. بما أنني كنت أفكر في ماهية العقد في أبرمته مع الآنسة، قمت بالنظر نحو الطلاب، ولكنهم جميعاً نظروا نحوي في حيرة. في هذا الوقت أخذت الآنسة (كارولين) المسطرة وضربتني بها ست ضربات على يدي، ثم أمرتني أن أقف في الزاوية. فهم الطلاب أخيراً أن الآنسة (كارولين) قد قامت بجلدي، واندلعت عاصفة من الضحك في الفصل.

حينما هددت الآنسة (كارولين) بجلد الطلاب جميعهم، اندلعت عاصفة الضحك مرة أخرى. لم يهدأوا إلا حينما سقط ظل الآنسة (بلاونت) عليهم. الآنسة (بلاونت) وهي مواطنة مايكومية أصيلة ولا تعلم شيئاً عن النظام العشري، وقفت على الباب واضعة يديها في أوراكها وأعلنت: "لو سمعت صوتاً آخر

## قتل الطائر المحاكي

---

يصدر من هذه الغرفة فسوف أحرقها بمن فيها. الصف السادس لا يستطيع التركيز في درس الأهرامات مع كل هذه الضجة يا أنسة (كارولين)!"

لحسن الحظ كانت إقامتي في الركن قصيرة، لأن الجرس قد قرع، ووقفت أنسة (كارولين) تشاهد الطلاب يغادرون الصف لتناول الغداء. وبما أنني آخر من غادر، فقد رأيتها تغوص في كرسيها وتدفن وجهها في ذراعها. لو كان تعاملها معي أفضل لكنت شعرت بالأسف نحوها، فهي تبدو صغيرة وجميلة رغم كل شيء.



### الفصل 3

حينما تمكنت من القبض على (والتر كانينجهام) في الفناء، تمكنت من الحصول على بعض المتعة بضربه. ولكن بينما كنت أمرغ أنفه في التراب جاء (جيم) وأخبرني بأن أتوقف عما أفعل. قال (جيم): "أنت أكبر حجماً منه".

أخبرته: "هو يماثلك تقريباً في العمر. لقد تسبب لي في بداية خاطئة مع الأنسة".

"أطلقني سراحه يا (سكاوت). ماذا حدث؟".

"لم يكن لديه غداء". شرحت له تدخلني في شئون (والتر) الغذائية.

كان (والتر) قد انتصب واقفاً يستمع إلينا في صمت. كانت قبضته شبه مضمومتين، كما لو أنه كان يتوقع منا هجوماً. وثبت عليه لأطارده بعيداً، إلا أن (جيم) فرد ذراعه ليوقفني، ثم فحص (والتر) بنظره وراح يخمن: "هل أبوك هو السيد (والتر كانينجهام) من منطقة (ساروم القديمة)؟". أوماً (والتر) برأسه موافقاً.

كان (والتر) يبدو وكأنما تمت تربيته على طعام الأسماك: عيناه كانتا زرقاوين كعيني (ديل هاريس)، كما أنهما كانتا حمراوين ودامعتين. وجهه كان خالياً من الألوان ما عدا طرف أنفه الذي كان وردياً رطباً. أصابعه كانت تمسك وتجر بعصبية حمالات ثياب العمل التي يلبسها.

فجأة ابتسم (جيم) ابتسامة عريضة. "تعال لتتناول الطعام معنا في المنزل يا (والتر). سنكون سعيدين بحضورك".

أضاء وجه (والتر) لحظة ثم اسودّ مرة أخرى.

## قتل الطائر المحاكي

قال (جيم): "والدنا هو صديق لوالدك. (سكاوت) هذه مجنونة... لا تقلق فهي لن تصارعك مرة أخرى".

"لا تكن متأكدًا للغاية من ذلك" - كانت هذه مني - حرية (جيم) في نقض التزامي بضرب الفتى كانت تضايقتي، ولكننا كنا نفقد دقائق الظهر القيمة. "حسناً يا (والتر).. لن أهاجمك مرة أخرى. هل تحب حبوب الزبدة؟ عزيزتنا (كال) هي طبخة ماهرة".

لم يتحرك (والتر) من مكانه، بل وقف عاضاً على شفثيه. استسلمنا أنا و(جيم) وغادرنا، ولكن (والتر) صاح بنا حينما اقتربنا من منزل (رادلي): "هيه! انتظراني، أنا قادم!".

حينما لحقنا (والتر)، راح (جيم) يحاوره بلطف. "هناك من يسكن في المنزل".  
قالها (جيم) بطريقة ودية وهو يشير نحو منزل (رادلي). "هل سمعت به من قبل يا (والتر)؟".

"أظن ذلك". قالها (والتر). "كنت سأموت في أول سنة لي في المدرسة عندما أكلت من الجوز... الناس يقولون أنه يسمم الجوز ثم يرميه في فناء المدرسة عبر السور".

يبدو أن خوف (جيم) من (بو رادلي) قد تبخر الآن بما أنني و(والتر) نسير إلى جواره. تحول (جيم) لشخص مغرور وأعلن: "لقد ذهبت مرة حتى جدار المنزل". قالها (جيم) مخاطباً (والتر).

"أي شخص كان جريئاً كفاية ليصل جدار المنزل لا يجب أن يستمر في الجري في كل مرة يمر أمام المنزل". قلتها وأنا أنظر للغيوم في السماء.

"ومن هذا الذي يجري، أيتها الحمقاء؟".

"أنت... حينما لا يكون معك رقعة".

حينما وصلنا المنزل كان (والتر) قد نسي أنه من عائلة (كانينجهام). جرى (جيم) للمطبخ وطلب من (كالبورنيا) أن تحضر طبقاً زائداً لأن معنا ضعفاً حياً

(أتيكوس) (والتر) وبدأ حواراً حول الحبوب لم يتمكن أنا ولا (جيم) من متابعته.

"السبب في أنني لا أستطيع النجاح في الصف الأول يا سيد (فينش) هو أنني مضطر للبقاء خارجاً في كل ربيع لكي أساعد أبي في جني المحصول. ولكن هناك طفل آخر في المنزل الآن".

"هل دفعتم جوالاً من البطاطس لقاءه؟". سألت أنا، ولكن (أتيكوس) هز رأسه ليوقني.

بينما كان (والتر) يكس الطعام على طبقه، كان يتحدث مع (أتيكوس) وكانهما رجلان بالغان، مما جعلنا - أنا و(جيم) - في حيرة. كان (أتيكوس) يتحدث عن مشاكل الزراعة حينما قاطعه (والتر) متساءلاً إن كان هناك أي دبس سكر في المنزل. استدعى (أتيكوس) (كالبورنيا) التي جاءت حاملة جرة الشراب، ثم وقفت تنتظر من (والتر) أن يخدم نفسه. قام (والتر) بصب الشراب بأريحية على الخضروات واللحم، وربما كان سيصبه على الحليب لو لم أتدخل وأسأله عما كان يفعله بالضبط.

أحدث الصحن الفضي قعقة حينما أعاد (والتر) الجرة مكانها، ومن ثم وضع يديه في حجره وخفض رأسه.

هز (أتيكوس) رأسه مرة أخرى بينما صحت معترضة: "ولكنه أغرق طعامه في الشراب. لقد قام بصبه في كل مكان". كان هذا حينما نادتني (كالبورنيا) للمطبخ.

كانت (كالبورنيا) غاضبة جداً، وحينما تغضب (كالبورنيا) فإن لغتها تصبح مشوشة. أما حينما تكون مطمئنة فإن لغتها تكون بنفس جودة لغة أي مواطن آخر في (مايكومب). أخبرني (أتيكوس) أن (كالبورنيا) تلقت تعليماً أفضل من بقية الأشخاص الملونين.

حينما نظرت إلي شزراً، ازدادت الخطوط المحيطة بعينيها عمقاً. "هناك بعض الأشخاص الذين لا يأكلون كما نعمل نحن". كانت تهمس بقوة. "لكن لا يحق لك

أن تعارضهم على طاولة الطعام حينما يفعلون ذلك. هذا الفتى هو ضيفك وإذا كان يريد أن يأكل مفرش الطاولة فسوف تدعيه يأكله. هل تفهمين؟".

"هو ليس ضيفاً يا (كال). هو فقط من عائلة (كانينجهام)...".

"أغلقي فمك! لا يهمني من هو. كل من يطأ هذا المنزل بقدمه هو ضيفك. وحذار أن أراك علفت مرة أخرى على تصرف ضيف وكأنك أفضل حالاً منهم! ربما كان حالك أفضل من عائلة (كانينجهام) ولكن هذا لا يعطيك الحق في احتقارهم هكذا. إذا لم تكوني قادرة على الأكل هناك فيمكنك الجلوس هنا وتناول طعامك في المطبخ!".

أعدت (كابورنيا) إرسالي لغرفة الطعام عبر الباب المتأرجح بأن صفعنتني صفعة مؤلمة. حملت طريقي وأكملت عشائي في المطبخ، شاكرة لأنني لن أضطر لمواجهتهم مرة أخرى. أخبرت (كابورنيا) أن تصبر علي لأنني سأعاقبها: في يوم من الأيام وبينما هي لا تنظر سوف أهرب وأغرق نفسي في دوامة (باركر) وعندها ستأسف لفقدني. ثم أضفت أنها قد أدخلتني في مشكلة اليوم بسبب أنها علمتني الكتابة وتلك كانت غلطتها. ردها كان ببساطة: "كفي عن الثرثرة".

عاد كل من (جيم) و(والتر) للمدرسة بينما بقيت لأخبر (أتيكوس) عن خطايا وأثام (كابورنيا)، رغم أن هذا يعني أنني سأضطر للجري وحيدة أمام منزل (رادلي). "في جميع الأحوال، هي تحب (جيم) أكثر مما تحبني". اختتمت روايتي واقترحت على (أتيكوس) ألا يضع الوقت في التخلص منها.

"هل حدث أن فكرت في أن (جيم) لا يضابقها بنفس الطريقة التي تضابقينها بها؟". صوت (أتيكوس) كان حازماً. "ليس لدي النية في التخلص منها الآن أو في أي وقت آخر. هل حدث أن فكرت في أننا لا نستطيع العيش يوماً واحداً بدون (كال)؟ عليك أن تفكري في مقدار ما تقدمه (كال) لك، وعليك أن تراعيها، هل تسمعينني؟".

عدت للمدرسة وظللت أكره (كابورنيا) حتى أخرجتني زعقة مفاجئة من استيائي. نظرت للأعلى لأرى الأنسة (كارولين) تقف في منتصف الغرفة

ووجهها غارق في الرعب. من الواضح أنها عاشت بما يكفي لتتأثر على أداء وظيفتها رغم كل شيء.

"إنه حي!". راحت الأنسة تصرخ.

هب المجتمع الذكوري في الصف هبة رجل واحد لإعانتها. كنت أفكر وأتعبج من أنها خائفة من فأر. خاطبها (ليتل تشاك ليتل) المعروف بصبره الأسطوري مع كل الكائنات الحية: "من أي طريق ذهب يا أنسة (كارولين)؟ أخبرينا أين اتجه، بسرعة! يا (دي سي)...". قالها وهو يلتفت لصبي خلفه. "يا (دي سي). أغلق الباب وسوف نقبض عليه. بسرعة، سيدتي، من أين طريق ذهب؟".

حينما رفعت الأنسة (كارولين) اصبعها المرتجف، لم توجهه نحو الأرض ولا نحو طاولة، وإنما أشارت نحو شخص ضخم لا أعرفه. انقبض وجه (ليتل تشاك) وهو يسأل بلطف: "هل تعنيه هو يا سيدتي؟ بالطبع، هو حي. هل أخافك منظره؟".

قالت الأنسة (كارولين) بيأس: "كنت أسير جواره حينما زحف الشيء خارجاً من شعره... زحف خارجاً من شعره بمنتهى البساطة".

ابتسم (ليتل تشاك) ابتسامة عريضة. "ليس هناك داع لأن تخافي من القمل يا أنسة. ألم تري قملة من قبل؟ لا تخافي الآن وعودي لطاولتك، وقومي بتدريسينا المزيد".

(ليتل تشاك ليتل) كان من أعضاء المجتمع الذين لا يعرفون من أين يتحصلون على الوجبة القادمة، ولكنه كان سيداً نبيلاً منذ ولادته. وضع الفتى يده تحت مرفق الأنسة (كارولين) وقادها لمقدمة الغرفة وهو يقول: "لا تخافي الآن يا أنسة. لا يوجد داع لأن تخافي من قملة. سوف أحضر لك بعض الماء". لم يبد على حامل القملة أي اهتمام بالفضيحة التي تسبب فيها. مد يده يبحث في فروة رأسه عن القملة، ومن ثم قرصها بين إصبعيه السبابة والإبهام.

كانت الأنسة (كارولين) تتأمل العملية باهتمام مرتعب. عاد (ليتل تشاك) حاملاً الماء في كوب ورقي. شربت الأنسة الماء وشكرته حينما تمكنت من استعادة صوتها. "ما اسمك يا بني؟". سألته بلطف.

رمش الفتى بعينية. "من؟ أنا؟". أو مات الأنسة (كارولين) برأسها.

"(بوريس إيويل)".

راحت الأنسة (كارولين) تبحث في دفترها. "لدي اسم (إيويل) هنا، ولكن لا يوجد اسم أول... هل يمكنك تهجئة اسمك الأول؟".

"لا أستطيع. هم فقط ينادونني (بوريس) في البيت".

قالت الأنسة (كارولين): "حسناً، (بوريس). أعتقد أنه من الأفضل أن نمحك استراحة لبقية اليوم. أريد منك أن تعود للمنزل وتغسل شعرك".

استخرجت الأنسة مجلداً ضخماً من الطاولة وبحثت في صفحاته ثم قرأت للحظات. "العلاج المناسب لل... (بوريس)، أريد منك أن تعود للمنزل وتغسل شعرك بصابون الغسول. عندما تنتهي من ذلك، قم بدعك فروة رأسك بالكيروسين".

"ولماذا أفعل ذلك يا أنسة؟".

"لكي تتخلص من ال... قمل. كما ترى يا (بوريس) فإن الأطفال الآخرين قد يصابون بالقمل منك، وأنت لا تريد ذلك، صحيح؟".

انتصب الفتى واقفاً. كان أكثر إنسان قذر رأته في حياته. رقبتة كانت مغطاة باللون الرمادي الغامق. ظهر يده كان صديناً بالوسخ. أظافر يديه كانت سوداء حتى نهايتها. راح الفتى ينظر نحو الأنسة (كارولين). لم يلاحظه أحد من قبل لأنني والأنسة (كارولين) قمنا بإمتاع الصف طوال فترة الصباح.

قالت الأنسة (كارولين): "وأرجو منك يا (بوريس) أن تستحم قبل أن تعود غداً للصف".

ضحك الفتى بوقاحة. "أنت لا ترسلينني للمنزل يا آنسة، لقد كنت على وشك المغادرة، فقد أخذت كفايتي لهذه السنة".

بدت الأنسة (كارولين) مندهشة. "ما الذي تعنيه بذلك؟".

لم يعطها الفتى إجابة. فقط شخر بازدياء.

تطوع أحد الأطفال الأكبر سناً بالإجابة: "هو من عائلة (إيويل) يا آنسة". تساءلت في سري إن كان هذا التفسير سيوؤ بالفشل كما حدث معي من قبل، لكن الأنسة (كارولين) كانت أكثر ميلاً للاستماع هذه المرة. "المدرسة تمتلئ بهم. يأتون في أول يوم للمدرسة ثم يغادرون. السيدة المسئولة عن الغياب تحضرهم هنا لأنها تهدهم بإبلاغ المأمور، ولكنها لا تحاول إبقاءهم هنا. هي تعتقد أنها قامت بتطبيق القانون بحملهم على الحضور أول يوم في المدرسة، في حين أنها يفترض أن تسجلهم غياباً لبقية السنة الدراسية...".

"ولكن ماذا عن والديهم؟". تساءلت الأنسة (كارولين) باهتمام حقيقي.

"ليس لديه والدة". كانت الإجابة. "والده كثير المشاكل".

(بوريس إيويل) كان سعيداً بالسردي. "أنا أحضر لليوم الأول بالصف الأول لمدة ثلاث سنوات الآن". قالها موضحاً. "أظن أنني لو صرت ذكياً هذه السنة فسوف يقومون بترقيتي للصف الثاني".

قالت الأنسة (كارولين): "اجلس على مقعدك من فضلك يا (بوريس)". في اللحظة التي قالت فيها هذه العبارة أدركت أنها قد ارتكبت خطأ فادحاً. تحولت لتسامح الفتى لغضب واضح.

"يمكنك أن تحاولي إجباري يا آنسة".

قفز (لينتل تشاك) واقفاً وهو يقول: "دعاه يذهب يا آنسة. إنه شخص لنيم، وهو قادر على أن يفتعل مشكلة، وهناك أطفال صغار بالصف".

رغم أن (ليتل تشاك) كان صغيراً في حجمه، إلا أنه عندما التفت إليه (بوريل إيويل) أدخل يده اليمنى في جيبه وقال: "حاذر ما تفعله يا (بوريس). يمكنني أن أقتلك بنفس السرعة التي أراك بها. والآن، عد للمنزل".

بدا (بوريس) خائفاً من طفل في منتصف طوله، وقامت الأنسة (كارولين) بالاستفادة من تردده: "(بوريس)، عد للمنزل. إذا لم تغادر الآن فسوف أقوم باستدعاء المدير. علي أن أقوم بالتبليغ عن هذا الحدث في جميع الأحوال".

شخر الفتى ثم سار متهدياً نحو الباب. عندما صار بمأمن بعيداً عن الأيدي التفت مرة أخرى وصاح: "فلتبلغي كما تشائين أيتها اللعينة! لا توجد مدرّسة عاهرة ومدعية تستطيع أن تجعلني أفعل أي شيء! أنت لا تأمريني أن أذهب لأي مكان. فقط تذكرني هذا: أنت لا تأمريني أن أذهب لأي مكان!".

انتظر الفتى حتى تأكد من أن الأنسة قد بدأت في البكاء، ثم جر جر قدميه خارجاً من المبنى.

أسرعنا بالتحلق حول طاولة الأنسة، نحاول بشتى الطرق أن نعزيها. إنه فتى لئيم... هذا كانت ضربة تحت الحزام... أنت لم تأتي لتدرّسي مثل هذا المخلوق... هذه ليست أخلاق (مايكومب) يا أنسة (كارولين)، ليست علي الإطلاق... لا تغضبي يا أنسة (كارولين)، لماذا لا تقرأين لنا قصة؟ قصة القطة كانت ظريفة هذا الصباح...

ابتسمت الأنسة (كارولين) ونفخت أنفها ثم قالت: "أشكركم أعزائي". ثم وزعتنا وفتحت كتاباً وراحت تقرأ قصة طويلة عن الضفدع الذي كان يعيش في الصالة الكبيرة.

حينما عبرت أمام منزل (رادلي) للمرة الرابعة في هذا اليوم - مرتان كانتا جرياً - كان اكتنابي قد اشتد حتى صرت أنافس المنزل في الكآبة. لو كانت بقية السنة الدراسية ممثلة بالأحداث الدرامية مثل هذا اليوم فربما تكون ممتعة إلى حد ما، غير أن فكرة قضاء تسعة شهور بدون القراءة والكتابة جعلتني أفكر في الهرب.



## قتل الطائر المحاكي

بحلول العصر كانت معظم خططي للهرب قد اكتملت، وحينما تسابقت أنا و(جيم) على الرصيف لنقابل (أتيكوس) العائد من العمل لم أجتهد كثيراً في السابق. كانت عادتنا أن نتسابق لنقابل (أتيكوس) عندما نراه عند زاوية مكتب البريد على البعد. بدا على (أتيكوس) أنه قد نسي إخفاقي في فترة الغداء ظهراً، وكان يسأل كثيراً عن المدرسة. إجاباتي كانت مقتضبة ولم يحاول هو الضغط علي.

أعتقد أن (كالبورنيا) أحست بأن أبي كان متجهماً ولذلك تركتني أشاهدها وهي تعد العشاء. قالت لي: "أغمضي عينيك وافتحي فمك وسوف أعطيك مفاجأة".

لم تكن (كالبورنيا) تعد الخبز عادة لأنها قالت أنها لا تجد الزمن الكافي لذلك. وحيث أنني و(جيم) كنا في المدرسة اليوم فإن اليوم كان طويلاً، كما أنها تعلم أنني أحب الخبز المعد في المنزل.

قالت لي: "لقد افتقدتك اليوم. المنزل كان خالياً وشعرت بالوحدة. عندما دقت الساعة الثانية اضطررت لأن أشغل المذياع".

"لماذا؟ أنا و(جيم) لا نتواجد داخل المنزل أبداً إلا حينما تمطر".

ردت (كالبورنيا): "أعلم ذلك. ولكن أحدكما دائماً ما كان يتواجد قريباً. أتساءل كم كنت أناديكما يومياً من قبل. حسناً". قالت وهي تغادر كرسي المطبخ. "أظن أن هذا وقت كافٍ لتحضير صينية من الخبز. اذهبي الآن ودعيني أضع العشاء على الطاولة".

انحنت (كالبورنيا) نحوي وقبلتني. جريت خارج المطبخ وأنا أتساءل ما الذي حل بها. كانت تريد أن تصالحي فقط. دائماً ما كانت تقسو علي، ولكنها أخيراً انتبهت لخطأ الأسلوب الذي اتبعته معي، إلا أنها كانت أكثر عناداً من أن تعترف بذلك. كما أنني كنت متعبة من جرائم اليوم.

بعد العشاء جلس (أتيكوس) على كرسيه وهو يحمل الجريدة ونادى: "(سكاوت)، هل أنت جاهزة للقراءة؟". لقد اخترتني الرب بأكثر مما أستطيع

## قتل الطائر المحاكي

تحمله اليوم، ولذلك خرجت للشرفة الأمامية. جاء (أتيكوس) خلفي: "هل هناك مشكلة يا (سكاوت)؟".

أخبرت (أتيكوس) أنني لست على ما يرام وأني لا أرغب في الذهاب للمدرسة مرة أخرى، إن كان لا بأس في ذلك.

جلس (أتيكوس) على الأرجوحة وقاطع ما بين رجليه. راحت أنامله تعبت في جيب الساعة، وقال أنها الطريقة الوحيدة التي يمكنه أن يفكر بها. راح ينظر إلي في صمت أليف، فحاولت تعزيز موقفي: "أنت لم تذهب للمدرسة أبداً، ومع ذلك فأحوالك جيدة. بالتالي فأنا أيضاً سأجلس في البيت. يمكنك أن تقوم بتدريسي كما قام جدي بتدريسك أنت والعم (جاك)".

قال (أتيكوس): "لا، لا يمكنني ذلك. يجب علي أن أعمل. بالإضافة إلى أنهم سيدخلونني السجن إن أنا تركتك في المنزل. ستتناولين جرعة من المغنيسيا اليوم، ثم تذهبين للمدرسة غداً".

"أنا بخير. حقاً".

"هذا ما ظننته. حسناً، ما المشكلة؟".

حكيت له أحداث اليوم بالتفصيل. "... ثم قالت أنك قمت بتعليمي بطريقة خاطئة، وبالتالي نحن ممنوعون من القراءة للأبد. أرجوك، لا ترسلني للمدرسة مرة أخرى، أرجوك سيدي".

انتصب (أتيكوس) واقفاً ومشى حتى نهاية الشرفة. بعد أن انتهى من تأملاته في الأعشاب النامية عاد إلي مرة أخرى.

"أولاً، (سكاوت)، إذا أمكنك أن تتعلمي خدعة بسيطة، فسوف تتمكنين من التعامل بصورة أفضل مع مختلف الأشخاص. من الصعب أن تتفهم موقف شخص ما حتى تفكر في الأشياء من وجهة نظره...".

"عذراً؟".

"... حتى تلبسي جلده وتتجولي فيه".

قال (أتيكوس) أنني تعلمت عدة أشياء اليوم، كما تعلمت الأنسة (كارولين) عدة أشياء. تعلمت الأنسة ألا تمد شيئاً لفرد من (كانينجهام) مثلاً، ولكن لو وضعنا – أنا و(التر) – نفسينا مكانها فسوف نفهم أنه كان خطأً غير مقصود من جانبها. لا يمكننا أن نتوقع منها أن تتعلم جميع طرائق أهالي (مايكومب) في يوم واحد، كما لا يمكننا أن نحاسبها في حالة أنها لا تعلم.

قلت له: "للأسف لم أكن أعلم أنني لا يجب أن أقرأ لها، واعتبرتني هي المسئولة عن... اسمعني يا (أتيكوس)، ليس من الضروري أن أعود للمدرسة!". كانت تتفجر في عقلي فكرة مفاجئة. "هل تذكر (بوريس إيويل)؟ إنه يذهب للمدرسة في أول يوم فقط. السيدة المسئولة عن الغياب تظن أنها قد أدت واجبها حينما تسجل اسمه في الدفتر...". قاطعني (أتيكوس): "لا يمكنك أن تفعلي ذلك يا (سكاوت). في بعض الحالات الخاصة نضطر للي القانون قليلاً. في حالتك، يظل القانون كما هو. سنذهبين للمدرسة".

"لا أستطيع أن أرى لماذا يجب علي ذلك بينما لا يجب علي الفتى".

"إذن استمعي جيداً".

قال (أتيكوس) أن عائلة (إيويل) ظلت تشكل عاراً لمدينة (مايكومب) لثلاثة أجيال. هو لا يذكر أن أياً منهم قد قام بعمل شريف ليوم واحد في حياته. أخبرني أنه في أحد أعياد الميلاد، حينما يذهب للتخلص من الشجرة، فهو سوف يأخذني معه ليريني أين وكيف يعيشون. قال أنهم بشر ولكنهم يعيشون كالحيوانات.

"يمكنهم أن يذهبوا للمدرسة في أي وقت يرغبون فيه، لو أنهم رغبوا ولو قليلاً في التعليم". قال (أتيكوس). "هناك طرق لإقائهم في المدرسة بالقوة، ولكنه من السخف أن تجبر أشخاصاً كعائلة (إيويل) على الانضمام لبيئة جديدة...".

"إذا لم أذهب للمدرسة غداً فأنت سوف تجبرني على الذهاب".

رد (أتيكوس) بجفاء: "لننه هذا الحوار بهذه الطريقة.. أنت يا أنسة (سكاوت فينش) من الطبقة العامة. الطبقة العامة تطبق القانون". قال أن عائلة (إيويل) تنتمي لمجموعة خاصة تتكون من عائلة (إيويل) نفسها. في بعض الأحيان تقوم الطبقة العامة بإعطاء عائلة (إيويل) مزايا معينة وذلك باتباع الطريقة البسيطة التي تتمثل في التظاهر بعدم رؤية ما يفعلونه. كمثال لذلك عدم اضطرارهم للذهاب للمدرسة. مثال آخر هو أن السيد (بوب إيويل)، والد (بوريس)، كان مسموحاً له بالصيد ونصب الشراك خارج الموسم.

"هذا سيء يا (أتيكوس)". أخبرته بذلك، إذ ربما يكون الصيد خارج الموسم جنحة في نظر القانون، ولكن في مقاطعة (مايكومب) فإنه يعد جنائية لا تغفر.

رد أبي: "هذا ضد القانون، صحيح. وهو سيء بالتأكيد. ولكن حينما يصرف الرجل شيكات الدعم لشراء الويسكي الأخضر، فإن أطفاله يكون لهم طريقة معينة في الصراخ جزاء الجوع. لا أعرف أي صاحب أرض في البلدة يحسد هؤلاء الأطفال على أبيهم".

"السيد (إيويل) يجب ألا يفعل هذا".

"بالطبع يجب ألا يفعل هذا، ولكنه لن يغير طريقته. هل ستقومين بتنفيس غضبك على أبنائه؟"

"لا سيدي" - غمغمت، محاولةً تبيثت موقف أخير: "ولكن لو- واصلت الذهاب للمدرسة، لن يمكننا أن نقرأ مرة أخرى...".

"هذا الأمر يضايقك للغاية، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد".

حينما نظر (أتيكوس) إليّ من أعلى، رأيت تعبيراً في وجهه دائماً ما كان يجعلني أتوقع شيئاً ما. "هل تعلمين ما معنى التسوية؟" كان هذا سؤاله.

"إليّ القانون؟".

## قتل الطائر المحاكي

"لا- اتفاق- يتم التوصل إليه بتنازلات من الجانبين- ويحدث كالتالي."- واصل التحدث. "لو تنازلت عن أهمية الذهاب للمدرسة، سوف نتابع القراءة كل ليلة كما كنا نفعل دائماً. هل اتفقنا؟".

"بالتأكيد!".

"إذاً سنعتبر الاتفاق مبرماً بدون الإجراءات الشكلية المعتادة". قالها (أتيكوس) حينما رأني أجهز للبصق.

بينما كنت أفتح الباب الأمامي قال (أتيكوس): "بالمناسبة يا (سكاوت)، من الأفضل ألا تذكرني أي شيء في المدرسة حول اتفاقنا".

"لماذا؟".

"أخشى أن نشاطاتنا سيتم استقبالها برفض معتبر من قبل الجهات التعليمية".

كنت قد تعودت أنا و(جيم) على أسلوب والدنا الخطابي. في بعض الأحيان كنا نقاطعه ليترجم لنا ما كان يقوله إن لم نتمكن من فهمه.

"هاه؟ ماذا؟".

أجابني: "أنا لم أذهب للمدرسة. ولكن لدي إحساس أنك إذا أخبرت الأُنسة (كارولين) أننا نقرأ كل ليلة فسوف تلاحقني، وأنا لا أرغب في أن تلاحقني الأُنسة".

في تلك الليلة قرأ لنا (أتيكوس) مقالاً خطيراً عن رجل جلس على سارية علم بدون سبب واضح. كان هذا سبباً كافياً ليضيع (جيم) يوم السبت التالي وحيداً في بيت الشجرة. بقي (جيم) منذ الإفطار وحتى مغيب الشمس، وكان سيبيت هناك ما لم يقم (أتيكوس) بقطع خطوط الإمداد. كنت قد قضيت اليوم كله صعوداً ونزولاً من بيت الشجرة، أقوم بقضاء المهمات له، وأتية بالكتب والمرطبات والماء، وأحمل له الملاءات لكي يبيت، إلا أن (أتيكوس) أخبرني أنني إن لم أعره اهتماماً فإنه سوف ينزل لوحده. وقد كان (أتيكوس) محقاً.

## الفصل 4

بقية أيامي الدراسية لم تكن أكثر سعادة من اليوم الأول. الحقيقة أنه كانت هناك سلسلة لا تنتهي من المشاريع التي تحولت لوحداث، والتي تحولت بفعل أميال من أوراق البناء وأقلام التلوين الشمعية التي صرفتها ولاية (آلاباما) في محاولتها البرينة والفاشلة لتعليمي ديناميكا المجموعة. الشئ الذي أطلق عليه (جيم) نظام ديوي العشري كان قد أصبح على مستوى المدرسة بنهاية سنتي الدراسية الأولى، ولذلك لم أتمكن من مقارنته بأي أسلوب تدريسي آخر. كان بإمكانني فقط النظر حولي: عمي و(أتيكوس) - رغم أنهما درسا في المنزل - إلا أنهما كانا يعرفان كل شئ. المعلومة التي لم يكن يعرفها أحدهما كان الآخر يعرفها. كما أنني لم أستطع إلا أن ألاحظ أن أبي كان يتم انتخابه كل مرة لمجلس تشريعي الولاية بدون أن يواجه أي معارضة، بريئاً من التعديلات التي ظنها أساتذتي مهمة لتكوين المواطنة الصالحة.

(جيم)، والذي كان نصف تعليمه بالنظام العشري ونصفه تحت قبعة الأغبياء في الصف، بدا أنه قادر على أداء وظيفته بصورة جيدة وحيداً أو ضمن مجموعة. إلا أن (جيم) مثال سئ لأنه ما من نظام تدريسي اخترعه الانسان قادر على أن يوقف (جيم) عن قراءة الكتب.

بالنسبة إلي فأنا لم أكن أعرف أي شئ غير ما قرأته في صحيفة (التايم)، كما أنني كنت أقرأ أي شئ أجده تحت يدي في المنزل. كلما تقدمت ببطء في النظام التعليمي لمقاطعة (مايكومب)، كلما زاد إحساسي بأنني قد خدعت بصورة ما. بعيداً عن الأشياء التي لم أتعلمها، لم أتمكن من تصديق أن برنامج الولاية التعليمي كان يتكون من اثنتي عشرة سنة من الملل الذي لا يطاق.

بنهاية السنة كنت أخرج من المدرسة مبكرة بنصف ساعة عن (جيم) الذي كان مضطراً للبقاء حتى الساعة الثالثة. كنت أجري أمام منزل (رادلي) بأسرع ما يمكنني، ولا أتوقف حتى أصل بر السلامة على شرفتنا الأمامية. في ظهيرة

## قتل الطائر المحاكي

أحد الأيام وبينما كنت أجري، لفت نظري شيء ما بصورة جعلتني آخذ نفساً عميقاً وأنظر حولي ثم أعود أدرجي.

كانت هناك شجرتا بلوط تبرزان من أرض (رادلي)، جذورهما كانتا ممتدتين حتى الشارع الجانبي مما جعل الشارع ذا مطبات. شيء ما حول إحدى الشجرتين لفت انتباهي.

بعض ورق القصدير كان بارزاً من حفرة في ساق الشجرة، أعلى مستوى نظري بقليل، وكان القصدير يغمز لي ملتماً تحت شمس الظهيرة. وقفت على أطراف أناملي، ونظرت حولي بسرعة مرة أخرى، ثم أدخلت يدي في الحفرة واستخرجت قطعتين من العلكة خارج أغلفتها.

فكرتي الأولى كانت أن أضع العلكة في فمي بأسرع ما يمكن، غير أنني تذكرت أين أنا. عدت جرياً للمنزل، وهناك على شرفتنا تفحصت غنيمتي. العلكة كانت تبدو جديدة. شممتها ولعقتها ثم انتظرت فترة. حينما لم أسقط ميتة كرفست العلكة ورميتها داخل فمي: كانت بمذاق النعناع.

حينما عاد (جيم) للمنزل سألني أين وجدت حشوة كهذه. أخبرته أنني عثرت عليها.

"لا تأكلي الأشياء التي تعثرين عليها يا (سكاوت)".

"هذه لم تكن على الأرض. كانت داخل شجرة".

دمدم (جيم).

واصلت الشرح: "ولكنها كانت كذلك. كانت بارزة من داخل تلك الشجرة التي تطل على المدرسة".

"ابصقيها الآن حالاً!".

بصقت العلكة. الطعم كان قد زال، على أي حال. "لقد كنت أعلكها طوال فترة ما بعد الظهر، ولم أمت حتى الآن، ولا أشعر بشيء".

دق (جيم) قدمه على الأرض بقوة. "ألا تعرفين أنه يجب ألا تلمسي الأشجار هناك؟ سوف تقتلين نفسك إن فعلت ذلك!".

"أنت نفسك لمست البيت من قبل!".

"هذا كان مختلفاً! اذهبي الآن وتغرغري، هل تسمعين ما أقول؟".

"لن أفعل ذلك. سوف يزول الطعم من فمي".

"لا تتغرغري، وسوف أخبر (كالبورنيا) بما فعلته!".

بدلاً من أجازف بالصدام مع (كالبورنيا)، فعلت كما أخبرني (جيم). لسبب ما، كان لسنتي الدراسية الأولى تأثير كبير على علاقتنا: سطوة (كالبورنيا) وظلمها وتدخلها في شئوني، قد تحول كله لغمغمة اعتراضية لطيفة. من جانبي كنت أضغط على نفسي بشدة حتى لا أقوم باستفزازها.

الصيف كان على الأبواب، وكنت أنا و(جيم) ننتظره بفارغ الصبر. كان الصيف أفضل الفصول: كنا ننام على الأسرة في الشرفة الخلفية، ونحاول النوم في بيت الشجرة، ونأكل أفضل الأشياء. الصيف كان كألف لون على سطح بستان عارٍ. ولكن أهم من كل هذا أن الصيف كان يعني عودة (ديل).

تركنتا السلطات نغادر مبكراً في آخر يوم للمدرسة، وعدنا – أنا و(جيم) – للبيت معاً. قلت له: "أعتقد أن (ديل) سيحضر غداً".

رد (جيم): "سيتأخر يوماً آخر على الأغلب. ولاية (ميسيسيبي) تتركهم يوماً دراسياً إضافياً".

بينما كنا نمر أمام شجر البلوط في أرض (رادلي)، رفعت إصبعي للمرة المائة أشير للحفرة التي وجدت فيها العلكة، محاولة جعل (جيم) يصدق أنني وجدت العلكة هناك. هذه المرة وجدتني أشير نحو قطعة قصدير أخرى.

"أنا أراها يا (سكاوت)! أنا أراها".



نظر (جيم) حوله ثم أدخل يده وبحذر شديد تناول الحزمة وأدخلها في جيبه. جرينا نحو البيت، وحينما وصلنا الشرفة الأمامية وجدنا أنفسنا نحدق في صندوق صغير مرقع بقطع من ورق القصدير المجمع من أغلفة العلكة. الصندوق كان يشبه الصناديق التي يضعون بها خواتم الزفاف، مخملي الملمس، بنفسجي اللون، وبه قفل صغير. فتح (جيم) القفل. بالداخل رأينا بنسيتين مصقولين بعناية، موضوعين أحدهما فوق الآخر. راح (جيم) يفحصهما.

قال (جيم): "رؤوس هنود. ألف وتسعمائة وستة... أحدهما من ألف وتسعمائة. (سكاوت)، هذان البنسان قديمان للغاية".

رحت أردد: "ألف وتسعمائة. فلنقل...".

"اصمتي لحظة واحدة. انا أفكر".

"(جيم)، هل تظن أن هذا مخبأ شخص ما؟".

"لا أظن. لا يوجد أحد يمر من هنا غيرنا نحن، ما لم يكن شخصاً بالغاً".

"الأشخاص البالغون ليس لديهم مخابئ سرية. هل تظن أننا يجب أن نحتفظ بهما يا (جيم)؟".

"لا أدري، ما يمكن أن نفعله يا (سكاوت). من الذي سنرجعهما له؟ أنا أعلم أنه لا أحد يمر من هذا الطريق. (سيسل) يمشي عبر الطريق الخلفي ويعبر نصف البلدة ليعود لبيته".

كان (سيسل جاكوبز) يسكن في الطرف الأقصى لشارعنا، جوار مكتب البريد، وكان يومياً يسير مسافة ميل كامل حتى لا يضطر للعبور أمام منزل (رادلي) ولا يقابل السيدة (هنري لافاييت دوبوس). السيدة (دوبوس) كانت تعيش على بعد منزلين منا، وقد أجمع الجيران على أنها كانت الأم امرأة عاشت على ظهر الأرض. (جيم) لم يكن يمر أمام منزلها ما لم يكن (أتيكوس) معه.

"ما الذي تظن أن علينا فعله يا (جيم)؟".

من يجد الشيء يحصل عليه، ما لم يتم إثبات الملكية. أشياء كقطف زهرة كاميليا، وحلب القليل من لبن بقرة الأنسة (مودي أتكسون) في يوم صيف حار، ودعوة أنفسنا لقطف عنب شخص آخر، كل هذه كانت جزءاً من ثقافتنا الأخلاقية. لكن المال كان شيئاً مختلفاً.

قال (جيم): "أتعلمين؟ سوف نبقئها معنا حتى تبدأ المدرسة، ومن ثم سنذهب ونسأل الجميع إن كانت البنسات لهم. ربما تكون بنسات أحد الطلاب ولكنه كان مستعجلاً للمغادرة اليوم فنسي أن يأخذها معه. هي بنسات أحدهم، أنا متأكد من ذلك. هل ترين كيف تم تلميعها؟ أحدهم كان يدخرها".

"حسناً، ولكن لماذا يرغب أحدهم بوضع العلكة خارج الغلاف هكذا؟ أنت تعلم أنها لن تصمد طويلاً".

"لا أدري يا (سكاوت). ولكن هذه البنسات مهمة بالنسبة لأحدهم...".

"كيف عرفت ذلك يا (جيم)؟".

"حسناً، الرؤوس الهندية تعني أنها جاءت من الهنود. هذه أشياء سحرية وتجلب الحظ الحسن. ولا أقصد الحظ الحسن مثل أن تجد دجاجاً مقلباً حينما لا تتوقعه، بل أشياء مثل الحياة الطويلة بصحة جيدة، والنجاح في الامتحانات الشهرية... هذه البنسات مهمة لأحدهم. سوف أضعها في صندوقي".

قبل أن يدخل (جيم) لغرفته، وقف لفترة طويلة ينظر نحو منزل (رادلي). يبدو أنه يعيد التفكير.

بعد يومين وصل (ديل) في شعلة من المجد: لقد ركب القطار بنفسه من (مريديان) إلى محطة (مايكومب) – والتي توجد حقيقة في مقاطعة (أبوت) – حيث استقبلته الأنسة (راشيل) في سيارة أجرة، ثم تناول طعام العشاء في المطعم، كما أنه رأى توأمًا ملتصقًا ينزلان من القطار في محطة (سانت لويس) وهي القصة التي التزم بها رغم تهديداتنا المتكررة.

## قتل الطائر المحاكي

كان قد تخلص من السروال الأزرق الفظيع المزرر حتى القميص، وارتدى بدلاً عنه سروالاً قصيراً حقيقياً بحزام. كان أثقل من السابق، ولكنه ليس أطول، وأخبرنا أنه رأى والده، وهو أطول من والدنا، وله لحية سوداء مدبية، كما أنه رئيس شركة القطار.

"قمت بمساعدة المهندس لفترة". قالها (ديل) وهو يتشاءب.

قال (جيم): "بالطبع، عندما طارت الأفيال يا (ديل). والآن صمتاً. ماذا ستكون مسرحية اليوم؟".

قال (ديل): "(توم) و(سام) و(ديك). لنذهب إلى الفناء الأمامي". أراد (ديل) تمثيل مسرحية أبناء (روفر) لوجود ثلاثة أدوار محترمة بها. من الواضح أنه تعب من أداء الأدوار لنا.

"لقد سئمت هذه الأدوار". قلت أنا، إذ أنني سئمت لعب دور (توم روفر) الذي فقد ذاكرته فجأة في منتصف المسرحية وخرج من النص حتى النهاية، حينما تم العثور عليه في (الأسكا).

قلت: "اخترع لنا واحدة جديدة يا (جيم)".

"سئمت الاختراع".

كانت أيامنا الأولى من الحرية وقد سئمتنا اللعب بالفعل. أتساءل ما الذي سيجلبه لنا هذا الصيف.

كنا قد وصلنا الفناء الأمامي، حيث وقف (ديل) يتأمل الوجه الكئيب لمنزل (رادلي) أدنى الشارع وقال: "أنا أشتم رائحة... الموت. حقيقةً، أنا لا أمزح. أنا أعني ما أقول". كان هذا عندما أخبرته أن يصمت.

"هل تعني أنك تستطيع أن تشتم رائحة الشخص الذي يموت؟".

## قتل الطائر المحاكي

"لا- أعني أنني أستطيع أن أشتيم شخصاً ما ثم أخبرك إن كان سيموت- هناك سيدة عجوز علمتني الطريقة". انحنى (ديل) نحوي واشتمني. "(جين - لويس - فينش) سوف تموتين بعد ثلاثة أيام".

"إذا لم تصمت يا (ديل) فسوف أطرحك أرضاً. أنا أعني ما أقول. حالاً".

دمدم (جيم): "أنت التي ستصمتين. أنت تتصرفين كأنك تؤمنين بالأرواح الضائعة".

"وأنت تتصرف كأنك لا تؤمن بها". قلت أنا.

"ما هي الأرواح الضائعة؟". تساءل (ديل).

"ألم يحدث أن سرت في طريق مقفر ليلاً ومررت على مكان ساخن؟". كان (جيم) يسأل (ديل). "الروح الضائعة هي شخص لا يستطيع أن يذهب للجنة، فهو يتخبط في الطرقات الخالية وإذا مررت عبره فإنك ستتحول لروح ضائعة مثله عندما تموت، وستجول ليلاً تمتص أنفاس الأحياء".

"كيف يمكنك أن تتفادى المرور عبر أحدهم؟".

أجاب (جيم): "لا يمكنك ذلك. في بعض الأحيان يقومون بالامتداد على عرض الطريق. ولكن إذا اضطررت لعبور أحدهم يجب عليك أن تقول: {أيها الملاك الناصع، أيها الحياة في الموت، غادر هذا الطريق، ولا تمتص أنفاسي}. هذه الكلمات ستمنعهم من الالتفاف حولك".

قاطعته: "لا تصدق أي كلمة يقولها يا (ديل). (كالبورنيا) تقول أن هذه من قصص الزوج".

قطب (جيم) جبينه من كلامي ولكنه قال: "حسناً. هل سنقوم بلعب لعبة أم لا؟".

"فلندخرج إطار العجلة". اقترحت لهما.

تنهد (جيم). "أنت تعلمين أنني كبير على هذا".

"يمكنك أن تقوم بعملية الدفع".

جريت للفناء الخلفي ورحت أجر إطار عجلة قديماً من تحت المنزل. رميت به للفناء الأمامي وقلت: "أنا سأذهب أولاً".

اعترض (ديل) على أنه يجب أن يكون الأول لأنه وصل حالياً.

فصل (جيم) النزاع بأنه سيمنحني الدفعة الأولى، على أن يعطي (ديل) وقتاً إضافياً، ومن ثم طويت نفسي ودخلت داخل الإطار.

حتى تلك اللحظة لم أدرك أن (جيم) كان مستاءً من معارضتي إياه في موضوع الأرواح الضائعة، وأنه كان ينتظر بفارغ الصبر فرصته لينتقم مني. وقد فعل، إذ دفع الإطار أسفل الرصيف بكل ما لديه من قوة. اختلطت الأرض والسماء والبيوت في نظري، وراحت أذناي تنبضان بقوة، وكنت أختنق. لم أستطع مد يدي للتوقف إذ أنهما كانتا محصورتين بين صدري وركبتي. أملي الوحيد كان أن (جيم) سيسبقنا أنا والإطار، أو أنني سأتوقف بسبب مطب في الممشى. سمعته خلفي يجري ويصيح.

اصطدم الإطار بالحصى ثم انزلق عبر الشارع مصطدماً بحاجز ليلقيني كالقذيفة على الرصيف. استلقيت على الأسمنت، رأسي يدور وأرغب في التقيؤ. حاولت أن أهز رأسي لأوقف الدوار والنبض في أذني، حينما سمعت صوت (جيم): "سكاوت! غادري المكان حالياً! هيا بسرعة!".

رفعت رأسي وتجمدت حينما رأيت منزل (رادلي) على بعد خطوات مني.

"هيا يا (سكاوت)! لا تستلقي هناك!". كان (جيم) يصرخ. "انهضي الآن!".

وقفت على قدمي وأنا أرتجف.

صاح بي (جيم): "أحضري الإطار!. أحضري الإطار معك! أليس لديك أي إحساس بالمنطق؟".

## قتل الطائر المحاكي

حينما تمكنت من الحركة، جريت نحوهما بأقصى ما سمحت لي ركبتي.

كان (جيم) يصيح: "لماذا لم تحضري الإطار؟".

صحت به: "لماذا لا تحضره أنت؟".

صمت (جيم) تماماً.

"هيا الآن. الإطار ليست بعيداً عن البوابة. أنت قد لمست البيت من قبل، أتذكر؟".

نظر لي (جيم) بغضب، غير قادر على الرفض. سار في الممشى وعبر بركة ماء عند البوابة، ثم دخل بسرعة وأمسك الإطار.

"أترين؟". صاح (جيم) بانتصار. "ليس هناك أي شيء. أقسم يا (سكاوت) أن تصرفك البناتي في بعض الأحيان يخيفني".

كان هناك المزيد ولكنني قررت ألا أخبره.

ظهرت (كالبورنيا) في باب المنزل وصاحت بنا: "وقت عصير الليمون! ادخلوا جميعاً قبل أن تحرقكم الشمس أحياناً!". كوب عصير الليمون في منتصف النهار كان تقليداً صيفياً. وضعت (كالبورنيا) الإناء وثلاثة أكواب على الشرفة ثم غادرت لشأنها. لم أقلق لكوني محط غضب (جيم) لأن كوب الليمون سيعيد إليه مرحة المفقود.

شرب (جيم) كوبه الثاني ثم ضرب صدره وأعلن: "أنا أعلم ما هي اللعبة التالية. شيء جديد ومختلف".

تساءل (ديل): "ما هي اللعبة؟".

"(بورادلي)".

كنت أفهم (جيم) جيداً: لقد فكر في هذا لكي يجعلني أدرك أنه لا يخاف من منزل (رادلي) بتاتا، ولكي يقارن بطولته مع جبني.

"(بو رادلي)؟ ولكن كيف؟". تساءل (ديل).

أجاب (جيم): "(سكاوت)، أنت ستكونين السيدة (رادلي)...".

"سوف أعلن ذلك إذا كنت أرغب فيه. ولكنني لا أظن...".

تساءل (ديل): "ما الأمر؟ هل لا زلت خائفة؟".

أجبت: "يمكنه أن يخرج ليلاً عندما نكون نياماً...".

قال (جيم) بصوت كالفحيح: "(سكاوت)، كيف سيعلم بما فعله؟ كما أنني لا أظن أنه لا يزال هناك. لقد توفي منذ سنوات وحشروا جثمانه في المدخنة".

قال (ديل): "يمكنني أن ألعب أنا وأنت يا (جيم)، أما (سكاوت) فيمكنها المشاهدة ما دامت خائفة".

كنت متأكدة من أن (بو رادلي) داخل المنزل ولكنني لم أكن أستطيع إثبات ذلك. شعرت أن علي إبقاء فمي مغلقاً وإلا سيتم اتهامي بأنني أو من بالأرواح الضائعة، وهو الشيء الذي كنت محصنة ضده خلال ساعات النهار.

قام (جيم) بتوزيع الأدوار: سأقوم بدور السيدة (رادلي)، وكل ما كان علي فعله هو أن أخرج وأكنس الشرفة. (ديل) سيقوم بدور السيد (رادلي): عليه أن يسير على الممشى ويكح عندما يحدثه (جيم). أما (جيم) فقد كان - بطبيعة الحال - (بو): دخل أسفل الدرج الأمامي وراح يزعم ويصيح من وقت لآخر.

تطورت لعبتنا مع تقدم الصيف. قمنا بتطويرها وأضفنا حواراً وقصة حتى صارت لدينا مسرحية نقوم بتعديلها كل يوم.

كان (ديل) مبدعاً في دور الوغد: كان يمكنه تقمص أي شخصية تسند إليه، كما كان يبدو طويلاً إن كان الدور يتطلب ذلك. كان جيداً بجودة أسوأ أدواره والذي

كان قوطياً. كنت أقوم مترددة بلعب أدوار نسائية مختلفة في القصة. لم أكن أظن القصة بنفس مرح (طرزان)، ولعبت دوري ذلك الصيف بتوتر رغم أن (جيم) أكد مراراً أن (بورادلي) قد توفي وأنه لا سوء سيلحقني طالما أنه و(كالبورنيا) موجودان نهاراً، و(أتيكوس) موجود ليلاً.

كان (جيم) بطلاً منذ ولادته.

كانت دراما كئيبة، منسوجة من قصص النميمة والأساطير المحلية: السيدة (رادلي) كانت جميلة حتى تزوجت السيد (رادلي) وفقدت ثروتها، كما أنها فقدت معظم أسنانها وشعرها وسبابتها اليمنى (إضافة من (ديل)، أن (بو) قد قضم إصبعها في ليلة ما عندما لم يجد قطعاً وسناجب ليأكلها). كانت تجلس في غرفة المعيشة وتبكي أغلب الأوقات، بينما راح (بو) يتخبط ببطء في أثاث المنزل.

كنا نحن ثلاثة الفتية الذين وقعوا في المشكلة. كنت أنا القاضي لأول مرة. قام (ديل) بحشر (جيم) تحت الدرج وهو ينغزه بالمكنسة. كان (جيم) يعود حسب الحاجة في شكل المأمور، أو سكان البلدة، أو السيدة (ستيفاني كراوفورد) التي كانت تعلم عن عائلة (رادلي) أكثر من أي شخص آخر في (مايكومب).

حينما يأتي الوقت لتمثيل دور (بو) الأهم، كان (جيم) يتسلل خلسة للمنزل ويسرق المقص من درج ماكينة الخياطة حينما لا تراه (كالبورنيا)، ثم يجلس على الأرجوحة ويقص الجرائد. يأتي (ديل) عابراً ويكح أمام (جيم)، فيقوم (جيم) بتمثيل طعنة لفتح (ديل)، الشيء الذي كان يبدو حقيقياً من زاوية نظري.

حينما كان السيد (ناثان رادلي) يمر أمامنا في رحلته اليومية للمدينة، نوقف نشاطنا ونصمت تماماً حتى يختفي عن أنظارنا ونحن نتساءل ما الذي سيفعله بنا إن شك فيما نقوم به. نشاطنا كان يتوقف حينما يظهر أحد الجيران، وفي مرة رأيت الأنسة (مودي أتكسون) تطلق فينا عبر الطريق ويدها متجمدة في الهواء حاملةً مقص الشجر.

في يوم من الأيام كنا نمثل الفصل 25 من الجزء الثاني لمسرحية (عائلة رجل واحد)، ولم نر (أتيكوس) على الممر ينظر إلينا. كان يحمل جريدة ملفوفة



## قتل الطائر المحاكي

---

يطرق بها على ركبته. الشمس الساطعة كانت تشير للساعة الثانية عشرة ظهراً.

"ماذا تلعبون؟". سألنا أبي.

"لا شيء". أجاب (جيم).

مراوغة (جيم) أن لعبتنا كانت سرية، فالتزمت الصمت.

"ما الذي تفعله إذاً بهذا المقص؟ ولماذا تقص هذه الجريدة؟ إن كانت جريدة اليوم فسوف أعاقبك".

"لا شيء".

"لا شيء ماذا؟". تساءل (أتيكوس).

"لا شيء، سيدي".

قال (أتيكوس): "ناولني هذا المقص. هذه ليست لعبة. هل لهذا الأمر أي علاقة بعائلة (رادلي)؟".

"لا سيدي". قالها (جيم) ووجهه محمر.

"أتمنى ذلك". قالها أبي باختصار، ثم دخل إلى المنزل.

"(جيم)...".

"صمتاً! لقد ذهب لغرفة المعيشة ويمكنه سماع حديثنا".

بعد أن صرنا آمنين في الفناء، سألت (جيم) (ديل) إن كان يمكننا اللعب مرة أخرى.

"لا أدري. (أتيكوس) لم يقل أننا لا يمكننا ذلك".

---

أخبرته: " (جيم). أظن (أتيكوس) يعلم ما نفعله".

" هو لا يعلم. إن كان يعلم كان سيقول ذلك".

لم أكن متأكدة من ذلك، إلا أن (جيم) أخبرني أنني أتصرف كالبنات، وأن البنات دائماً ما يتخيلن الأشياء ولذلك فإن الجميع يكرههن، وأنني لو بدأت أتصرف كبنات فيمكنني الانصراف والبحث عن شخص آخر ألعب معه.

رددت عليه: "حسناً. يمكنك مواصلة ما تفعله. سوف ترى".

كان وصول (أتيكوس) السبب الثاني الذي جعلني أرغب بإنهاء اللعبة. السبب الأول كان يوم أن انزلت داخل فناء (رادلي) الأمامي. ما بين الدوار والغثيان وصياح (جيم) سمعت صوتاً خافتاً لم أكن لأسمعه من على الرصيف. كان هناك شخص يضحك داخل المنزل.

## الفصل 5

استمررت في التذمر حتى اقتنع (جيم) في النهاية، وكنت أعلم أنه سيفتتح. لحسن الحظ قمنا بإيقاف اللعبة لفترة، إلا أن (جيم) كان مصراً على أن (أتيكوس) لم يقل أننا لا نستطيع اللعب، وبالتالي يمكننا أن نواصل اللعب. وحتى لو كان (أتيكوس) قال أننا لا يمكننا اللعب فإن (جيم) كان قد فكر في طريقة للالتفاف حول ذلك: سيقوم ببساطة بتغيير أسماء الشخصيات وعندها لن يتمكن أحد من اتهامنا بأننا نلعب هذه اللعبة.

كان (ديل) موافقاً تماماً على هذه الخطة، إذ أنه صار يتابع (جيم) في كل شيء. كان قد سألني في بداية الصيف أن أتزوج، ثم نسي الأمر تماماً في لحظته. كان يتابعني ويقول أنني شيء يخصه، وأني البنت الوحيدة التي سيحبها في يوم من الأيام، ثم يتجاهلني بعدها تماماً. قمت مرتين بضربه ولكن بدون فائدة، فقد أصبح أكثر تعلقاً بـ(جيم). كانا يقضيان الأيام في بيت الشجرة، يخططان، ويناديانني فقط عندما يحتاجان لشخص ثالث. ولكنني بقيت بمعزل عن خططهما الطائشة لفترة من الوقت، ورغم الخوف من أن يقولوا عني أنني صرت بنتاً، رحت أقضي أغلب أوقات الغسق خلال الصيف مع الأنسة (مودي) أتكسون) الجالسة على شرفتها الأمامية.

لطالما استمتعنا أنا و(جيم) باللعب بحرية في فناء الأنسة (مودي) طالما أننا لا نلمس زهور الأزاليا الخاصة بها، إلا أن علاقتنا بها لم تكن واضحة المعالم. حتى لحظة إقصائي من خطط (جيم) و(ديل) لم تكن الأنسة (مودي) غير أنسة أخرى في الجيرة، إلا أنها ذات حضور حميد إلى حد ما.

اتفاقنا الضمني مع الأنسة (مودي) كان يقضي بأن نلعب كما نشاء في فنائها، ونأكل الثمار، طالما أننا لا نقفز على أشجارها أو نستكشف باحتها الخلفية، وهي شروط كريمة حتى أننا نادراً ما احتجنا أن نتحدث معها. كنا حريصين على أن نحافظ على التوازن الهش لعلاقتنا، إلا أن (جيم) و(ديل) دفعاني لأقترب منها بما كان يفعلان.

الآنسة (مودي) كانت تكره منزلها: الوقت الذي تقضيه بالداخل كان وقتاً ضائعاً. كانت أرملة، امرأة كالحرباء تعمل على أنية زهورها لابسة قبة قديمة من القش ولباس عمل رجالي. ولكن بعد أن تدق الساعة الخامسة وتأخذ حمامها، فإنها تظهر على الشرفة وتحكم الشارع بجمالها الملكي.

كانت تحب أي شئ ينمو على أرض الرب، حتى الأعشاب الضارة، باستثناء شئ واحد. لو وجدت ورقة من عشب الجوز في باحتها فالأمر يتحول لمعركة (مارن) الثانية: كانت تنقض على العشب مستخدمة علبة صفيح، ثم تهاجمها من الأسفل بمادة سامة كانت تقول أنها من القوة بحيث أنها ستقتلنا جميعاً إن وقفنا في طريقها.

"لماذا لا تجربينها للأعلى؟". تساءلت أنا بعد أن شهدت حملة مطولة ضد عشبة لا تتجاوز البوصات الثلاث.

"أجرها للأعلى، يا صغيرتي؟ للأعلى؟". التقطت الآنسة البرعم وعصرت إبهامها إلى الأعلى على الساق، فخرجت حبيبات صغيرة. "حبة واحدة من عشب الجوز يمكنها أن تدمر حديقة كاملة. أنظري إلى هذا. حينما تسقط فإنها تجف ثم تقوم الريح بنشرها عبر مقاطعة (مايكومب)!!". وجه الآنسة (مودي) كان يحكي وباءً من إنجيل العهد القديم.

حديثها كان هشاً بالنسبة لسكان مقاطعة (مايكومب). كانت تنادينا جميعاً بأسمائنا، وعندما تبسم تبدو سنتان ذهبيتان أعلى ناييها. عندما أبدت إعجابي بهما وصرحت أنني أرغب في الحصول على مثلهما، قال: "أنظري هنا". وبلعقة من لسانها أخرجت النايبين، في إيماءة مودة كان لها الأثر في تثبيت صداقتنا.

لطف الآنسة (مودي) امتد ليشمل (جيم) و(ديل) في أي مرة توقفنا فيها عن الجري والمطاردة: كنا نحصد فوائد مهارات الآنسة (مودي) والتي كانت مخفية عنا حتى الآن. كانت تصنع أفضل كعك في المنطقة. عندما أصبحت في دائرة الثقة، كانت تخبز كعكة كبيرة وثلاث كعكات صغيرة، ثم تنادي في

## قتل الطائر المحاكي

الشارع: " (جيم فينش)، و (سكاوت فينش)، و (تشارلز بيكر هاريس)، تعالوا هنا!". حضورنا السريع كان دائماً ما يكافأ.

في فصل الصيف تمتد أوقات الغسق. في أغلب الأحيان نجلس أنا والآنسة (مودي) صامتتين على الشرفة، نشاهد السماء تتحول من الأصفر إلى الوردي مع مغيب الشمس، ونرى أسراب الطيور تطلق بارتفاع منخفض ثم تختفي وراء قمم البيوت.

قلت لها في إحدى الأمسيات: "آنسة (مودي). هل تظنين أن (بورادلي) ما زال حياً؟".

ردت علي وهي تتأرجح في كرسي البلوط الكبير: "اسمه (آرثر) وهو لا يزال حياً. هل تشمين رائحة البلوط؟ تبدو كأنفاس الملائكة في هذه الليلة".

"بالتأكيد. كيف تعرفين؟".

"أعرف ماذا يا عزيزتي؟".

"تعرفين أن (بو)... السيد (آرثر) ما زال حياً؟".

"يا له من سؤال سقيم. ولكن أعتقد أن الموضوع نفسه سقيم. أنا أعرف أنه حي يا (جين لويس) لأنني لم أره جثمانه خارجاً حتى الآن".

"ربما كان قد توفي وقاموا بحشر جثمانه في المدخنة".

"من أين جاءتك هذه الفكرة؟".

"هذا ما يظن (جيم) أنهم فعلوه".

"سسس... إنه يغدو مثل (جاك فينش) يوماً بعد يوم".

الآنسة (مودي) كانت تعرف العم (جاك فينش) – أخ (أتيكوس) – منذ أن كانوا صغاراً. حيث أن أعمارهما كانتا متقاربتين، فقد نشأ سوياً في أرض (فينش).

الآنسة (مودي) كانت ابنة صاحب الأرض الجار دكتور (فرانك بوفورد). مهنة دكتور (بوفورد) كانت الطب، ووساوسه كان أي شيء ينمو على الأرض، ولذلك استمر فقيراً. العم (جاك فينش) حصر حبه للحفر في (ناشفييل) واستمر ثرياً. كنا نرى العم (جاك) كل عيد ميلاد، وفي كل عيد ميلاد كان يصيح عبر الشارع منادياً الآنسة (مودي) لكي تتزوجه، بينما كانت تصيح رداً عليه: "ارفع صوتك يا (جاك فينش) وسوف يسمعونك في مكتب البريد. أنا لم أسمعك بعد!". أنا و(جيم) كنا نظن أن هذه طريقة غريبة لطلب يد سيدة للزواج، لكن العم (جاك) كان غريب الأطوار. كان يقول أنه ظل يحاول الوصول للآنسة (مودي) لمدة أربعين سنة، وأنه آخر شخص تفكر الزواج به ولكنه أول شخص تفكر في مداعبته، وأن أفضل دفاع لها كان الهجوم اللطيف. كنا نفهم جميع هذه الأشياء بوضوح.

قالت الآنسة (مودي): "(آرثر رادلي) يظل في المنزل، هذا كل شيء. ألن تظلي في المنزل إن لم تكوني ترغيبين بالخروج؟".

"بالتأكيد. ولكنني أُرغب بالخروج. لماذا لا يرغب هو بذلك؟".

ضاقت عينا الآنسة (مودي) وهي تقول: "أنت تعلمين هذه القصة كما أعلمها بالضبط".

"ولكنني لم أعرف السبب أبداً. لا أحد يرغب بإعطائي السبب".

أعدت الآنسة (مودي) تركيب أنيابها. "أنت تعلمين أن السيد (رادلي) كان معمداً بغسل القدمين".

"ألسنت كذلك أيضاً؟".

"لست بهذه الضراوة. أنا فقط معمدة".

"ألا تؤمنون جميعاً بغسيل الأقدام؟".

"بالتأكيد. في حوض الاستحمام بالمنزل".

## قتل الطائر المحاكي

"ولكننا لا نستطيع مشاركة الطائفة مع الجميع ...".

من الواضح أن الأنسة (مودي) قررت أنه من الأسهل شرح المعمدانية الأولية عوضاً عن الطائفة المغلقة، فقالت: "غاسلوا الأقدام يؤمنون أن أي متعة هي خطيئة. هل تعلمين أن بعضهم مروا من هنا في يوم سبت وأخبروني أنني أنا وزهوري سنذهب إلى النار؟".

"وأزهارك أيضاً؟".

"بالضبط. ستحترق معي في النار. كانوا يعتقدون أنني أقضي وقتاً أكثر خارج المنزل بدل الجلوس داخل المنزل وقراءة الإنجيل".

تقتي في وعظ الإنجيل بدأت تقل مع تخيل الأنسة (مودي) تصطلي للأبد في جحيم البروتستانت. حقيقةً كانت تملك لساناً لاذعاً في فمها، ولم تكن تفعل الخير في الجيرة، كما كانت تفعل الأنسة (ستيفاني كراوفورد). ولكن في حين أنه لا أحد عاقل كان يثق بـ(ستيفاني)، إلا أنني و(جيم) كنا نثق بصورة كبيرة في الأنسة (مودي). هي لم يحدث أن أخبرت عنا أحداً، كما أنها لم يحدث أن لعبت معنا لعبة القط والفأر، كما أنها لم تبد أدنى اهتمام بحياتنا الخاصة. كانت صديقتنا فقط. كيف يمكن أن يعيش مخلوق لطيف في العذاب الأبدي؟ هذه كانت فكرة لا تطاق.

"هذا ليس صحيحاً يا أنسة (مودي). أنت أفضل سيدة أعرفها".

ابتسمت الأنسة (مودي) وقالت: "أشكرك يا عزيزتي. الحقيقة أن غاسلي الأقدام يؤمنون بأن النساء خطيئة منذ البداية. هم يأخذون الإنجيل بالحرف، كما تعلمين".

"ألهذا يظل (آرثر) في المنزل؟ لكي يكون بعيداً عن النساء؟".

"ليست لدي أدنى فكرة".

"هذا ليس منطقياً على الإطلاق. أعتقد أن السيد (آرثر) إن كان يفكر في الجنة فسوف يخرج للشرفة على الأقل. (أتيكوس) يقول أن من يحب الرب - مثلك أنت - يجب أن يحب نفسه...".

توقفت الأنسة (مودي) عن التآرجح، وصار صوتها جافاً: "أنت صغيرة بعد على فهم هذا. ولكن في بعض الأحيان يكون الإنجيل في يد رجل واحد أسوأ من زجاجة ويسكي في يد... أوه، في يد والدك".

قلت وأنا مصدومة: "(أتيكوس) لا يشرب الويسكي. هو لم يشرب قطرة واحدة في حياته... لا، الحقيقة أنه كان يشرب. أخبرني أنه كان يشرب قديماً ولكنه لم يحب الطعم".

ضحكت الأنسة (مودي) وقالت: "لم أكن أتحدث عن أبيك. ما عنيته هو: لو أن (أتيكوس فينش) شرب حتى الثمالة فهو لن يكون قاسياً كما يكون بعض الرجال. هناك بعض الرجال الذين يشغلون أنفسهم بالأخرة لدرجة أنهم لا يستطيعون عيش هذه الحياة. يمكنك النظر لآخر الشارع وسترين النتيجة".

"هل تظنين أن ما يقولونه حقيقي عن (بو)... السيد (آرثر)؟".

"ماذا يقولون؟".

أخبرتها فقالت بتجهم: "هذا الكلام ثلاثة أرباعه من الزوج وربعه من (ستيفاني كراوفورد). (ستيفاني) أخبرتني أنها استيقظت في إحدى الليالي ووجدته ينظر نحوها عبر النافذة. سألتها: ما الذي قمتي بفعله يا (ستيفاني)؟ هل أفسحت له مجالاً في السرير معك؟ كان هذا كافياً لتصمت مدة من الزمن".

كنت متأكدة من صحة ما كانت تقول. صوت الأنسة (مودي) كان كفيلاً بإخراص كائن من كان.

واصلت الأنسة (مودي): "لا يا عزيزتي، هذا بيت تعيس. أنا أذكر (آرثر رادلي) حينما كان صبياً. كان دائماً يتحدث معي بلطف، بغض النظر عن ما يقولون أنه قد فعله. كان يتحدث بألطف طريقة يمكنه بها التحدث".



"هل تظنين أنه مجنون؟".

هزت الأنسة (مودي) رأسها وقالت: "إذا لم يكن مجنوناً من قبل، فهو الآن كذلك. لا يمكنك أن تعرفي حقيقة الأشياء التي تحدث للآخرين. ما الذي يحدث في المنازل خلف الأبواب المغلقة. أي أسرار...".

"إن (أتيكوس) لا يفعل شيئاً في المنزل يخجل من فعله في الفناء". قلت أنا وقد شعرت بأنني يجب أن أدافع عن والدي.

"صغيرتي العزيزة. أنا كنت أتابع خيط تفكير فحسب. لم أكن أفكر في والدك للحظة واحدة. ولكنني الآن سأقول لك هذا: (أتيكوس فينش) هو نفس الشخص داخل المنزل وخارجه. هل ترغيبين ببعض الكعك المكوب لتحمليه للمنزل؟".

كنت أرغب بذلك بشدة.

حينما استيقظت في اليوم التالي وجدت (جيم) و(ديل) يتبادلان حديثاً مهماً في الفناء الخلفي. حينما انضممت إليهما طلبا مني - كالعادة - أن أغادر.

"لن أغادر. هذا الفناء ملكي مثلما هو ملكك بالضبط يا (جيم فينش). أنا أملك الحق في اللعب هنا كما تملكه أنت".

بعد اجتماع قصير عاد إليّ (ديل) و(جيم)، وقال (ديل) محذراً: "إذا كنت ستبقيين هنا يجب عليك أن تفعلي ما نطلب منك فعله".

قلت لهما: "حسناً. من الذي أصبح فجأة متعالياً وجباراً؟".

واصل (ديل): "إذا لم توافقي على فعل ما نطلبه منك، لن نخبرك بأي شيء".

"أنت تتصرف وكأنك قد زدت عشرة بوصات خلال الليل! حسناً، ما الأمر؟".

قال (جيم) بهدوء: "سوف نعطي (بو رادلي) مذكرة".

## قتل الطائر المحاكي

"ولكن كيف؟". كنت أحاول أن أكبح الرعب الذي يتكون في داخلي. من السهل على الأنسة (مودي) التحدث، فهي عجوز وآمنة في شرفتها. أما بالنسبة لنا فالأمر يختلف.

كان (جيم) سيضع المذكرة في نهاية صنارة صيد ويلصقها على مصراع النافذة. إذا جاء أي شخص ماراً فإن (ديل) سيقوم بقرع الجرس.

رفع (ديل) يده اليمنى التي كانت تحمل جرس العشاء الفضي الخاص بأمي.

قال (جيم): "سوف آتي من جانب المنزل. لقد بحثنا أمس في الشارع، وهناك مصراع غير محكم. أظن أنني سأتمكن من تثبيت المذكرة على النافذة على الأقل".

"(جيم)...".

"أنت الآن في العملية ولا يمكنك الخروج منها. ستظلين في الداخل أيتها الأنسة!".

"حسناً، حسناً. ولكنني لا أرغب بالمشاهدة. (جيم)، هناك...".

"ولكنك ستشاهدين. ستحرسين المؤخرة بينما يقوم (ديل) بحراسة مقدمة المنزل والشارع، وسيقرع الجرس إن كان هناك شخص مار. هل هذا واضح؟".

"حسناً إذاً. ماذا كتبتما له؟".

قال (ديل): "طلبنا منه بكل لطف أن يخرج من المنزل أحياناً، وأن يخبرنا ما الذي يفعله في الداخل... كتبتنا أننا لن نؤذيه وسوف نشترى له الأيس كريم".

"أنتما مجنونان. سوف يقتلنا!".

قال (ديل): "إنها فكرتي. فكرت أنه لو خرج وجلس معنا قليلاً فربما يحس بتحسن".

"كيف تعلم أنه لا يحس بأنه بخير؟".

"حسناً. كيف سيكون شعورك لو كنت محصورة في المنزل لمئة سنة وليس لديك طعام غير القلط؟ أراهن أن لديه لحية بهذا الطول...".

"مثل والدك؟".

"أبي ليس لديه لحية... هو...". صمت (ديل) وكأنه يحاول التذكر.

صحت بانتصار: "أها! أمسكتك! قلت من قبل أنك نزلت من القطار وقابلت أباك ذي اللحية السوداء...".

"إن كان ذلك يرضيك فإنه قد حلق لحيته الصيف الماضي! حقاً، كما أن لدي خطاباً يثبت ذلك. كما أنه أرسل لي دولارين أيضاً!".

"استمر... أراهن أنه أرسل لك زي شرطي أيضاً! وهو ما لن نراه أبداً، أليس كذلك؟ استمر برواية القصص يا بني...".

كان بإمكان (ديل هاريس) سرد أكبر الأكاذيب التي سمعتها في حياتي. من بين ما قصه أنه ركب طائرة البريد مرتين، وأنه زار (نوبا سكوتيا)، وأنه رأى فيلاً، وأن جده الأكبر كان اللواء (جو ويلر) وأنه ترك له سيفه.

"اصمتوا جميعاً". قالها (جيم) ثم زحف تحت البيت وأخرج عصا بامبو صفراء. "أظن أن هذه طويلة بما يكفي؟".

قلت له: "أي شخص لديه الجرأة ليصل المنزل ويلمسه لن يحتاج لاستخدام صنارة صيد. لماذا لا تحطم الباب الأمامي؟".

"هذا... مختلف". تتم (جيم). "كم مرة يجب علي أن أخبرك بذلك؟".

أخرج (ديل) قصاصة ورق من جيبه وناولها (جيم). مشينا ثلاثتنا بحذر نحو المنزل القديم. توقف (ديل) عند عمود النور على الزاوية، بينما مشيت أنا

## قتل الطائر المحاكي

و(جيم) على الرصيف بمحاذاة المنزل. سرت وراء (جيم) ووقفت بحيث يمكنني الرؤية حول المنحنى.

أخبرت (جيم): "الطريق خالٍ. لا يوجد أحد على مرمى النظر".

نظر (جيم) نحو (ديل) الذي أوماً برأسه.

ألصق (جيم) المذكرة في نهاية عصا الصيد، ثم مد العصا عبر الفناء نحو النافذة التي اختارها من قبل. كانت العصا أقصر ببضع بوصات من المسافة، فانحنى (جيم) بأقصى ما استطاع. شاهدهت يحاول الوصول لفترة ثم تركت مكاني وذهبت إليه.

تمتم (جيم): "لا أستطيع أن أحرر المذكرة من طرف العصا. وحتى لو حررتها فلن أتمكن من تثبيتها. عودي لمكانك يا (سكاوت)".

عدت لمكاني ونظرت حول المنحنى للطريق الخالي. نظرت عدة مرات نحو (جيم) الذي كان يحاول بصبر تثبيت المذكرة على النافذة. كانت المذكرة تسقط على الأرض فيطعنها (جيم) بطرف العصا، حتى ظننت أن (بو رادلي) لو استلمها فلن يتمكن من قراءتها. كنت أنظر نحو الطريق حينما رن جرس العشاء.

استدرت متوقعة رؤية (بو رادلي) وأنيابه الملوثة بالدماء. عوضاً عن ذلك رأيت (ديل) يقرع الجرس بكل قوة أمام (أتيكوس).

كان منظر (جيم) سيئاً لدرجة أنني لم أجرؤ على إخباره أنني توقعته ذلك. عاد (جيم) جاراً العصا خلفه على الممشى.

قال (أتيكوس): "توقف عن قرع الجرس".

أمسك (ديل) بالجرس. في لحظات الصمت التي تلت، تمنيت لو أنه يقرعه مرة أخرى. دفع (أتيكوس) قبعته لمؤخرة رأسه ووضع يديه على وركيه وقال: "ما الذي كنت تفعله يا (جيم)؟".

"لا شيء سيدي".

"لا أريد أن أسمع ذلك. أخبرني".

"كنت ... كنت فقط أحاول إعطاء شيء ما للسيد (رادلي)".

"ما الذي كنت تحاول إعطاءه له؟".

"رسالة ... فقط".

"أعطني إياها".

ناوله (جيم) قصاصة وسخة من الورق. نظر إليها (أتيكوس) وحاول قراءتها.  
"لماذا تريد من السيد (رادلي) الخروج؟".

أجاب (ديل): "ظننا أنه قد يستمتع بصحبتنا ...". ولكنه خرس تماماً حينما نظر إليه (أتيكوس).

قال (أتيكوس): "بني ... سوف أخبرك بشيء، وسوف أخبرك به مرة واحدة فقط: توقف عن تعذيب الرجل. هذا الأمر يشملكما أنتما الاثنان".

ما كان السيد (رادلي) يفعله فهو من شأنه وحده. إذا كان يريد الخروج فإنه كان سيخرج. إذا كان يريد البقاء في المنزل فمن حقه البقاء بالداخل، بعيداً عن الأطفال الفضوليين، وهذا وصف محترم لما كنا نفعله. كيف كان سيكون شعورنا لو أن (أتيكوس) اقتحم علينا غرفنا ليلاً بدون أن يطرق الباب؟ نحن كنا نفعل شيئاً مشابهاً للسيد (رادلي). ما فعله السيد (رادلي) قد يبدو غريباً في نظرنا، ولكنه لم يكن غريباً في نظره. علاوة على ذلك، هل خطر لنا من قبل أن الطريقة المتحضرة للتواصل مع شخص آخر هي عبر الباب الأمامي وليس الشباك الخلفي؟ وأخيراً، كان يجب علينا أن نبقى بعيداً عن ذلك المنزل حتى تتم دعوتنا إليه، وعلينا أن نتوقف عن لعب اللعبة الغبية التي رأنا نلعبها، وعلينا ألا نهزأ من أي شخص في هذا الشارع أو هذه البلدة...

قال (جيم): "ولكننا لم نكن نستهزئ به ولم نكن نضحك عليه. كنا فقط ...".

"إذا هذا ما كنتم تفعلونه، أليس كذلك؟".

"نهزأ به؟".

أجاب (أتيكوس): "لا. تعرضون تاريخ حياته من أجل تنوير الجيران".

بدا (جيم) منتقهاً. "أنا لم أقل أننا كنا نفعل ذلك. أنا لم أقل ذلك!".

ابتسم (أتيكوس) ابتسامة جافة وقال: "أنت من أخبرني. على كل حال، توقفوا عن فعل السخافات التي تفعلونها، جميعكم".

فغر (جيم) فاه وهو ينظر إليه. بدا (أتيكوس) حازماً وهو يحاول السيطرة على كلامه: "أنت ترغب بأن تصير محامياً، أليس كذلك؟".

صمت (جيم) بعد أن قرر أنه لا فائدة من الجدل. عندما عاد (أتيكوس) داخل المنزل ليحضر ملفاً نسي أن يحمله معه هذا الصباح، اكتشف (جيم) أنه قد تم خداعه باستخدام أقدم خدعة في دفتر المحامي. انتظر (جيم) على مسافة مقدره من الدرج الأمامي وشاهد (أتيكوس) يغادر المنزل ويسير نحو المدينة. حينما صار (أتيكوس) خارج دائرة السمع، صاح (جيم) وراءه: "ظننت أنني أريد أن أصبح محامياً، إلا أنني لست متأكداً من ذلك الآن!".

## الفصل 6

"حسناً". قالها والدنا حينما سأله (جيم) إن كان يستطيع الذهاب والجلوس جوار حوض السمك الخاص بالآنسة (راشيل) هو و(ديل)، لأنها كانت آخر ليلة لـ(ديل) في (مايكومب). "ودعه بالنيابة عني. وأخبره أننا سنراه في الصيف القادم".

قفزنا فوق الحائط القصير الذي يفصل فناء الآنسة (راشيل) من ممر الدخول بمنزلنا. قام (جيم) بالتصفير ورد عليه (ديل) في الظلام.

قال (جيم): "لا أريد أن أسمع صوتاً. انظرا هناك".

كان يشير نحو الشرق، حيث برز قمر ضخم من وراء أشجار الجوز الخاصة بالآنسة (مودي). قال (جيم): "هذا يجعل الأمر يبدو مشوقاً أكثر".

"هل نعبّر الليلة؟". سأل (ديل) بدون أن يرفع رأسه. كان يلف سيجارة باستخدام ورقة جريدة وخيط.

"لا - فقط السيدة - لا تقم بإشعال هذا الشيء يا (ديل) - سوف تعفن رائحة هذا الجزء من المدينة".

كانت هناك سيدة تجلس على القمر في (مايكومب). كانت تجلس إلى طاولة التسريح وتسرّح شعرها.

قلت له: "سوف نفتقدك يا فتى. أظن أنه من الأفضل أن نشاهد السيد (أفيري)".

جاء السيد (أفيري) قاطعاً الطريق من منزل السيدة (هنري لافاييت دوبوس). عدا عن تعديل صحن التبرعات كل يوم أحد، كان السيد (أفيري) يجلس على

الشرفة كل مساء حتى الساعة التاسعة ويعطس. في إحدى الأمسيات كان لنا شرف حضور عرض مميز كان الأول والأخير حيث أنه لم يقدم نفس العرض مرة أخرى طالما كنا نشاهده. كنا نغادر منزل الأنسة (راشيل) حينما أوقفنا (ديل) قائلاً وهو يشير عبر الشارع: "يا الهي! انظروا هناك!". نظرنا وفي البداية لم نر غير شرفة أمامية مغطاة بالعشب، ولكن بعد نظرة أخرى رأينا قوساً من الماء نازلاً من بين الأوراق متناثراً تحت ضوء الشارع الأصفر، على بعد عشرة أقدام من مصدره إلى أرض الشارع. قال (جيم) أن السيد (أفيري) مشوه، بينما قال (ديل) أنه يشرب على الأقل جالوناً في اليوم. النتيجة كانت مسابقة لتحديد المسافات وقوة الدفع، مما جعلني أحس بأنني خارج السرب، فهذه المنطقة ليست من اختصاصي بطبيعة الحال.

تمطى (ديل) ثم تتأب ثم قال بصورة عادية: "هل تعلمان؟ فلنذهب لنتمشى".

كان اقتراحاً مريباً بالنسبة لي. لا أحد في (مايكومب) "يذهب ليتمشى" بهذه البساطة. سألته: "إلى أين يا (ديل)؟".

أشار (ديل) برأسه في اتجاه الجنوب.

قال (جيم): "حسناً". حينما اعترضت قال بعذوبة: "يمكنك ألا تذهبي أيتها الملك".

"لا يتوجب عليك الذهاب. تذكر...".

لم يكن (جيم) ممن يتمسكون بهزائم الماضي. يبدو أن الرسالة الوحيدة التي خرج بها من (أتيكوس) هي مدخل لفن الاستجواب. " (سكاوت)، نحن لن نفعل أي شيء. سوف نذهب فقط حتى عمود النور ونعود".

مشينا بصمت على الرصيف، نستمتع لأراجيح البيوت وهي تنن تحت ثقل الجيرة، وصوت غمغمة الكبار الذي يعيشون في الشارع. أحياناً كنا نسمع الأنسة (ستيفاني كراوورد) تضحك.

"حسناً؟". قالها (ديل).



أجاب (جيم): "حسناً. لماذا لا تعودين للمنزل يا (سكاوت)؟".

"ما الذي ستفعلونه؟".

كان (جيم) و(ديل) ببساطة سيقومان بالقاء نظرة خلال مصراع النافذة ليحاولا رؤية (بو رادلي)، وإذا لم أكن أرغب بمرافقتهم فيمكنني العودة إلى المنزل وإبقاء فمي الكبير مغلقاً. هذا هو الأمر.

"ولكن لماذا انتظرتما حتى هذه الليلة بالتحديد؟".

لأنه لا أحد سيراهم بالليل. ولأن (أتيكوس) سيكون منغمساً في كتاب. ما فلن يسمعهم. ولأنه إذا قام (بو رادلي) بقتلهم فإنهما سيغيبان عن المدرسة وليس عن الإجازة. ولأنه من الأسهل النظر داخل بيت معتم خلال الليل وليس النهار. هل فهمت الآن؟.

"(جيم)، أرجوك...".

"(سكاوت) أنا أخبرك للمرة الأخيرة، إما أن تصمتي أو تعودي للبيت. يا إلهي! أنت تتحولين لبنت في كل يوم أكثر عن اليوم الذي قبله!".

بهذه العبارة لم يكن لدي خيار سوى أن أنضم إليهم. فكرنا أنه من الأفضل أن نعبر تحت السياج السلكي في مؤخرة أرض (رادلي)، إذ أنه سيصبح من الأصعب رؤيتنا. كان السياج محيطاً بحديقة كبيرة وبيت خارجي صغير من الخشب.

رفع (جيم) أسفل السياج السلكي وأشار لـ(ديل) ليعبر. تبعته أنا، ثم أمسكت السياج لـ(جيم) الذي عبر بصعوبة. همس (جيم): "لا تصدر أي صوت. لا تعبداً حقل الكرنب مهما كانت الأسباب. الصوت سيكون عالياً وسيوقظ الأموات".

بهذه الفكرة في رأسي، تحركت ببطء شديد، ربما خطوة واحدة في الدقيقة. تحركت أسرع حينما رأيت (جيم) في المقدمة يومئ إلي تحت ضوء القمر.

## قتل الطائر المحاكي

وصلنا البوابة التي تفصل الحديقة من الفناء الخلفي. لمس (جيم) البوابة فأصدرت صريراً مزعجاً.

"ابصق عليها". همس (ديل).

كنت أغمغم: "لقد أدخلتنا في مكان ضيق يا (جيم). لن يمكننا الخروج من هنا بسهولة".

"ششش. ابصقي عليها يا (سكاوت)".

قمنا بالبصاق حتى جفت حلوقنا، ثم فتح (جيم) البوابة ببطء، ومن ثم رفعها للجانب ووضعها على السياج. أصبحنا الآن في الفناء الخلفي.

مؤخرة بيت (رادلي) كانت أقل ترحيباً من مقدمته: كانت هناك شرفة آيلة للسقوط تجري بعرض المنزل، كما كان هناك بابان ونافذتان معتمتان بين البابين. عوضاً عن وجود عمود، كان السقف معتمداً في إحدى نهايتيه على خشبة بحجم 4×2 بوصة. كان هناك موقد (فرانكلين) قديم ملقى في إحدى أركان الشرفة. أعلى الموقد كانت توجد مرآة لرف القبعات والتي كانت تعكس ضوء القمر وتلمع بشكل مخيف.

"آآآآ". قال (جيم) بهدوء وهو يرفع قدمه.

"ما الأمر؟".

"الدجاج". قالها وهو يتنفس بعمق.

تأكد لدي أننا مضطرون لتفادي الأخطار غير المرئية من كل الاتجاهات حينما همس (ديل) الذي كان يتقدمنا: "يا إلهي". تسللنا إلى جانب المنزل ثم إلى النافذة ذات المصراع المعلق. الحافة كانت أطول من (جيم) بيضعة بوصات.

"سنعطيك دفعة للأعلى". همهم (جيم) مخاطباً (ديل). "انتظر". أمسك (جيم) رسغه الأيسر ورسغه الأيمن، وأمسكت أنا رسغي الأيسر ورسغه الأيمن، ثم

## قتل الطائر المحاكي

ربضنا وجلس (ديل) على السرج الذي صنعناه. قمنا برفع (ديل) الذي أمسك بحافة النافذة.

همس (جيم): "أسرع. لا يمكننا أن نصمد أكثر".

لكمني (ديل) في كتفي فأنزلناه إلى الأرض.

"ماذا رأيت؟"

"لا شيء. الستائر. لكن يوجد ضوء صغير خافت في مكان ما".

قال (جيم): "لنذهب من هنا. لنذهب من الخلف. ششش". قالها محذراً حينما كنت أهم بالاعتراض.

"لنجرّب النافذة الخلفية".

"لا يا (ديل)". اعترضت.

توقف (ديل) وترك (جيم) يسير أمامه. حينما وضع (جيم) قدمه على العتبة السفلى صدر منها صرير. تجمد (جيم) مكانه ثم رفع نفسه بالتدريج. لم تصدر العتبة صريراً آخر. تجاوز (جيم) درجتين ثم وضع رجله على الشرفة ورفع نفسه إليها متأرجحاً للحظة، بعدها استعاد توازنه وسقط على ركبتيه، ثم زحف نحو النافذة ورفع رأسه ونظر للداخل.

عندها رأيت الظل. كان ظل رجل يلبس قبعة. في البداية ظننته شجرة، ولكن لم يكن هناك ريح، كما أن جذوع الأشجار لا تتحرك. كانت الشرفة الخلفية غارقة في ضوء القمر، والظل الذي كان هشاً كالخبز المحمص كان يتحرك عبر الشرفة متجهاً نحو (جيم).

ثم رآه (ديل)، ورفع يديه مغطياً وجهه.

حينما عبر الظل أمام (جيم)، عندها رآه (جيم)، ووضع ذراعيه أعلى رأسه وتسمر مكانه. توقف الظل على بعد قدم بعيداً عن (جيم)، وخرجت ذراعه من

## قتل الطائر المحاكي

الجانب، ثم توقف مكانه. بعدها التفت الظل وسار متجاوزاً (جيم)، وقطع الشرفة إلى جانب المنزل وسار عائداً من حيث أتى.

قفز (جيم) من الشرفة وجاء يعدو نحونا. فتح (جيم) البوابة، ودفعني و(ديل) عبرها، ثم عبرنا بين صفين من الكرنب. تعثرت حينما كنا في منتصف المسافة، وعلها سمعنا طلقة بندقية تشق سكون الليل.

غطس (جيم) و(ديل) إلى جوارى. كان (جيم) يشهق وهو يقول: "إلى سياج المدرسة! أسرع! يا سكاوت!".

أمسك (جيم) أسفل السياج السلكي بينما تدرجت أنا و(ديل) عبر السياج وانطلقنا. عندما كنا في منتصف المسافة بين السياج وشجرة البلوط الوحيدة في المدرسة، أحسست بأن (جيم) ليس معنا. عدنا أدراجنا ووجدناه يجاهد لعبور السياج وكان يرفس ليخلع سرواله حتى يتمكن من التحرر. جرى معنا لشجرة البلوط في سرواله القصير.

بدأنا نحس بالخدر ونحن آمنون خلف الشجرة، إلا أن عقل (جيم) كان يفكر: "يجب أن نعود للمنزل وإلا سوف يفقدوننا".

جرينا عبر فناء المدرسة، ثم زحفنا أسفل السياج لندخل مرعى (دير) الواقع خلف منزلنا، ثم تسلقنا سياجنا الخلفي، ولم يدعنا (جيم) نتوقف حتى وصلنا الدرج الخلفي للمنزل.

بعد أن عاد تنفسنا طبيعياً، مشينا ثلاثتنا بطريقة طبيعية للفناء الأمامي. نظرنا أسفل الطريق ورأينا دائرة من الجيران تحيط ببوابة منزل (رادلي) الأمامية.

قال (جيم): "من الأفضل أن ننضم إليهم. سوف يكون شيئاً غريباً لو لم نظهر في الصورة".

كان السيد (ناثان رادلي) يقف داخل بوابته حاملاً بندقيته على ذراعه. كان (أتيكوس) واقفاً جوار الأنسة (مودي) والأنسة (ستيفاني كراوفورد). الأنسة (راشيل) والسيد (أفيري) كانا قريبين منهم. لم يرنا أحدهم ونحن نقترّب.

## قتل الطائر المحاكي

اقتربنا بهدوء من الأنسة (مودي) التي كانت تنظر حولها. "أين كنتم؟ ألم تسمعوا هذه الفوضى؟".

"ماذا حدث؟". سأل (جيم).

"السيد (رادلي) أطلق النار على زنجي في حقل الملفوف الخاص به".

"أوه. هل أصابه؟".

أجابت الأنسة (ستيفاني): "لا. لقد أطلق النار في الهواء، ولكنه أخافه حتى فقد لونه. يقول أنه لو رأى أحد زنجياً أبيض، فهذا هو. يقول أنه جهاز الطلقة القادمة لأنه حينما يسمع صوتاً آخر. في الحقل فهو. لن يصوب عالياً حتى لو كان الدخيل كلباً أو زنجياً أو... (جيم فينش)!".

"سيدتي؟".

تحدث (أتيكوس): "أين سروالك يا بني؟".

"سروالي، سيدي؟".

"السروال".

لم يكن هناك مفر. هو واقف في سرواله القصير أمام الرب والجميع. تنهدت أنا بيأس.

"آآآ... سيد (فينش)؟".

تحت وهج ضوء الشارع كنت أرى عقل (ديل) وهو يولد فكرة: اتسعت عيناه وصار وجهه الملائكي السمين أكثر استدارة.

"ماذا تريد يا (ديل)؟". سأله (أتيكوس).

"آآآ... لقد ربحت أنا سروايله". أجاب بغموض.

"ربحتها؟ كيف؟".

بحثت يد (ديل) عن مؤخرة رأسه، ثم مسح بها رأسه للأمام وقال: "كنا نلعب بوكر التعري هناك جوار بركة الأسماك". استرخيت أنا و(جيم)، وبدا الجيران راضين وقد تصلبوا في أماكنهم. ولكن ما هو بوكر التعري؟.

لم تتمكن من معرفة ذلك لأن الأنسة (راشيل) انطلقت تصيح كسرينة المطافئ: "يااااا إلهيبي! (ديل هاريس)! تقامرون على بركة الأسماك الخاصة بي؟ سوف أقوم بتعريتك أنت يا سيد!".

تدخل (أتيكوس) ليحفظ (ديل) من تقطيع أوصاله. قال: "انتظري دقيقة يا (راشيل). لم يحدث لي أن سمعت بأنهم فعلوا هذا من قبل. هل كنتم جميعاً تلعبون الورق؟".

واصل (جيم) كذبة (ديل) بعينين مغمضتين: "لا يا سيدي، فقط كنا نلهو بأعواد الثقاب".

أعجبت بذكاء أخي، فأعواد الثقاب خطيرة، ولكن أوراق اللعب قاتلة.

قال (أتيكوس): "(جيم) و(سكاوت)، لا أريد أن أسمع عن البوكر مرة أخرى، بأي صورة من الصور. اذهب مع (ديل) واستعد سروالك يا (جيم). حلوا الموضوع فيما بينكم".

بينما أسرنا على الممشى قال (جيم): "لا تقلق يا (ديل)، فهي لن تفعل لك شيئاً. سوف يقنعها بأن تنسى الموضوع. كان هذا تفكيراً سريعاً يا بني! اسمع، هل تسمع هذا؟".

توقفنا وسمعنا صوت (أتيكوس): "... ليس خطيراً... جميعهم يمر بهذه المرحلة يا آنسة (راشيل)...".

اطمأن (ديل)، ولكنني أنا و(جيم) لم نطمئن. كانت هناك مشكلة أن (جيم) عليه إبراز سرواله في الصباح.

"سوف أعطيك واحداً من عندي". قالها (ديل) عندما وصلنا درج منزل الأنسة (راشيل). أخبره (جيم) أنه سيكون أصغر من مقاسه وشكره على المحاولة. ودعنا (ديل) الذي دخل إلى المنزل. ويبدو أنه تذكر أنه مرتبط بي إذ عاد جرياً إلى الخارج وقبلني بلطف أمام (جيم) وصاح بنا: "سوف ترسلاني، هل تسمعان؟".

حتى لو كان (جيم) مرتدياً سرواله، لم نكن لننام كثيراً في كل الأحوال. كل الأصوات الليلية التي سمعتها من على سريري في الشرفة الخلفية كانت تأتيني مكبرة ثلاث مرات. كل خربشة على الحصى كانت (بو رادلي) الذي يسعى للانتقام. كل زنجي ضاحك في الليل كان (بو رادلي) يسعى خلفنا. الحشرات التي تضرب النافذة كانت أصابع (بو رادلي) المجنونة وهي تقطع السياج السلكي. أشجار العنب كانت خبيثة وحية وتتحرك. تمايلت بين اليقظة والمنام حتى سمعت (جيم) يتمتم.

"ألن تنامي؟".

"هل أنت مجنون؟".

"ششش. أطفأ (أتيكوس) الأضواء".

على ضوء القمر الباهت رأيت (جيم) ينزل قدميه على الأرضية وهو يقول: "سأذهب لاسترجاعه".

جلست على السرير وقلت: "لا يمكنك ذلك. لن أتركك تفعل ذلك".

كان يصارع للبس قميصه. "يجب أن أذهب".

"اذهب وسوف أوقظ (أتيكوس)".

"افعلي ذلك وسوف أقتلك".

جذبتة ليجلس جانبي على السرير وحاولت أن أحاوره بالمنطق: "السيد (ناتان) سوف يجد السروال في الصباح يا (جيم)، هو يعلم أنك أضعته. حينما يري السروال لـ(أتيكوس) سوف يكون الوضع سيئاً، وهذا كل شيء. الآن عد لسريك".

قال (جيم): "أعلم هذا، ولذلك فسوف أذهب لاسترجاعه".

شعرت بالغثيان. عندما يعود بنفسه لذلك المكان... تذكرت قول الأنسة (ستيفاني) أن السيد (ناتان) جهز الطلقة القادمة للصوت التالي الذي سيسمعه، سواء كان زنجياً أو كلباً أو... (جيم) يعلم ذلك خيراً مني.

قلت بياس: "اسمع يا (جيم). الموضوع لا يستحق. الضرب مؤلم ولكنه سينتهي. أما الطلقة فستصيبك في رأسك. أرجوك يا (جيم)..."

زفر (جيم) بصبر وغمغم: "حسناً الأمر هكذا يا (سكاوت). (أتيكوس) لم يضربني قط. وأنا أرغب بأن تظل الأمور على ما هي عليه".

هذه كانت فكرة جديدة. يبدو أن (أتيكوس) كان يهددنا يومياً بدون فعل شيء. "هل تعني أنه لم يحدث أن قبض عليك متلبساً بأي شيء".

"ربما. ولكنني أريد أن يظل الوضع كما هو عليه يا (سكاوت). لم يكن يجب علينا أن نفعل ما فعلناه الليلة".

في تلك اللحظة - أعتقد - بدأنا نفترق أنا و(جيم). لم أكن أفهمه في بعض الأحيان، ولكن فترات حيرتي كانت دائماً قصيرة. أما هذا فكان فوق قدرتي على الفهم. ترجوته: "أرجوك. هل يمكنك أن تفكر في الموضوع لحظة؟ أنت ستكون وحيداً في ذلك المكان...".

"اصمتي!".

"الأمر ليس كأنه لن يحدثك مرة أخرى على الإطلاق... سوف أوقظه يا (جيم)، أقسم على ذلك...".



قبض (جيم) على ياقة بيجامتي وأحكم قبضته حولها حتى خنفتي: "إذا سأفتلك".  
"لن تفعل ذلك. سوف تصدر ضوضاء فقط لا غير".

فشلت محاولاتي. فتحت قفل الباب الخلفي بينما تسلك هو على الدرج. الساعة كانت حوالي الثانية صباحاً. القمر كان مختفياً والظلال الشبكية كانت تتحول لأشياء غير واضحة المعالم. قميص (جيم) الأبيض كان يتراقص كشبح صغير يحاول الهرب من الصباح القادم. نسيم خفيف تحرك وقام بتبريد العرق الذي يجري على جانبي جسمي.

عاد (جيم) من الجهة الخلفية عابراً حفلاً (دير) وفناء المدرسة ثم عبر السياج، أو على الأقل هذا ما ظننته من اتجاه سيره. كان الأمر سيأخذ وقتاً أطول لذلك لم يحن وقت الخوف بعد. انتظرت حتى جاء وقت الخوف واستمعت لبندقية السيد (رادلي). بعد ثوان خيل إلي أنني سمعت صرير السياج الخلفي. كانت فكرة مليئة بالأمل.

عندها سمعت (أتيكوس) يكح فتوقفت عن التنفس. أحياناً حينما كنا نقوم برحلتنا الليلية إلى الحمام كنا نجده يقرأ. كان يقول أنه يستيقظ خلال الليل ويطمئن علينا، ثم يجلس ويقرأ حتى ينام. انتظرت أن يفتح نور غرفته ويغمر الممر، ولكن النور ظل مطفئاً وتمكنت عندها من التنفس مرة أخرى. المخلوقات الليلية الزاحفة كانت قد هدأت، ولكن ثمار العنب الناضجة كانت ترقص على السقف حينما تحركها الرياح، وكان الليل مقفراً مع نباح الكلاب الآتي من بعيد.

وهناك رأيته قادماً نحوي وقمصيه الأبيض يتراقص فوق السياج الخلفي ويكبر كلما اقترب. صعد الدرج الخلفي وأغلق الباب خلفه ثم جلس على سريره، وبدون كلام رفع سرواله، ثم رقد. لثوان سمعت سريره يرتجف ومن ثم هدأ. لم أسمعته يتحرك مرة أخرى.

## الفصل 7

لأسبوع ظل (جيم) مزاجياً وصامتاً. حاولت أن أفعل كمل نصحي (أتيكوس) من قبل بأن ألبس جلد (جيم) وأسير من خلاله: إذا كنت قد ذهبت لوحدي لمنزل (رادلي) في الساعة الثانية صباحاً، فإن جنازتي كانت ستكون ظهر اليوم التالي. عندها تركت (جيم) لوحده وحاولت ألا أضايقه.

بدأت المدرسة. الصف الثاني كان أسوأ من الصف الأول، إذ لا زالوا يرفعون لنا البطاقات ولا يتركوننا نقرأ أو نكتب. كان يمكنك أن تعرف تقدم الآنسة (كارولين) من الصف المجاور عبر تردد الضحكات، غير أن معظم الصف كان قد رسب مرة أخرى، وكان هؤلاء يساعدونها في حفظ النظام. الشيء الوحيد الجيد في الصف الثاني كان أنني أستطيع البقاء متأخرة مثل (جيم)، وكنا نعود للبيت معاً في الساعة الثالثة.

في يوم ما وبينما كنا نقطع فناء المدرسة عائدين للمنزل، قال (جيم) فجأة: "هناك شيء لم أخبرك به".

ولأن هذه كانت عبارته المكتملة الوحيدة خلال الأيام الماضية فقد شجعتة: "حول ماذا؟".

"حول تلك الليلة".

قلت له: "أنت لم تخبرني أي شيء حول تلك الليلة".

تجاهل (جيم) كلماتي كما يتجاهل بعوضة. صمت للحظات ثم قال: "حينما عدت لأخذ سروالي... كان السروال معقوداً بينما كنت أحاول التخلص منه، ولم أستطع أن أحله. ولكن عندما رجعت...". أخذ (جيم) نفساً عميقاً. "عندما رجعت، كان السروال مطويماً فوق السياج... كما لو أنهم كانوا ينتظرونني".

"فوق الـ...".

"وهناك أمر آخر. سأريك له عندما نصل إلى المنزل. لقد تمت خياطته. ليس خياطة سيّدة ولكن خياطة سريعة متعجلة كأنني أنا من قام بها. خياطة معوجة. وكأنما...".

"كان أحدهم ينظر عودتك".

ارتجف (جيم) وهو يقول: "كان أحدهم كان يقرأ أفكارني... كأن أحدهم كان يعرف ما سأقوم بفعله. لا يمكن لأحد أن يعرف ما سأقوم بفعله ما لم يكن يعرفني، أليس كذلك يا (سكاوت)؟".

سؤال (جيم) كان رجاءً. حاولت طمأنته: "لا يمكن لأحد أن يعرف ما ستقوم بفعله ما لم يكن يعيش معك في نفس المنزل، وحتى أنا لا أستطيع ذلك في بعض الأحيان".

كنا نسير أمام الشجرة. في الحفرة رأينا كرة رمادية مجدولة.

"لا تتناولها يا (جيم). هذا مخبأ أحدهم".

"لا أعتقد ذلك يا (سكاوت)".

"بلى هو كذلك. شخص ما مثل (والتر كانينجهام) يأتي هنا في الفسحة ويخبئ أشياء... ثم نأتي نحن ونأخذها منه. اسمعني، لنتركها مكانها وننتظر بضعة أيام. إذا استمرت موجودة سنأخذها. اتفقنا؟".

رد (جيم): "حسناً. ربما تكونين محقة. لا بد أنه مخبأ أحد الأطفال... يخبئ أشياء من الكبار. تعلمين أننا نجد الأشياء فقط عندما تكون هنالك مدرسة".

قلت له: "نعم. ولكننا لا نعبر من هنا في الصيف".

عدنا للمنزل. في اليوم التالي وجدنا الشيء في مكانه. عندما عدنا في اليوم الثالث ووجدناه أيضاً قام (جيم) بالتقاطه. ومنذ ذلك الحين صرنا نعتبر أي شيء نجده في حفرة الشجرة ملكنا.

الصف الثاني كان كئيباً، ولكن (جيم) أكد لي أن المدرسة تتحسن كلما كبرت، وأنه بدأ بنفس الطريقة، ولم يتعلم شيئاً ذا بال حتى وصل الصف السادس. الصف السادس كان ممتعاً بالنسبة له منذ البداية: كانوا يدرسون مختصراً لتاريخ مصر وهو ما كان يحيرني... حاول أن يمشي خطوات مسطحة رافعاً إحدى يديه أمامه والأخرى خلفه، واضعاً إحدى قدميه خلف الأخرى. أخبرني أن المصريين كانوا يمشون بهذه الطريقة. أخبرته أنهم لو كانوا يمشون كذلك فأنا لا أرى كيف كان يمكنهم فعل أي شيء، ولكن (جيم) قال أنهم أنجزوا أكثر مما أنجزه الأمريكيون، وأنهم اخترعوا ورق المرحاض والتحنيط الدائم، ثم سألتني أين كنا سنكون اليوم لو لم يفعلوا ذلك؟ أخبرني (أتيكوس) أن أحذف الإضافات من كلامه وعندها سأحصل على الحقائق.

في ولاية (آلاباما الجنوبية) لا توجد فصول واضحة، الصيف يتحول للخريف، والخريف في بعض الأحيان لا يتلوهُ الشتاء بل يتحول إلى ربيع لعدة أيام ثم يختفي في الصيف مرة أخرى. هذا الخريف كان طويلاً، وكان الجو معتدلاً فلا يحتاج المرء لأكثر من سترة خفيفة. كنا نسير أنا و(جيم) في مدارنا في ظهيرة أحد أيام أكتوبر عندما أوقفنا حفرة الشجرة مرة أخرى، وهذه المرة كان بداخلها شيء أبيض.

تركني (جيم) أقوم بالعملية فاستخرجت صورتين صغيرتين محفورتين في صابون. الأولى كانت صورة صبي والثانية كانت صورة فستان غليظ. قبل أن أتذكر أنه لا يوجد شيء اسمه النحس، صرخت ورميتهما على الأرض.

تناولهما (جيم) وهو يصيح: "ما مشكلتك؟". نظف الصورتين من الغبار وقال: "هذا عمل جيد لم أر مثله من قبل".

أمسك (جيم) الصورتين وأراني إياهما. كانتا صورتين مصغرتين لطفلين. الفتى كان يلبس سروالاً قصيراً وكان بعض الشعر يغطي حاجبيه. نظرت نحو

## قتل الطائر المحاكي

(جيم) الذي تدلت خصلة بنية من الشعر على جبينه، والتي لم ألاحظها من قبل. نظر (جيم) لصورة الفتاة ثم نظر إلي. كانت الفتاة مفروقة الشعر مثلي تماماً.

قال (جيم): "هذه صورتانا".

"من تظن أنه نحتهما؟".

"من يستطيع النجارة من الجيران؟".

"السيد (أفيري)".

"السيد (أفيري) يقوم بهذا. أعني أنه نحت".

السيد (أفيري) كان ينحت أسبوعياً قطعة من الخشب ليحولها إلى عود أسنان ويمضغها.

قلت: "هناك أيضاً الأنسة العزيزة (ستيفاني كراوورد)".

"هو ينحت بالفعل ولكنه يعيش بعيداً. متى استطاع أن يرانا؟".

"ربما كان يجلس في الشرفة وينظر إلينا عوضاً عن النظر إلى الأنسة (ستيفاني). سأفعل ذلك لو كنت مكانه".

نظر إليّ (جيم) مطولاً حتى سألته ما به فأجابني ألا شئ هناك. عندما عدنا للمنزل وضع (جيم) الصورتين في صندوقه.

بعد أقل من أسبوعين وجدنا علبة كاملة من العلكة والتي استمتعنا بها. حقيقة أن منزل (رادلي) كان مسموماً غابت تماماً عن ذاكرة (جيم).

في الأسبوع التالي وجدنا قلادة مصقولة في الحفرة. قام (جيم) بعرضها على (أتيكوس) والذي قال أنها قلادة تهجئة، وأنه قبل ولادتنا كانت مدارس مقاطعة (مايكومب) تنظم مسابقات تهجئة وتعطي ميداليات للفائزين. قال (أتيكوس) أن أحدهم قد أضعاعها وسألنا هل بحثنا عن المالك؟ ركلني (جيم) حينما حاولت أن

## قتل الطائر المحاكي

أقول أين وجدناها. سأل (جيم) (أتيكوس) إن كان يذكر أي شخص كان يلبس ميدالية كهذه ولكن (أتيكوس) قال أنه لا يذكر.

أما جائزتنا الكبرى فقد ظهرت بعد أربعة أيام. كانت ساعة جيب معطلة، مربوطة مع سكين المونيوم.

"أتظن أنه ذهب أبيض يا (جيم)؟".

"لا أدري. سوف أعرضها على (أتيكوس)".

قال (أتيكوس) أنها على الأرجح تساوي عشرة دولارات إن كانت جديدة. سألنا: "هل قايضتماها في المدرسة؟".

"أوه، لا يا سيدي". أخرج (جيم) ساعة جده التي تركه (أتيكوس) يحملها إن كان حريصاً، والتي كان (جيم) يحملها بحذر شديد. "(أتيكوس)، لو سمحت لي، فأنا أفضل أن أحمل هذه. ربما أتمكن من إصلاحها".

حينما خفت بريق ساعة جده وصار حملها عبئاً يومياً، فقد (جيم) الإحساس بأهمية تفقد الساعة كل خمس دقائق.

ورغم أنه أدى وظيفة جيدة وحاول إصلاحها إلا أن الساعة لم تكن تعمل. قال لي وهو يتنهد: "لن تعمل على الإطلاق. (سكاوت)؟...".

"هه؟".

"أتظنين أننا يجب أن نكتب رسالة لصاحب هذه الأشياء؟".

"هذا سيكون لطيفاً يا (جيم). ما المشكلة؟".

(جيم) كان يغطي أذنيه ويهز رأسه للجانبين. "لا أفهم، حقيقة لا أفهم... لا أعلم لماذا يا (سكاوت)...". قال وهو ينظر ناحية غرفة المعيشة: "أعتقد أنني سأخبر (أتيكوس)... لا، لا أظن ذلك".

"سأخبره بالإنبابة عنك".

"لا تفعلي ذلك يا (سكاوت). (سكاوت)؟".

"ماذا؟".

كان على وشك أن يخبرني شيئاً ما طوال الأمسية. كان وجهه يضيء حينما يميل نحوي، عندها يغير رأيه. وقد غير رأيه مرة أخرى. "أوه، لا شيء".

"هيا لنكتب الرسالة". قلتها ودفعت قلماً وورقة أمامه.

"حسناً. السيد...".

"كيف تعرف أنه رجل؟ أراهن أنها الأنسة (مودي)... كنت أظن ذلك لمدة طويلة".

ابتسم (جيم) وقال: "الآنسة (مودي) لا تستطيع مضغ العلكة. هل تعلمين، يمكنها أن تتحدث بلطافة في بعض الأحيان. مرة سألتها أن تأخذ علكة فاعتذرت بلطف لأن العلكة تلتصق بسقف حلقها وتعجز عن الكلام". كان (جيم) يتحدث بحذر. "أليس ذلك لطيفاً؟".

"نعم. يمكنها أن تقول أشياء لطيفة في بعض الأحيان. لكنها لن تمتلك ساعة في جميع الأحوال".

قال (جيم): "عزيزي السيد. نحن نقدر ال... لا، نحن نقدر كل ما تضعه في الشجرة. نشكرك جزيل الشكر. (جيريمي أتيكوس فينش)".

"لن يتمكن من التعرف عليك لو أنهيت الرسالة بهذه الطريقة يا (جيم)".

مسح (جيم) اسمه وكتب "(جيم فينش)". وقعت أنا "جين لويس فينش (سكاوت)" أسفل اسمه. وضع (جيم) الخطاب في مظروف.

---

## قتل الطائر المحاكي

في اليوم التالي وفي طريقنا للمدرسة جرى (جيم) أمامي وتوقف عند الشجرة. كان (جيم) يواجهني عندما نظر للأعلى ورأيت اللون يغور من وجهه.  
" (سكاوت)!"

جريت نحوه. قام أحدهم بإغلاق الحفرة بالأسمنت.

"لا- تبكي الآن- يا (سكاوت)، لا- تبكي- لا- تقلقي...". كان (جيم) يغمغم طوال الطريق للمدرسة.

حينما عدنا للمنزل للغداء سحب (جيم) طعامه وجرى للشرفة ووقف على الدرج. تبعته فقال: "لم يمر حتى الآن".

في اليوم التالي كان (جيم) متنبهاً وحصل على نتيجة.

"كيف حالك يا سيد (ناثان)". قالها (جيم).

"صباح الخير يا (جيم) و(سكاوت)". رد السيد (رادلي) وهو يمر أمامنا.

قال (جيم): "سيد (رادلي)".

التفت السيد (رادلي) نحونا.

"سيد (رادلي). آآآ... هل أغلقت الحفرة في تلك الشجرة بالأسمنت؟".

أجاب: "نعم. قمت بإغلاقها".

"لماذا فعلت ذلك يا سيدي؟".

"الشجرة تموت. عليك أن تغلقها بالأسمنت حينما تكون مريضة. يجب أن تعرف ذلك يا (جيم)".



## قتل الطائر المحاكي

لم يقل (جيم) شيئاً آخر حول الموضوع حتى الظهيرة. حينما مررنا بالشجرة ربت عليها متأملاً وظل يفكر بعمق. كان واضحاً أن مزاجه ليس في حالة جيدة، فحافظت على هدوئي وتركته.

كالعادة، قابلنا (أتيكوس) عائداً من العمل في تلك الأمسية. حينما وصلنا الدرج قال (جيم): "(أتيكوس)، هل يمكنك أن تنظر هناك نحو تلك الشجرة لو سمحت؟".

"أي شجرة يا بني؟".

"الشجرة الموجودة في ركن أرض (رادلي) جوار المدرسة".

"حسناً؟".

"هل هذه الشجرة تموت؟".

"لا... لا أظن ذلك يا بني. انظر. نحو الأوراق، إنها خضراء، نضرة، لا توجد أوراق بنية في أي مكان...".

"وهي ليست مريضة؟".

"هذه الشجرة صحيحة مثلك تماماً يا (جيم). لماذا تسأل؟".

"السيد (ناثان رادلي) قال أنها تموت".

"حسناً، ربما كانت كذلك. أنا متأكد أن السيد (رادلي) يعرف أشجاره أفضل منا".

غادر (أتيكوس) تاركاً إيانا على الشرفة. استند (جيم) على دعامة وراح يحك كتفيه عليها.

"هل تحس بالحكة يا (جيم)؟". سألت بأفضل طريقة أمكنني السؤال بها ولكنه لم يرد. قلت له: "هيا بنا يا (جيم)".

"بعد لحظات".

ظل واقفاً مكانه حتى حلول المساء، وانتظرتة. حينما دخلنا للمنزل اكتشفت أنه كان يبكي. كان وجهه معفراً في أماكن الدموع، ولكنني ظننت أنه من الغريب أنني لم أسمعه حينما كان يبكي.

## الفصل 8

لأسباب لم يتمكن أكثر المتنبئين خبرة في مقاطعة (مايكومب) من فهمها، تحول الخريف إلى شتاء في تلك السنة. مر بنا أسبوعان باردان برداً لم يحدث منذ العام 1885 حسبما قال (أتيكوس). السيد (أفيري) قال أنه قد كتب على حجر رشيد أنه حينما يعصي الأطفال والديهم ويشربون السجائر ويحاربون بضعمهم فإن الفصول تتغير: أحسنا أنا و(جيم) بالذنب لمشاركتنا في شذوذ الطبيعة الذي سبب الأسى لجيراننا وعدم الراحة لنا.

توفيت السيدة (رادلي) في ذلك الشتاء، إلا أن وفاتها لم تحدث تغييراً كبيراً. لم تكن تظهر في الجيرة إلا حينما تقوم بري أزهارها. قررنا أنا و(جيم) أن (بو) قد تمكن منها في النهاية، ولكن (أتيكوس) أخبرنا حينما عاد من منزل (رادلي) أنها ماتت لأسباب طبيعية، مما سبب لنا خيبة الأمل.

همس (جيم): "اسأليه".

"اسأله أنت. أنت الكبير".

"لهذا يجب أن تسأليه أنت".

سألته: "(أتيكوس). هل رأيت السيد (آرثر)؟".

نظر إلي (أتيكوس) بصرامة من فوق الجريدة: "لا لم أره".

منعني (جيم) من أن أسأل أسئلة أخرى. قال أن (أتيكوس) كان لا يزال متأثراً من حكايتنا مع عائلة (رادلي) وأنه لا فائدة من الضغط عليه. كانت لدى (جيم) فكرة أن (أتيكوس) كان يعتقد أن نشاطاتنا في تلك الليلة من الصيف الماضي لم تكن محصورة في بوكر التعري. لم تكن لدى (جيم) أي إثباتات لأرائه، قال أنه مجرد احساس داخلي.

في الصباح التالي استيقظت ونظرت خارج النافذة وكادت أموت من الخوف. صراخي جعل (أتيكوس) يخرج من الحمام بذقن نصف حليق.

جررته نحو النافذة وأشرت للخارج: "العالم يسير نحو النهاية يا (أتيكوس)! أرجوك افعل شيئاً...!".

قال (أتيكوس): "لا، العالم لا يسير نحو النهاية. هذا ثلج".

سأل (جيم) إن كان الثلج سيستمر. (جيم) لم ير الثلج من قبل - مثلي - ولكنه كان يعلم. قال (أتيكوس) أنه لا يعلم شيئاً عن الثلج بأكثر مما يعلمه (جيم). "ولكنني أظن أنه ما دام الثلج ذائباً فسوف تمطر".

رن جرس الهاتف وغادر (أتيكوس) طاولة الإفطار ليحبيب عليه. قال لنا حينما عاد: "هذه كانت (ايولا ماي) وأنا أقتبس منها: بما أن الثلج لم يهطل في مقاطعة (مايكومب) منذ 1885 فسوف لن يكون هناك مدرسة اليوم".

كانت (ايولا ماي) كبيرة عاملي الهاتف في (مايكومب). كان عليها القيام بالإعلانات العامة ودعوات الزفاف وإطلاق صافرة الحريق وإعطاء تعليمات الإسعافات الأولية حينما يكون دكتور (رينولدز) غير متوفر.

حينما أعاد (أتيكوس) النظام وأمرنا أن ننظر في أطباقنا عوضاً عن النافذة، سأله (جيم): "كيف يمكنك أن تصنع رجل ثلج؟".

أجاب (أتيكوس): "ليس لدي أدنى فكرة. لا أريد إحباطكما، ولكنني أستبعد وجود ثلج كافٍ لعمل كرة ثلج حتى".

جاءت (كالبورنيا) وقالت أنها تظن أن الثلج ثابت. حينما جرينا نحو الفناء الخلفي وجدناه مغطىً بطبقة رقيقة من الثلج الرطب.

قال (جيم): "يجب ألا نسير عليه. انظري، كل خطوة تسيرينها تفسد جزءاً منه".

## قتل الطائر المحاكي

نظرت للخلف لأرى آثار أقدامي. قال (جيم) أننا لو انتظرنا حتى يهطل الثلج أكثر فيمكننا عندها كشط الثلج لعمل رجل ثلج. أخرجت لساني والتقطت رقاقة ثلج كبيرة فلسعتني.

"(جيم)! إنها حارة!"

"لا، إنها ليست كذلك. إنها باردة لدرجة أنها تلسع. لا تأكلها يا (سكاوت) فأنت تضيعين الثلج. دعيه يهطل."

"ولكنني أريد أن أمشي فيه."

"أتعلمين، يمكننا أن نمشي في ثلج الأنسة (مودي)."

قفز (جيم) عابراً الفناء الأمامي وتبعته آثار خطواته. حينما صرنا على الرصيف أمام منزل الأنسة (مودي) خاطبنا السيد (أفيري). كان لديه وجه وردي اللون وبطن كبيرة تحت حزامه.

قال لنا: "هل رأيتما ما فعلتماه؟ لم يهطل الثلج في (مايكومب) منذ (أبوماتوكس). الأطفال السيئون مثلكما هم من يجعلون الفصول تتغير."

تساءلت إن كان السيد (أفيري) يعلم كم انتظرناه ليعيد أداءه في الصيف الماضي، وفكرت أن هذه ربما تكون جائزتنا، حيث أنه يوجد مكان للخطيئة هنا. لم أتساءل من أين يأتي السيد (أفيري) بإحصائياته الجوية فهي تأتي مباشرة من حجر رشيد.

"(جيم فينش). أنت يا (جيم فينش)!"

"الآنسة (مودي) تناديك يا (جيم)."

"لتبقوا جميعاً في منتصف الفناء. هناك عشب ينمو تحت الثلج قرب الشرفة. لا تطنوه!"

نادى (جيم): "حاضر يا أنسة. الثلج جميل، أليس كذلك يا أنسة (مودي)؟"

"ليس جميلاً على الإطلاق! ستجمد جميع أزهارى الليلة!"

قبعة الأنسة (مودى) الشمسية كانت تلمع ببلورات الثلج. كانت منحنية على بعض الأعشاب الصغيرة تلفها في أكياس. سألتها (جيم) لماذا كانت تفعل ذلك.

أجابت: "لأبقئها دافئة".

"كيف يمكن أن تظل الأزهار دافئة؟ ليس لديها دورة دموية".

"لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال يا (جيم فينش). كل ما أعلمه هو. أن هذه النباتات ستجمد الليلة ولذلك أقوم بتغطيتها. هل هذا واضح؟".

"واضح يا سيدتى. أنسة (مودى)؟".

"نعم يا سيدى؟".

"هل يمكننى و(سكاوت) أن نقترض بعض الثلج؟".

"خذاه كله! هناك سلة خوخ قديمة تحت المنزل، يمكنكما أن تجمعاه فيها". ضاقت عينا الأنسة (مودى) وهي تقول: "(جيم فينش). ما الذى ستقومان بفعله بثلجى؟".

"سوف ترين". قالها (جيم) ونحن ننقل أكبر كمية ممكنة من فناء الأنسة (مودى) إلى فنائنا.

سألته: "ما الذى سوف نفعله يا (جيم)؟".

اجابنى: "سوف ترين. الآن خذي السلة واجمعي ما أمكنك من الثلج الموجود في الفناء الخلفى. عودي في نفس آثار الأقدام". حذرني (جيم).

"هل سنقوم بعمل طفل ثلج يا (جيم)؟".

## قتل الطائر المحاكي

"لا. سنعمل رجل ثلج حقيقياً. هيا، علينا العمل بجد الآن".

جرى (جيم) للحديقة الخلفية واستخرج مجرفة الحديقة وبدأ يحفر بسرعة خلف كومة الأخشاب، واضعاً الديدان التي يجدها على جانب. ثم دخل للمنزل وعاد حاملاً سلة الغسيل وملاًها بالتراب ثم حملها للفناء الأمامي.

حينما جمعنا خمس سلال من التراب وسلتين من الثلج، قال (جيم) أننا جاهزان للبدء.

سألته: "ألا تظن أن هذه فوضى؟".

أجابني: "تبدو فوضى الآن، ولكنها لن تكون كذلك فيما بعد".

غرف (جيم) قبضة من التراب ووضعها على كومة أخرى من التراب، وراح يضيف المزيد حتى قام بتشكيل جذع.

قلت: "(جيم). أنا لم أسمع برجل ثلج زنجي".

شخر (جيم): "لن يظل أسوداً لفترة طويلة".

جمع (جيم) بعض أغصان الأشجار من الفناء الخلفي وقام بصفرها، ثم ثناها لتشكيل العظام التي سيغطيها بالتراب.

قلت له: "يبدو مثل الأنسة (ستيفاني كراوفورد) وهي تضع يديها على أوراكها. ممثلة في المنتصف وذراعاهما صغيرتان".

"سأجعلهما أكبر". سكب (جيم) الماء فوق رجل الطين وأضاف بعض التراب. نظر نحوه مفكراً للحظة ثم قام بتشكيل بطن كبير تحت خط الخصر. نظر نحو (جيم) وعيناه تلمعان: "يبدو رجل الثلج مثل السيد (أفيري)، أليس كذلك؟".

غرف (جيم) بعض الثلج وبدأ بالصاقه على رجل الثلج، وسمح لي بتغطية الظهر فقط، محتقلاً بالأجزاء الأخرى لنفسه. تدريجياً تحول السيد (أفيري) للون الأبيض.

نجح (جيم) في جعل السيد (أفيري) يبدو حقيقياً باستخدام قطع خشبية للعينين والأنف والفم والأزرار، ثم أنهى العملية بقطعة من الخشب. تراجع (جيم) للوراء وراح يطالع إنجازاه.

قلت له: "هذا رائع يا (جيم). يبدو كما لو أنه سيتحدث إليك".

قال (جيم) بخجل: "هو رائع فعلاً أليس كذلك؟".

لم نطق بانتظار عودة (أتيكوس) للعشاء فاتصلنا به وأخبرنا أننا حضرنا له مفاجأة. وقد كان مندهشاً حينما رأى معظم الفناء الخلفي مكديساً في الفناء الأمامي، ولكنه قال أننا قمنا بإنجاز عظيم وقال مخاطباً (جيم): "لم أكن أعرف كيف ستقوم بفعلها. ولكن من الآن فصاعداً لن أقلق عليك يا بني فدائماً ما سيكون لديك فكرة عما تفعله".

احمرت أذنا (جيم) من إطراء (أتيكوس)، ولكنه رفع نظره بحدة حينما رأى (أتيكوس) يتراجع. حدق (أتيكوس) في رجل الثلج مدة من الزمن ثم ابتسم وضحك قائلاً: "لا أدري ما ستصير إليه يا بني: مهندساً أو محامياً أو رسام لوحات. لقد كدت ترتكب تشهيراً بأحدهم في الفناء الأمامي. يجب علينا أن نقوم بتمويه هذا الرجل".

اقترح (أتيكوس) أن يقوم (جيم) بشحذ مقدمة التمثال وإبدال الخشبة بمكنسة وإلباس التمثال زياً ما.

أوضح (جيم) أنه إن فعل ذلك فإن رجل الثلج سيصبح لينا ولن يظل رجل ثلج.

قال (أتيكوس): "لا يهمني ما تفعله طالما ستفعل شيئاً. لا يمكنك أن تصنع أشكالاً هزلية تشبه الجيران".

قال (جيم): "إنه ليس شكلاً هزلياً. هو فقط يشبهه".



"السيد (أفيري) لن يصدق هذا".

"وجدتها!". قالها (جيم) وعبر الشارع جرياً ثم اختفى في فناء الأنسة (مودي) الخلفي وعاد منتصراً. وضع (جيم) قبة الأنسة الشمسية على رأس رجل الثلج وعرس مقص الأشجار في كتفه. قال (أتيكوس) أن هذا عمل جيد.

فتحت الأنسة (مودي) بابها الأمامي ووقفت على الشرفة، ثم نظرت إلينا عبر الشارع وابتسمت فجأة ثم نادت على (جيم): "(جيم فينش). أعد قبعتي أيها الشيطان!".

نظر (جيم) نحو (أتيكوس) الذي هز رأسه. "إنها فقط تثرثر".

"يبدو أنها معجبة بإنجازك".

سار (أتيكوس) إلى ممشى الأنسة (مودي) وانهمكا في حوار يتخلله رفع الأيدي. كان كل ما سمعت هو: "... وصنع كائنًا ما في الفناء! (أتيكوس)، يبدو أنك لن تقوم بتربيتهم أبداً!".

توقف هطول الثلج بعد الظهريرة وانخفضت الحرارة، وبحلول المساء كانت توقعات السيد (أفيري) قد تحققت: أشعلت (كالبورنيا) جميع المواقد في المنزل ولكننا ظللنا نشعر بالبرد. حينما عاد (أتيكوس) في المساء قال أننا سنظل في المنزل، وسأل (كالبورنيا) إن كانت تريد المبيت معنا. نظرت (كالبورنيا) إلى السقف المرتفع ثم إلى النوافذ ثم قالت أنها تعتقد أن الجو سيكون أدفأ في منزلها. حملها (أتيكوس) في سيارته إلى منزلها.

قبل أن أخذ للنوم وضع (أتيكوس) المزيد من الفحم على النار في غرفتي. قال أن مقياس الحرارة سجل درجة ستة عشر، وأنها أبرد ليلة في حياته، وأن رجلنا الثلجي كان صامداً في الخارج.

بعد عدة دقائق أيقظني أحدهم وهو يهزني. كان معطف (أتيكوس) يغطيني.  
"هل حل الصباح بهذه السرعة؟".

"استيقظي يا صغيرتي".

كان (أتيكوس) يحمل منزري ومعطفي وقال: "البسي منزرك أولاً". كان (جيم) يقف جوار (أتيكوس) مترنحاً ومبعثر الشعر. كان يلبس معطفه الذي أغلقه حتى رقبتة بينما كانت يده الأخرى مدسوسة في جيبه. بدا سميناً بصورة غريبة.

قال (أتيكوس): "أسرعي يا عزيزتي. هذا حذاؤك وجواربك".

لبستها وأنا أتساءل بغباء: "هل حل الصباح؟".

"لا، الساعة لا زالت الواحدة. أسرعي الآن".

استوعبت أخيراً أن هناك شئ ما خطأ. "ما الأمر؟".

لم يكن الأمر يحتاج شرحاً. مثلما تعرف الطيور أين تذهب حينما تكون السماء ممطرة، عرفت أن هناك مشكلة في شارعنا. أصوات بعيدة وخطوات مكتومة جعلتني أحس بالرعب.

"من؟".

أجاب (أتيكوس) برفق: "آنسة (مودي) يا عزيزتي".

من الباب الأمامي رأينا النار تتصاعد من نوافذ غرفة المعيشة الخاصة بالآنسة (مودي). وكأنما تريد أن تؤكد ما رأيناه، تصاعد صوت سرينة الحريق وبقيت مكاني أصرخ.

"لقد ذهبت. أليس كذلك؟". كان (جيم) ينوح.

أجاب (أتيكوس): "أتوقع ذلك. والآن استمعا كلاكما. اذهبا وقفا أمام منزل (رادلي) وابقيا بعيداً، هل تسمعان؟ هل تريان اتجاه جريان الرياح؟".

قال (جيم): "أوه، هل تعتقد أننا يجب أن نبدأ في نقل الأثاث للخارج؟".

## قتل الطائر المحاكى

"ليس بعد يا بني. افعل كما أمركما. والآن أسرع. خذ بالك من (سكاوت). لا تدعها تغيب عن ناظريك".

دفعنا (أتيكوس) لنسير نحو بوابة منزل (رادلي). وقفنا هناك نشاهد الشارع وهو يمتلئ بالرجال والسيارات بينما كانت النار تمزق منزل الأنسة (مودي) بصمت. تتمم (جيم): "لماذا لا يسرعون... لماذا لا يسرعون...".

ثم رأينا السبب. رأينا سيارة المطافئ، والتي تعطلت بسبب البرد، يدفعها مجموعة من الرجال. حينما أوصل الرجال الخرطوم لمصدر الماء، انفجر الخرطوم وتدفقت المياه لتغرق الرصيف.

"يا إلهي. (جيم)...".

وضع (جيم) ذراعه حولي وقال: "صه يا (سكاوت). الوقت مبكر على القلق. سأخبرك متى يتوجب عليك القلق".

جميع رجال (مايكومب)، اللابسين كلياً وجزئياً، قاموا بحمل الأثاث من منزل الأنسة (مودي) لفناء آخر عبر الشارع. رأيت (أتيكوس) يحمل كرسي الأنسة (مودي) الهزاز وفكرت أنه من اللطيف أنه فكر في إنقاذ أكثر شيء كانت تحبه.

سمعنا بعض الصيحات، ثم ظهر وجه السيد (أفيري) في نافذة في الطابق العلوي. كان يدفع فراشاً خارج النافذة إلى أرض الطريق، ثم بدأ في رمي الأثاث حتى صاح به الرجال: "انزل من هناك يا (ديك)! الدرج سيتحطم! اخرج من هناك يا سيد (أفيري)!".

بدأ السيد (أفيري) ينزل من النافذة.

قال (جيم): "(سكاوت)، إنه عالق... يا إلهي...".

كان السيد (أفيري) محشوراً بإحكام. دفنت رأسي تحت ذراع (جيم) ولم أنظر مرة أخرى حتى هتف (جيم): "لقد تحرر يا (سكاوت)! إنه بخير!".

نظرت للأعلى لأرى السيد (أفيري) يقطع الشرفة العلوية مهرولاً، ثم طوح رجليه فوق الدرايزين وكان ينزل أسفل الدعامة حينما انزلق ووقع. كان يصرخ حينما وقع على نباتات الأنسة (مودي).

فجأة انتبهت لأن الرجال كانوا يتراجعون من منزل الأنسة (مودي)، متحركين نحونا وقد توقفوا عن حمل الأثاث. كانت النار قد ملأت الطابق العلوي وبدأت في اختراق السقف. كانت النوافذ سوداءً ومن وراءها يبدو لون برتقالي كالشمس المشرقة.

"(جيم)، المنزل يبدو كيقطينة...".

"(سكاوت)، انظري!".

كان الدخان يتصاعد من حول منزلنا ومنزل الأنسة (راشيل) كالضباب حول شاطئ النهر، وكان الرجال يجذبون الخراطيم نحوهم. وراءنا كانت سيارة الإطفاء التي جاءت من مدينة (أبوتسفيل) تطلق صافرتها وهي تدور حول المنحنى وتتوقف أمام منزلنا.

"ذلك الكتاب...". رحلت أتمتم.

"ماذا؟". سألني (جيم).

"ذلك الكتاب. كتاب (توم سويفت). هو ليس ملكي وإنما ملك (ديل)...".

"لا تقلقي يا (سكاوت). لم يحن وقت القلق بعد". قالها (جيم) ثم أشار: "انظري هناك".

وسط مجموعة من الجيران كان (أتيكوس) يقف ويداه في جيبه وكأنه يشاهد مباراة كرة، بينما وقفت الأنسة (مودي) جواره.

قال (جيم): "هل ترين؟ هو ليس قلقاً بعد".

"لماذا لم يصعد على قمة أحد المنازل؟".

"لأنه كبير السن. سوف يكسر رقبتة".

"هل تظن أننا يجب أن نخبره أن يخرج أشياءنا؟".

قال (جيم): "دعينا لا نضايقه. سوف يعرف هو الوقت المناسب".

بدأت سيارة إطفاء (أبوتسفيل) تضخ الماء على منزلنا، بينما وقف رجل على السقف مشيراً للأماكن التي كانت تحتاج الماء أكثر من غيرها. شاهدت رجلنا الثلجي يتحول للون الأسود ويذوب. قبعة الأنسة (مودي) كانت على قمة الكومة الذائبة. لم أتمكن من رؤية مقص الأشجار. في منتصف الحرارة الصادرة من منزلنا ومنزل الأنسة (راشيل) ومنزل الأنسة (مودي) كان الرجال قد ألقوا معاطفهم، وراحوا يعملون في ملابسهم المنزلية، ولكنني كنت أعلم أنني أتجمد في مكاني. حاول (جيم) أن يبقيني دافئة ولكن ذراعه لم تكن كافية. حررت نفسي منها وأمسكت كتفي ورحت أرقص قليلاً حتى تمكنت من الإحساس بقدمي.

ظهرت سيارة إطفاء أخرى وتوقفت أمام منزل الأنسة (ستيفاني كراوفورد). لم يكن هناك صنوبر للخرطوم الآخر فحاول الرجال تغطية منزلها بالمطافئ اليدوية.

سقف الأنسة (مودي) المكون من الصفيح تكفل بقمع النار، فانهار المنزل مصدراً زئيراً عالياً، وتطايرت النار في كل اتجاه، وتبعثها المفارش التي ألقاها الرجال من على قمم البيوت المجاورة لإطفاء الشرر والأخشاب المحترقة.

حينما بدأ الرجال في الانصراف كان الفجر قد حل. انصرفوا فرادى أولاً ثم في جماعات. قاموا بدفع سيارة إطفاء (مايكومب) لإعادتها للبلدة، وغادرت سيارة (أبوتسفيل)، وبقيت السيارة الثالثة، والتي عرفنا في اليوم التالي أنها جاءت على متن عبّارة (كلارك) الواقعة على بعد ستين ميلاً.

انزلقنا أنا و(جيم) عبر الشارع. كانت الأنسة (مودي) تحرق في الحفرة السوداء ذات الدخان في منتصف باحتها. هز (أتيكوس) رأسه ليعلمنا أنها لم تكن ترغب

## قتل الطائر المحاكي

بالحديث. قادننا للمنزل وهو يمسك كتفينا حتى نعبّر الطريق. قال أن الأنسة (مودي) ستظل مع الأنسة (ستيفاني) في الوقت الحالي.

"هل هناك من يرغب ببعض الشوكولاتة الدافئة؟". سألنا (أتيكوس). ارتجفت حينما أشعل (أتيكوس) النار في موقد المطبخ.

بينما كنا نشرب الكاكاو انتهت أن (أتيكوس) كان ينظر نحوي بفضول أولاً، ثم بصرامة. قال لي: "ظننت أنني أخبرتك أنت و(جيم) أن تظلا بعيداً".

"ولكن، لقد فعلنا ذلك. لقد وقفنا بعيداً...".

"إذاً من صاحب هذه البطانية؟".

"بطانية؟".

"نعم يا أنسة. بطانية. وهي ليست ملكنا".

نظرت للأسفل ووجدت أنني أمسك بطانية صوفية بنية اللون، والتي كنت ألبسها حول كتفي مثل الهنود الحمر.

"(أتيكوس). لا أعلم يا سيدي... أنا...".

التفت إلى (جيم) لعل لديه جواباً، ولكنه كان متحيراً أكثر مني. قال أنه لا يعلم من أين جاءت البطانية، وأنا فعلنا بالضبط ما أمرنا (أتيكوس) بفعله، وأنا وقفنا جوار منزل (رادلي) بعيداً عن الجميع، وأنا لم نتحرك قيد أنملة – ثم صمت (جيم).

تمتم (جيم) قائلاً: "السيد (ناتان) كان عند النار. لقد رأيته. نعم رأيته يحتضن هذا الفراش. أنا أقسم يا (أتيكوس)...".

"لا بأس يا بني". ابتسم (أتيكوس). ببطء. "يبدو أن (مايكومب) جميعها كانت في الخارج الليلة، بطريقة أو بأخرى. (جيم)، أظن أن هناك ورق تغليف في غرفة المون. اذهب وأحضره وسوف...".

"أتيكوس). لا يا سيدي!"

بدا (جيم) وكأنما فقد عقله. بدأ يفشي أسرارنا متجاهلاً تماماً سلامتي – إن لم يكن سلامته هو نفسه. لم يهمل تفصيلاً واحداً بما يشمل حفرة الشجرة والسروال وكل شيء آخر.

"السيد (ناتان) وضع الأسمت في تلك الشجرة يا (أتيكوس)، وقد فعل ذلك ليمنعنا من إيجاد الأشياء... أظن أنه مجنون كما يقولون. ولكنني أقسم يا (أتيكوس) أنه لم يؤذنا قط ولم يلمسنا. كان بإمكانه أن يذبحني من الوريد للوريد في تلك الليلة ولكنه عوضاً عن ذلك حاول خياطة سروالي... لم يحدث أن أذانا قط يا (أتيكوس)..."

قال (أتيكوس): "واو. بني". قالها بمنتهى اللطف لدرجة أنني تأثرت بشدة. كان من الواضح أنه لم يفهم كلمة مما قاله (جيم)، لأن كل ما تمكن من قوله كان: "أنتما بخير. من الأفضل أن نحتفظ بهذا وبالبطانية لأنفسنا. ربما في يوم من الأيام سنتمكن (سكاوت) من شكره لأنه قام بتغطيتها".

سألته: "أشكر من؟".

"(بو رادلي). لقد كنت مشغولة بالنظر للنار لدرجة أنك لم تلاحظي حينما قام بوضع البطانية حولك".

شعرت بالغثيان وكدت أفرغ معدتي حينما فرد (جيم) البطانية وتسلسل نحوي وهو يقول: "لقد تسلسل خارج منزلهم، واستدار حوله، ثم جاء إليك هكذا!".

قال (أتيكوس) بجفاف: "لا تدع هذا يوحي إليك بمغامرة جديدة يا (جيريمي)".

تجهم (جيم): "لم أكن أفكر في فعل أي شيء". ولكنني رأيت شرارة المغامرة الجديدة تفارق عينيه. قال لي: "فقط فكري يا (سكاوت). كان يمكنك أن تريه لو أنك التفت ورائك".

## قتل الطائر المحاكي

أيقظتنا (كالبورنيا) عند الظهيرة. قال (أتيكوس) أنه لا داعي لذهابنا للمدرسة اليوم فنحن لن نتعلم أي شيء بدون أن ننام. أخبرتنا (كالبورنيا) أن نحاول تنظيف الفناء الأمامي.

كانت قبة الأنسة (مودي) معلقة وسط طبقة رقيقة من الجليد كطائر أصفر صغير، واضطررنا للحفر تحت التراب حتى نجد مقص الأشجار. وجدناها في باحتها الخلفية، تحديق في أزهارها المتجمدة. قال (جيم): "لقد أحضرنا لك أشياءك يا أنسة (مودي). نحن متأسفان للغاية".

نظرت الأنسة (مودي) حولها ولاح شبح ابتسامتها القديمة على وجهها: "لطالما أردت منزلاً أصغر يا (جيم فينش). سيكون لدي فناء أكبر. فقط فكر، سيكون لدي مساحة أكبر لزراعة زهوري الآن!".

"أنت لست حزينة يا أنسة (مودي)؟". سألتها بدهشة. قال (أتيكوس) أن منزلها كان كل ما لديها.

"حزينة؟ لماذا؟ لقد كنت أكره حظيرة المواشي القديمة تلك. فكرت في أن أشعل فيها النار عدة مرات، إلا أنهم كانوا سيدخلونني السجن".

"ولكن...".

"لا- تقلقي بشأنني يا (جين لويس فينش).- هناك طرق لفعل الأشياء لا- تعلمين عنها شيئاً. سأبني لنفسني منزلاً صغيراً بعدة غرف وسيكون لدي أجمل حديقة في (الاباما). حديقة (بيلنجرث) ستبدو حقيرة حينما أبدأ العمل!".

نظرنا أنا و(جيم) نحو بعضنا البعض. سألتها (جيم): "كيف بدأ الحريق يا أنسة (مودي)؟".

"لا أدري يا (جيم).- ربما كانت مدخنة المطبخ- لقد تركت النار- مشتعلة هناك ليلة أمس لتدفي زهوري. سمعت أنك حظيت برفقة غير متوقعة أمس يا أنسة (جين لويس)".

"كيف عرفت ذلك؟".



"أخبرني (أتيكوس) وهو يغادر للمدينة هذا الصباح. أصدقك القول، كنت أتمنى لو كنت بجوارك. كان سيكون لدي احساس كافٍ لألتفت للوراء".

الآنسة (مودي) كانت تحيرني. رغم فقدانها لمعظم ممتلكاتها وتحول فنائها المحبوب لخرابة، إلا أنها ظلت مهتمة بمعرفة أخباري أنا و(جيم). لا بد أنها رأت حيرتي لأنها قالت: "الشئ الوحيد الذي كنت قلقة منه أمس هو كل الخطر والفوضى اللذان حدثا والجيران الذين هبوا جميعاً من النوم. السيد (أفيري) سيظل طريح الفراش لمدة أسبوع. هو كبير السن ليقوم بفعل ما فعله وقد أخبرته بذلك. حالما أستطيع أن أنظف يدي وحينما تكون (ستيفاني كراوفورد) مشغولة فسوف أخبز له كعكة. ذلك لأن (ستيفاني) كانت تحاول الحصول على وصفتي لمدة ثلاثين سنة، وإن كانت تظن أنني سأعطيها لها لأنني أسكن معها الآن فهي مخطئة".

فكرت أنه حتى لو أعطتها الآنسة (مودي) الوصفة، فإن الآنسة (ستيفاني) لن تتمكن من تنفيذها أبداً. الآنسة (مودي) تركتني مرة أنظر إليها، ومن بين الأشياء الأخرى كانت الوصفة تتطلب كوباً كبيراً من السكر.

كان اليوم بلا أحداث. كان الجو بارداً وصافياً لدرجة أننا سمعنا ساعة المحكمة تخشخش وتصلصل قبل أن تدق معلنة الساعة. كان لون أنف الآنسة (مودي) لوناً لم أره من قبل، وقد سألتها عن ذلك.

قالت: "لقد كنت في الخارج منذ الساعة السادسة. يجب أن يكون أنفي متجمداً الآن". ثم رفعت يديها فرأيت شبكة من الخطوط المتشابكة في راحتيها، مختلطاً فيها لون الغبار بالدم المتجمد.

قال (جيم): "لقد أفسدت راحتيك. لم لا تأتئين برجل ملون؟". لم أحس بالتضحية في صوته حينما أضاف: "أو يمكنني و(سكاوت) أن نساعدك".

قالت الآنسة (مودي): "أشكرك يا سيدي. ولكن لديك مهمة أخرى هناك". وأشارت نحو فنائنا.

سألتها: "هل تقصدين رجل الثلج؟ لا عليك. يمكننا إعادة نصبه في ثوانٍ". نظرت نحوي الأنسة (مودي) وتحركت شفاتها بصمت. فجأة وضعت يديها على رأسها وشهقت. حينما تركناها كانت لا تزال تقهقه. قال (جيم) أنه لا يدري ما مشكلتها – كانت فقط تتصرف كالأنسة (مودي).

## الفصل 9

"يمكنك أن تستعيد ذلك يا فتى!".

هذا الأمر الذي كان صادراً من (سيسل جاكوبز)، كان بداية وقت ضيق لي ولـ(جيم). كانت قبضاتي محكمتين وكنت جاهزة للضرب. كان (أتيكوس) قد أقسم أنه سيضربني لو سمع مرة أخرى أنني خضت شجاراً. كنت كبيرة - سنناً وحجماً - على هذه الألعاب الصببانية، وكلما تعلمت أن أتحم في أعصابي بسرعة كلما استفدت أنا وغيري. لكنني نسيت كلامه بسرعة.

كان (سيسل جاكوبز) السبب في نسياني، إذ أنه أعلن في فناء المدرسة في اليوم السابق أن والد (سكاوت فينش) كان يدافع عن الزوج، وهو الأمر الذي أنكرته وأخبرت (جيم).

سألت (جيم): "ما الذي يعنيه بقوله هذا؟".

أجابني: "لا شيء. أسألي (أتيكوس) وهو سيخبرك".

سألت (أتيكوس) في المساء: "هل تدافع عن الزوج؟".

"بالطبع أفعل ذلك. لا تقولي زنجي يا (سكاوت). هذا خطأ شائع".

"هذا ما يقوله جميع من في المدرسة".

"من الآن فصاعداً سيكون الجميع ناقص واحد...".

"إذا لم تكن تريدني أن أكبر وأتحدث بهذه الطريقة، لماذا أرسلتني للمدرسة إذا؟".

## قتل الطائر المحاكي

نظر لي أبي والمتعة بادية في عينيه. رغم تنازلاتنا، فإن حملتي للهرب من المدرسة استمرت بطريقة أو بأخرى منذ أول محاولة لي فيها: بداية سبتمبر الماضي جلبت نوبات فقدان وعي ودوخة واضطرابات في المعدة. جازفت حتى بدفع خمس سنتات لابن طباخ الأنسة (راشيل) المصاب بالديدان الحلقية ليتركني أحك رأسي برأسه، ولكنني لم أصب بشئ.

ولكنني كنت مهتمة بشئ آخر. "هل يقوم جميع المحامين بالدفاع عن الزوج يا (أتيكوس)؟".

"بالطبع يفعلون يا (سكاوت)".

"إذاً لماذا قال (سيسل) أنك تدافع عن الزوج؟ لقد جعل الأمر يبدو وكأنك الوحيد الذي يفعل ذلك".

تنهد (أتيكوس). "الأمر ببساطة أنني أدافع عن زنجي اسمه (توم روبنسون). هو يعيش في تلك المزرعة القديمة خلف مكب النفايات، وهو عضو في كنيسة (كالبورنيا)، كما أن (كال) تعرف عائلته جيداً. تقول أنها عائلة نظيفة. أنت لست كبيرة بما يكفي لتفهمي بعض الأشياء، ولكن هناك لغطاً كثيراً في البلدة حول أنني يجب ألا أدافع عن هذا الرجل. هي حالة خاصة ولن تبدأ المحاكمة حتى فصل الصيف. كان (جون تايلور) لطيفاً بما يكفي ليمنحنا تأجيلاً...".

"إذا لم يكن عليك أن تدافع عنه، لماذا تفعل ذلك إذاً؟".

أجاب (أتيكوس): "لعدة أسباب. السبب الرئيسي هو أنني لو لم أفعل ذلك فلن يمكنني أن أرفع رأسي مرة أخرى في البلدة. لن أتمكن من تمثيل المقاطعة في المجلس التشريعي. لن يمكنني حتى أن أطلب منك و(جيم) ألا تفعلوا شيئاً بعد الآن".

"أتعني أنك لو لم تدافع عن هذا الرجل فإنني و(جيم) لن نحترمك مجدداً؟".

"هذا صحيح".

"لماذا؟".

"لأنني لن أتمكن من أن أطلب منكم احترامي- (سكاوت)، طبيعة عملنا تحتم أن على كل محامي أن يواجه قضية واحدة على الأقل في حياته تمسه شخصياً. أعتقد أن هذه هي قضيتي. ربما تسمعين بعض الكلام السيئ عنها في المدرسة، ولكنني أطلب منك فعل شيء واحد: أن تبقي رأسك عالياً وقبضتيك منخفضة. لا يهم ما يقوله لك البعض، لا تتركهم يعبتون برأسك- حاولي القتال برأسك لمرة واحدة... المدرسة جيدة حتى لو كانت ضد التعليم".

"(أتيكوس)، هل سنربح القضية؟".

"لا يا عزيزتي".

"إذاً لماذا...".

"ببساطة لأن كوننا هزمننا قبل مئة سنة لا يعني أننا لا يجب أن نحاول الفوز".  
أجاب (أتيكوس).

قلت له: "تبدو مثل ابن العم (إيك فينش)". ابن العم (إيك فينش) كان الجندي الوحيد المتبقي في مقاطعة (مايكومب) ممن يؤمنون بالتحالف. كان له لحيحة تشبه لحيحة الجنرال (هود) والتي كان معجباً بها بصورة مفرطة. كنا ندعوه مرة واحدة سنوياً وكان يتوجب علي أن أقبله، وهو الأمر الذي كان رهيباً. كنا نستمع أنا و(جيم) باحترام لحواره مع أتيكوس وهما يعيدان تمثيل الحرب. كان ابن العم (إيك) يقول: "أتعلم يا (أتيكوس). إن تنازلات (ميزوري) هي سبب الهزيمة. ولكن لو كان علي أن أعيد الأمر فسوف أسير كل خطوة في الطريق وأعود كما فعلت بالضبط، ولكن في هذه المرة فسوف نتصّر... الآن في سنة 1864 حينما جاء (ستونوول جاكسون) - أنا أعتذر لكم أيها الصغار. (الضوء الأزرق) العجوز كان في معية الرب حينها، فليرحم الرب روحه الملائكية".

"تعالى يا (سكاوت)". قالها (أتيكوس)، فزحفت أعلى حجره ودست رأسي تحت ذقنه. وضع يديه حولي وراح يؤرجحني بهدوء وهو يقول: "الأمر يختلف

## قتل الطائر المحاكي

هذه المرة. هذه المرة نحن لا نقاتل اليانكيز بل نقاتل أصدقاءنا. ولكن تذكر أنه مهما صارت الأمور سيئة فإنهم لا يزالون أصدقاءنا وهذا لا يزال منزلنا".

بهذا الكلام في خاطري، واجهت (سيسل جاكوبز) في فناء المدرسة في اليوم التالي: "هل ستقوم بسحب كلامك يا فتى؟".

صاح مجيباً: "سيتوجب عليك أن تجربيني! والداي يقولان أن والدك عار علينا وأن ذلك الزنجي يجب أن يتم شنقه من أعلى خزان المياه!".

كنت سأضربه ثم تذكرت ما قاله (أتيكوس)، فخففت قبضتي وسرت مبتعدة، بينما صيحته ترن في أذني: "(سكاوت) جبانة!". كانت أول مرة في حياتي أرفض المشاركة في نزال.

بطريقة ما، لو صار عت (سيسل) كنت سأخذل (أتيكوس). كان من النادر أن يطلب (أتيكوس) من (جيم) ومني أن نفعل شيئاً لأجله، ولذلك كنت مستعدة لأن يتم نعتي بالجبن لأجله. شعرت بالنبل الشديد لأنني تذكرته، واستمررت نبيلة لمدة ثلاثة أسابيع. ثم حل عيد الميلاد وحلت الكارثة.

أنا و(جيم) كنا نرى عيد الميلاد بمشاعر مختلطة. الجانب الجيد كان الشجرة والعم (جاك فينش). في كل عشية عيد ميلاد كنا نقابل العم (جاك) في محطة (مايكومب)، ويظل مدة أسبوع معنا.

الوجه الآخر للعملة يكشف عن الملامح المتصلبة للعممة (ألكساندرا) و(فرانسيس).

أعتقد أنه يجب أن أدخل العم (جيمي) زوج العممة (ألكساندرا) في القصة، ولكن لأنه لم يخاطبني في حياته إلا ليقوله "انزلي عن السياج!" مرة واحدة، فذلك لم أر أي سبب لملاحظته من قبل. كما أن العممة (ألكساندرا) لم تفعل أيضاً قبل مدة طويلة، وفي صداقة مفاجئة، قامت العممة والعم (جيمي) بولادة ابن أسمياه (هنري)، والذي غادر المنزل حالما تمكن من ذلك، وتزوج، وولد (فرانسيس). كان (هنري) وزوجته يودعان (فرانسيس) عند جده وجدته كل عيد ميلاد، ثم يذهبان ليطلبا متعهما الشخصية.

لم يكن أي مقدار من التتهد كافيًا ليقنع (أتيكوس) بأن يدعنا نقضي يوم عيد الميلاد في المنزل. كنا نذهب إلى (مزرعة فينش) في كل عيد ميلاد أذكره. حقيقة أن العمّة كانت طبّاخة ماهرة ربما كانت العزاء الوحيد لإجبارنا على قضاء إجازة دينية مع (فرانسييس هانكوك)، والذي كان أكبر مني بسنة، وكنت أتجنبه بسبب: كان يحب أي شيء أعارضه، وكان يحتقر متعتي البريئة.

العمّة (ألكساندرا) كانت أخت (أتيكوس)، ولكن حينما أخبرني (جيم) عن تبديل الأخوة عند الولادة، قررت أنها تم تبديلها عند ولادتها وأن جدي وجدتي ربما يكونا قد أخذنا طفلًا من عائلة (كراوفورد) بدلاً عن عائلة (فينش). لو كنت أحمل نفس الأفكار الروحانية التي يوسوس بها المحامون والقضاة حول الجبال، لكنت شبهت العمّة (ألكساندرا) بجبل (إيفيرست): طوال حياتي الأولى، كانت دائماً باردة ومتواجدة حولنا.

حينما قفز العم (جاك) من القطار في عشية عيد الميلاد، اضطررنا لانتظار الحمال ليناوله رزمتين طويلتين. طالما ظننت أنا و(جاك) أنه من الطريف رؤية العم (جاك) وهو يقبل (أتيكوس) على خده، لأنهما كانا الرجلين الوحيديين اللذين رأيناهما يقبلان بعضهما. سلم العم (جاك) على (جيم) ثم رفعتني عالياً، ولكن ليس عالياً جداً فالعم (جاك) كان أقصر من (أتيكوس)، وقد كان أصغر إخوته. كان يشبه أخته ولكنه استفاد أكثر من وجهه فلم نكن نلاحظ لأنفه وذقنه المدبيين.

كان من قلة رجال العلم الذي لم يقوموا بإخفايتي، ربما لأنه لم يحدث أن تصرف كطبيب. في أي مرة قام بتأدية خدمة بسيطة لـ(جيم) أو لي، كانتزاع شظية من قدم أحدنا، كان يشرح لنا بالتفصيل ما كان سيقوم بفعله، ويعطينا تقديراً لكمية الألم الذي سنعانيه، ويشرح لنا استعمال أي أداة يقوم باستعمالها. في أحد أعياد الميلاد اختفيت في أحد أركان المنزل أعالج شظية ملتوية في قدمي بدون أن أسمح لأي أحد أن يقترب مني. حينما وجدني العم (جاك)، جعلني أضحك حول الواعظ الذي كان يكره الذهاب للكنيسة لدرجة أنه كان يقف يوماً أمام باب منزله مرتدياً حلتته، مدخناً الشيشة وملقياً خطباً قصيرة للمرور الذين كانوا ينشدون السلام الروحي. قطعت الضحك لأسأل العم (جاك) متى سيقوم بإخراج الشظية، فأمسك شظية دامية في ملقط وقال أنه انتزعها بينما كنت أضحك. هذا ما كان يسمى بالنسبية.

"ماذا يوجد في هذه الرزم؟". سألته وأنا أشير للرزم الطويلة النحيفة التي أعطاه إياها الحمل.

أجاب: "ليس من شأنك".

سأل (جيم): "كيف حال (روز إيلمر)؟".

(روز إيلمر) كانت قطة العم (جاك). كانت قطة صفراء جميلة قال العم (جاك) أنها واحدة من قلائل الإناث التي يمكنه احتمالها للأبد. أخرج بعض الصور من جيب معطفه ورحنا نتأملها.

قلت له: "إنها تسمن".

"أظن ذلك. لأنها تاكل كل المتبقي من الأصابع والأذان في المستشفى".

قلت له: "أووو. هذه قصة لعينة".

"أستمحك عذراً؟".

قال (أتيكوس): "لا تلق لها بالاً يا (جاك). إنها تتمرن عليك. (كال) تقول أنها تسب بطلاقة منذ أسبوع". رفع العم (جاك) حاجبيه ولم يقل شيئاً. كنت أعمل وفقاً للنظرية الضعيفة أن (أتيكوس) لو اكتشف أنني التقطت الكلمات في المدرسة فسوف يمنعني من الذهاب، هذا بدون ذكر الجاذبية الفطرية للكلمات نفسها.

ولكن في العشاء حينما سألته أن يمرر لي لحم الخنزير اللعين، من فضله، فإن العم (جاك) أشار لي وقال: "قابليني بعد العشاء أيتها الأنسة".

بعد انتهاء العشاء ذهب العم (جاك) لغرفة المعيشة وجلس، ثم ضرب فخذه يدعوني للجلوس في حجره. كنت أحب رائحته التي تشبه علبة كحول وشئ آخر حلو لا أعرفه. دفع شعري للجانب ليرى وجهي وقال: "أنت تشبهين (أتيكوس) بأكثر مما تشبهين أمك. كما أنك تخرجين عن الحدود قليلاً".



"أظن أنني داخل الحدود".

"أنت الآن تحبين كلمات مثل اللعنة والجحيم، أليس كذلك؟".

قلت أنني أظن ذلك.

قال العم (جاك): "حسناً، أنا لا أظن ذلك. ما لم يكن هناك استفزاز شديد مرتبط بهذه الكلمات. سوف أبقى لمدة أسبوع، ولا أرغب في سماع كلمات كهذه طالما أنا موجود. (سكاوت)، سوف تقعين في المشاكل لو واصلت قول كلمات كهذه. أنت تريدين أن تكبري لتصبحي سيدة، أليس كذلك؟".

قلت أنني لا أرغب بذلك.

"بالطبع ترغيبين. والآن هيا بنا نذهب للشجرة".

قمنا بتزيين الشجرة حتى موعد النوم. في تلك الليلة حلمت بأن الرزمتين الطويلتين كانتا لـ(جيم) ولي. في الصباح التالي غصنا أنا و(جيم) في الرزمتين: كانتا من (أتيكوس) الذي كتب للعم (جاك) يطلب منه إحضارهما لنا، حيث أنهما كانتا ما طلبناهما بالضبط.

"لا تقم بالتصويب داخل المنزل". قال (أتيكوس). حينما صوب (جيم) البندقية على صورة معلقة.

"يجب أن تعلمهم التصويب". قال العم (جاك).

أجاب (أتيكوس): "هذه وظيفتك. لقد قمت فقط بالاستسلام للقدر المحتوم".

اضطر (أتيكوس) لاستخدام صوته كما يفعل في المحكمة ليجعلنا نبتعد عن الشجرة، كما أنه رفض أن يتركنا نحمل بنادقنا الهوائية للمزرعة – كنت قد بدأت حينها أفكر في إصابة (فرانسيس) – وقال أننا لو فعلنا شيئاً واحداً خطأ فسوف يأخذ منا البنادق للأبد.

كانت (مزرعة فينش) تتكون من 366 درجة أسفل منحدر مرتفع وتنتهي برصيف الميناء. خلف المنحدر كانت توجد بقايا حقل قطن قديم حيث كان زنوج (فينش) يحضرون بالآلات الفطن ويفرغون مكعبات الثلج والطحين والسكر، ومعدات الزراعة، وملابس النساء. طريق ضيق كان يجري من جانب النهر ويختفي وسط الأشجار الداكنة. في نهاية الطريق كان هناك بيت أبيض ذو طابقين، تحيط الشرفات أعلاه وأسفله. في أواخر عمره، كان جدنا الأكبر (سايمون فينش) قد بنى المنزل ليريح زوجته الثرثارة، ولكن مع الشرفات فقد زال أي تشابه بينه وبين منازل تلك الحقبة. الترتيبات الداخلية لمنزل (فينش) كانت تدل على سذاجة (سايمون) والثقة المطلقة التي كان يوليها أبناءه.

كانت هناك ست غرف نوم في الأعلى، أربع منهن لثمان فتيات، وواحدة للابن الوحيد (ويلكوم فينش)، وواحدة للأقرباء الزائرين. مع هذه البساطة، فإن غرف الفتيات كان يمكن الوصول إليها عبر درج وحيد، بينما غرفة (ويلكوم) وغرفة الضيوف يصلها درج آخر. الدرج الذي يقود لغرف الفتيات كان يصعد من داخل غرفة نوم والديهم في الطابق الأرضي، لذلك فإن (سايمون) كان دائماً ما يعلم متى تدخل بناته ويخرجن ليلاً.

كان المطبخ منفصلاً عن بقية المنزل، مرتبطاً به من خلال ممر. في الفناء الخلفي كان هناك جرس صدئ معلق على عمود، والذي كان يستخدم لجمع الأيدي العاملة في الحقل أو كإشارة خطر. على السقف كان يوجد مشى الأرامل، ولكن لم يكن هناك أرامل يمشين، وإنما كان (سايمون) يتابع مشرفه من هناك، ويشاهد قواربه النهرية، ويلقي نظرة على حياة أصحاب الأراضي المجاورة.

سارت مع المنزل الأسطورة التقليدية لليانكيز: أحد فتيات عائلة (فينش) والتي خطبت منذ مدة قريبة، قامت بلبس جميع ما في لباس العروس لكي تحفظها من الغزاة في الجوار، ولكنها انحسرت في الباب المؤدي لسلم الفتيات، وتمكنوا من تحريرها بصب الماء عليها ودفعها عبر الباب. حينما وصلنا للمزرعة قامت العمدة (ألكساندرا) بتقبيل العم (جاك)، ثم قام (فرانسيس) بتقبيل العم (جاك)، ثم قام العم (جيمي) بمصافحة العم (جاك) في صمت، ثم أعطينا أنا و(جيم) هدايا ل(فرانسيس) الذي أعطانا هدية في المقابل. أحس (جيم) بكبر عمره وانجذب

## قتل الطائر المحاكي

نحو الكبار، تاركاً إياي لأسلي ابن عمنا. كان (فرانسييس) في الثامنة ويسرح شعره للوراء.

سألت بتهديب: "ما الذي تحصلت عليه في عيد الميلاد؟".

أجابني: "فقط ما أردت الحصول عليه". كان (فرانسييس) قد أراد الحصول على زوج من السراويل القصيرة، وحقيبة كتب جلدية حمراء، وخمسة قمصان وربطة قوس غير مربوطة.

قلت كذباً: "هذا رائع. أنا و(جيم) حصلنا على بنادق هوائية، وحصل (جيم) على عدة كيمياء...".

"غير حقيقية، كما أعتقد".

"لا، بل حقيقية. سوف يصنع لي بعض الحبر السري، وسوف أكتب لـ(ديل) خطاباً باستخدامه".

سألني (فرانسييس) ما الفائدة من ذلك.

"حسناً. ألا يمكنك أن ترى وجهه حينما يستلم خطاباً مني بدون أي محتوى؟ سوف يصاب بالجنون جراء ذلك".

الحديث مع (فرانسييس) أعطاني احساس الهبوط لقاع المحيط ببطء. كان أكثر طفل ممل قابلته في حياتي. بما أنه كان يعيش في (موبيل)، لم يكن باستطاعته التبليغ عني لسلطات المدرسة، ولكنه كان يقوم بإبلاغ العمدة (ألكساندرا) بكل شيء، والتي تقوم بدورها بتبليغ (أتيكوس)، والذي ربما ينسى الموضوع أو يعذبني به، حسب ما يجول بخاطرهم. ولكن المرة الوحيدة التي سمعت فيها (أتيكوس) يتحدث بحدة لأحدهم كانت حينما سمعته يقول مرة: "أختاه، إنني أقوم بأفضل ما أستطيعه معهم!". كان للموضوع علاقة بما أفعله في المجمل. العمدة (ألكساندرا) كانت متعصبة في موضوع لباسي. لم يكن من الممكن أن أصبح سيدة في بنطلون الإنقاذ الذي أرنديه، وحينما قلت أنني لا أستطيع فعل أي شيء في فستان، قالت أنه يجب علي ألا أفعل أي شيء يحتاج للباس بنطال. رؤية العمدة (ألكساندرا) لسلوكي تضمنت اللعب بالمواد الصغيرة و عدة الشاي

ولبس العقد الذي اشتريته لي حينما ولدت، بالإضافة لأنني يجب أن أكون شعاعاً من النور في حياة والدي الوحيدة. اقترحت أنني يمكن أن أكون شعاعاً من نور في بنطال أيضاً، ولكن العمّة قالت أنني يجب أن أتصرف كشعاع النور، وأنني ولدت جيدة ولكنني كبرت لأصبح أسوأ. كانت قد أدت مشاعري وكنت جاهزة للرد في أي لحظة، ولكن حينما سألت (أتيكوس) عن ذلك قال أنه يوجد أشعة شمس كافية في العائلة وأنني يجب أن أهتم بشؤوني الخاصة، وأنه لم يكن مستاءً مما أفعله كثيراً.

في عشاء العيد جلست على الطاولة الصغيرة في غرفة الطعام، بينما جلس (جيم) و(فرانسييس) مع الكبار على طاولة العشاء. واصلت العمّة عزلي لفترة طويلة بعدما تخرج (جيم) و(فرانسييس) ليجلسا على الطاولة الكبيرة. كنت أفكر فيما كانت تظن أنني سأفعله، هل سأقف وأرمي شيئاً؟ أحياناً كنت أفكر في أن أسألها إن كان يمكن أن أجلس معهم على الطاولة الكبيرة لمرة واحدة فقط، وعندها سأثبت لها أنني يمكن أن أكون متحضرة، فقبل كل شيء كنت أتناول الطعام يومياً في المنزل بدون حوادث كارثية. حينما رجوت (أتيكوس) أن يستخدم نفوذه قال أنه ليس لديه نفوذ، وأنا كنا ضيوفاً، وأنا سنجلس حيث تخبرنا أن نجلس. قال أيضاً أن العمّة (ألكساندرا) لم تكن تفهم البنات كثيراً لأنها لم تحظ بواحدة.

ولكن جودة طبخها كانت تغفر جميع زلاتها: ثلاثة انواع من اللحم، وخضار صيفي من مخزن المؤن، ومخلل الخوخ، ونوعان من الكعك، وطعام يشبه طعام الآلهة، وكان هذا عشاء عيد متواضعاً بعد ذلك، جلس الكبار في غرفة المعيشة في وضع ذاهل. رقد (جيم) على الأرض، وذهبت أنا للنفاء الخلفي. "البسي معطفك". قالها (أتيكوس) في شبه حلم فلم أسمعها. جلس (فرانسييس) جوارى على الدرج الخلفي. قلت له: "كان هذا عظيماً".

قال (فرانسييس): "جدتي طبخة عظيمة. سوف تقوم بتعليمي الطبخ".

"الأولاد لا يطبخون". ضحكت من فكرة رؤية (جيم) في مئزر.

قال ابن العم: "جدتي تقول أن جميع الرجال يجب أن يتعلموا الطبخ، وأن الرجال يجب أن يكونوا حريصين على زوجاتهم وأن يصبروا عليهن حينما لا يشعرن بأنهن بخير".

قلت له: "لا أريد من (دليل) أن يصبر علي. أفضل أن أصبر عليه".  
"(دليل)؟".

"نعم. لا تقل شيئاً عن الموضوع، ولكننا سوف نتزوج حالما نصير كبيرين كفاية. لقد طلب يدي الصيف الماضي".

صاح (فرانسييس) ساخراً.

سألته: "ما العيب فيه؟ لا أرى أي عيب في الفتى".

"هل تعنين ذلك القزم الذي تقول جدتي أنه يبقى مع الأنسة (راشيل) في كل صيف؟".

"هو بالضبط من أعنيه".

قال (فرانسييس): "أنا أعرف كل شيء عنه".

"ماذا تعرف عنه؟".

"جدتي تقول أنه ليس لديه منزل...".

"لديه منزل وهو يعيش في (مريديان)".

"... فقط يتم تمريره من قريب لقريب، والأنسة (راشيل) تبقى معها كل صيف".

"(فرانسييس)، هذا ليس حقيقة!".

ابتسم (فرانسييس) في وجهي. "أنت تكونين غيبية للغاية في بعض الأحيان يا (جين لويس). ولكن لا أظن أنك تعلمين أفضل من ذلك".

"ماذا تعني؟".

"إذا كان العم (أتيكوس) يتركك تتجولين مع الكلاب الضالة، فهذا شأنه كما تقول الجدة، فهو ليس خطأك إذاً. كما لا أظن أنه خطوك إن كان العم (أتيكوس) شخصاً محباً للزواج، ولكنني أخبرك أن هذا شيء مرعب بالنسبة لبقية العائلة...".

"اللعة يا (فرانسييس)، ما الذي تعنيه؟".

"ما قلته بالضبط. جدتي تقول أنه من السئ أنه يتركك تتجولين بحرية، ولكنه الآن تحول لمحِب للزواج وأنه لن يتمكن من التجول في طرقات (مايكومب) مرة أخرى. إنه يدمر العائلة، هذا هو ما يفعله".

نهض (فرانسييس) وجرى عبر الممر نحو المطبخ القديم. عندما صار على بعد آمن صاح: "هو ليس شيئاً سوى محِب للزواج!".

رحت أزار: "هو ليس كذلك! لا أدري ما تحدث عنه، ولكن من الأفضل لك أن تتوقف عنه حالاً!".

قفزت من الدرج وجريت في الممر. كان من السهل عليّ تطويق (فرانسييس). أخبرته أن يتراجع عما قاله حالاً.

تملص مني (فرانسييس) ثم أسرع نحو المطبخ القديم وهو يصيح: "محب الزنوج!".

حينما تكون متربصاً بفريسة فإنه من الأفضل أن تأخذ وقتك. لا تقل شيئاً وكن واثقاً من أنه سيصاب بالفضول وسيخرج. ظهر (فرانسييس) عند باب المطبخ وسأل بتردد: "هل لا زلت غاضبة يا (جين لويس)؟".

رددت: "لا شيء يستحق الحديث عنه".

خرج (فرانسييس) إلى الممر.

"هل ستراجع عما قلت يا (فرانسييس)؟". ولكنني استعجلت في الهجوم، فعاد (فرانسييس) داخل المطبخ، وعدت للجلوس على الدرج. لم أتمكن من الانتظار والصبر. جلست هناك حوالي خمس دقائق حينما سمعت العمدة (ألكساندرا) تتحدث: "أين هو (فرانسييس)؟".

"هو هناك في المطبخ".

"إنه يعلم أنه لا يفترض به اللعب هناك".

جاء (فرانسييس) ناحية الباب وصاح: "جدتي، هي التي حاصرتني هنا ولا تسمح لي بالخروج!".

"ماذا يحدث يا (جين لويس)؟".

نظرت للأعلى نحو العمدة (ألكساندرا). "لم أحاصره هناك يا عمتي. أنا لا أمسك به".

صاح (فرانسييس): "بلى. هي ترفض تركي أغادر!".

"هل كنتما تثرثران؟".

صاح (فرانسييس): "(جين لويس) غضبت مني يا جدتي".

"(فرانسييس) اخرج من هناك! (جين لويس)، لو سمعت كلمة أخرى تخرج من فمك فسوف أخبر والدك. هل سمعتك تقولين اللعنة قبل دقائق؟".

"لا".

"أعتقد أنني سمعتك من الأفضل ألا أسمعها مرة أخرى".

## قتل الطائر المحاكي

العمة (ألكساندرا) كانت متنصتة من الشرفة الخلفية. في اللحظة التي اختفت عن الأنظار ظهر (فرانسييس) برأس مرفوع وابتسامة وقال: "لا تعبثي معي". قفز إلى الحديقة وحافظ على مسافة آمنة بيننا، بينما راح يركل أكوام العشب ويلتفت إلي أحيانا بابتسامة. ظهر (جيم) على الشرفة ونظر نحونا ثم غادر. تسلق (فرانسييس) شجرة البلوط ثم نزل منها ووضع يديه في جيبيه ثم تمشى حول الفناء وقال: "هاه!". سألته من كان يظن نفسه، العم (جاك)؟ قال (فرانسييس) أنه يظن أنني تم إخباري أن أجلس هناك وأتركه لشأنه.

قلت له: "أنا لا أضايقك".

نظر (فرانسييس) نحوي بحذر، واستخلص أنني تم كبتتي، فراح يندندن بهدوء: "محب الزنوج...".

هذه المرة كسرت قبضتي على أسنانه الأمامية. بعد تعطل يدي اليسرى، ضربت بيدي اليمنى ولكن ليس لمدة طويلة. العم (جاك) ثبت يدي إلى جوارى وقال: "اهدئي!".

العمة (ألكساندرا) راحت تخدم (فرانسييس) ماسحةً دموعه بمنديلها وتفرك شعره وتربت على خده. (أتيكوس)، و(جيم)، والعم (جيمي) جاءوا للشرفة الخلفية حينما بدأ (فرانسييس) بالصياح.

سأل العم (جاك): "من بدأ هذا؟".

أشرت نحو (فرانسييس) وأشار هو نحوي وراح يزقق. "جدتي. لقد قالت علي أنني عاهرة ثم قفزت علي".

سأل العم (جاك): "هل هذا صحيح يا (سكاوت)؟".

"أظن ذلك".

حينما نظر العم (جاك) إلي من أعلى، كانت ملامحه تشبه ملامح العممة (ألكساندرا). "أنت تعلمين أنني أخبرتك أنك ستقعين في مشكلة إن واصلت استخدام كلمات كهذه؟ ألم أخبرك بذلك؟".



"نعم يا سيدي، ولكن...".

"حسناً، أنت في مشكلة الآن. ابق مكانك".

كنت أفكر ملياً في الوقوف أو الهرب، وتلكأت في اتخاذ القرار: حينما التفت لأفرك كان العم (جاك) أسرع مني. وجدت نفسي فجأة أهدق في نملة صغيرة تصارع لحمل كسرة خبز فوق العشب.

"لن أتحدث إليك مجدداً طالما حييت! أنا أكرهك وأحتقرك وأتمنى أن تموت غداً!". وهي عبارة بدا أنها تحفز العم (جاك) أكثر من أي شيء آخر. جريت نحو (أنيكوس) لأتخذه ملاذاً ولكنه قال أنني استحققت ما حصلت عليه وأنه حان الوقت للعودة للمنزل. صعدت إلى المقعد الخلفي من السيارة بدون أن أودع أياً منهم، وفي المنزل جريت لغرفتي وشفقت الباب. حاول (جيم) أن يقول شيئاً لطيفاً ولكنني لم أسمح له بذلك.

حينما تفحصت الأضرار وجدت سبع أو ثمان علامات حمراء فقط. كنت أفكر في النسبية حينما قرع أحدهم الباب. سألت من الطارق وأجابني العم (جاك).

"اذهب بعيداً!".

قال العم (جاك) أنني لو تحدثت بهذه الطريقة فسوف يضربني مجدداً فصمت. حينما دخل إلى الغرفة تراجع للركن وأوليته ظهري. قال: "هل لا زلت تكرهيني يا (سكاوت)؟".

"أرجوك أن تغادر من فضلك".

قال: "لم أكن أظن أنك ستحملين لي ضغينة. لقد أحببتي... أنت تعلمين أنك استحققت ما حدث لك".

"لم استحق شيئاً".

"عزيزتي. لا يمكنك أن تطلقى ألقاباً على الناس...".

قاطعته: "أنت لست عادلاً. أنت لست عادلاً".

رفع العم (جاك) حاجبيه مندهشاً: "لست عادلاً؟ كيف هذا؟".

"أنت لطيف يا عم (جاك) وأظن أنني أحبك رغم ما فعلته. ولكنك لا تفهم الأطفال جيداً".

وضع العم (جاك) يديه على وركيه ونظر إلي: "ولماذا لا أفهم الأطفال يا (جين لويس)؟ تصرفك لم يكن يحتاج فهماً. تصرفك كان مشاغباً ومشاكساً ومتعسفاً...".

"هل ستعطيني فرصة لأخبرك؟ لا أقصد أن أكون وقحة، أنا فقط أحاول إخبارك ما حدث".

جلس العم (جاك) على السرير. التقى حاجباه ونظر إلي من تحتها وقال: "واصلني الحديث".

أخذت نفساً عميقاً. "حسناً. في البداية أنت لم تعطيني فرصة لأخبرك جانبي من القصة بل انقضضت علي مباشرة. حينما نختلف أنا و(جيم) فإن (أتيكوس) لا يستمع لرواية (جيم) فقط بل يسمعي أيضاً. وثانياً أنت أخبرتني ألا استعمل كلمات كهذه إلا عند الضرورة، وقد استفزني (فرانسييس) لأطيح بأسنانه...".

حك العم (جاك) رأسه: "ما هي روايتك يا (سكاوت)؟".

"(فرانسييس) أطلق لفظاً ما على (أتيكوس) ولم أكن مستعدة لتحمل ذلك".

"وما الذي أطلقه (فرانسييس) عليه؟".

"محب الزوج. لست متأكدة من معناها ولكن الطريقة التي قالها (فرانسييس) بها... سأخبرك شيئاً يا عم (جاك)... أقسم أنني لن أجلس هنا وأتركه يتحدث بسوء حول (أتيكوس)".

"هو قال هذا عن (أتيكوس)؟".

"نعم يا سيدي، لقد فعل هذا وأكثر. قال أن (أتيكوس) سيدمر العائلة وأنه يتركني و(جيم) نسير على هوانا...".

الظرة على وجه العم (جاك) جعلتني أظن أنني في مشكلة مرة أخرى. ولكن حينما قال: "سوف نبحت هذا الموضوع"، علمت أن (فرانسيس) هو من كان في مشكلة. "أفكر في العودة هناك الليلة".

"أرجوك سيدي، فقط انس الموضوع".

ولكنه قال: "ليس لدي النية في نسيانه. لا بد أن تعلم (الكساندرا) بالموضوع. فكرة أن... فقط دعيني أمسك هذا الصبي...".

"عم (جاك)، أرجوك أن تعذني بشئ، أرجوك. عدني ألا تخبر (أتيكوس) بهذا. لقد طلب مني مرة ألا أذع أي شئ أسمعه حوله يثير غضبي، وأفضل أن أتركه يظننا تعاركنا حول أي موضوع آخر. أرجوك عدني...".

"ولكنني لا أحبذ فكرة أن أذع (فرانسيس) يفلت بشئ كهذا...".

"هو لم يفلت بشئ. هل تظن أنك يمكنك أن تضمد يدي؟ لا زالت تنزف بعض الشئ".

"بالطبع سأفعل يا صغيرتي. لا أرى أي يد أخرى أفضل تضميدها. هل يمكنك المجئ من هنا؟".

انحنى العم (جاك) بشهامة وتركني أدخل الحمام. بينما كان ينظف ويضمد يدي، كان يسألني بحكاية مضحكة عن رجل عجوز قصير النظر. كان لديه قطة تسمى (هودج)، وكان يعد كل الشقوق في الرصيف حينما كان يسير للمدينة. قال العم (جاك): "والآن. سيكون لديك ندبة لا تليق بسيدة على الأصبع الذي سيحمل خاتم الزفاف".

"أشكرك للغاية. عم (جاك)؟".

"سيدتي؟".

"ما معنى عاهرة؟".

انغمس العم (جاك) في حكاية أخرى طويلة حول رئيس وزراء كهل كان يجلس في بيت العموم وينفخ الريش في الهواء، ويحاول جعلها تستقر مكانها، بينما كان جميع الرجال حوله يفقدون صوابهم. أظن أنه كان يحاول إجابة سؤالي، ولكنني لم أفهم ما كان يقول.

لاحقاً حينما كان يجب أن أكون في السرير، نزلت للبهو لأشرب بعض الماء وسمعت (أتيكوس) والعم (جاك) يتحاوران في غرفة المعيشة:

"سوف لن أتزوج أبداً يا (أتيكوس)".

"لماذا؟".

"قد أحصل على أطفال".

قال (أتيكوس): "لديك الكثير لتتعلمه يا (جاك)".

"أعلم ذلك. ابنتك أعطتني أول الدروس اليوم. قالت أنني لا أفهم الأطفال ثم شرحت لي لماذا، وقد كانت محقة. لقد أخبرتني يا (أتيكوس) كيف كان يجب أن أعاملها... يا إلهي. أنا متأسف للغاية أنني عاملتها بقسوة".

ضحك (أتيكوس). "لقد استحققت ذلك. لا تشعر بالندم".

انتظرت على أحر من الجمر أن يخبر العم (جاك) جانبي من القصة، ولكنه لم يفعل بل غمغم: "استخدامها للألفاظ البذيئة لا يترك شيئاً للخيال. ولكنها لا تعي نصف ما تقوله... سألتني ما معنى عاهرة...".

"وهل أخبرتها؟".

"لا. حكيت لها عن اللورد (ملبورن)".

"(جاك)! حينما يسألك طفل عن شيء، أجبه بحق السماء. ولكن لا تفتح موضوعاً. الأطفال هم أطفال، ولكنهم يستطيعون تمييز المراوغة أسرع من البالغين، والمراوغة تربكهم ببساطة. لا". قال والدي وهو يفكر. "لقد أجبته الإجابة الصحيحة اليوم، ولكن لأسباب خاطئة. اللغة البذيئة هي مرحلة يمر بها جميع الأطفال، وتنتهي حينما يدركون أنهم لا يحصلون على الاهتمام بسببها. حدة الطبع ليست كذلك. لا بد أن تتعلم (سكاوت) كيف تحافظ على رشدها ولا بد أن تتعلمه بسرعة، نظراً لما سيأتيها في الشهور القليلة القادمة. ولكنها تتقدم. (جيم) يكبر وهي تتابع خطواته بشدة. كل ما تحتاجه هو المساعدة في بعض الأحيان".

"(أتيكوس). أنت لم تضع يدك عليها أبداً".

"أنا أعترف بذلك. حتى الآن تمكنت من معالجة الأمر بالتهديد. (جاك)، هي تحترمني بقدر استطاعتها. وهي لا تستطيع أن تفعل ذلك طول الوقت، ولكنها تحاول".

قال العم (جاك): "هذا ليس حلاً".

"لا- الحل هو- أنها تعلم أنني أعلم أنها تحاول- هذا ما يصنع الفرق- ما يضايقني هو أنها و(جيم) سيضطران لاستيعاب بعض الأشياء السيئة في المستقبل القريب. أنا لست قلقاً على (جيم)، ولكن (سكاوت) ستتنقض بسرعة على أي شخص يهدد اعتدادها بنفسها...".

انتظرت العم (جاك) ليخل بوعده، ولكنه لم يفعل.

"(أتيكوس)، ما مدى سوء الوضع؟ لم نحظ بوقت كافٍ لندافع الأمر".

"لا يمكنه أن يكون أسوأ يا (جاك)- الشيء الوحيد الذي بحوزتنا هو كلمة رجل أسود ضد عائلة (إيويل). الدليل ينتهي عند 'أنت فعلتها'، و'لا لم أفعلها'. ليس من المتوقع من هيئة المحلفين أن تأخذ كلمة (توم روبنسون) أمام عائلة (إيويل) ... هل أنت ملم بعائلة (إيويل)؟".

قال العم (جاك) أنه يتذكركم، وقام بوصفهم، إلا أن (أتيكوس) قال: "أنت متخلف بجيل كامل. إلا أن الجيل الحالي مثل السابق".

"ما الذي ستفعله إذا؟".

"قبل أن أنتهي، أنوي أن أصدم هيئة المحلفين قليلاً... أظن أننا سنحظى بفرصة جيدة عند الاستئناف. من الصعب أن أحدد في هذه المرحلة. هل تعلم، لطالما تمنيت أن أقضي حياتي بدون قضية كهذه، إلا أن (جون تايلور) أشار نحوي وقال: أنت المنشود".

"لن تدع هذه الفرصة تمر أمامك؟".

"حسناً. هل تظن أنني يمكن أن أواجه أطفالي لو فعلت؟ أنت تعلم ما سيحدث تماماً كما أعلمه يا (جاك). أنا أتمنى وأدعو أن تتمكن من عبور الأمر بدون مرارة، وأهم شيء بدون أن نصاب بمرض (مايكومب) المزمن. لماذا يصاب الناس بالجنون الطاغي حينما يظهر شيء يخص زنجياً؟ هذا شيء لا أدعي أنني أفهمه... أنا فقط أرجو أن يأتي إليّ (جيم) و(سكاوت) بحثاً عن الإجابات بدل أن يستمعا للبلدة. أتمنى أن يثقوا بي... (جين لويس)؟".

وقف شعر رأسي. أطلت برأسي من وراء الزاوية. "سيدي؟".

"اخدي للنوم".

أسرعت إلى غرفتي وذهبت للسريير. العم (جاك) كان أميراً نبيلاً حينما لم يخذلني. ولكنني لم أتمكن من معرفة كيف عرف (أتيكوس) أنني كنت أتصنت. عرفت بعد عدة سنوات أنه كان يريدني أن أسمع كل كلمة كان يقولها.

## الفصل 10

(أتيكوس) كان ضعيفاً: كان يناهز الخمسين. حينما سألتناه لماذا كان كبيراً في السن لهذه الدرجة، أخبرنا أنه بدأ متأخراً، وقد أحسنا بذلك منعكساً على قدراته ورجولته. كان أكبر بكثير من آباء زملائنا في المدرسة، ولم يكن بإمكاننا أنا أو (جيم) أن نقول شيئاً حينما كان زملائنا يقولون: "والدك...".

كان (جيم) مجنوناً بحب الكرة. لم يكن (أتيكوس) يتعب من اللعب عن بعد، ولكن حينما يريد (جيم) مناوخته يقول: "أنا عجوز على ذلك يا بني".

لم يقم والدنا بفعل أي شيء ذي بال. كان يعمل في مكتب وليس صيدلية. (أتيكوس) لم يكن يقود سيارات نفايات البلدية، ولم يكن المأمور، ولم يكن مزارعاً، ولم يعمل في جراج، ولم يفعل أي شيء يمكن أن يثير إعجاب أي أحد.

وفوق ذلك كان يلبس النظارات. كان تقريباً لا يرى بعينه اليسرى، وقال أن عينه اليسرى هي لعنة عائلة (فينش). كلما أراد رؤية شيء بصورة واضحة فإنه يدير رأسه وينظر بعينه اليمنى.

لم يفعل شيئاً مما كان يفعله آباء زملائنا: لم يكن يذهب للصيد، ولم يكن يلعب البوكر أو يشرب الخمر أو يدخن. كان يجلس في غرفة المعيشة ويقرأ. ولكن رغم هذه الخصائص فهو لم يستمر متخفياً كما كنا نرجو: في تلك السنة كانت المدرسة تضج بخبر مدافعتة عن (توم روبنسون)، ولم يكونوا يقولون خيراً. بعد صدامي مع (سيسيل جاكوبز) حينما التزمت بسياسة الجبن، انتشرت شائعة أن (سكاوت فينش) لم يعد بمقدورها الشجار لأن أباه لم يدعها تفعل ذلك. هذا لم يكن صحيحاً تماماً: لم أكن لأتشاجر علناً لأجل (أتيكوس)، ولكن العائلة كانت خطأ أحمرأ. كنت سأصارع أي شخص من أقارب الدرجة الثالثة وما عداهم بالظفر والناب. (فرانسيس هانكوك) مثلاً عرف ذلك.

## قتل الطائر المحاكي

حينما أعطانا (أتيكوس) بندق الهواء، لم يعلمنا التصويب. العم (جاك) شرح لنا المبادئ وقال أن (أتيكوس) لم يكن مهتماً بالأسلحة. قال (أتيكوس) مخاطباً (جيم) في يوم من الأيام: "أفضل أن تقوم بإصابة علب الصفيح في الفناء الخلفية، ولكنني أعلم أنك ستصوب نحو الطيور. قم بإصابة طيور القيق الزرقاء كما تشاء، ولكن تذكر أن قتل الطائر المحاكي خطيئة".

كانت تلك المرة الوحيدة التي سمعت (أتيكوس) يقول أن فعل شيء ما خطيئة، وقد سألت الأنسة (مودي) عن ذلك.

قالت: "أبوك على حق. الطائر المحاكي لا يفعل شيئاً غير الإنشاد لإسعادنا. هو لا يأكل من حدائقنا ولا يعيش في أسر تناء ولا يفعل شيئاً سوى الغناء من قلبه لنا. لهذا فإن قتل الطائر المحاكي خطيئة".

"أنسة (مودي). هذه جيرة قديمة ليس كذلك؟"

"كانت هنا من قبل وجود البلدة".

"لا. أقصد أن الجيران في شارعنا كلهم عجائز. أنا و(جيم) الطفلان الوحيدان هنا. السيدة (دوبوس) تناهز المائة والآنسة (راشيل) كبيرة السن، وأنت كذلك، و(أتيكوس) أيضاً".

"لا. يمكنني أن أقول أن الخمسين كبيرة جداً". قالت الأنسة (مودي) بحدة. "لست مدفوعة على كرسي متحرك، أليس كذلك؟ وأبوك أيضاً. لكنني يجب أن أشكر العناية الإلهية لحرقتها ذلك الضريح القديم الذي كنت أقيم فيه. أنا أكبر سناً من أن أقوم بالعناية به... ربما تكونين محقة يا (جين لويس)، هذه جيرة قديمة. أنت لم تحتكي كثيراً بصغار السن، أليس كذلك؟"

"بلى سيدتي. في المدرسة".

"أعني شاباً بالغين. أنت محظوظة، أتعرفين ذلك؟ أنت و(جيم) لديكما ميزة عمر أبيكما. لو كان أبوك في الثلاثين كنت ستجدين الحياة مختلفة كلياً".

"بالتأكيد لا. (أتيكوس) سوف لن...".



قالت الأنسة (مودي): "سوف تتفاجئين. لا زالت بداخله قوة الحياة".

"ما الذي يمكن أن يفعله؟".

"حسناً. يمكنه أن يحكم وصية شخص ما فلا يستطيع أحد التدخل فيها كائناً من كان".

"اللعة...".

"حسناً. هل كنت تعلمين أنه أفضل لاعب شطرنج في البلدة؟ عندما كنا صغاراً في المزرعة كان (أتيكوس فينش) يستطيع التغلب على أي لاعب على ضفتي النهر".

"يا الهي. أنسة (مودي)، أنا و(جيم) نغلبه دائماً".

"ربما حان الوقت لتعلمي أنه كان يترككما تفوزان. هل كنت تعلمين أنه يستطيع عزف القيثارة؟".

هذا الإنجاز البسيط جعلني أكثر خجلاً منه.

"حسناً...". قالت الأنسة (مودي).

"حسناً... ماذا، يا أنسة (مودي)؟".

"لا شيء - لا شيء... يبدو أنك كنت فخورة به رغم كل هذا. لا يستطيع أي أحد عزف قيثارة. والآن احذري النجارين. من الأفضل أن تعودي لمنزلك. سوف أعتني بزهوري ولن أستطيع مراقبتك. احذري ألا تصطدمي بالخشب".

عدت لباحثنا الخلفية ووجدت (جيم) يصوب نحو علبة صفيح، ما بدا سخيلاً مع كل الطيور المحلقة بالجوار. عدت للفناء الأمامي وشغلت نفسي لمدة ساعتين ببناء متاريس معقدة على جانب الشرفة، تتكون من إطار وصندوق برتقالي

## قتل الطائر المحاكي

وإطار نشر الغسيل وكراسي الشرفة وعلم أمريكي صغير أعطانيه (جيم) من داخل علبة قشار.

حينما عاد (أتيكوس) للعشاء وجدني رابضة أصوب بندقيتي عبر الشارع. "ما الذي تصوبين نحوه؟".

"مؤخرة الأنسة (مودي)".

التفت (أتيكوس) ورأى هدفي العظيم منحنياً فوق زهورها. دفع قبعته للوراء وعبر الشارع منادياً: "(مودي). فكرت أنه من الأفضل أن أحذرك. أنت في خطر عظيم".

اعتذلت الأنسة (مودي) ونظرت نحوي وقالت: "(أتيكوس). أنت شيطان من الجحيم".

حينما عاد (أتيكوس) أخبرني أن أترك ما فعله. "لا أريد أن أراك تصوبين هذا السلاح نحو أحدهم مرة أخرى".

تمنيت لو كان والدي شيطاناً من الجحيم. سألت (كالبورنيا) حول الموضوع. "السيد (فينش)؟ حسناً، يمكنه فعل العديد من الأشياء".

سألته: "مثل ماذا؟".

حكّت (كالبورنيا) رأسها وقالت: "حسناً، أنا لا أعلم بالتحديد".

أكد (جيم) الأمر حينما سأل (أتيكوس) إن كان سيخرج ليلعب الميثوديين وقال (أتيكوس) أنه سيكسر رقبتة إن فعل ذلك لأنه كان كبيراً للغاية على هذا اللعب. الميثوديين كانوا يحاولون دفع رهن كنيستهم، وقد تحدوا المعداديين لمباراة كرة قدم. جميع الآباء في البلدة كانوا منضمين للعبة ما عدا (أتيكوس). قال (جيم) أنه نفسه لم يكن يرغب في الذهاب، ولكنه لا يستطيع مقاومة كرة القدم في أي صورة من الصور، ووقف بكآبة على خط الجانب ومعه أنا و(أتيكوس) نشاهد والد (سيسل جاكوبز) يسجل الأهداف للمعداديين.

في أحد أيام السبت قررنا أنا و(جيم) أن نذهب بينادقنا لنرى إن كان يمكننا أن نجد أرنباً أو سنجابياً نصطاده. سرنا حوالي 500 ياردة بعد منزل (رادلي) حينما انتهت إلى أن (جيم) يحملق في شئ أسفل الشارع. كان قد أدار رأسه لجانب وراح ينظر بطرف عينه.

"ما الذي تنظر إليه؟".

أجابني: "ذلك الكلب العجوز".

"هذا (تيم جونسون) العجوز، أليس كذلك؟".

"إنه هو".

كان (تيم جونسون) ملكية السيد (هاري جونسون) والذي كان يقود باص (موبيل) ويعيش في الجزء الجنوبي من البلدة. كان (تيم) كلب صيد بني اللون. كان حيوان (مايكومب) الأليف.

"ما الذي يفعله؟".

"لا أعلم يا (سكاوت). من الأفضل أن نعود للمنزل".

"لا يا (جيم). إنه فبراير".

"لا يعني ذلك. سوف أخبر (كال)".

تسابقنا نحو المنزل وجرينا إلى المطبخ.

قال (جيم): "(كال)، هل يمكنك المجئ معنا للرصيف لحظة؟".

"لماذا يا (جيم)؟ لا يمكنني أن آتي للرصيف كلما أردتما ذلك".

"هناك خطب ما أصاب كلباً عجوزاً في الخارج".

## قتل الطائر المحاكي

تتهدت (كالبورنيا). "لا يمكنني أن ألق قدم أي كلب الآن. هناك بعض الشاش في الحمام، اذهباً وأحضراه وضمداه بنفسيكما".

هز (جيم) رأسه. "إنه مريض يا (كال). هناك خطب ما أصابه".

"ما الذي يفعله؟ يحاول القبض على ذيله؟".

"لا. إنه يفعل هكذا".

قام (جيم) بالبلع كالمسكة الذهبية وحدث ظهره وجعل جسمه يرتعش. "إنه يفعل هكذا. إلا أنه لا يفعله عن قصد".

تصلب صوت (كالبورنيا) وهي تقول: "هل تؤلف لي قصة يا (جيم فينش)؟".

"لا يا (كال)، أنا أقسم أنني لا أفعل".

"هل كان يجري؟".

"لا... إنه يزحف بالجوارء ببطء شديد حتى أنك لن تلاحظيه. إنه قادم بهذا الاتجاه".

غسلت (كالبورنيا) يديها وتبعث (جيم) إلى الفناء ثم قالت: "لا أرى أي كلب".

تبعثنا (كال) إلى ما بعد منزل (رادلي) ونظرت حيث أشار (جيم). بدا (تيم جونسون) كنقطة على البعد، ولكنه كان متجهاً إلينا الآن. كان يسير بطريقة عشوائية وكأن رجليه على الجهة اليمنى كانتا أقصر من اليسرى. منظره كان يشبه سيارة منغرزة في الرمل.

قال (جيم): "إنه غير متوازن".

حدقت (كالبورنيا) لحظة ثم أمسكتنا من أكتافنا وجرت بنا نحو المنزل. أغلقت الباب خلفنا وجرت نحو الهاتف وصاحت فيه: "صلني بمكتب السيد (فينش)!".

"سيد (فينش)!!". صاحت مرة أخرى. "هذه (كال). أنا أقسم أنه يوجد كلب مسعور في الشارع وهو قادم في هذا الاتجاه... نعم، سيدي، إنه... سيد (فينش)، أنا أعلمك أنه... (توم جونسون) العجوز، نعم سيدي... نعم سيدي... نعم...".

أغلقت السماعة ثم هزت رأسها حينما سألتها ما الذي قاله (أنيكوس). قامت بضغط كلاب الهاتف عدة مرات وقالت: "آنسة (إيولا ماي)... سيدي، لقد كنت أتحدث مع السيد (فينش)، لا تصليني به رجاء... اسمعي يا آنسة (إيولا ماي)، هل يمكنك أن تتصلي بالآنسة (راشيل) والآنسة (ستيفاني كراوفورد) وكل من لديه هاتف في هذا الشارع وتخبريهم أن هناك كلباً مسعوراً قداماً؟ أرجوك سيدي!!".

استمعت (كالبورنيا) للهاتف. "أنا أعلم أنه فبراير يا آنسة (إيولا ماي)، ولكنني أعرف الكلب المسعور حينما أرى واحداً. أرجوك سيدي أسرع!!".

سألت (كالبورنيا) (جيم): "هل يملك آل (رادلي) هاتفاً؟".

بحث (جيم) في الدليل ثم قال لا. "هم لن يخرجوا في جميع الأحوال يا (كال)".

"لا يهمني ذلك. سوف أقوم بإخبارهم".

ركضت نحو الشرفة الأمامية وأنا و(جيم) خلفها. صاحت بنا: "ابقيا داخل المنزل!!".

كانت رسالة (كالبورنيا) قد بلغت الجيرة. كل الأبواب الخشبية في مجال رؤيتنا كانت مغلقة بإحكام. لم نر أثراً لـ(تيم جونسون). رأينا (كالبورنيا) تجري نحو منزل (رادلي) رافعة تنورتها ومنزرها فوق ركبتيها. صعدت الدرجات الأمامية وطرقت الباب. لم يجبها أحد فصاحت: "سيد (ناثان)، سيد (آرثر)، يوجد كلب مسعور قادم! كلب مسعور قادم!!".

قلت لـ(جيم): "يجب أن تدور من الخلف".

هز رأسه وقال: "ليس هناك أي فرق الآن".

راحت (كالبورنيا) تضرب الباب بلا جدوى. لم يشكرها أحد على تحذيرها. لم يبد أن أحداً قد سمع التحذير.

بينما راحت (كالبورنيا) تركض نحو الشرفة الخلفية، وقفت سيارة (فورد) سوداء في المدخل ونزل منها (أتيكوس) والسيد (هيك تايت).

السيد (هيك تايت) كان مأمور مقاطعة (مايكومب). كان بنفس طول (أتيكوس) ولكنه أنحف. كان أنفه طويلاً، وكان يلبس حذاء طويل الرقبة بمقدمة حديدية لامعة، وبنطالاً مناسباً للحذاء، وسترة حطاب. كان لديه صف من الرصاصات معلقاً على حزامه، وكان يحمل بندقية ثقيلة. حينما وصل هو و(أتيكوس) للشرفة، فتح (جيم) الباب.

قال (أتيكوس): "ابق بالداخل يا بني. أين هو يا (كال)؟".

"يجب أن يكون قد وصل الآن". قالت (كالبورنيا) وهي تشير أسفل الشارع.

سأل السيد (تايت): "إنه لا يعدو، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدي. إنه في مرحلة الارتجاج يا سيد (هيك)".

سأل (أتيكوس): "هل نقوم بمطاردته يا (هيك)؟".

"من الأفضل أن ننتظر يا سيد (فينش). إنهم يسيرون عادة في خط مستقيم ولكن لا يمكنك أن تتأكد دائماً. ربما يتابع المنحنى، أتمنى أن يفعل. وإلا سيدخل مباشرة في فناء (رادلي) الخلفي. فلننتظر دقيقة".

قال (أتيكوس): "لا أعتقد أنه سيدخل فناء (رادلي). السياج سيوقفه. على الأرجح أنه سوف يتابع السير في الطريق...".

كنت أظن الكلاب المسعورة تزبد من فمها وتقفز وتعدو وتقرش الحلق، وكنت أظنها تفعل ذلك في أغسطس. لو كان (تيم جونسون) يتصرف كذلك لكنت أقل ذعراً.

ليس هناك شيء قاتل أكثر من شارع صامت مهجور. الأشجار كانت لا تتحرك، الطيور المحاكية كانت صامتة، والنجارون في منزل الأنسة (مودي) كانوا قد اختفوا. سمعت السيد (تايت) يستنشق ثم ينفخ أنفه. رأيتة يحول بندقيته إلى ذراع. رأيت وجه الأنسة (ستيفاني كراوفورد) في إطار زجاجي من نافذة بابها الأمامي. جاءت الأنسة (مودي) ووقفت جوارها. وضع (أتيكوس) قدمه على درجة الكرسي وراح يحك يده ببطء على جانب فخذه.

"ها هو ذا". قالها بهدوء.

ظهر (تيم جونسون) في مدى الرؤية. كان يسير مذهباً في الطرف الداخلي للمنحنى، موازياً منزل (رادلي).

همس (جيم): "انظري إليه. السيد (هيك) قال أنهم يسرون في خط مستقيم. هو لا يستطيع حتى أن يظل على الطريق".

قلت له: "إنه يبدو مريضاً أكثر من أي شيء آخر".

"ضعي أي شيء أمامه وسوف يأتي نحوه مباشرة".

وضع السيد (تايت) يده أمام جبهته ومال للأمام. "هو مسعور بالتأكيد يا سيد (فينش)".

كان (تيم جونسون) يتقدم بسرعة السلحفاة، ولكنه لم يكن يلهو أو يتشمم أوراق الأشجار: كان يبدو مصمماً على هدف واحد، تحفزه قوة خفية تدفعه نحونا. كنا نراه يرتجف كحصان ينفذ الذباب عن نفسه، كان فكه يفتح ويقفل بألية، كان ضائعاً ولكنه كان ينحدر تدريجياً نحونا.

قال (جيم): "إنه يبحث عن مكان يموت فيه".

التفت السيد (تايت): "إنه لا زال حياً يا (جيم)، وهو لم يبدأ بعد".

وصل (تيم جونسون) إلى الشارع الجانبي الذي يجري أمام منزل (رادلي)، ويبدو أن ما تبقى من عقله جعله يقف ويفكر في أي اتجاه سيسلكه. اتخذ عدة خطوات مترددة وتوقف أمام بوابة (رادلي)، ثم حاول الاستدارة بصعوبة.

قال (أتيكوس): "إنه في مدى الإصابة يا (هيك). من الأفضل أن تصيبه قبل أن يسلك الطريق الجانبي... الرب وحده يعلم من سيكون موجوداً حول الزاوية. اذهبي للداخل يا (كال)".

فتحت (كالبورنيا) الباب الشبكي، ثم أغلقت المزلاج، ثم فتحت المزلاج وأمسكت به. كانت تحاول أن تحميني أنا و(جيم) بجسدها، ولكننا رحنا ننظر من تحت ذراعها.

"قم بإصابته يا سيد (فينش)". ناول السيد (تايت) البندقية لـ(أتيكوس). كدنا نصاب بالإغماء أنا و(جيم).

قال (أتيكوس): "لا تضع الوقت يا (هيك). هيا أسرع".

"سيد (فينش). هذه مهمة تستوجب طلقة واحدة فقط".

هز (أتيكوس) رأسه بقوة. "لا تقف ساكناً يا (هيك). هو لن ينتظر طوال اليوم...".

"بحق الرب يا سيد (فينش)، انظر إليه أين هو! لو أخطأت التصويب فسوف أصيب منزل (رادلي)! أنا لا أجيد التصويب لهذه الدرجة وأنت تعلم ذلك!".

"أنا لم أطلق النار منذ ثلاثين سنة...".

قام السيد (تايت) بإلقاء البندقية إلى (أتيكوس). "سوف أشعر براحة بالغة لو أطلقت النار الآن".

بعيون ضبابية، شاهدنا أنا و(جيم) والدنا يحمل البندقية ويسير حتى منتصف الشارع. كان يسير بسرعة، ولكننا أحسنا أنه يتحرك كسباح تحت الماء: الزمن قد تباطأ وأصبح يزحف بصورة مثيرة للغثيان.



حينما رفع (أتيكوس) نظارته تمتمت (كالبورنيا): "فلتساعده أيها الرب".  
ووضعت يديها على خديها.

دفع (أتيكوس) نظارته أعلى جبهته، ولكنها سقطت، فقام بإلقائها على الشارع،  
وسمعتها تتكسر في الصمت المحيط بنا. فرك (أتيكوس) عينيه وذقنه، ورأيناه  
يرمش بقوة.

أمام بوابة (رادلي)، كان ما تبقى من (تيم جونسون) يقف على قدميه. كان قد  
تمكن من الدوران ليوصل مساره الأول نحونا. خطا خطوتين للأمام، ثم توقف  
ورفع رأسه. رأينا جسده يتصلب.

بحركات سلسلة للغاية حتى أنها بدت متزامنة في آن واحد، جذب (أتيكوس)  
رافعة معدنية بيده ثم وضع البندقية على كتفه.

انطلقت البندقية. قفز (تيم جونسون) وانقلب على جانبه ثم انهار على الممشى  
في كومة اختلط فيها اللونان البني والأبيض. المسكين لم يدر ما أصابه.

قفز السيد (تايت) من الشرفة وجرى نحو منزل (رادلي). توقف أمام الكلب، ثم  
ربض، ثم التفت نحونا ونقر أصبعه على جبهته أعلى العين اليسرى ونادى:  
"انحرفت قليلاً نحو اليمين يا سيد (فينش)".

أجاب (أتيكوس): "اطالما فعلت ذلك. لو كان لدي خيار لاخترت بندقية صيد".

انحنى (أتيكوس) ورفع نظارته، ثم سحق العدسات المكسورة بكعب حدائه  
وسار نحو السيد (تايت) ووقف ينظر نحو (تيم جونسون).

بدأت الأبواب تنفتح واحداً بعد الآخر، وعادت الجيرة للحياة تدريجياً. نزلت  
الآنسة (مودي) الدرج ترافقها الآنسة (ستيفاني كراوفورد).

كان (جيم) مشلولاً. قرصته لأجعله يتحرك، ولكن حينما رأنا (أتيكوس) قادمين  
صاح بنا: "ابقيا مكانكما".

## قتل الطائر المحاكي

حينما عاد السيد (تايت) و(أتيكوس) للفناء، كان السيد (تايت) مبتسماً وقال: "سوف أجعل (زيبو) ينظف المكان. أنت لم تنس الكثير يا سيد (فينش). يقولون أن المهارة لا تفارق الإنسان أبداً".

كان (أتيكوس) صامتاً.

قال (جيم): " (أتيكوس)؟".

"نعم؟".

"لا شيء".

"لقد رأيت ذلك، يا (فينش) الطلقة الواحدة!".

دار (أتيكوس) حول نفسه وواجه الأنسة (مودي). نظرا نحو بعضهما البعض بدون أن يقولوا أي كلمة، ثم ركب (أتيكوس) سيارة المأمور. "تعال هنا". قالها مخاطباً (جيم): "لا تذهب ناحية ذلك الكلب، أفهم؟ لا تذهب ناحيته. إنه خطير وهو ميت كما كان وهو حي".

قال (جيم): "حاضر سيدي. (أتيكوس)...".

"ماذا يا بني؟".

"لا شيء".

"ما بك يا فتى، ألا تستطيع التحدث؟". قال السيد (تايت)، مبتسماً في وجه (جيم). "ألم تكن تعلم أن أباك...".

قاطعه (أتيكوس): "اصمت يا (هيك). هيا بنا للبلدة".

بعدها تحركت السيارة مبتعدة، ذهبت أنا و(جيم) لدرج السيدة (ستيفاني) الأمامي. جلسنا منتظرين (زيبو) ليصل في عربة نقل القمامة.

## قتل الطائر المحاكي

جلس (جيم) في حيرة كالمخدر، وقالت الأنسة (ستيفاني): "أوه، أوه. من كان يفكر في أن يرى كلباً مسعوراً في فبراير؟ ربما لم يكن مسعوراً، ربما كان فقط مجنوناً. لن أحبذ رؤية وجه (هاري جونسون) حينما يعود من (موبيل) ويجد أن (أتيكوس فينش) قد أردى كلبه. ولكن الكلب كان ممثلاً بالبعوض من مكان ما...".

قالت الأنسة (مودي) أن الأنسة (ستيفاني) كانت ستغني نغمة أخرى لو كان (تيم جونسون) ما زال قادماً أعلى الشارع، وقالت أننا سنعلم قريباً الحقيقة إذ أنهم سيرسلون رأسه إلى (مونتجمري) لتشريحه.

تمكن (جيم) من الكلام بصعوبة: "هل ترينه يا (سكاوت)؟ هل ترينه واقفاً هناك؟... ثم فجأة وبدون مقدمات استرخى جسده تماماً، وبدا كأن البندقية صارت جزءاً منه... وفعلها بسرعة شديدة وكأن... أنا أحتاج للتصويب لعشرة دقائق قبل أن أتمكن من إصابة شيء...".

ابتسمت الأنسة (مودي) ابتسامة شريرة: "والآن يا أنسة (جين لويس). هل لا زلت تظنين أن أباك لا يستطيع فعل أي شيء؟ هل لا زلت محرجة منه؟".

"لا". قلت بخنوع.

"نسيت أن أخبرك في ذلك اليوم أنه بالإضافة لعزفه القيثارة، فإن (أتيكوس فينش) كان أوبرع رام في مقاطعة (مايكومب) في زمانه".

"أوبرع رام...". ردد (جيم).

"هذا ما قلته يا (جيم فينش). أظنك ستغير نغمتك الآن. الفكرة نفسها، أنك لم تكن تعلم أن لقبه كان (الطلقة الواحدة) عندما كان صغيراً؟ حينما كان في المزرعة وكان يطلق الرصاص خمسة عشر مرة، إذا أصاب أربع عشرة حمامة فسوف يتذمر من الرصاص الضائعة".

تمتم (جيم): "هو لم يقل أي شيء عن الموضوع".

"لم يقل شيئاً عن الموضوع، أليس كذلك؟".

"لا سيدتي".

قلت أنا: "أتساءل لم لا يذهب للصيد مجدداً؟".

قالت الأنسة (مودي): "ربما أتمكن انا من إخبارك. لو كان أبوك أي شيء، فهو شخص متحضر في داخله. إجادة التصويب هبة من الرب، موهبة - بالطبع يجب عليك أن تصقلها لتتقنها، ولكن الرمي شيء مختلف عن عزف البيانو. أعتقد أنه قرر وضع السلاح حينما اكتشف أن الرب قد أعطاه تميزاً غير عادل على الكائنات الحية الأخرى. أظن أنه قرر أنه لن يطلق النار مجدداً إلا إن اضطر لذلك، وقد اضطر لذلك اليوم".

قلت: "يبدو أنه يجب أن يكون فخوراً بذلك".

"الأشخاص العاقلون لا يفخرون بموهبتهم". قالت الأنسة (مودي). بعدها رأينا (زيبو) يصل في العربة. قام بحمل مذراة من مؤخرة عربة النفاية وبحذر شديد رفع (تيم جونسون). قام برمي الكلب في مؤخرة العربة ثم صب جالوناً ما على المنطقة التي كان (تيم) مسجياً عندها. صاح بنا: "لا تقتربوا من هذه المنطقة حالياً".

حينما عدنا للمنزل أخبرت (جيم) أنه سيكون لدينا موضوع لنتحدث عنه في المدرسة يوم الاثنين. التفت إلي (جيم) وقال: "لا تنطقي أي كلمة حول الموضوع يا (سكاوت)".

"لماذا؟ بالتأكيد سوف أفعل. ليس جميع الآباء أفضل رماة في مقاطعة (مايكومب)".

قال (جيم): "أظن أنه لو كان يريدنا أن نعلم ذلك لأخبرنا بنفسه. لو كان فخوراً بذلك لأخبرنا بنفسه".

قلت له: "ربما نسي الموضوع".

"لا يلا (سكاوت) ، هذا شئ لن تتمكني من فهمه- (أتيكوس) كبير- السن ، ولكنني لا أهتم إن لم يكن يستطيع فعل أي شئ... لا يهمني إن لم يكن يستطيع فعل شئ مبارك".

التقط (جيم) حجراً ورماه بجذل نحو مخزن السيارة. صاح بي وهو يجري متابعاً الحجر: "(أتيكوس) سيد نبيل. مثلي بالضبط!".

## الفصل 11

حينما كنا صغاراً أنا و(جيم)، كنا نحصر أنشطتنا في الجزء الجنوبي من الحي. ولكن حينما صرت في الصف الثاني من المدرسة وفقد تعذيب (بورادلي) رونقه، فإن الجزء التجاري من (مايكومب) كان كثيراً ما يجذبنا أعلى الشارع إلى أبعد من ملكية السيدة (هنري لافاييت دوبوس). كان من المستحيل الذهاب للبلدة بدون المرور على منزلها إلا لو كنا نرغب في السير لميل كامل بعيداً عن وجهتنا. لقاءتنا المختصرة معها من قبل جعلتني لا أرغب في المزيد، إلا أن (جيم) كان يقول أنني يجب أن أكبر في بعض الأحيان.

كانت السيدة (دوبوس) تعيش وحيدة - باستثناء الفتاة الزنجية دائمة الحضور معها - على بعد منزلين منا، في منزل عالي الدرج وبهو تمرح فيه الكلاب. كانت عجوزاً للغاية، وكانت تقضي أغلب ساعات اليوم في السرير والبقية على كرسي متحرك. الشائعة كانت تقول أنها تبقي مسدساً مخفياً تحت شالاتها المتعددة وأعطيتها.

كنا أنا و(جيم) نكرهها. لو مررنا وكانت هي على الشرفة فإنها تحرقنا بنظرتها الغاضبة، وتعرضنا لتحقيق لا يرحم حول تصرفاتنا، وتعطينا توقعات كئيبة لما سنصير إليه حينما نكون، وهو (لا شيء). كنا تركنا فكرة أن نسير أمام منزلها في الجهة الأخرى من الشارع، لأنها كانت ترفع صوتها وتجعل الجيران كلهم يسمعون ما تقول.

لم يكن يمكن أن نفعل أي شيء لإسعادها. لو قلت بكل ما أمكنني من مرح: "مرحباً سيدة (دوبوس)"، فسوف أتلقي الإجابة: "لا ترحبي بي أيتها الفتاة القبيحة! قلولي مساء الخير يا سيدة (دوبوس)!".

كانت وحشية وخبيثة. في مرة سمعت (جيم) يتحدث عن والدنا ويقول عنه (أتيكوس)، وكان رد فعلها أسطورياً. عدا كوننا أكثر المغفلين الذين يمرون بها وقاحة وعدم احترام، فقد أخبرتنا أيضاً أنه مما يثير الشفقة أن والدنا لم يتزوج

بعد وفاة أمنا. قالت أنه لم توجد سيدة أكثر لطفاً من أمنا، وأنه مما يفطر القلب أن (أتيكوس فينش) كان يدع أبناءه يسرون على هواهم. لم أكن أتذكر أمنا ولكن (جيم) كان يتذكرها – فقد حكى لي عنها من قبل – وقد تفجر غاضباً حينما صاحت السيدة (دوبوس) بذلك.

(جيم) الذي نجا من (بو رادلي)، ومن كلب مسعور، ومن مخاطر أخرى، كان قد خلص إلى أنه من الجبن الوقوف والانتظار على درج الأنسة (راشيل)، وأصدر بياناً نصه أننا يجب أن نجري حتى ركن مكتب البريد في كل مساء لنقابل (أتيكوس) وهو عائد من العمل. في أمسيات كثيرة كان (أتيكوس) يجد (جيم) ثائراً بسبب شئ قالته السيدة (دوبوس) حينما مررنا بها.

كان (أتيكوس) يقول: "على رسلك يا بني. إنها سيدة عجوز وهي مريضة. فقط ارفع رأسك وكن سيداً نبيلاً. مهما كان ما تقوله لك، فمهمتك ألا تتركها تغضبك". كان (جيم) يقول أن صراخها لم يكن يدل على أنها مريضة جداً. حينما نمر بمنزلها كان (أتيكوس) يرفع قبعته، ثم يلوح لها بشهامة ويقول: "مساء الخير يا سيدة (دوبوس)! أنت تبدين كلوحة في هذه الأمسية".

لم أسمع (أتيكوس) أبداً يحدد أي نوع من اللوحات كانت. كان يخبرها بأحوال المحكمة، ثم يقول أنه يتمنى من كل قلبه أن تصبح بخير غداً. كان يعيد قبعته على رأسه، ثم يطوحنى على كتفيه أمام عينيها، ومن ثم نعود للمنزل مع الشفق. في لحظات كهذه كنت أفكر أن أبي، الذي كان يكره الأسلحة ولم يذهب لأي حرب من قبل، كان أشجع رجل عاش على وجه الأرض.

في اليوم التالي لعيد ميلاد (جيم) الثاني عشر، كان (جيم) يتحرق شوقاً لأصرف أمواله، فاتجهنا للبلدة عصراً. ظن (جيم) أن لديه ما يكفي من المال لشراء آلة بخارية مصغرة لنفسه وعصا دوارة لي.

كنت أرغب في هذه العصا لفترة طويلة: كانت في متجر (في جي إلمور)، وكانت مزينة بالترتر والخيوط الفضية اللامعة، وكان سعرها سبعة عشر سنتاً. في ذلك الوقت كنت أتحرق شوقاً لأكبر وأدير العصا بفرقة مدرسة مقاطعة (مايكومب) الثانوية. بما أنني كنت قد طورت موهبتي لدرجة أن أطوح العصا في الهواء ثم أمسكها وهي تسقط، فإن (كالبورنيا) كانت تمنعني من دخول

## قتل الطائر المحاكي

المنزل حينما كانت تراني أحمل عصا في يدي. كنت أحس أنني يمكنني التغلب على عجز موهبتي باستخدام عصا دوارة حقيقية، وكنت أظن (جيم) كريماً جداً بشرائه لي واحدة.

السيدة (دوبوس) كانت جالسة على شرفتها حينما مررنا بها.

صاحت بنا: "ما الذي تفعلانه أنتما الاثنان في هذا الوقت من اليوم؟. تنهربان من المدرسة كما أعتقد. سوف أتصل بالمدير وأخبره!". ثم وضعت يديها على عجلات كرسيها المتحرك ونظرت إلينا بوجه متجهم.

قال (جيم): "أوه. إنه يوم السبت يا سيدة (دوبوس)".

قالت بغموض: "ليس هناك فرق إن كان يوم السبت. أتساءل إن كان والدكما يعلم أين أنتما؟".

"سيدة (دوبوس). لقد تعودنا الذهاب للبلدة بأنفسنا منذ أن كنا بهذا الطول". قالها (جيم) وهو ينزل راحته لارتفاع قدمين فوق الرصيف.

صاحت السيدة: "لا تكذب علي يا (جيريمي فينش)!. لقد أخبرتني (مودي أتكينسون) أنك كسرت شجرة العنب الخاصة بها هذا الصباح. سوف تقوم بإخبار والدك وعندها ستتمنى لو أنك لم تولد! لو لم يتم إرسالك للإصلاحية بحلول الأسبوع القادم فإن اسمي لن يكون (دوبوس)!".

(جيم)، الذي لم يقترب من شجرة عنب الأنسة (مودي) منذ الصيف الماضي، والذي كان يعلم أن الأنسة (مودي) لم تكن لتخبر (أتيكوس) حتى إن فعل، أصدر إنكاراً عاماً.

"لا- تتجرأ علي- معارضتي!". زعقت السيدة (دوبوس)، ثم أشارت بإصبعها المصاب بالتهاب المفاصل نحوي. "وأنت. ماذا تفعلين في ملابس العمل هذه؟ يجب أن تكوني مرتدية فستاناً وقميصاً قصيراً أيتها السيدة اليافعة! سوف تكبرين لتصبحي نادلة إن لم يتدخل أحدهم ليغير أسلوبك... فرد من عائلة (فينش) يعمل نادلاً في مقهى (أو كي)... هاه!".



أصبت بالرعب. مهى (أو كي) كان منظمة باهتة المعالم في شمال المنطقة. أمسكت بيد (جيم) ولكنه هزني لأتركه.

همس لي: "هيا بنا يا (سكاوت). لا تلقي لها بالاً. فقط أبق رأسك عالياً وتصرف كسيد نبيل".

ولكن السيدة (دوبوس) قامت بعرقلتنا: "لا يكفي فرد واحد من عائلة (فينش) يعمل نادلاً، بل إن الآخر في المحكمة يدافع عن الزنوج!".

تصلب (جيم). أصابت السيدة (دوبوس) مقتلاً وكانت تعلم ذلك بالضبط. "حقاً. ما الذي يحدث في العالم حينما يقوم فرد (فينش) بالتكر لتربيته؟ سوف أخبرك أنا!". قامت بوضع يدها على فمها، وحينما أبعدها كانت تجر وراءها خيطاً فضياً طويلاً من اللعاب. "أبوك ليس أفضل من الزنوج القذرين الذين يعمل لديهم!".

كان لون (جيم) قرمزيًا. جذبت كمه وسرنا على الرصيف متبوعين بخطبة حول الانحدار الأخلاقي لعائلتنا، والتي كانت تركز على أن نصف آل (فينش) كانوا في المصحّة، ولكن لو كانت أمانة لما كنا سنصل لهذه المرحلة.

لست متأكدة ما هو أكثر شيء أثار استياء (جيم)، ولكنني امتعضت من تحليل السيدة (دوبوس) لصحة عائلتنا العقلية. لقد أصبحت شبه متعودة على سماع الإهانات الموجهة إلى (أتيكوس)، ولكن هذه كانت المرة الأولى التي تأتي فيها من شخص بالغ. باستثناء تعليقاتها حول (أتيكوس)، كان هجوم السيدة (دوبوس) متعوداً. كانت هناك لمحة صيف في الهواء – الظل كان بارداً، والشمس كانت دافئة، مما كان يعني أن هناك أوقاتاً جيدة قادمة: لا توجد مدرسة و(ديل) سيأتي.

اشترى (جيم) آله البخارية وذهبنا لمتجر (إيلمور) لشراء عصاتي. لم يبد على (جيم) الاستمتاع بما حصل عليه، وإنما حشرها في جيبه وسار صامتاً جوارى نحو المنزل. في الطريق نحو المنزل كدت أصطدم بالسيد (لينك دياس) والذي قال: "حاذري يا (سكاوت)!", وحينما اقتربنا من منزل السيدة (دوبوس) كانت

عصاتي متسخة من كثرة ما أسقطتها في الوحل. لم تكن السيدة (دوبوس) على الشرفة.

في السنوات التالية، كنت أفكر أحياناً في السبب الذي جعل (جيم) يكسر قيد "كن سيداً نبيلاً يا بني" ويتجاوز مرحلة الاستقامة الواعية التي دخلها مؤخراً. على الأرجح أن (جيم) قد سمع كمية من الهراء حول كون (أتيكوس) يدافع عن الزوج مثلما سمعت أنا، وكنت متأكدة من أنه حافظ على رباطة جأشه – كان ذا طبع هادئ وكان بطيء الانفعال. لكنني في ذلك الوقت فكرت أن التفسير الوحيد لما فعله هو أنه قد فقد عقله لدقائق معدودة.

ما فعله (جيم) هو ما كنت سأفعله بطبيعة الحال ما لم يكن (أتيكوس) قد حرم علي ذلك، وهو الشجار مع السيدات العجائز. كنا قد وصلنا لبوابة دارها حينما اختطف (جيم) عصاتي وراح يقفز الدرج نحو فناء السيدة (دوبوس) الأمامي، ناسياً كل ما قاله (أتيكوس)، ناسياً أنها تحمل مسدساً تحت شالاتها، ناسياً أن السيدة (دوبوس) إن أخطأت التصويب فإن فتاتها (جيسي) لن تخطئ.

لم يهدأ حتى قطع رؤوس جميع أزهار الكاميليا التي تملكها السيدة (دوبوس)، وحتى تغطت الأرض بالبراعم والأوراق الخضراء. قام بعدها بكسر عصاتي على ركبته وإلقائها على الأرض.

في ذلك الوقت كنت أصرخ. جذب (جيم) شعري وقال أنه لا يهتم، وأنه سيفعلها مرة أخرى إن واثته الفرصة، وأني إن لم أصمت فسوف يجذب كل شعرة في فروة رأسي ليقطعها. لم أصمت فقام بركلي. فقدت توازني ووقعت على وجهي. رفعتني (جيم) بقسوة ولكنه كان متأسفاً. لم يكن هناك ما يقال. لم نرغب بمواجهة (أتيكوس) في تلك الليلة فتوارينا في المطبخ حتى طردتنا (كالبورنيا) خارجاً. بطريقة ما، ربما السحر الأسود، كان يبدو أن (كالبورنيا) تعلم ما حدث. لم تكن تحسن تسكين الألم، ولكنها أعطت (جيم) بسكويئاً مغطى بالزبدة الدافئة، فقام بمشاركته معي. كان طعمه كالقطن.

ذهبنا إلى غرفة المعيشة. حملت مجلة كرة قدم ووجدت عليها صورة (ديكسي هويل) فأريتها لـ(جيم) وقلت: "هذا يبدو مثلك". كان هذا ألطف ما فكرت بقوله

## قتل الطائر المحاكي

له ولكنه لم يهتم. جلس جوار النافذة وانحنى جالساً على كرسي هزاز، مقطب الوجه ومنتظراً بينما اختفى ضوء النهار.

بعد عمر طويل، سمعنا خفي (أتيكوس) يكشطان الدرج الأمامي. أغلق الباب الأمامي واستمر الصمت لفترة قصيرة – كان (أتيكوس) عند مشجب القبعات في البهو – سمعناه ينادي: "جيم!". كان صوته مثل هدير رياح الشتاء.

أضاء (أتيكوس) مصباح السقف في غرفة المعيشة، ورأنا متجمدين هناك. كان يحمل عصاتي في إحدى يديه، وقد سقطت زينتها الصفراء المتسخة على السجادة. رفع يده الأخرى والتي كانت تحمل براعم الكاميليا.

سأل: "جيم). هل أنت مسئول عن هذا؟".

"نعم سيدي".

"لماذا فعلت ذلك؟".

قال (جيم) بهدوء: "قالت أنك تدافع عن الزنوج والحيثية".

"فعلت هذا لأنها قالت ذلك؟".

تحركت شفقتا (جيم) ولكن عبارته لم تكن مسموعة. "نعم سيدي".

"بني. أنا متأكد من أنك قد تمت مضايقتك من قبل زملائك بسبب موضوع مدافعتي عن الزنوج، كما تقول، ولكن أن تفعل شيئاً كهذا لسيدة عجوز مريضة فإن هذا أمر لا يغتفر. أنا أنصحك بشدة أن تذهب لمنزل السيدة (دوبوس) وتتحدث معها، ثم تعود مباشرة للمنزل".

لم يتحرك (جيم) من مكانه.

"لقد أخبرتك أن تذهب".

تابعت (جيم) خارج غرفة المعيشة. "عودي إلى هنا". ناداني (أتيكوس) فعدت للداخل.

التقط (أتيكوس) جريدة (موبيل) وجلس على المقعد الهزاز الذي غادره (جيم). لم أستطع أن أستوعب كيف يمكنه الجلوس هناك بمنتهى البرود وقراءة الجريدة بينما كان هناك احتمال ممتاز أن يتم قتل ابنه على يد رفات جثة من جيش التحالف. بالطبع كان (جيم) يعارضني أحياناً لدرجة أنني أرغب بقتله، ولكن الحقيقة أنه كان كل ما أملك. لم يبد على (أتيكوس) أنه كان يفهم هذا، أو إذا كان يفهمه فإنه لم يكن يهتم.

كرهته بسبب ذلك، ولكن حينما تكون في مشكلة فإنك سرعان ما تحس بالتعب: لم يمض وقت طويل حتى كنت أختبئ في حجره، تطوقني ذراعه.

قال لي: "أنت كبيرة على أن أقوم بأرجحتك".

قلت له: "أنت لا تهتم بما سيحدث لـ(جيم). لقد أرسلته حتى يتم إطلاق النار عليه بينما كان كل ما قام بفعله هو الدفاع عنك".

دفع (أتيكوس) رأسي تحت ذقنه وقال: "لم يحن الوقت لتقلقي بعد. لم أكن أتصور أن (جيم) هو الذي سيفقد صوابه في هذا الموضوع... تخيلت أنني سأواجه مشكلة معك أنت".

قلت أنني لا أرى الفائدة من المحافظة على أعصابنا في أي حال من الأحوال. لا أعرف أي شخص في المدرسة يحافظ على أعصابه في أي موضوع.

قال (أتيكوس): "(سكاوت). حينما يحل الصيف سوف تضطرين للمحافظة على أعصابك في مواضيع أكثر سوءاً من هذا... أنا أعلم أن هذا ليس عدلاً بحقك أنت و(جيم)، ولكن في بعض الأحيان يتوجب علينا أن نفترض الأفضل في الأشياء، وأن نهذب أنفسنا بأفضل طريقة حينما تسوء الأمور... حسناً، كل ما يمكن أن أقوله هو أنه حينما تكبرين أنت و(جيم)، ربما ستنتظرين للوراء وتنتهمين أنني لم أخذلكم. هذه القضية، قضية (توم روبنسون)، هي من الأشياء

## قتل الطائر المحاكي

التي تغوص في أعماق الضمير... أنا لن أتمكن من الذهاب للكنيسة وعبادة الرب إن لم أساعد هذا الرجل يا (سكاوت)".

"(أتيكوس)، لا بد أنك مخطئ...".

"وكيف ذلك؟".

"حسناً، أغلب الناس يعتقدون أنهم محقون وأنت مخطئ...".

قال (أتيكوس): "هذا من حقهم تماماً، ولا بد أن نحترم آراءهم. ولكن قبل أن أعيش مع الأشخاص الآخرين لا بد أن أعيش مع نفسي. الشيء الوحيد الذي لا يلتزم بحكم الأغلبية هو ضمير الشخص".

حينما عاد (جيم)، وجدني لا زلت في حجر (أتيكوس). "حسناً، بني؟". سأله (أتيكوس)، وأنزلني لأقف على قدمي، حيث قمت باستطلاع خفي لحالة (جيم). كان يبدو مكتمل الأعضاء، ولكن كانت هناك نظرة غريبة على وجهه. ربما أعطته جرعة من دواء (الكالوميل) المثير للغثيان.

"نظفت المكان وقلت لها أنني آسف، ولكنني لست آسف، وقلت أنني سوف أعمل على الزهور كل يوم سبت وأحاول أن أجعلها تنمو من جديد".

قال (أتيكوس): "لم يكن هناك فائدة من قول أنك آسف إن لم تكن كذلك فعلاً. إنها عجوز ومريضة يا (جيم)، وهي ليست مسؤولة عما تقول أو تفعل. كنت أفضل لو أنها قالت ما قالت لي وليس لأحد منكما، ولكننا لا نحصل دائماً على ما نريد".

بدا أن (جيم) مأخوذ بزهرة في السجادة. قال: "(أتيكوس). إنها تريد مني أن أقرأ لها".

"تقرأ لها؟".

"نعم سيدي. تريدني أن آتي كل يوم عصراً بعد المدرسة وفي يوم السبت وأن أقرأ لها لمدة ساعتين. هل يتوجب علي ذلك يا (أتيكوس)؟".

"بالتأكيد".

"ولكنها تريدني أن أفعل ذلك لمدة شهر".

"إذاً ستفعله لمدة شهر".

وضع (جيم) إصبع رجله الكبير بنعومة في منتصف الوردة وضغط عليها. في النهاية قال: "(أتيكوس)، لا بأس بالرصيف في الخارج، ولكن الداخل... الداخل مظلم ومخيف. هناك ظلال وأشياء على السقف...".

ابتسم (أتيكوس) متجهماً. "هذا سوف يحفز خيالك. فقط تخيل أنك داخل منزل (رادلي)".

في عصر يوم الاثنين التالي، تسلقنا أنا و(جيم) الدرج العميق المؤدي لمنزل السيدة (دوبوس) وسرنا في البهو المفتوح. كان (جيم) يحمل رواية (إيفانو)، مسلحاً بتفوقه المعرفي، ثم طرقت على الباب الثاني جهة اليسار ونادى: "سيدة (دوبوس)؟".

فتحت (جيسي) الباب الخشبي ورفعت مزلاج الباب الشبكي وقالت: "هل هذا أنت يا (جيم فينش)؟ لقد جئت بأختك معك. لا أعرف...".

"أدخليهما معاً يا (جيسي)". قالت السيدة (دوبوس). أدخلتنا (جيسي) وذهبنا للمطبخ.

قابلتنا رائحة ثقيلة حينما تجاوزنا العتبة، رائحة شممتها عدة مرات في المنازل الرمادية المتعفنة بفعل المطر حيث توجد مصابيح زيت الفحم والماء الراكد والشرائشف غير المبيضة. دائماً ما كانت الرائحة تجعلني أخاف وأتوقع وأحاذر.

في ركن الغرفة كان هناك سرير نحاسي ترقد عليه السيدة (دوبوس). تساءلت إن كانت نشاطات (جيم) هي ما وضعها هناك، وللحظة شعرت بالأسى عليها. كانت ترقد تحت كومة من الأغذية وبدت شبه ودودة.

كان هناك حوض غسيل يدين مغطى بالرخام جوار سريرها، وكان عليه كوب زجاجي بداخله ملعقة، وحقنة، وصندوق من القطن عالي الامتصاص، وساعة منبه حديدية تقف على ثلاثة أرجل.

"إذا فقد أحضرت أختك الصغيرة القذرة معك، أليس كذلك؟". تلك كانت تحيتها. قال (جيم) بهدوء: "أختي ليست قذرة، وأنا لست خائفاً منك". إلا أنني لاحظت أن ركبتيه ترتجفان.

توقعت خطبة مسهبة عنيفة منها ولكنها قالت: "يمكنك أن تبدأ القراءة يا (جيريمي)".

جلس (جيم) على كرسي خيزران وفتح رواية (إيفانو). جذبت كرسيها آخر وجلست بجانبه.

قالت السيدة (دوبوس). "اقترب من جانب السرير".

قربنا كرسيينا من السرير. كان هذا أقرب ما كنته منها، وكل ما أردته في تلك اللحظة هو إعادة كرسيي للخلف مرة أخرى.

كانت رهيبة. كان وجهها بلون كيس وسادة متسخ، وطرفا فمها كانا يلمعان بلعاب يسيل ببطء كنهر جليدي داخل الأخاديد العميقة التي تحيط بذقنها. كانت هناك بقع كبدية حمراء على خديها، وعيناها الرماديتان الباهتتان كانتا تحملان بؤبؤين دقيقين كراس الدبوس. يداها كانتا كثيرتي العقد، والجلد كان ينمو فوق أظافرهما. لم تكن تضع طقم أسنانها السفلي فكانت شفتها العليا بارزة، ومن حين لآخر. كانت تحرك شفتها السفلي على طقم أسنانها العلوي، حاملته معهل ذقنها كله. هذه الحركة كانت تجعل اللعاب يسيل بصورة أسرع.

لم أكن أنظر إلا حين أضطر لذلك. فتح (جيم) رواية (إيفانو) مرة أخرى وبدأ يقرأ. حاولت أن أتابعه ولكنه كان يقرأ بسرعة. حينما قابل (جيم) كلمة لم يستطع قراءتها، قام بتجاوزها، إلا أن السيدة (دوبوس) قبضت عليه وجعلته يتهجأ الكلمة بصوت عالٍ. قرأ (جيم) لعشرين دقيقة تقريباً، خلال هذا الوقت كنت أنظر نحو رف الموقد المغطى بالسخام، أو خارج النافذة، أو في أي اتجاه

كي لا أنظر نحوها. كلما استمرت القراءة لاحظت أن تصحيحات السيدة (دوبوس) صارت أقل وأقل، حتى أن (جيم) قد توقف عن القراءة في منتصف جملة. لم تكن السيدة تستمع.

نظرت نحو السرير.

هناك شيء ما. كانت ترقد على ظهرها، والأغطية تمتد حتى ذقنها. لم يكن ظاهراً منها غير رأسها وأكتافها. كان رأسها يتحرك ببطء من جانب لآخر. من حين لآخر كانت تفتح فمها، وكنت أرى لسانها يتحرك حركة خفيفة. خيوط اللعاب كانت تتجمع على شفتيها، فتسحبها إلى داخل فمها ثم تفتحه مرة أخرى. بدا كأن فمها كان له وجود مستقل بذاته. كان يعمل منفصلاً وبعيداً عن بقية جسدها، إلى الداخل والخارج، كسمكة صدفية في مد منخفض. أحياناً كان فمها يقول: "بنتت"، كمادة لزجة توشك على الغليان.

جذبت كم (جيم).

نظر نحوي ثم نحو السرير. تحرك رأسها حركته المنتظمة نحونا، وقال (جيم): "سيدة (دوبوس)، هل أنت بخير؟". ولكنها لم تسمعه.

انطلق جرس المنبه وأخافنا فتصلبنا في مكاننا. بعدها بدقة، كنا نسير على الممشى متجهين نحو المنزل وأعصابنا لا تزال ترتعش. لم تكن قد هربنا وإنما تركتنا (جيسي) نغادر: قبل أن يهدأ جرس المنبه كانت قد طردتنا خارج الغرفة وهي تقول: "ششششش. ستذهبان للمنزل الآن".

تردد (جيم) عند الباب.

"إنه موعد دوائها". قالتها (جيسي). بينما كان الباب ينغلق وراءنا رأيت (جيسي) تسير مسرعة نحو سرير السيدة (دوبوس).

كانت الساعة لا تزال الثالثة وأربع وخمسين دقيقة حينما عدنا للمنزل، فقمنا بالجلوس في الفناء الخلفي منتظرين عودة (أتيكوس). كان (أتيكوس) يحمل قلمين أصفر اللون لي، ومجلة كرة قدم لـ(جيم)، والذي افترضت أنه كان تقديراً صامتاً ليومنا الأول مع السيدة (دوبوس). أخبره (جيم) بما حدث.



سأل (أتيكوس): "هل أخافتكما؟".

قال (جيم): "لا يا سيدي. ولكنها كريهة للغاية. إنها مصابة بالصرع أو شئ من هذا القبيل. كما أنها تبصق كثيراً".

"هي لا تستطيع مقاومة ذلك. عندما يكون الناس مرضى فإنهم لا يبدون بصورة جيدة في جميع الأحوال".

قلت أنا: "لقد أخافتني".

نظر إلي (أتيكوس) من فوق نظارته: "أنت لست مضطرة لمرافقة (جيم)، كما تعلمين".

اليوم التالي بمنزل السيدة (دوبوس) كان مثل اليوم الأول، ومثله كان اليوم الذي بعده، حتى اتضح لنا النمط المميز: كل شئ يبدأ بصورة طبيعية، ألا وهو تعذيب السيدة (دوبوس) لـ(جيم) لفترة في المواضيع التي تفضلها وهي زهور الكاميليا الخاصة بها وحب والدنا للزئوج، ثم تصير أكثر صمتاً، حتى تغيب عنا تماماً. ثم يقوم منبه الساعة بالرنين، فتقوم (جيسي) بطردها للخارج، ثم يصبح بقية اليوم ملكنا.

قلت في إحدى الأمسيات: "(أتيكوس). ما معنى محب الزئوج بالضبط؟".

كان وجه (أتيكوس) كالحأ. "هل ناداك أحد بهذا الاسم؟".

"لا يا سيدي- السيدة (دوبوس) تطلق عليك هذا الاسم- في الحقيقة هي تبدأ كل عصر بأن تناديك بهذا الاسم. (فرانسيس) ناداني بهذا الاسم في عيد الميلاد الماضي، هذه كانت المرة الأولى التي سمعت فيها الاسم".

سألني (أتيكوس): "هل هذا هو السبب الذي هاجمته لأجله؟".

"نعم سيدي...".

"إذا لماذا تسأليني ما معناه؟".

حاولت أن أشرح لـ(أتيكوس) أن ما أغضبني لم يكن ما قاله (فرانسييس) بقدر ما كانت الطريقة التي قاله بها. "وكأنه اتهمك بالطفولة أو عدم النضوج أو شيء من هذا القبيل".

قال (أتيكوس): "(سكاوت). محب الزوج هو أحد هذه الألفاظ التي ليس لها أي معنى على الإطلاق، مثلها مثل عدم النضوج. من الصعب شرحها – الأشخاص الجهلة والحنالة يستخدمونها عندما يظنون أن شخصاً آخر يفضل الزوج أكثر منهم. لقد أصبحت تستخدم من قبل أشخاص مثلنا حينما يريدون لفظاً كريهاً عاماً ليطلقوه على شخص آخر".

"أنت لست محباً للزوج إذاً، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد أنا كذلك. أنا أقوم بأفضل ما لدي لأحب الجميع... في بعض الأحيان يا صغيرتي، لا تكون إساءة أن يطلق عليك أحدهم لفظاً يعنقه هو سيئاً. هذا فقط يريك كم هذا الشخص مسكين، لأن اللفظ لن يضرك بشيء. لذلك لا تتركي السيدة (دوبوس) تحبطك. لديها مشاكل تكفيها".

في إحدى الأمسيات كان (جيم) يجاهد لقراءة السير (والتر سكاوت)، كما كان (جيم) يطلق عليه، وكانت السيدة (دوبوس) تصححه في كل كلمة، حينما سمعنا طرقة على الباب. صاحت السيدة (دوبوس): "ادخل!".

دخل (أتيكوس). ذهب إلى جوار السرير وأمسك يد السيدة (دوبوس). "كنت قادماً من المكتب ولم أر الأطفال. فكرت أنهم لا زالوا هنا".

ابتسمت السيدة (دوبوس) في وجهه. لم أكن أستوعب كيف كان يمكنها أن تحدثه بينما كان من الواضح أنها تكرهه من كل قلبها. قالت السيدة: "هل تعلم كم الساعة الآن يا (أتيكوس)؟. هي بالضبط أربع عشرة دقيقة بعد الخامسة. ساعة المنبه تدق عند الخامسة والنصف. أريدك أن تعلم هذا".

أدركت فجأة أننا كنا نظل كل يوم لمدة أطول في منزل السيدة (دوبوس)، وأن ساعة المنبه كانت تدق متأخرة عدة دقائق كل يوم، وأن السيدة كانت تكون في

## قتل الطائر المحاكي

منتصف إحدى نوباتها حينما يدق المنبه. أما اليوم فقد كانت تعارض (جيم) لحوالي الساعتين بدون أي نية في الدخول في نوبة، وأحسست بأننا عالقان. كانت ساعة المنبه تمثل إشارة الخلاص لنا. إن جاء يوم ولم يرن المنبه، ما الذي سوف نفعله؟

قال (أتيكوس): "لدي إحساس أن أيام قراءة (جيم) صارت معدودة".

قالت السيدة: "أسبوع واحد، حسبما أظن. فقط لنؤكد...".

نهض (جيم). "ولكن...".

رفع (أتيكوس) يده فخرس (جيم). في طريقنا للمنزل قال (جيم) أن الاتفاق كان أن يقرأ لها لمدة شهر وأن الشهر قد انتهى وأن هذا ليس عدلاً.

قال (أتيكوس): "فقط أسبوع واحد زائد يا بني".

قال (جيم): "لا". قال (أتيكوس): "نعم".

في الأسبوع التالي كنا في منزل السيدة (دوبوس) مرة أخرى. كانت ساعة المنبه قد توقفت عن الرنين، ولكن السيدة (دوبوس) كانت تتركنا نذهب بقولها: "هذا يكفي"، وكنا نعود متأخرين عصراً فنجد (أتيكوس) يقرأ في جريدته. ورغم أن نوباتها كانت قد انتهت إلا أنها ظلت كما كانت: حينما ينهمك السير (والتر سكوت) في وصف مطول للخنادق والقلاع، تصاب السيدة (دوبوس) بالملل وتبدأ في التعليق: "(جيريمي فينش). أخبرتك أنك ستعيش حتى تندم على قطعك لزهور الكاميليا. أنت نادم الآن أليس كذلك؟".

(جيريمي) كان يقول أنه نادم بكل تأكيد.

"اعتقدت أنك يمكنك أن تقتل زهوري وتفلت، أليس كذلك؟ حسناً، (جيسي) تقول أن القمة بدأت في النمو مجدداً. في المرة القادمة ستعرف كيف تفعلها بطريقة صحيحة، أليس كذلك؟ سنقتلها من جذورها، أليس كذلك؟".

(جيم) كان يقول أنه سيفعل ذلك بالتأكيد.

"لا تتجراً وتتمتم أمامي يا فتى! ارفع رأسك وقل: نعم سيدتي. لكن لا أظن أنك ترغب برفع رأسك وأنت تعلم من هو أبوك".

(جيم) كان يرفع ذقنه وينظر نحو السيدة (دوبوس) بوجه خالٍ من الاحتقار. خلال الأسابيع الماضية كان قد طور تعبيراً مهذباً وخالياً من الاهتمام، وكان يربها هذا التعبير رداً على عباراتها التي تغلي الدماء في العروق.

في النهاية جاء اليوم الموعود. حينما قالت السيدة (دوبوس): "هذا يكفي"، في عصر أحد الأيام، ثم أضافت بعدها: "وهذا هو كل شيء. أتمنى لكما يوماً سعيداً".

كانت هذه هي النهاية. كنا عائدين على الرصيف نشعر بالارتياح ونحن نقفز ونصيح.

ربيع تلك السنة كان جيداً: صارت الأيام أطول وحصلنا على زمن أكثر للعب. عقل (جيم) كان مشحوناً بالاحصائيات الحيوية لجميع لاعبي كرة القدم من الكليات في جميع أنحاء البلاد. في كل ليلة كان (أتيكوس) يقرأ لنا صفحة الرياضة في الجريدة. استناداً على التوقعات، فإن (الاباما) قد تذهب لدوري (روس) مرة أخرى هذه السنة، ولكننا لم نكن نستطيع نطق أي اسم من الأسماء في القائمة. كان (أتيكوس) في منتصف عمود (وندي سيتون) في إحدى الأمسيات حينما رن جرس الهاتف.

أجاب (أتيكوس) الهاتف، ثم سار نحو مشجب القبعات في البهو وقال: "سوف أذهب لمنزل السيدة (دوبوس). لن أتأخر".

ولكن (أتيكوس) ظل هناك حتى فات موعد نومي بفترة طويلة. عندما عاد كان يحمل صندوق شموع. جلس (أتيكوس) في غرفة الجلوس ووضع الصندوق على الأرض جوار الكرسي.

سأل (جيم): "ماذا كانت تريد؟".

## قتل الطائر المحاكي

لم نكن قد رأينا السيدة (دوبوس) لأكثر من شهر مضى. لم تكن تتواجد على الشرفة حينما نمر أمام منزلها.

قال (أتيكوس): "لقد توفيت، يا بني. توفيت منذ دقائق".

قال (جيم): "أوه. حسناً".

قال (أتيكوس): "حسناً، كما تقول. هي لن تعاني بعد الآن. لقد كانت مريضة لفترة طويلة جداً. ألم تعرف ما نوباتها يا بني؟".

هز (جيم) رأسه.

قال (أتيكوس): "السيدة (دوبوس) كانت مدمنة مورفين. كانت تأخذ المورفين كمسكن للألم لعدة سنوات. طبيبها كان قد أعطاهم الوصفة. كانت ستمضي ما تبقى من حياتها عليه وكانت ستموت بدون معاناة كبيرة، ولكنها كانت ضد ذلك...".

قال (جيم): "سيدي؟".

رد (أتيكوس): "قبل مغامرتك بقليل كانت قد اتصلت بي لأجهز وصيتها. دكتور (رينولدز) أخبرها أنها لم يتبق لها سوى أشهر لتعيشها. أمورها المالية كانت منتظمة ولكنها قالت: هناك شيء واحد غير منتظم".

سأل (جيم) بحيرة: "وماذا كان هذا؟".

"قالت أنها ستغادر هذا العالم وهي ليست مدينة لأي شخص بأي شيء. (جيم)، حينما تكون مريضاً كما كانت هي، يصبح من المنطقي أن تتناول أي شيء لتسهل الأمر، ولكن هذا لم يكن مقبولاً بالنسبة لها. قالت أنها ستخرج نفسها من الادمان قبل أن تموت، وهذا ما فعلته بالضبط".

قال (جيم): "أتعني أن هذا كان سبب نوباتها؟".

"نعم، هذا كان سبب النوبات. أغلب الوقت الذي كنت تقرأ لها، أستبعد أنها كانت تسمع كلمة واحدة مما تقول. عقلها وجسدها كانا في غاية التركيز مع ساعة المنبه. إن لم تكن وقعت في أيديها بنفسك، كنت أنا من سأرسلك لتقرأ لها في كل الأحوال. ربما كانت قراءتك مصدر إلهاء بالنسبة إليها. ولكن كان هناك سبب آخر..."

سأل (جيم): "هل ماتت حرة من الإدمان؟"

أجاب (أتيكوس): "كنسيم الجبل. كانت واعية حتى النهاية. تقريباً. واعية وعدوانية". ابتسم (أتيكوس). "كانت لا تزال معترضة بشدة على ما أفعله، وقالت أنني سأقضي ما تبقى من عمري في دفع كفالتك لإخراجك من السجن. كما أنها جعلت (جيسي) تحضر لك هذا الصندوق..."

مد (أتيكوس) يده للأسفل ورفع صندوق الشموع وناولته إلى (جيم).

فتح (جيم) الصندوق. بداخله، ومحاطة بحشوة من القطن المعطن، كانت ترقد زهرة كاميليا بيضاء دهنية.

كادت عينها (جيم) تقفز خارج رأسه. "ياللعجوز الشيطانية! ياللعجوز الشيطانية!". صاح وهو يرمي الصندوق. "لماذا لا تتركني في حالي؟".

في لحظة كان (أتيكوس) يقف جواره. دفن (جيم) وجهه في مقدمة قميص (أتيكوس) الذي قال: "ششش. أظن أنها كانت طريقتها في أن تخبرك أن كل شيء سيكون بخير يا (جيم). كل شيء سيكون بخير. أتعلم، لقد كانت سيدة عظيمة".

"سيدة؟". رفع (جيم) رأسه. كان وجهه قرمزيًا. "بعد كل ما قالته عنك؟ سيدة؟".

"لقد كانت سيدة. كان لها رؤيتها الخاصة حول بعض الأشياء والتي كانت تختلف جداً عن رؤيتي... لقد أخبرتك أنك لو لم تكن فقدت أعصابك من قبل، فإنني كنت سأرسلك لمنزلها لتقرأ لها. كنت أريدك أن ترى شيئاً... كنت أريدك أن ترى كيف تبدو الشجاعة الحقيقية، بدلاً من أن تكون لديك فكرة أن الشجاعة

هي رجل يحمل مسدساً في ده. هي حينما تكون مهزوماً قبل أن تبدأ، ولكنك تبدأ في كل الأحوال وتبذل جهدك لتصل خط النهاية، وغالباً لن تفوز، ولكنك في بعض الأحيان تنجح. السيدة (دوبوس) نجحت. الثمان وتسعون رطلاً في جسمها تشهد بأنها نجحت. من وجهة نظرها فهي قد ماتت غير مديونة لأي شخص بأي شيء. لقد كانت أشجع شخص قابلته في حياتي".

التقط (جيم) صندوق الشمع ورماه في النار. التقط بعدها زهرة الكاميليا، وحينما ذهبت لأنام رأيتَه يلمس بتلاتها العريضة بأصابعه، بينما كان (أنيكوس) جالساً يقرأ الجريدة.

## الجزء الثاني

### الفصل 12

كان (جيم) قد صار في الثانية عشرة من عمره. كان قد أصبح صعب المعاشرة، وغير متزن، ومزاجياً شهيته كانت مرعبة، كما أخبرني عدة مرات أن أتوقف عن مضايقته، ففقت باستشارة (أتيكوس): "أتظن أنه يعاني من الديدان الشريطية؟". قال (أتيكوس) لا، (جيم) كان ينمو وحسب. وقال أنني يجب أن أكون صبورة معه وألا أزعجه قدر الإمكان.

هذا التغيير في (جيم) جاء على مدى أسابيع. السيدة (دوبوس) كانت قد ماتت منذ فترة ليست طويلة - كان (جيم) يبدو شاكراً كفاية لمرافقتي إياه حينما كان يقرأ لها. ثم بدا أن (جيم) قد تحول بين ليلة وضحاها، وأنه اكتسب قيماً غريبة وراح يحاول فرضها علي: في بعض الأحيان كان يذهب بعيداً لدرجة أن يخبرني ماذا يتوجب علي فعله. بعد مشادة ما مع (جيم) صاح بي: "حان الوقت لتصبحي فتاة وتتصرفي كواحدة!". انفجرت بالبكاء وجريت إلى (كالبورنيا).

قالت لي: "لا تقلقي كثيراً على السيد (جيم)...".

"السيد (جيم)؟".

"نعم. هو السيد (جيم) الآن".

قلت لها: "هو ليس كبيراً كفاية. كل ما يحتاجه هو أن يركله أحدهم، وأنا لست كبيرة الحجم بما يكفي".

قالت (كالبورنيا): "صغيرتي. أنا لا أستطيع إيقاف نمو السيد (جيم). من الآن فصاعداً سوف يرغب بالانفراد بنفسه وفعل ما يحلو للأولاد فعله. حينما



تشعرين بالوحدة تعالي إلى المطبخ. سوف تجددين الكثير من الأشياء لتفعلها هنا".

بداية ذلك الصيف كانت تبشر بالخير: كان (جيم) يفعل كما يطلو له، وكانت (كالبورنيا) تكفيني حتى يصل (ديل). كانت تبدو سعيدة برؤيتي حينما أظهر في المطبخ، وبمشاهدتها بدأت أفكر أنه هناك بعض المهارات المطلوبة لأصبح فتاة.

ولكن الصيف جاء و(ديل) لم يأت. استلمت رسالة وصورة منه. الرسالة كانت تقول أن لديه والداً جديداً وأن صورته كانت مرفقة، وأنه يتوجب عليه البقاء في (مريديان) لأنهما كانا يخططان لبناء مركب صيد. كان أبوه محامياً، مثل (أتيكوس)، إلا أنه كان أصغر سناً. كان لوالد (ديل) الجديد وجه عطوف مما جعلني أشعر بالغبطة لأن (ديل) صار ابنه، إلا أنني كنت محطمة. اختتم (ديل) بقوله أنه سيحبني للأبد وأني يجب ألا أقلق لأنه سوف يأتي ويتزوجني حالما يتمكن من جمع المال الكافي، وأن علي أن أكتبه.

حقيقة أن لدي خطيباً دائماً، كانت تعزيني قليلاً عن غيابه: لم أفكر من قبل في ذلك، ولكن الصيف كان عبارة عن (ديل) بجانب بركة السمك يدخن سيجارة، أو عينا (ديل) المشتعلتان بخطط معقدة لجعل (بو رادلي) يظهر. الصيف كان الخفة التي يتقدم بها (ديل) ويقبطني حينما لا يكون (جيم) حولنا، والشوق الذي كان أهدنا يحس بأن الآخر يحسه. معه كانت الحياة رتيبة، بدونه كانت الحياة لا تطاق. كنت تعيسة لعدة أيام تلت.

وكان هذا لم يكن كافياً، فإن السلطة التشريعية تم استدعاؤها لاجتماع طارئ، واضطر (أتيكوس) أن يغادرنا لأسبوعين. كان الحاكم حريصاً على أن يكشف عدة أشياء من قائمة أعمال الولاية. كانت هناك اضرابات عن العمل في (بيرمنجهام). صفوف الخبز في المدن كانت تطول، بينما صار الناس أكثر فقراً. ولكن هذه الأحداث كانت بعيدة عن عالم (جيم) وعالمي.

تفاجأنا في صباح أحد الأيام لرؤية رسم كرتوني في جريدة (معلن موننتجمري) فوق عبارة "(فينش مقاطعة مايكومب)". كان الرسم يبين (أتيكوس) حافياً

## قتل الطائر المحاكي

ويلبس سروالاً قصيراً، وكان مقيداً إلى طاولة: كان يكتب بجد على اللوح بينما كانت بعض الفتيات العابثات يصحن به: "يوو-هوو!".

شرح (جيم): "هذا إطراء. إنه يقضي وقته يفعل أشياءً لن يتم إنجازها إن لم يقم بفعلها أحد".

"هه؟".

بالإضافة لخصائص (جيم) الجديدة، كان قد اكتسب حكمة مجنونة.

"أوه يا (سكاوت). إنها أشياء مثل إعادة ترتيب النظام الضريبي للدول. هذا النوع من الأشياء يصعب على أغلب الرجال".

"وكيف تعرف ذلك؟".

"أوه. اذهبي واطركني لحالي. أنا أقرأ الجريدة".

حصل (جيم) على مراده وغادرت المطبخ.

بينما كانت (كالبورنيا) تنظف البازلأ قالت فجأة: "ما الذي سأفعله بشأن ذهابكما للكنيسة يوم الأحد؟".

"لا شيء، كما أظن. لقد تركنا (أتيكوس) لنقرأ".

ضاقت عينا (كالبورنيا)، وكنت أستطيع قراءة ما يجول بخاطرهما. قلت لها: "(كال). أنت تعلمين أننا سنحسن التصرف. نحن لم نفعل شيئاً في الكنيسة لسنوات مضت".

تذكرت (كالبورنيا) بوضوح يوم أحد ماطراً حينما كنا لوحدنا بدون أب أو معلم. بما أن الفصل كان بلا رقيب، فقد قمنا بتقييد (إينوس أن سمبسون) في مقعد ووضعه في غرفة السخان. نسيناها هناك وصعدنا للكنيسة في الأعلى. كنا نستمتع في صمت للموعظة حينما صدرت ضوضاء مخيفة من مواسير تبريد الهواء، واستمرت حتى قام أحدهم بالتفتيش وأحضر (إينوس أن) التي قالت أنها

لا ترغب بلعب لعبة (شادوخ) مرة أخرى... قال (جيم فينش) أنها لم تكن لتحترق لو كانت مؤمنة، ولكن الجو كان حاراً بالأسفل.

اعترضت أنا: "بالإضافة لذلك يا (كال)، هذه ليست أول مرة يتركنا فيها (أتيكوس) لوحدها".

"صحيح، ولكنه كان يتأكد من وجود معلمكم في الجوار. لم أسمعه يقول ذلك هذه المرة - أظن أنه قد نسي ذلك". حكى (كالبورنيا) رأسها ثم ابتسمت فجأة. "ما رأيكما في أن تذهبا معي للكنيسة غداً؟".

"حقاً؟".

ابتسمت (كالبورنيا): "ما رأيكما في ذلك؟".

إذا كانت (كالبورنيا) قد غسلتني من قبل بقسوة، فإن ذلك لم يكن يقارن بإشرافها على روتين ليلة السبت تلك. جعلتني أغتسل بالماء والصابون مرتين وصبت ماءً نظيفاً في حوض الاستحمام لكل غسلة. أدخلت رأسي في الحوض وغسلته بالصابون. كان تنق بـ(جيم) لسنوات مضت، ولكن في تلك الليلة قامت بانتهاءك خصوصيته وجعلته ينفجر: "ألا أستطيع أخذ حمام في هذا المنزل بدون مشاهدة الجميع؟".

في الصباح التالي بدأت مبكرة أكثر من المعتاد لكي تراجع ملابسنا. حينما كانت (كالبورنيا) تقضي الليلة معنا، كانت تنام على سرير مطوي في المطبخ. في ذلك الصباح كان السرير مغطى بملابس الأحد. كانت قد وضعت الكثير من النشا في ثوبي حتى أنه أصبح منتصباً كالخيمة حينما جلست. جعلتني ألبس ثوباً نسائياً وقامت بربط وشاح وردي اللون حول خصري. قامت بتلميع حدائي الجلد حتى تمكنت من رؤية وجهها معكوساً عليه.

قال (جيم): "وكأننا ذاهبون إلى (ماردي جراس). لماذا كل هذا يا (كال)؟".

غمغمت: "لا أريد أن يتحدث أحدهم بأنني لا أعتني بأطفالي".

"سيد (تيم). لا يمكنك أن تلبس ربطة العنق هذه مع هذه البذلة. إنها خضراء".

"وما المشكلة في ذلك؟"

"البذلة زرقاء. ألا يمكنك رؤية الفرق؟".

رحت أعوي: "هاه هاه. (جيم) مصاب بعمى الألوان".

احمر وجهه غضباً، إلا أن (كالبورنيا) قالت: "والآن توقفا. سوف تذهبان لكنيسة (الشراء الأول) مبتسمين".

كنيسة (الشراء الأول) الأفريقية كانت في المساكن خارج الحدود الجنوبية للبلدة، على الجانب الآخر من طريق المنشرة القديمة. كانت بناءً قديماً متهالك الطلاب، وكانت الكنيسة الوحيدة في (مايكومب) التي تحوي برج كنيسة وجرساً. كانت تسمى (الشراء الأول) لأنها بنيت باستخدام المكاسب الأولى للعبيد المحررين. كان الزوج يقوم بالعبادة فيها أيام الأحد، بينما يقوم البيض بالرهان فيها بقية أيام الأسبوع.

كانت الكنيسة مبنية باستخدام الطوب الطيني، وكانت المقبرة بجوارها. لو توفي أحدهم أثناء فترة الجفاف فإن الجثة يتم تغطيتها بكتل من الثلج حتى تقوم الأمطار بتطرية الأرض. قلة من القبور في المقبرة كانت معلمة بشواهد متهدمة، القبور الجديدة كانت محاطة بعشب ناضر وقناني كوكا كولا مكسرة. قضبان الصواعق التي كانت على بعض القبور كانت تدل على الموتى الذين لم يرتاحوا في رقادهم. قبور الأطفال كانت تعرف من بقايا الشموع المحترقة الموضوعه جوارها. كانت مقبرة سعيدة في مجملها.

استقبلتنا الرائحة العطرة المرّة الدافئة للزوج النظيفين حينما دخلنا فناء الكنيسة – تسريحات (قلوب الحب) امتزجت مع رائحة الأعشاب والسعوط وكولونيا (هويت) وبغال (براون) والنعناع وبودرة التلك.

كان الرجال يتوقفون ويرفعون قبعاتهم حينما يرونني و(جيم) نسير مع (كالبورنيا)، وكانت النساء تقاطعن أيديهن على صدورهن، وهي إيماءات الانتباه والاحترام. انفصل الجمع لقسمين وشكلوا مساراً صغيراً يقودنا حتى

باب الكنيسة. سارت (كالبورنيا) بيني و(جيم) وهي ترد تحية جيرانها مبهرجي الملابس.

"ماذا تتوين فعله يا أنسة (كال)؟". قالها صوت من ورائنا.

وضعت (كالبورنيا) يديها على أكتافنا وتوقفنا واستدرنا للخلف: كانت هناك امرأة زنجية طويلة تقف في المسار خلفنا. كانت تعتمد على رجل واحدة في الوقوف، بينما أسندت كوعها الأيسر على انحناءة وركها، وأشارت نحونا بكف مفتوح للأعلى. كان رأسها مدبباً وعيناها غريبتين بلون اللوز. أنفها كان مستقيماً وفمها كان منحنيماً كقوس الهنود. كانت تبدو بطول سبعة أقدام.

أحسست بيد (كالبورنيا) تنغرس في كتفي. "ماذا تريدين يا (لولا)؟". سألتها بلهجة لم أسمعها تستخدمها من قبل. كانت تتحدث بهدوء ولكن بازدياد.

"أريد أن أعرف لماذا تحضرين أطفالاً بيضاً لكنيسة زنوج".

"إنهما في رففتي". ردت (كالبورنيا). مرة أخرى أحسست أن صوتها غريب: كانت تتحدث مثل بقيتهم.

"حقاً. أظن أن رففتك أيضاً في منزل (فينش) أيام الأسبوع".

سرت همهمات في الحشد. "لا تقلقي". همست (كالبورنيا) في أذني، إلا أن الزهور في قبعتها كانت ترتجف بسخط.

حينما سارت (لولا) نحونا قالت (كالبورنيا): "توقفي حيث أنت أيتها الزنجية".

توقفت (لولا) ولكنها قالت: "لا يحق لك إحضار أطفال البيض هنا - لديهم كنيستهم، ولدينا كنيستنا. إنها كنيستنا، أليس كذلك يا أنسة (كال)؟".

ردت (كالبورنيا): "هو نفس الرب، أليس كذلك؟".

قال (جيم): "لنعد للمنزل يا (كال). إنهم لا يريدوننا هنا...".

كنت أوافق على أنهم لا يريدوننا هنا. لم أر، بل أحسست، أنهم يتقدمون نحونا. كان يبدو أنهم يقتربون منا، ولكن حينما رفعت رأسي نحو (كالبورنيا) رأيت التسلية في عينيها. حينما نظرت أسفل المسار مرة أخرى كانت (لولا) قد اختفت، وكان في مكانها كتلة من أجساد الملونين.

خرج أحدهم من الجمع. كان هذا (زيبو)، جامع القمامة، الذي قال: "سيد (جيم). نحن سعيديون للغاية بوجودكم هنا اليوم. لا تلقيا بالاً إلى (لولا). هي مشاكسة لأن المجلد (سايكس) هدد بطردها. إنها تثير المشاكل منذ زمن بعيد، ولديها أفكار وهمية وطرق مغرورة... نحن سعيديون للغاية لوجودكم معنا".

بهذه العبارة، قادتنا (كالبورنيا) للكنيسة، وقابلنا المجلد (سايكس) ثم قادنا للمقعد الخشبي الطويل في الصف الأول.

كانت كنيسة (الشراء الأول) غير مسقوفة وغير مطلية من الداخل. كانت مواقد الكيروسين المطفأة معلقة على حوامل نحاسية على الحوائط، وكانت المقاعدة الخشبية مصنوعة من أخشاب الصنوبر. خلف المنبر المصنوع من خشب البلوط كان يبدو الشعار الوردي الباهت الذي يحمل عبارة "الرب محبة"، وهو التزيين الوحيد في الكنيسة بالإضافة للطبعة الروتوغرافية للوحة (هاننت) المعروفة باسم (نور العالم). لم يكن هناك من أثر لبيانو أو أورغان أو كتب ترانيم أو برامج كنسية – المعوقات الكنسية المعتادة التي كنا نراها كل يوم أحد. كانت الكنيسة باهتة من الداخل، وكان وجود التجمع بالداخل مما خفف من برودة ورطوبة الجو. على كل مقعد كانت هناك مروحة ورقية رخيصة تحمل رسماً متوهجاً لحديقة (جيثسمان)، مجاملة مقدمة من شركة (تيندال للمعدات)، وعليها شعارها (نحن نبيع كل شيء).

وجهتنا (كالبورنيا) لآخر الصف وجلست بيننا. بحثت في حقيبة يدها ثم أخرجت مندليها، وفكت الربطة الموجودة في الركن. أعطتني عشرة سنتات وأعطت (جيم) مثلها. "لدينا مال". همس (جيم)، فردت (كالبورنيا): "أبقياها معكم. أنتما ضيفاي". رأيت في وجه (جيم) تردداً في اتخاذ قرار الاحتفاظ بعشرة السنتات، ولكن أسلوبه المجامل الفطري غلب عليه، فقام بوضع عشرة السنتات في جيبه. فعلت مثله بدون أن يؤنبني ضميري.

هسمت: " (كال). أين كتب الترانيم؟".

ردت: "ليس لدينا كتب".

"إذا كيف...".

"ششش". أسكتتني بينما كان المبجل (سايكس) يقف خلف المنبر، ناظراً للجمع حتى يصمتوا. كان رجلاً قصيراً ممثلي الجسم، يلبس بذلة سوداء برباط عنق أسود وقميص أبيض، وكانت سلسلة الساعة الذهبية تلتصق في الضوء القادم من النوافذ المتجمدة.

قال المبجل: "الإخوة والأخوات. نحن سعيديون بصورة خاصة هذا الصباح لوجود صحبة معنا. السيد والآنسة (فينش). أنتم جميعاً تعرفون والدهم. قبل أن أبدأ سوف أتلو بعض الإعلانات".

خط المبجل (سايكس) بعض الأوراق، ثم اختار واحدة وحملها بيده المفرودة حتى آخرها: "الجماعة التبشيرية تلتقي في منزل الأخت (أنيت ريفز) يوم الثلاثاء القادم. أحضروا معكم خياطكم".

ثم قرأ من ورقة أخرى: "أنتم جميعاً تعرفون مشكلة الأخ (توم روبنسون). لقد كان عضواً مخلصاً للشراء الأول) منذ أن كان فتىً صغيراً. التبرعات التي سنجمعها اليوم ولمدة ثلاثة أسابيع قادمة سوف تذهب إلى (هيلين) زوجته لمساعدتها في المنزل".

لكمت (جيم) وقلت: "هذا (توم)، موكل (أتي...)".

"ششش!".

التفت نحو (كالبورنيا) ولكنها أخرجتني قبل أن أفتح فمي. بعد أن تم كبتي، ركزت انتباهي على المبجل (سايكس) الذي يبدو أنه كان ينتظرني لأهدأ. قال المبجل: "هل يمكن لمشرف الموسيقى أن يقودنا للترنيمه الأولى".

نهض (زيبو) من مقعده ومشى أسفل الممر، ثم توقف أمامنا وواجه الجمع. كان يحمل كتاب ترانيم مهترناً. فتح الكتاب وقال: "سوف نرسم رقم مئتين وثلاث وسبعين".

كان هذا مبالغاً فيه فقلت: "كيف سنقوم بالإنشاد إن لم يكن لدينا كتب ترانيم؟".

ابتسمت (كالبورنيا) وهمست: "صمتاً يا عزيزتي. سوف ترين الآن".

تتحنح (زيبو) ثم قرأ في صوت كدممة المدفعية البعيدة: "هناك أرض وراء النهر".

اجتمع مئة صوت بأعجوبة في نغم واحد وأنشدوا كلمات (زيبو). المقطع اللفظي الأخير، والذي استمر في شكل همهمة خشنة، تبعه قول (زيبو): "نسميها نحن الجمال الدائم".

تعالت الموسيقى مرة أخرى من حولنا، واستمر المقطع الأخير حتى قابله (زيبو) بالسطر التالي: "وسوف نصل لذلك الشاطئ فقط بقوة الإيمان".

تردد الجمع، فأعاد (زيبو) السطر بتأن حتى قاموا بإنشاده. أغلق (زيبو) الكتاب في إشارة للجمع بأن يواصلوا بدون مساعدته.

في ذكر وفاة (يوبيل)، قال (زيبو): "في ذلك الجمال الدائم، خلف النهر المتلألئ".

تبعته الأصوات، سطرًا بسطر، في تناسق تلقائي حتى انتهت الترنيمة بدممة حزينة.

نظرت نحو (جيم) الذي كان ينظر نحو (زيبو) بطرف عينه. لم أصدق عيني أيضاً، ولكننا سمعناها.

بعدها راح المبجل (سايكس) يدعو الرب ليبارك المرضى والذين يعانون، وهي عملية لا تختلف عن مثيلتها في كنيستنا، غير أن المبجل (سايكس) لفت انتباه الرب لحالات محددة.



موعظته كانت شجياً مباشراً للخطيئة وإعلاناً صارماً للشعار المعلق على الحائط وراءه: حذّر سربه من شرور الخمر المسكرة، والقمار، والنساء الغريبات. مروجو الخمور كانوا يسببون مشاكل كافية في المساكن، إلا أن النساء كن أسوأ. مرة أخرى، كما كان يحدث في كنيسة، كنت أواجه نجاسة عقيدة المرأة، وهو الشيء الذي كان يشغل جميع رجال الدين.

كنت و(جيم) نسمع نفس الموعظة كل يوم أحد باستثناء شيء واحد. المبجل (سايكس) استغل منبره بحرية أكثر ليعبر عن آرائه حول هفوات البعض: (جيم) هاردي) كان متغيباً عن الكنيسة لمدة خمسة أسابيع ولكنه لم يكن مريضاً، يجب على (كونستانس جاكسون) أن تحسن من أسلوبها لأنها كانت في خطر بسبب عراكها الدائم مع جيرانها، كانت أول من بدأ الضغينة في تاريخ الإسكان.

اختتم المبجل (سايكس) موعظته، ثم وقف جوار طاولة أمام المنبر ودعا الجمع للتبرع، وهي عملية كانت غريبة علينا أنا و(جيم). تقدم الجمع، واحداً بعد الآخر، وقاموا بإلقاء قطع النقود من فئة خمس وعشر سنتات داخل علبة قهوة مطلية بالأسود. تبعنا الصف – أنا و(جيم) – وسمعنا "شكراً، شكراً" حينما صلصلت قطع العملة داخل العلبة.

لدهشتنا، قام المبجل (سايكس) بإفراغ العلبة على الطاولة وألقى نظرة خاطفة على القطع المعدنية، ثم اعتدل وقال: "هذا لا يكفي. يجب أن نتحصل على عشرة دولارات".

تحرك الجمع. "أنتم تعلمون الغرض من هذا – لا يمكن أن تدع (هيلين) الأطفال وتذهب للعمل بينما (توم) في السجن. لو قام كل شخص بإعطاء عشرة سنتات زائدة، فسوف نجمع المبلغ...". لوح المبجل (سايكس) بيده ونادى شخصاً في مؤخرة الكنيسة. "أغلق الأبواب يا (أليك). لن يغادر أحد من هنا حتى نجمع عشرة دولارات".

خربشت (كالبورنيا) داخل حقيبة يدها حتى أخرجت حافظة نقود جلدية مهترئة. "لا يا (كال) - همس (جيم) حينما ناولته ربعاً لامعاً. "يمكننا أن نتبرع بأموالنا. أعطني عشرة سنتاتك يا (سكاوت)".

كانت الكنيسة خانقة، وقدرت أن المبجل (سايكس) كان يقصد أن يجعل سريره يعرق لآخر قطرة. ضجت المراوح، وجرجرت الأقدام، وتعذب ماضغو التبغ.

أدهشني المبجل (سايكس) حينما قال بصوت صارم: " (كارلو رتشاردسون)، لم أرك تسير في هذا الممر حتى الآن".

سار رجل نحيف في سروال كاكي أعلى الممر ووضع قطعة عملة. سرت همهمات الموافقة وسط الجمع.

قال المبجل (سايكس): "أرغب من جميع من ليس لديهم أطفال أن يقوموا بالتضحية ويعطوا عشرة سنتات أخرى. عندها سنحصل على المبلغ".

تم جمع الدولارات العشرة ببطء وبطريقة مؤلمة. فتحت الأبواب وهب نسيم الهواء الدافئ ليعيد إحياءنا. وضع (زيبو) علامة على ترنيمه (سواحل الأردن العاصفة)، ثم انتهت الكنيسة.

كنت أريد البقاء والاكتشاف، ولكن (كالبورنيا) دفعتنا أعلى الممر أمامها. عند باب الكنيسة، وبينما توقفت لتتحدث مع (زيبو) وعائلته، كنت و(جيم) نثرثر مع المبجل (سايكس). كنت أتفجر بالأسئلة، ولكنني قررت أن أنتظر وأدع (كالبورنيا) تجيبني عليها.

قال لنا المبجل (سايكس): "نحن سعيديون بصفة خاصة لحضوركم اليوم. هذه الكنيسة ليس لها صديق أفضل من والدكما".

تفجر فضولي فقلت: "لماذا كنتم تجمعون مالا لزوجة (توم روبنسون)؟".

سأل المبجل (سايكس): "ألم تسمعي السبب؟. لدى (هيلين) ثلاثة أطفال وهي لا تستطيع الخروج للعمل...".

"لماذا لا تأخذهم معها أيها المبجل؟". سألته، إذ كان من المعتاد للزوج العاملين في الحقول أن يضعوا أطفالهم الصغار تحت أي ظل قريب بينما يعمل الوالدان - عادة كان الأطفال يجلسون في الظل بين صفي قطن. الأطفال الذين لم يكونوا

## قتل الطائر المحاكى

يستطيعون الجلوس كان يتم لفهم كأطفال الهنود الحمر ويحملون على ظهور أمهاتهم، أو يوضعون في حقائب القطن الإضافية.

تردد المبجل (سايكس). "في الحقيقة يا أنسة (جين لويس)، إن (هيلين) تجد صعوبة في الحصول على عمل في هذه الأيام. حينما يأتي وقت جني القطن، أعتقد أن السيد (لينك دياس) سوف يأخذها للعمل".

"لم لا، أيها المبجل؟".

قبل أن يجيب، أحسست بيد (كالبورنيا) تضغط على كتفي، فقلت: "نحن نشكرك لإحتائك لنا الفرصة للحضور اليوم". - ردد (جيم). مقالتي - وعدنا في الطريق للمنزل.

سألتها: "(كال)، أنا أعلم أن (توم روبنسون) في السجن لأنه قام بفعل شنيع، ولكن لماذا لا يقوم أحد بتوظيف (هيلين)؟".

كانت (كالبورنيا) تسير بيني وأنا و(جيم)، لابسةً فستانها الأزرق اللون وقبعتها الكبيرة بحجم الحوض. قالت: "بسبب ما يقول الناس أن (جيم) قد فعله. الناس لا يرغبون في التعامل مع أي فرد من عائلته".

"ما الذي فعله بالضبط يا (كال)؟".

تتهدت (كالبورنيا). "السيد (بوب إيويل) الكهل اتهمه باغتصاب ابنته وتسبب بإلقاء القبض عليه وإيداعه السجن...".

تحركت ذاكرتي وأنا أقول: "السيد (إيويل)؟ هل له أي علاقة بهؤلاء الذين يأتون أول يوم في المدرسة ثم لا يعودون؟ كيف، لقد قال (أتيكوس) أنهم رعا - لم يحدث أن سمعت (أتيكوس) يتحدث عن أشخاص ما كما تحدث عن آل (إيويل). لقد قال...".

"نعم. هؤلاء هم".

## قتل الطائر المحاكي

"حسناً، إن كان أي شخص في (مايكومب) يعلم ماهية آل (إيويل) فسيكونون سعيدين بتوظيف (هيلين)... ما معنى اغتصاب يا (هيلين)؟".

أجابتي: "إنه شيء سيتوجب عليك سؤال السيد (فينش) عنه. هو سيتمكن من شرحه بأفضل مني. هل أنتما جائعان؟ المبجل استغرق وقتاً طويلاً اليوم، عادة لا يكون مملاً هكذا".

قال (جيم): "إنه مثل واعظنا. ولكن لماذا تقومون بإنشاد الترانيم بهذه الطريقة؟".

سألته: "بالتسكير؟".

"هل هذا ما كنتم تفعلون؟".

"نعم، نحن نسميه التسكير. لقد كنا نفعل ذلك منذ البداية".

قال (جيم) أنهم لو قاموا بتوفير أموال التبرعات لمدة سنة فسوف يتمكنون من شراء كتب الترانيم.

ضحكت (كالبورنيا) وقالت: "لن يكون هناك فائدة من ذلك. الجمع لا يستطيعون القراءة".

تساءلت أنا: "لا يستطيعون القراءة؟ كل هؤلاء؟".

"هذا صحيح". أمأت (كالبورنيا) برأسها. "الجميع في (الشراء الأول) – ما عدا أربعة أشخاص انا أحدهم – لا يستطيعون القراءة".

سأل (جيم): "أين درست يا (كال)؟".

"لم أذهب للمدرسة. دعني أتذكر، من قام بتعليمي حروف الهجاء؟ كانت الأنسة (بوفورد) العجوز، عمّة الأنسة (مودي أتكسون)...".

"هل أنت عجوز لهذه الدرجة؟".

ابتسمت (كالبورنيا): "أنا أكبر من السيد (فينش) نفسه، إلا أنني لا أعرف كم عمري بالضبط. حاولنا أن نتذكر في مرة لنحاول أن نعرف كم عمري – استطعت أن أتذكر عدة سنوات أكثر منه، وعليه فأنا لست أكبر منه كثيراً، حينما تحذف حقيقة أن الرجال لا يستطيعون التذكر مثل النساء".

"متى عيد ميلادك يا (كال)؟".

"أنا أحتفل به في عيد الميلاد، من السهل تذكره هكذا... ليس لدي عيد ميلاد حقيقي".

اعترض (جيم): "ولكن يا (كال)، أنت لا تبدين عجوزاً مثل (أتيكوس)".

قالت: "الأشخاص الملونون لا يبدو عليهم عمرهم الحقيقي".

"ربما لأنهم لا يحسنون القراءة. (كال)، هل قمت بتعليم (زيبو) القراءة؟".

"نعم يا سيد (جيم). لم يكن هناك مدرسة حينما كان صبيّاً، ولكنني جعلته يتعلم".

كان (زيبو) ابن (كالبورنيا) الأكبر. لو كنت قد فكرت في الأمر كنت سأعرف أن (كالبورنيا) عجوز، فـ(زيبو) نفسه كان لديه أطفال شبه ناضجين. ولكنني لم يحدث أن فكرت في هذا الأمر.

سألته: "هل قمت بتعليمه مستخدمة (الكتاب الأول) كما فعلت معنا؟".

ردت: "لا. كنت أجعله يقرأ صفحة من الإنجيل في كل يوم، كما كان هناك كتاب علمتني الأنسة (بوفورد) باستخدامه – أراهن أنكما لا تعلمان من أين حصلت عليه".

وقد كان، لم تكن نعلم الإجابة.

قالت (كالبورنيا): "جدكما السيد (فينش) أعطاني إياه".

سأل (جيم): "هل جئت من المزرعة؟. أنت لم تخبرينا هذا من قبل".

"أنا بالتأكيد من هناك يا سيد (جيم). لقد نشأت ما بين مزرعة (بوفورد) ومزرعة (فينش)، وقضيت كل أيامي أعمل إما لآل (فينش) أو آل (بوفورد)، ثم رحلت لـ(مايكومب) حينما تزوج والداك".

سألته: "ما كان عنوان الكتاب يا (كال)؟".

"تفسير (بلاكستون)".

كان (جيم) مصعوقاً: "أتعنين أنك قمت بتدريس (زيبو) ذلك الكتاب؟".

"نعم يا سيد (جيم)". قالت (كالبورنيا) بخجل وهي تضع أصابعها على فمها. "كانت هذه الكتب الوحيدة التي أمتلكها. جدك كان يقول أن السيد (بلاكستون) يكتب بانجليزية رفيعة...".

قال (جيم): "لهذا السبب لا تتحدثين مثل بقيتهم".

"بقية من؟".

"بقية الملونين يا (كال). ولكنك تحدثت مثلهم في الكنيسة...".

لم يخطر لي من قبل أن (كالبورنيا) تعيش حياة مزدوجة متواضعة. فكرة أن لديها تواجداً منفصلاً خارج منزلنا كانت جديدة علي، عدا عن حقيقة أنها تتحدث بلسانين. سألتها: "(كال). لماذا تتحدثين بطريقة الزوج مع جماعتك بينما أنت تعلمين أن هذا خاطئ؟".

"حسناً. أولاً، أنا سوداء...".

قال (جيم): "هذا لا يعني أنه يجب أن تتحدثي بهذه الطريقة بينما أنت تعلمين أفضل من ذلك".

أمالت (كالبورنيا) قبعتها وحكت رأسها، من ثم أرخت قبعتها بحرص على أذنيها وقالت: "من الصعب القول. ولنفترض أنك و(سكاوت) تحدثتما بلسان الملونين في المنزل، إن ذلك سيكون شاذاً، أليس كذلك؟ والآن ماذا سيحدث لو تحدثت أنا بلسان البيض في الكنيسة مع جيراني؟ سوف يعتقدون أنني أريد قتال (موسى)".

قلت لها: "ولكن (كال)، أنت تعلمين أفضل من ذلك".

"ليس بالضرورة أن يحدث الإنسان بكل ما يعرفه. هذا لا يليق بسيدة. وثانياً، الناس لا يحبذون وجود شخص حولهم يعرف أكثر منهم، هذا يثير غضبهم. لن يمكنك أن تعيري دواخلهم بالتحدث بطريقة صحيحة، يجب أن يرغبوا هم بالتعلم. وحينما لا يرغبون بالتعلم فلا يمكنك أن تفعلي أي شيء غير إغلاق فمك أو التحدث بلغتهم".

"(كال). هل يمكنني القدوم لرؤيتك في بعض الأحيان؟".

نظرت لي وقالت: "التريني، يا عزيزتي؟ ولكنك ترينني كل يوم".

قلت لها: "في منزلك. في يوم ما بعد العمل؟ يمكن أن يحضرني (أتيكوس)".

قالت: "في أي وقت تريدين ذلك. سنكون سعداء بحضورك".

كنا نسير على الممشى أمام منزل (رادلي). قال (جيم): "انظرا إلى الشرفة هناك".

نظرت نحو منزل (رادلي)، متوقعة أن أرى ساكنه الشبح مستمتعاً بالشمس على الأرجوحة. كانت الأرجوحة خالية. قال (جيم): "أعني شرفتنا".

نظرت أسفل الشارع. مستقيمة، عنيدة، وصلبة، كانت العمدة (ألكساندرا) تجلس على كرسي هزاز، تماماً وكأنها كانت تجلس هناك كل يوم من أيام حياتها.

## الفصل 13

"ضعي حقيبتني في غرفة النوم الأمامية يا (كالبورنيا)". كان أول ما تفوهت به العمّة (ألكساندرا). " (جين لويس). توفي عن هرش رأسك". كان الشئ الثاني الذي قالته.

رفعت (كالبورنيا) حقيبة العمّة الثقيلة وفتحت الباب. "سوف أحملها". قالها (جيم) وحملها. سمعت الحقيبة تضرب أرض غرفة النوم بصوت مكتوم. استمر الصوت بصورة مملّة، ثم قلت: "هل جئت للزيارة يا عمّتي؟". زيارات العمّة من المزرعة كانت نادرة، وكانت تسافر في أبهة وعظمة. كانت تمتلك سيارة (بويك) خضراء مربعة وسائناً أسوداً، وكانت تبقي كليهما في حالة غير صحية من النظافة المفرطة. أما اليوم فكليهما لم يكونا موجودين. تساءلت العمّة: "ألم يخبركما أبوكما؟".

هزنا أنا و(جيم) رأسينا نفيماً.

"لقد نسي على الأرجح. هو لم يعد حتى الآن، أليس كذلك؟".

قال (جيم): "لا يا سيدتي. إنه لا يعود عادة حتى العصر".

"حسناً. والدك وأنا قررنا أنه قد حان الوقت لآتي وأبقى معكم لفترة من الزمن".

تعبير (لفترة من الزمن) في (مايكومب) كان يعني أي فترة زمنية من ثلاثة أيام لثلاثين سنة. تبادلت و(جيم) النظرات.

قالت لي العمّة: "(جيم) يكبر الآن، وكذلك أنت. فقررنا أنه من الأفضل لك أن تحسلي على بعض التأثير الأنتوي. لن تمضي سنوات يا (جين لويس) حتى تكوني قد أصبحتي مهتمة بالملابس والفتيان...".



كان يمكنني أن أرد على هذا بعدة طرق: (كال) أنتى، سوف تمضي سنوات عدة حتى أصبح مهتمة بالفتيان، سوف لن أصبح مهتمة بالملابس أبداً... ولكنني أثرت الصمت.

سأل (جيم): "ماذا عن العم (جيمي)؟ هل هو قادم أيضاً؟".

"أوه، لا، سوف يبقى في المزرعة ليشرف على سير العمل فيها".

في اللحظة التي سألتها: "ألن تشتاقي إليه؟" اكتشفت أن هذا سؤال غير لبق. وجود العم (جيمي) لم يكن يفرق من عدمه، لأنه لم يكن يقول أي شيء. تجاهلت العمّة (ألكساندرا) سؤالها تماماً.

لم أستطع أن أفكر في أي شيء آخر لأقوله لها. والحقيقة أنني لم أعرف أبداً ماذا أقول لها، وجلست أفكر في المحادثات المؤلمة التي دارت بيننا: كيف حالك يا (جين لويس)؟ بخير، أشكر، كيف حالك سيدتي؟ بخير، أشكر، ما الذي كنت تفعلينه؟ لا شيء. ألا تفعلين أي شيء؟ لا. لديك أصدقاء بالتأكيد؟ نعم. إذاً ما الذي تفعلونه معاً؟ لا شيء.

من الواضح أن العمّة كانت تراني قمة في الملل، لأنني سمعتها في مرة تخبر (أتيكوس) بأنني بليدة.

كان هناك قصة خلف كل هذا، ولكن لم يكن لدي الرغبة في انتزاعها منها الآن. اليوم كان الأحد، والعمّة (ألكساندرا) كانت سريعة الغضب في يوم الرب. أظن السبب كان مشد الخصر الذي تلبسه يوم الأحد. لم تكن العمّة سمينة، وإنما كانت متينة، وكانت تختار ملابس وقائية تتسبب برفع نهودها لارتفاعات تصيب بالدوار، وتجعل خصرها يبدو ضيقاً ومؤخرتها تبدو ممتلئة. في النهاية كانت العمّة (ألكساندرا) تتجح في أن تبدو رشيقة مثل الساعة الرملية، إلا أنني كنت أراها ضخمة.

بقية الأمسية اكتفتها الكآبة التي تهبط عليك حينما يظهر الأقارب، ولكنها تبددت حينما سمعنا صوت سيارة تتوقف في المدخل. كان هذا (أتيكوس) العائد من (مونتجمري). نسي (جيم) وقاره وجرى معي لنقابله. استولى (جيم) على

محفظته وحقيبتة، وقفزت أنا لذراعيه. قبلني قبلة خفيفة بينما قلت له: "هل أحضرت لي كتاباً؟ هل تعلم أن العمّة هنا؟".

أجاب (أتيكوس) السؤالين بالإيجاب. "ما رأيك في أن تأتي العمّة لتسكن معنا؟".

أخبرته أنني سأحب ذلك، وكنت أكذب بالطبع، ولكن على الشخص أن يكذب في بعض الأحيان خاصةً حينما لا يمكنك أن تفعل شيئاً حيال الأمر.

كان (أتيكوس) يقول: "أحسنا انه قد حان الوقت لكم لكي... حسناً، الأمر هكذا يا (سكاوت). عمّك تقدم لي ولكم جميعاً خدمة كبيرة. أنا لا أستطيع أن أبقى طوال اليوم معكم، كما أن هذا الصيف سيكون حاراً للغاية".

"نعم سيدي". قلتها وأنا لا أفهم كلمة مما يقوله. لكنني فهمت أن ظهور العمّة (ألكساندرا) في الساحة لم يكن قراره هو بقدر ما كان قرارها هي. كان للعمّة طريقتها المميزة بإعلان "ما هو أفضل للعائلة"، وأعتقد أن حضورها للعيش معنا كان يصب في هذه الخانة.

وقد استقبلتها بلدة (مايكومب) بترحيب. قامت الأنسة (مودي أتكسون) بخبز كعكة دسمة للغاية. كانت الأنسة (ستيفاني كراوفورد) تزور العمّة (ألكساندرا) زيارات مطولة، وكانت تتكون في معظمها من الأنسة (ستيفاني) التي تهز رأسها وتقول: "أوه، أوه، أوه". الأنسة (راشيل) جارتنا كانت تستقبل العمّة لقهوة العصر، والسيد (ناتان رادلي) خرج عن طوره وجاء للفناء الأمامي ليرحب بحضور العمّة.

حينما استقرت معنا وواصلت الحياة وتيرتها العادية، بدا كأن العمّة (ألكساندرا) قد عاشت معنا طوال عمرها. وجبات الطعام الخفيفة التي كانت تعدها للجماعة التبشيرية زادت من سمعتها كمضيفة (لم تكن تسمح لـ(كالبورنيا) بتحضير الطعام المطلوب لتغذية الجماعة أثناء الاجتماعات المطولة). انضمت العمّة إلى، ثم أصبحت سكرتيرة، نادي (مايكومب) للنسخ. بالنسبة لكل من كان يعيش ويشارك في الحياة اليومية للمقاطعة، كانت العمّة (ألكساندرا) آخر واحدة من فصيلتها: كان لديها قارب نهري. كان لها أخلاق المدرسة الداخلية، وكانت ذات

أخلاقيات عالية. كانت موضوعية ومتجردة. كانت نامامة من الدرجة الأولى. حينما كانت العممة (ألكساندرا) تذهب للمدرسة، لم يكن الشك بالنفس قد تم اكتشافه بعد، ولذلك لم تعرف العممة معناه أبداً. لم يحدث أن أصيبت بالملل، وحينما تسنح الفرصة كانت تمارس امتيازها الملكي بأن تنظم وتتصح وتنبه وتحذر.

لم تكن تترك فرصة تفوتها لتشير لنقائص المجموعات القبلية الأخرى لتخدم مجدنا، وهي عادة كانت تسلي (جيم) بأكثر مما تضايقه: "من الأفضل أن تراعي العممة ما تقوله... إنها تخذش معظم ساكني (مايكومب) بأظفارها وهم معارفنا وقرائنا".

العممة (ألكساندرا)، في تأكيدها للمغزى من انتحار الشاب (سام ميريويدز)، قالت أن السبب كان نزعة انتحارية في العائلة. فلتضحك فتاة في السادسة عشرة في الجوقة وسيكون تعليق العممة: "هذا ما يؤكد لكم، كل نساء (بنفيلد) طائشات". كان يبدو أن كل شخص في (مايكومب) لديه نزعة ما: نزعة للشراب، أو نزعة للقمار، أو نزعة للوأم، أو نزعة للمزاح.

في مرة، بعد أن أكدت لنا العممة أن ميل الأنسة (ستيفاني كراوفورد) للتدخل في شؤون الآخرين كان ميلاً وراثياً، قال (أتيكوس): "عزيزتي. حينما تفكرين في الأمر، ستجدين أن جيلنا هو عملياً أول جيل في عائلة (فينش) لا يتزوج أقرباءه. هل ستقولين أن آل (فينش) لديهم نزعة سفاح الأقارب؟".

قالت العممة لا، ولكن هذا هو السبب في أننا حصلنا على أيدي وأقدام صغيرة.

لم أستطع أبداً أن أتفهم هوسها بالوراثة. لسبب ما كنت قد كونت الانطباع أن الأناس الجيدين هم الذين قاموا بفعل أفضل ما يستطيعون بما لديهم من الإحساس، إلا أن العممة (ألكساندرا) كان لها رأي - عبرت عنه بطريقة غير مباشرة - وهو أنه كلما جثمت العائلة مكانها على قطعة أرض كلما كان ذلك جيداً.

"هذا يجعل عائلة (إيويل) أناساً جيدين، إذاً". قالها (جيم). العائلة التي كانت تضم (بوريس إيوييل) وإخوته كانت تعيش في نفس القطعة من الأرض وراء

مكب نفايات (مايكومب)، وكانت تعيش على مال المعونة من المقاطعة لثلاثة أجيال خلت.

إلا أن نظرية العمه (ألكساندرا) كان لها ما يعضدها. (مايكومب) كانت بلدة قديمة، تقع على بعد عشرين ميلاً شرق مزرعة (فينش)، وهو موقع موغل في البر بالنسبة لبلدة قديمة. ولكن (مايكومب) كانت ستكون أقرب للنهر لولا خفة بديهه شخص يدعى (سنكفيلد)، والذي كان في فجر التاريخ يدير حانة تلتقي فيها مسارات الخنازير، وكانت الحانة الوحيدة في المنطقة.

(سنكفيلد)، والذي لم يكن وطنياً على الإطلاق، كان يخدم ويوفر الذخيرة للهنود والمستوطنين على حد سواء، بدون أن يعلم أو يهتم بكونه جزءاً من (منطقة الألباما) أو (أمة الجدول) طالما أن التجارة كانت مربحة. سار العمل بصورة طيبة حتى قرر الحاكم (ويليام ويات بيب)، في محاولته لتعزيز الطمأنينة الداخلية للمقاطعة الحديثة، قرر إرسال فريق من المساحين ليحددوا مركز المقاطعة حيث سيقوم بتأسيس مقر حكومته هناك. قام المساحون – والذي كانوا ضيوف (سنكفيلد) – بإخبار مضيفهم بأنه كان داخل حدود مقاطعة (مايكومب) وأروه المكان المحتمل لبناء مقر الحكومة.

لو لم يقم (سنكفيلد) باتخاذ خطوة جريئة للحفاظ على ممتلكاته، فإن (مايكومب) كانت ستقع في منتصف مستنقع (ونستون)، وهو مكان غير مثير للاهتمام إطلاقاً بدلاً عن ذلك، نمت (مايكومب) وتمددت من مركزها الرئيسي، حانة (سنكفيلد)، لأن (سنكفيلد) كان في تلك الليلة قد أصاب ضيوفه بالسكر، ثم أقنعهم بأن يخرجوا خرائطهم وأشكالهم البيانية، ومن ثم قاموا بتهديب الأوراق وتعديل مركز المقاطعة ليناسب متطلباته. في اليوم التالي أرسلهم حاملين بأشكالهم البيانية ومعهم خمسة أرباع من (شيني) في جعبتهم: اثنان لكل فرد وواحد للحاكم.

لأن السبب الرئيسي لوجودها كان الحكومة، فإن (مايكومب) لم تكن تعاني من التلوث الذي تميزت به أغلب مدن ولاية (ألباما) بسبب حجمها. من البداية كانت مبانيها متينة، ومحكمتها فخورة بمبناها، وشوارعها عريضة.

نسبة المهنيين المقيمين بـ(مايكومب) كانت عالية: كان المرء يذهب هناك ليخلع أضراسه، أو يصلح سيارته، أو يتم الكشف على صدره، أو يودع ماله، أو يتم إنقاذ روحه من الهلاك، أو يتم فحص بغاله. ولكن الحكمة النهائية لمناورة (سنكفيلد) غير معروفة. لقد تسبب بوضع المدينة الوليدة بعيداً عن النوع الوحيد من النقل العام الذي كان معروفاً في تلك الأيام – وهو النقل النهري – مما كان يستلزم السفر لمدة يومين من شمال المقاطعة إلى (مايكومب) لشراء البضائع. وكنتيجة لذلك حافظت البلدة على حجمها لمائة سنة أخرى: جزيرة في البحر المرقع لحقول القطن وغابات الخشب.

ورغم أن (مايكومب) تم تجاهلها أثناء الحرب بين الولايات، إلا أن قانون إعادة التعمير والدمار الاقتصادي أجبراً البلدة على النمو، إلا أنها نمت داخلياً. كان من النادر أن يستقر أشخاص جدد في البلدة، وكانت العائلات تتزوج من بعضها حتى صار الناس متشابهين إلى حد كبير. أحياناً كان بعضهم يتزوج من (مونتجمري) أو (موبيل)، ولكن النتيجة كانت دائماً تموجاً بسيطاً في تيار التشابه العائلي السائد. كانت الأمور على هذا المنوال خلال سني نشأتي الأولى.

كان هناك نظام طبقي في (مايكومب) ولكني كنت أراه على النحو التالي. السكان الأكبر سناً، الجيل السائد من الناس الذي عاشوا مع بعضهم لسنوات طويلة، كانوا قابلين للتنبؤ بصورة كبيرة: كانوا يتوقعون طباعاً وشخصيات معينة، حتى الإيماءات كانت معروفة حيث أنها تكررت عبر الأجيال وانصقلت عبر الزمن. ولذلك كان من المعروف أن جميع أفراد عائلة (كراوفورد) يتدخلون في شؤون الآخرين، وأن الطفل الثالث في عائلة (ميريويذر) سيمرض، وأن عائلة (ديلافيلد) لا يقولون الحقيقة، وأن أفراد عائلة (بوفورد) يمشون بطريقة معينة. هذه كلها كانت دلائل على المعيشة اليومية: لا تقبل شيئاً من فرد (ديلافيلد) بدون أن تتصل بالبنك، كتفا الأنسة (مودي أتكينسون) منحنيان لأنها من عائلة (بوفورد)، إذا شربت السيدة (جريس ميريويذر) الخمر من زجاجة (ليديا بنكهام) فالأمر طبيعي لأن أمها كانت تفعل ذلك.

كانت العمدة (ألكساندرا) تلائم عالم (مايكومب) كما يلائم القفاز اليد، ولكنها لم تكن تلائم عالمي أنا و(جيم). كنت أحياناً أتساءل كيف يمكن أن تكون أخت (أتيكوس) والعم (جاك) مما جعلني أعيد إحياء قصص تبديل الأطفال في المهد التي كان ينسجها (جيم) ويحكىها لي منذ فترة طويلة.

كانت هناك تخمينات نظرية في الشهر الأول لمكوئها معنا. كان لديها القليل لتقوله لي أو لـ(جيم)، وكنا نراها فقط وقت الطعام وفي الليل قبل أن نذهب لننام. كان الوقت صيفاً وكنا نلعب بالخارج. حينما كنت أدخل فترة الظهيرة لأشرب بعض الماء كنت أجد غرفة المعيشة مكدسة بسيدات (مايكومب) اللائي كن يحتسين الشراب، ويهمسن، ويحركن المراوح، وكنت أنادى لأعود: "(جين لويس)، عودي لتحيي هاته السيدات".

حينما كنت أظهر في عتبة الباب، كان يبدو على العمدة الندم لأنها طلبت مني العودة، كنت عادة أكون ملطخة بالطين أو مغطاة بالرمل.

"تحدثي إلى بنت عمك (ليلي)". قالت العمدة في ظهيرة أحد الأيام حينما حاصرته في البهو.

سألتها: "من؟".

ردت العمدة (ألكساندرا): "بنت عمك (ليلي بروك)".

"هي بنت عمنا؟ لم أكن أعلم ذلك".

تمكنت العمدة (ألكساندرا) من الابتسام بطريقة عبرت عن الاعتذار اللطيف لابنة العم (ليلي) والاستتكار الحازم لي. حينما غادرت ابنة العم (ليلي بروك) عرفت أنني في مشكلة.

كان شيئاً محزناً أن أبي تجاهل إخباري عن عائلة (فينش)، ولم يحاول تثبيت أي فخر فينا. نادى العمدة (جيم) الذي جلس بحذر جوارى على الكنبه. غادرت العمدة الغرفة ثم عادت بكتاب بنفسجي الغلاف يحمل العنوان "تأملات (جوشوا) سانت كلير" مطبوعاً باللون الذهبي.

"ابن عمكما كتب هذا". قالت العمدة (ألكساندرا). "لقد كان شخصية رائعة".

تفحص (جيم) الكتاب الصغير. "هل هذا هو نفسه ابن العم (جوشوا) الذي كان محبوباً لفترة طويلة؟".

سألته العمّة (ألكساندرا): "كيف عرفت ذلك؟".

"لأن (أتيكوس) قال أنه انصرف في الجامعة. قال أنه حاول اغتيال الرئيس. قال أن ابن العم (جوشوا) قال أن الرئيس ليس سوى مفتش صرف صحي وحاول إردائه مستخدماً مسدس (فلاينتلوك) قديماً، إلا أن المسدس انفجر في يده. قال (أتيكوس) أن العائلة اضطرت لدفع خمسمائة دولار لإخراجه من هذه القضية...".

العمّة (ألكساندرا) كانت متصلة كطائر القلق. قالت مقاطعة: "هذا يكفي. سوف نبحث هذا الموضوع".

قبل موعد النوم كنت في غرفة (جيم) أحاول اقتراض كتاب، حينما قرع (أتيكوس) الباب ودخل. جلس (أتيكوس) على جانب فراش (جيم) ونظر إلينا بجدية، ثم ابتسم وقال: "أأأ... هممم...". كان يمهد لبعض الأشياء التي يريد قولها بأصوات حلقيه كهذه، وفكرت أنه ربما يكون قد أصبح عجوزاً إلا أنه بدا بنفس عمره الذي نعرفه. بدأ يقول: "لا أدري كيف أخبركما بهذا بالضبط".

قال (جيم): "فقط أخبرنا بالأمر. هل فعلنا شيئاً خطأ؟".

كان والدنا يتلمل. "لا. كنت أريد فقط أن أشرح لكما أن... عمتكما (ألكساندرا) طلبت مني أن... بني، أنت تعلم أنك من عائلة (فينش)، أليس كذلك؟".

"هذا ما أخبروني به". نظر (جيم) بركن عينه، وارتفع صوته لا شعورياً: "(أتيكوس)، ما الموضوع؟".

قاطع (أتيكوس) رجليه وطوى ذراعيه معاً. "أنا أحاول إخباركما بحقائق الحياة".

زاد احساس (جيم) بالتقرز وقال: "أنا أعرف كل هذا".

فجأة تحول (أتيكوس) لشخص جاد جداً، وقال بصوت المحامي وبدون أن تتغير نبرة صوته وهو يتحدث: "طلبت مني العمّة أن أحاول أن أفهمكما أنكما

لستما من عائلة من الرعاى. أنتما نتاج أجيل متعاقبة من التربية الكريمة...".  
توقف (أتيكوس)، ونظر إلي وأنا أحاول صيد حشرة مراوغة على رجلي.

"التربية الكريمة". واصل حديثه حينما أمسكت الحشرة وسحقتها. "وأنكما يجب أن تحاولا أن تسموا بنفسيكما لمستوى العائلة...". واصل (أتيكوس) رغباً عنا: "طلبت مني أن أخبركما أنكما يجب أن تتصرفا كسيد وسيدة نبيلين، لأنكما كذلك. هي ترغب في التحدث معكما حول العائلة وما كانت تعنيه لمقاطعة (مايكومب) عبر السنوات، حتى يصبح لديكما فكرة عن تاريخكما، حتى تتحفظا للتصرف وفقاً لذلك". اختتم (أتيكوس) كلامه بسرعة.

نظرت أنا و(جيم) نحو بعضنا بدهشة، ثم نظرنا نحو (أتيكوس) والذي بدا مشغولاً بياقة قميصه. لم نتحدث إليه.

قمت بإخراج مشط من طاولة (جيم) ورحت أجري أسنانه على طرف الطاولة.  
قال (أتيكوس): "أوقفي هذه الضجة".

لسعني اقتضابه الجاف. كان المشط في منتصف الرحلة، فرميته على الأرض بقوة. بدون سبب واضح وجدت نفسي أبكي ولم أتمكن من التوقف. هذا لم يكن أبي. أبي لم يفكر قط في هذه الأفكار. أبي لم يحدث أن تكلم بهذه الطريقة. العمدة (ألكساندرا) جعلته يقوم بهذا بطريقة ما. من خلال دموعي رأيت (جيم) واقفاً في معزل هو الآخر ورأسه منكس جانباً.

لم يكن هناك مكان أذهب إليه، ولكنني التفت لأغادر واصطدمت بمقدمة سترة (أتيكوس). دفنت رأسي فيها واستمعت للأصوات الداخلية الخافتة التي كانت تصدر من وراء القماش الأزرق الفاتح: صوت تكتكة ساعته، والطققة الخافتة لقمصيه المعالج بالنشا، والصوت الهادئ لتنفسه.

قلت له: "بطنك تدمدم".

رد علي: "أعرف ذلك".

"من الأفضل أن تتناول بعض الصودا".



"سوف أفعل".

"(أتيكوس). هل كل هذا التصرف والأشياء الأخرى ستغير من أوضاعنا هنا؟ أعني، هل أنت...؟".

أحسست بيده على مؤخرة رأسي. قال لي: "لا تقلقي من أي شيء. لم يحن وقت القلق بعد". حينما قال هذا، عرفت أنه عاد إلينا وعاد سريان الدم في رجلي الخدرتين. رفعت رأسي وقلت: "هل حقاً تريدنا أن نفعل كل هذا؟ أنا لا أستطيع تذكر كل ما يجب على آل (فينش) أن يفعلوه...".

"لا أريدك أن تتذكره. انسيه".

نهض خارجاً من الغرفة وأغلق الباب وراءه. كان سيغلقه بعنف، ولكنه أمسك نفسه في اللحظة الأخيرة وأغلقه بهدوء. بينما رحنا أنا و(جيم) نحدق، انفتح الباب مرة أخرى وراح (أتيكوس) ينظر حوله. كان حاجباه مرفوعين وكانت نظارته مرتخية. "أنا أبدو مثل ابن العم (جوشوا) كل يوم، أليس كذلك؟ هل تظنان أنني سأنتهي مكلفاً العائلة خمسمائة دولار؟". كنت أعلم ما كان يحاول فعله، ولكن (أتيكوس) مجرد رجل. الأمر يحتاج لامرأة لفعل هذا.

## الفصل 14

على الرغم من أننا لم نسمع المزيد عن عائلة (فينش) من العمّة (ألكساندرا)، إلا أننا سمعنا الكثير من البلدة. في أيام السبت ونحن نحمل عملاتنا المعدنية، حينما كان (جيم) يسمح لي بمرافقته – إذ أنه صار حساساً للغاية من وجودي معه في الأماكن العامة – كنا نشق طريقنا وسط الجموع المزدحمة والغارقة في العرق، حينها كنا نسمع: "ها هم أطفاله"، أو "انظروا هناك لبعض آل (فينش)". حينما نلتفت لنواجه مطلقاً الإتهام، لا نجد سوى مجموعة من المزارعين الذين يتأملون أكياس الحقنة الشرجية المعروضة على نافذة صيدلية (مايكومب)، أو امرأتان ريفيتان قصيرتان تلبسان قبعات قش وتجلسان في عربة (هوفر).

"يمكنهم أن يتحرروا ويقوموا باغتصاب كل من في الريف في هذه المقاطعة". كانت هذه ملاحظة غامضة قالها لنا سيد محترم نحيل حينما مر بنا، والتي ذكرتني بأن لدي سؤالاً أرغب بطرحه على (أتيكوس).

"ما معنى الاغتصاب؟". سألته في تلك الليلة.

نظر (أتيكوس) حوله من وراء جريدته. كان جالساً على كرسيه جوار النافذة. كنا قد كبرنا ولذلك فكرنا أنا و(جيم) أنه من كرم الأخلاق أن نسمح لـ(أتيكوس) بأن يختلي بنفسه ثلاثين دقيقة بعد العشاء.

تنهد ثم قال أن الاغتصاب هو انتهاك عرض أنثى بالقوة وبدون موافقتها.

"حسناً. إن كان هذا كل ما في الموضوع، لماذا رفضت (كالبورنيا) أن تخبرني حينما سألتها ما معنى اغتصاب؟".

بدا (أتيكوس) مستغرقاً في التفكير. "ماذا قلت؟".

## قتل الطائر المحاكي

"حسناً. كنت قد سألت (كالبورنيا) في طريق العودة من الكنيسة في ذلك اليوم عن معنى الاغتصاب ولكنها أخبرتني أن أسألك ولكنني نسيت وتذكرت الآن فسألتك".

كان قد وضع جريدته الآن على حجره وقال: "مرة أخرى من فضلك".

أخبرته بالتفصيل عن رحلتنا للكنيسة مع (كالبورنيا)، وبدأ على (أتيكوس) أنه استمتع بالقصة. ولكن العمدة (ألكساندرا) التي كانت تجلس في الركن، تخطط بهدوء، أوقفت تطريزها وحدقت فينا.

"هل كنتم عائدتين من كنيسة (كالبورنيا) في ذلك الأحد؟".

قال (جيم): "نعم سيدي، لقد رافقناها".

تذكرت شيئاً فقلت: "نعم سيدي، وقد وعدتني أن تسمح لي بالذهاب لمنزلها في عصر أحد الأيام. (أتيكوس)، سوف أذهب يوم الأحد القادم إن كان هذا مناسباً. هل يمكنني ذلك؟ قالت (كال) أنها ستأتي وتحملني إن كنت أنت غير موجود".

"لا يمكنك قطعاً".

قالتها العمدة (ألكساندرا). استدرت نحوها بدهشة، ثم التفت مرة أخرى نحو (أتيكوس) في اللحظة التي رأيت نظرتة الخاطفة نحوها. قلت لها: "ولكنني لم أسألك".

بالمقارنة مع سنه، فإن (أتيكوس) كان يستطيع النهوض والجلوس على مقعد بأسرع من أي شخص آخر عرفته. كان واقفاً على رجليه ويقول: "اعتذري من عمئك".

"أنا لم أسألها هي، سألتك أنت...".

أدار (أتيكوس) رأسه وثبتني في مكاني بنظرات عينه السليمة، بينما قال بصوت مرعب: "أولاً، اعتذري من عمئك".

دمدمت: "أنا آسفة يا عمتي".

قال (أتيكوس): "والآن، لنوضح هذا الأمر: ستفعلين ما تقوله (كالبورنيا)، ستفعلين ما أقوله أنا، وطالما أن عمك في هذا المنزل سوف تفعلين ما تقوله لك. هل تفهمين؟".

أجبت بأنني أفهم، ثم تأملت قليلاً، وانتهيت لأن الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها أن أنسحب بذرة كرامة هي أن أذهب للحمام. بقيت هناك لفترة تكفي لأن يظنوني احتجت فعلاً لاستعمال الحمام. حينما عدت، تلكأت في البهو لأسمع حواراً عنيفاً يدور في غرفة المعيشة. خلال الباب استطعت أن أرى (جيم) على الكنبه يحمل مجلة كرة القدم أمام وجهه، كان رأسه يتحرك وكأن الصفحات كانت تحتوي مباراة تنس حية.

كانت العمه تقول: "... يجب أن تفعل شيئاً حياها. لقد تركت لها الحبل على الغارب لفترة طويلة يا (أتيكوس). فترة طويلة جداً".

"لا أرى بأساً من تركها تذهب هناك - (كال) سوف تراعيها هناك مثلما تراعيها هنا".

من كانت "هي" التي يتحدثان عنها؟ سقط قلبي بين قدمي: إنها أنا. شعرت بجدران السجن المنشأة من القطن الوردي تطبق علي، وللمرة الثانية في حياتي فكرت في الهرب. حالاً.

"(أتيكوس). لا بأس بأن تكون طيب القلب. أنت رجل مسالم. ولكن لديك طفلة يجب أن تفكر فيها. طفلة تكبر في السن".

"هذا هو ما أفكر فيه".

"ولا تحاول الهرب من هذا. ستضطر لمواجهة هذا الأمر في يوم ما، ربما كان اليوم. نحن لا نحتاجها الآن".

كان صوت (أتيكوس) هادئاً: "(ألكساندرا). (كالبورنيا) لن تغادر هذا المنزل حتى تقرر هي ذلك. ربما تظنين غير ذلك، ولكنني لم أكن لأستطيع الاستمرار

بدونها كل هذه السنوات. هي فرد مخلص لهذه العائلة وسوف يتوجب عليك أن تقبلي الأشياء كما هي. بالإضافة لذلك، أنا لا أريدك أن تعلمي فوق طاقتك لخدمتنا – ليس هناك سبب لتفعلي ذلك. لا زلنا نحتاج (كالم) كما كنا نحتاجها دائماً".

"ولكن يا (أتيكوس)...".

"بالإضافة لذلك، لا أظن الأطفال قد عانوا للحظة أثناء تربيتهما لهم. في بعض الأحيان كانت تكون أفسى عليهم من أمهم نفسها... لم يحدث أن تركتهم يفلتوا بشئ فعلوه خطأ، كما أنها لم تدللهم كما تفعل معظم المربيات الملونات. حاولت أن تربيهم حسب مبادئها، وهي مبادئ ممتازة بالمناسبة. وهناك شئ آخر: الأطفال يحبونها".

استطعت أن أتنفس مرة أخرى. لم يكونا يتحدثان عني وإنما عن (كالبورنيا). عدت للغرفة وأنا منتعشة. (أتيكوس) كان قد عاد خلف جريدته والعممة (ألكساندرا) كانت تطرز بغضب. إبرتها كانت تضرب الدائرة المشدودة مصدرة صوت كليك – كليك – كليك. توقفت العممة ثم شدت القماش، وتواصل الصوت: كليك – كليك – كليك. كانت غاضبة للغاية.

نهض (جيم) وقطع السجادة بهدوء، مشيراً لي لأتبعه. قادني إلى غرفته وأغلق الباب. كان وجهه صارماً.

"كانا يتجادلان يا (سكاوت)".

كنا نتجادل كثيراً أنا و(جيم) في تلك الأيام، ولكنني لم يحدث أن سمعت أو رأيت أحداً يتشاجر مع (أتيكوس). لم يكن منظرًا مريحاً.

"(سكاوت)، حاولي ألا تعارضي العممة، أسمعيني؟".

ملاحظات (أتيكوس) كانت لا تزال عالقة بذهني، مما جعلني أفوت الرجاء في سؤال (جيم). تهيأت مرة أخرى للنزال. "هل تحاول أن تخبرني ماذا يجب أن أفعل؟".

## قتل الطائر المحاكي

"لا- الأمر- هو...- أن لديه الكثير- ممل يشغل عقله الآن، وهو- لا يحتاج لنا لنقله أكثر".

"مثل ماذا؟". لم يبد على (أتيكوس) أن عقله مشغول بشئ محدد.

"إنها قضية (توم روبنسون) وهي تقلقه بشدة...".

أخبرته أن (أتيكوس) لم يكن قلقاً بخصوص أي شئ. بالإضافة لذلك فإن القضية لم تكن تضايقنا إلا مرة واحدة في الأسبوع، وحتى حينها لم يكن الضيق يستمر فترة طويلة.

قال (جيم): "هذا لأنك لا تستطيعين أن تركزي في شئ أكثر من ثوانٍ معدودة. الأمر مختلف مع الأشخاص البالغين. نحن...".

تعالیه المجنون كان لا يطاق في تلك الأيام. لم يكن يفعل شيئاً سوى القراءة والانفراد بنفسه. لا زال يخبرني بكل ما يقرؤه كما كان من قبل مع فرق واحد: كان يخبرني من قبل لأنني كنت أحب ما يقوله، أما الآن فهو يخبرني لتثقيفي وتعليمي.

"يا رب العالمين! (جيم)، من تظن نفسك؟".

"أنا أعني ما أقول يا (سكاوت). قومي بمعارضة العمدة وسوف... سوف أضربك!".

بهذه العبارة كنت قد فقدت أعصابي. "أيها الوحش اللعين! سوف أقتلك!". كان جالساً على السرير. كان من السهل علي أن أقبض على شعره وأوجه له لكمة في فمه. صفعني فحاولت إعطاءه لكمة أخرى بيدي اليسرى، ولكنه لكمي في معدتي فتمددت على الأرض. كدت أن أفقد الوعي، ولكنني لم أهتم، لأنني أدركت أنه يقاثلني، إذاً فنحن لا زلنا متكافئين.

"لست عالياً وجباراً الآن، أليس كذلك!". صحت به وأنا أهجم مرة أخرى. كان لا زال جالساً على السرير. ولم يكن لدي فرصة سانحة، فألقيت نفسي عليه بكل ما لدي من قوة، ورحت أضرب وأجر وأقرص وأنقر. ما بدأ كمعركة بالأيدي

تحول لقتال شوارع. كنا لا زلنا نتصارع حينما قام (أتيكوس) بفصلنا عن بعضنا.

قال (أتيكوس): "هذا يكفي. فليذهب كل منكما إلى سريره. حالاً".

"هااااه!" قلتها لـ(جيم). لقد تم إرساله لينام في مواعيد نومي أنا.

سأل (أتيكوس) باستسلام: "من بدأ العراك؟".

"هو من بدأ العراك. كان يحاول إخباري بما يجب أن أفعله. أنا لست مجبرة أن أستمع إليه، أليس كذلك؟".

ابتسم (أتيكوس). "لنترك الأمر على هذا الحال: ستستمعين إلى (جيم) حينما يتمكن من إجبارك على السماع. هل هذا كافٍ؟".

العمة (ألكساندرا) كانت تستمع بصمت، وحينما غادرت إلى البهو مع (أتيكوس) سمعناها تقول: "... هذا فقط واحد من الأشياء التي كنت أخبرك عنها". هذه العبارة وحدثنا معاً مرة أخرى.

غرفتنا كانتا متجاورتين. حينما أغلقت الباب بين الغرفتين قال (جيم): "تصبحين على خير يا (سكاوت)".

"وأنت أيضاً". تمتمت وأنا أتلمس طريقي عبر الغرفة لأضئ النور. بينما كنت أمر جوار السرير خطوت فوق شئ دافئ ومرن وناعم. لم يكن ملمسه يشبه المطاط القوي، وجاءني إحساس أنه شئ حي، كما أنني سمعته يتحرك.

أضأت النور ونظرت للأرض جوار الفراش. مهما كان ما دست عليه فإنه قد اختفى الآن. نقرت باب غرفة (جيم).

سألني: "ماذا هناك؟".

"كيف هو ملمس الثعبان؟".

"خشن إلى حد ما. بارد. مغبر. لماذا؟".

"أعتقد أن هناك واحداً تحت فراشي. هل يمكنك أن تلقي نظرة؟".

"هل تمزحين الآن؟". فتح (جيم) الباب. كان يلبس سروال البيجاما. لاحظت أن أثر مفاصل يدي ما زال على فمه. حينما رأى أنني جادة فيما أقول قال: "لو كنت تظنين أنني سأنظر أسفل الفراش لأجد الثعبان في وجهي فأنت واهمة. انتظري دقيقة".

ذهب (جيم) إلى المطبخ وجاء يحمل مكنسة وهو يقول: "من الأفضل أن تصعدى إلى الفراش".

"هل تظن أنه فعلاً ثعبان؟". سألته إذ أن هذا كان حدثاً. لم تكن منازلنا تحتوي أقبية، إذ أنها كانت مبنية على كتل حجرية مرتفعة عن سطح الأرض، لذلك فدخل الزواحف لم يكن شيئاً معتاداً، رغم أنه كان يحدث أحياناً. السيدة (راشيل هافرورد) كانت تقول أنها تشرب كأساً من الويسكي في كل صباح لأنها لم تستطع تجاوز الرعب الذي شعرت به حينما وجدت ثعباناً ساماً في خزانة غرفة نومها، متعلقاً بملابسها، حينما كانت تريد تعليق عباءتها.

قام (جيم) بعمل مسح تجريبي تحت السرير. نظرت فوق قدم السرير لأرى إن كان هناك ثعبان خارج من تحت السرير. لم يخرج أي شيء، فقام (جيم) بمسحة أعمق.

"هل تشخر الثعابين؟".

قال (جيم): "هذا ليس ثعباناً، بل شخص ما".

فجأة اندفعت كتلة بنية متسخة من أسفل السرير. رفع (جيم) المكنسة وتفادى ضرب رأس (ديل) بقليل حينما برز هذا من تحت السرير.

"يا رب العالمين". امتلاً صوت (جيم) بالتبجيل وهو يقولها.



نظرنا نحو (ديل) وهو يخرج تدريجياً لأنه كان محشوراً. وقف على قدميه وحرك أكتافه، ثم أدار قدميه من الكاحلين، ثم حك مؤخرة رقبته. حينما استعاد دورته الدموية قال: "مرحباً".

التمس (جيم) الرب مرة أخرى، أما أنا فكنت عاجزة عن الكلام.

قال (ديل): "أنا أوشك على الهلاك. ألدكم أي شئ يؤكل؟".

ذهبت للمطبخ وأنا أحلم. جنته بكوب من الحليب ونصف رغيف خبز تبقى من العشاء. التهم (ديل) الطعام، ماضعاً بأسنانه الأمامية كما كانت عادته.

أخيراً عاد إلي صوتي فقلت: "كيف وصلت هنا؟".

بمسار معقد للغاية. بعد أن استعاد حيويته، حكى (ديل) هذه القصة: بعد أن تم تقييده بالسلاسل وتركه ليموت في القبو (حيث كان لديهم أقبية في مريديان) بواسطة أبيه الجديد الذي كان يكرهه، وبعد أن ظل على قيد الحياة بتناوله لبازلاء نيئة ألقاها إليه مزارع كان يمر حينما سمع صراخه يطلب المساعدة، قام (ديل) بتحرير نفسه بإنتراع السلاسل من الحائط. رغم أن معصميه ما زالوا في الأغلال إلا أنه سار مسافة ميلين خارج (مريديان) حيث وجد سيرك حيوانات صغيراً واستطاع أن يشترك فيه بغسل الجمل المشارك في العرض. ترحل بعدها مع السيرك حول ولاية (ميسيبي) حتى أخبره إحساسه الذي لا يخطئ بالاتجاهات أنه وصل مقاطعة (أبوت) بولاية (ألاباما)، والتي تقع في الضفة الأخرى للنهر من (مايكومب). من ثم سار بقدميه حتى وصل.

سأله (جيم): "حقاً، كيف وصلت هنا؟".

كان قد اقترض ثلاثين دولاراً من حقيبة أمه، ثم استقل قطار الساعة التاسعة من (مريديان) وهبط في محطة (مايكومب)، ثم سار عشرة أو إحدى عشر ميلاً من المسافة التي تبلغ أربعة عشر ميلاً إلى (مايكومب)، متحاشياً الطريق السريع ومتخفياً خلف الأشجار حتى لا تراه السلطات، ثم قطع الأميال الباقية متعلقاً بمؤخرة عربة نقل قطن. استمر راقداً تحت السرير لمدة ساعتين - حسب تقديره - وقد سمع أصواتنا في غرفة العشاء، وكاد يجن بصوت الأشواك وهي

تطرق الأطباق. كان يعتقد أنني و(جيم) لن نخلد للنوم، وفكر في أن يظهر ويساعدني في ضرب (جيم) إذ أن (جيم) صار أطول مني بكثير، ولكنه كان يعلم أن السيد (فينش) سيأتي ويفصلنا عن بعضنا، ولذلك فضل أن يبقى مختبئاً حيث هو. كان متعباً ومتسخاً، ولكنه كان في المنزل.

قال (جيم): "لا بد أن يعلموا أنك هنا. سوف نعرف إن كانوا يبحثون عنك".

ابتسم (ديل) وهو يقول: "أعتقد أنهم لا زالوا يبحثون في محال السينما في (مريديان)".

قال (جيم): "يجب أن تعرف أمك أين أنت. يجب أن تخبرها أنك هنا".

رمشت عينا (ديل) وهو ينظر إلى (جيم)، الذي خفض بصره للأرض، ثم قام بكسر القانون الذي كان متبقياً من طفولتنا بذهابه خارج الغرفة إلى البهو. سمعنا صوته من بعيد: "(أتيكوس). هل يمكنك الحضور لدقيقة واحدة يا سيدي؟".

تحول لون (ديل) للأبيض رغم الغبار والعرق اللذين يغطيانه. شعرت بالغثيان. (أتيكوس) كان يقف في عتبة الباب.

تقدم (أتيكوس) لمنتصف الغرفة ووقف واضعاً يديه في جيبيه، ناظراً نحو (ديل).

استطعت أخيراً أن أجد صوتي: "لا بأس يا (ديل). حينما يريدك أن تعلم شيئاً، فهو يخبرك به مباشرة".

نظر إلي (ديل). قلت له: "أعني أن الأمر على ما يرام. أنت تعلم أنه لن يضايقك. أنت تعلم أنك لا تخاف من (أتيكوس)".

تمتم (ديل): "أنا لست خائفاً...".

"جائع وحسب، حسبما أعتقد". كان صوت (أتيكوس) يحمل جفافه اللطيف المعهود. " (سكاوت)، يمكننا أن نقدم أفضل من نصف رغيف خبز بارد، أليس كذلك؟ املائي معدة هذا السيد وحينما أعود سوف نرى ما يجب أن نفعله".

"سيد (فينش)، لا تخبر العمدة (راشيل). لا تجبرني على العودة مرة أخرى، أرجوك يا سيدي! سوف أهرب من جديد!".

قال (أتيكوس): "مهلاً يا بني. لا أحد سيجبرك أن تذهب إلى أي مكان سوى السرير بعد قليل. كنت ذاهباً لمنزل الأنسة (راشيل) لأخبرها أنك هنا وأسألها هل يمكنك المبيت معنا – أنت ترغب بالمبيت هنا أليس كذلك؟ وبحق الرب أعد بعض التراب لمكانه، عوامل التعرية لوحدها تكفي".

حذق (ديل) في ظهر أبي وهو يغادر.

قلت له: "إنه يحاول أن يكون مضحكاً. ما يعنيه هو أن تستحم. أرايت؟ أخبرتك أنه لن يقوم بمضايقتك".

كان (جيم) واقفاً في ركن الغرفة، يبدو مذنباً بالخيانة التي قام بها. قال (جيم): " (ديل)، كان يجب علي إخباره. لا يمكنك أن تفر مسافة ثلاثمائة ميل بدون أن تعرف أمك".

تركناه واقفاً هناك بلا كلمة أخرى.

قام (ديل) بالأكل بشراهة، فهو لم يأكل منذ ليلة أمس. استخدم كل ماله لشراء تذكرة، ثم صعد القطار كما فعل من قبل عدة مرات، وتبادل حواراً لطيفاً مع المحصل الذي كان متعوداً على رؤية (ديل)، ولكن لم تطاوعه نفسه على أن يتوسل طالباً تنفيذ القاعدة المختصة بالأطفال الذين يسافرون مسافة طويلة لوحدهم، حيث أنهم إذا فقدوا مالهم فإن المحصل سوف يقوم بإقراض المال الكافي للعشاء، ومن ثم يقوم والدا الطفل بتسديد المبلغ في نهاية الخط.

راح (ديل) يهجم على بواقي الأكل، وكان يحاول الوصول لعلبة من لحم الخنزير والفاصولياء في مخزن الطعام حينما دوت صيحة الأنسة (راشيل) في البهو. راح (ديل) يرتجف كالأرنب المبتل.

تحمل (ديل) بشجاعة عبارات (انتظر لترى ما سيحدث عندما أعود بك للمنزل) و(لا بد أن أهلك قد فقدوا صوابهم)، واستمر هادئاً عندما جاءت (هذا دم عائلة هاريس في عروقتك)، وابتسم حينما قالت (أظن أنك يمكن أن تمضي ليلة واحدة هنا)، ثم رد الحظن الذي تعطفت عليه به في النهاية.

دفع (أتيكوس) نظارته للأعلى ومسح وجهه.

"أبوكما متعب". قالت العممة (ألكساندرا) كلماتها الأولى في الساعات الماضية. كانت موجودة طوال الوقت ولكن أظنها كانت مصدومة. "فلتذهبوا إلى السرير الآن يا أطفال".

تركناهم في غرفة العشاء وكان (أتيكوس) لا يزال يدعك وجهه. "من الاغتصاب إلى أعمال الشغب إلى الهرب". سمعناه يضحك. "أساءل ما سنأتي به الساعات القادمة".

بما أن الأمور راحت تمضي بصورة طيبة، قررنا أنا و(ديل) أن نعامل (جيم) بتحضر. بالإضافة لذلك فإن (ديل) كان مضطراً للنوم جواره وعليه كنا مضطرين لمحدثته. لبست ملابس نومي ورحت أقرأ لمدة حتى وجدت نفسي فجأة غير قادرة على إبقاء عيني مفتوحتين. (ديل) و(جيم) كانا هادئين: حينما أطفأت مصباح القراءة لم يكن هناك شعاع من الضوء أسفل باب غرفة (جيم).

لا بد من أنني قد نمت فترة طويلة جداً، لأنني حينما استيقظت على الضرب كانت الغرفة تسبح في ضوء القمر الباهت.

"تحركي جانباً يا (سكاوت)".

دمدمت: "لقد ظن أنه مضطر لفعل ذلك. لا تستمر حانقاً عليه".

دخل (ديل) في السرير جوارى وقال: "أنا لست كذلك. فقط أردت أن أنام جوارك. هل أنت مستيقظة؟".

## قتل الطائر المحاكي

كنت الآن مستيقظة تماماً ولكنني لا زلت أشعر بالكسل. سألته: "لماذا فعلت ذلك؟".

لم يجب. "سألتك لماذا هربت من المنزل؟ هل كان فعلاً شخصاً سيئاً كما قلت؟".

"لا...".

"ألم تقوما ببناء القارب كما قلت في رسالتك؟".

"هو فقط قال أننا سنفعل ذلك، ولكننا لم نقم به".

رفعت مرفقي ولكزت ظل (دليل). "هذا ليس سبباً للهرب. الكبار لا يفعلون نصف ما يقولون أنهم سيفعلونه طوال الوقت...".

"هذا ليس السبب. هو - بل هما - لم يكونا يرغبان في وجودي".

كان هذا أغرب سبب للهرب من المنزل أسمعه في حياتي. "وكيف ذلك؟".

"حسناً. كانا يغيبان طوال وقت، وحينما يعودان للمنزل يدخلان غرفة لوحيدهما".

"ماذا كانا يفعلان في الداخل؟".

"لا شيء. فقط يجلسان ويقرآن. ولكنها لم يكونا يرغبان بوجودي معهما".

دفعت المخدة للوح الأمامي وجلست. "أوتعلم شيئاً؟ كنت فكرت في أن أهرب الليلة بسبب وجودهم جميعاً هنا. في بعض الأحيان لا ترغب بوجود الجميع حولك. (دليل)...".

أطلق (دليل) نفساً طويلاً، أشبه ما يكون بزفرة قصيرة.

"... تصبح على خير. (أتيكوس) يغيب طوال اليوم وأحياناً بالليل أيضاً في السلطة التشريعية وأنا لا أعرف لكن... أحياناً لا تكون ترغب بوجود الجميع حولك يا (ديل). لا يمكنك أن تفعل أي شيء بوجودهم حولك".

"هذا ليس السبب".

حينما راح (ديل) يشرح، وجدت نفسي أتساءل كيف كانت حياتي ستكون لو كان (جيم) شخصاً مختلفاً، ماذا كنت سأفعل لو لم يكن (أتيكوس) يشعر بأهمية وجودي ومساعدتي ونصيحتي. هو لم يكن يستطيع قضاء يوم واحد بدوني. حتى (كالورنيا) لم تكن تستطيع إمضاء وقتها بدون وجودي. كانوا جميعاً يحتاجونني.

"(ديل)، أنت لم تحك لي القصة بصورة صحيحة. والداك لا يمكنها الحياة بدونك. يمكنهما فقط أن يعاملاك بلؤم. أخبرني ما يمكن عمله بخصوص هذا...".

جاءني صوت (ديل) ثابتاً في الظلام: "الأمر هو، ما أحاول أن أقوله هو... أنهما يعيشان حياتهما أفضل بدوني. أنا لست ذا فائدة في جميع الأحوال. هما ليسا لئيمين، على العكس هما يبتاعان لي كل ما أريده، ولكن الأمر هو... ها قد اشترينا لك اللعبة فاذهب والعب بها. لديك غرفة مليئة بالأشياء. لقد اشتريت لك هذا الكتاب فعليك أن تقرأه الآن". حاول (ديل) أن يجعل صوته عميقاً وهو يواصل: "أنت لست ولداً. الأولاد يخرجون ويلعبون كرة المضرب مع الأولاد الآخرين. الأولاد لا يظنون في المنزل مسببين القلق لو والديهم".

عاد صوت (ديل) لطبيعته: "أوه، الأهل ليسوا لئيمين. هم يقبلونك ويحضنونك ويقولون لك مساء الخير وصباح الخير ومع السلامة، ويخبرونك أنهم يحبونك... (سكاوت)، لنحصل لنا على طفل".

"من أين؟".

كان (ديل) قد سمع عن رجل لديه مركب يجذف به إلى جزيرة محاطة بالضباب ومليئة بالأطفال. ويمكنك أن تطلب طفلاً... "هذا كذب. العمدة تقول

أن الرب يلقي الأطفال من المدخنة. على الأقل هذا ما أعتقد أنها قالته". لأول مرة كان إملاء العمدة غير واضح تماماً.

"هذا ليس صحيحاً. الناس يحصلون على الأطفال من بعضهم البعض. ولكن هناك هذا الرجل أيضاً... لديه هذا الكم الهائل من الأطفال الذين ينتظرون أن يتم إبقاظهم. وهو ينفخ الحياة في أجسادهم...".

كان (ديل) يحلم مرة أخرى. كانت هناك أشياء جميلة تطفو داخل رأسه الحالم. كان يمكنه أن يقرأ كتابين في الوقت الذي أقرأ فيه كتاباً واحداً، ولكنه كان يفضل اختراع عالمه السحري الخاص به. كان يضيف ويحذف بسرعة الضوء، ولكنه كان يفضل عالمه الغارق في ضوء الغسق، ذلك العالم الذي يغفو فيه الأطفال بانتظار أن يتم قطفهم كأزهار الليلك. كان يهدد نفسه ببطء نحو المنام، وكان يأخذني معه، ولكن في منتصف جزيرته الضبابية تلك كانت تقف صورة بيت رمادي ذي أبواب بنية حزينة.

"(ديل)؟".

"مممم؟".

"لماذا تعتقد أن (بورادلي) لم يهرب أبداً؟".

تنهد (ديل) تنهيدة طويلة وانقلب إلى الجهة الأخرى.

"ربما لم يكن لديه أي مكان يهرب إليه...".

## الفصل 15

بعد الكثير من المكالمات الهاتفية، والكثير من الدفاع عن المتهم، وبعد رسالة طويلة متسامحة من أمه، تم إقرار أن (ديل) يمكنه البقاء معنا. قضينا أسبوعاً هادئاً ومسالماً مع بعضنا، ثم تضاءل السلام فيما بعد. كان هناك كابوس بانتظارنا.

بدأ الكابوس في إحدى الليالي بعد العشاء. كان (ديل) معنا، وكانت العمّة (ألكساندرا) تجلس على كرسيها في الركن، وكان (أتيكوس) يجلس على كرسيه، وكنت أنا و(جيم) على الأرض نقرأ. كان أسبوعاً هادئاً: كنت أطيع العمّة، و(جيم) صار كبير السن على بيت الشجرة، ولكنه ساعدني و(ديل) لنصنع سلم حبال جديداً له، كما أن (ديل) كان قد وضع خطة لا تقبل الفشل يمكننا عبرها جعل (بو رادلي) يظهر بدون أن نعرض أنفسنا للخطر (الخطة هي أن نضع مساراً من نقاط الليمون من الباب الخلفي للفناء الأمامي وسوف يتبعه كمنلة). سمعنا قرعاً على الباب الأمامي. فتح (جيم) الباب وأعلن أنه السيد (هيك تايت).

قال (أتيكوس): "حسناً. أدعه للدخول".

"لقد فعلت. هناك رجال في الفناء وهم يريدونك أن تخرج إليهم".

في (مايكومب) كان الرجال البالغون يقفون في الفناء الأمامي لسببين فقط: الموت والسياسة. تساءلت من مات. ذهبنا أنا و(جيم) للباب الأمامي ولكن (أتيكوس) صاح بنا: "عودا إلى الداخل".

أطفاً (جيم) أضواء الصالة وضغط أنفه على النافذة. اعترضت العمّة (ألكساندرا) فقال (جيم): "دقيقة فقط يا عمتي حتى أرى من هم".



## قتل الطائر المحاكي

وقفت مع (ديل) أمام النافذة الأخرى. كان هناك حشد من الرجال يقفون حول (أتيكوس) وكانوا يتحدثون كلهم في آنٍ واحد.

كان السيد (تايت) يتحدث: "... سينقلونه لسجن المقاطعة غداً. نحن لا نبحث عن المشاكل، لكنني لا أستطيع أن أضمن عدم حدوث مشاكل...".

قال (أتيكوس): "لا تكن أحمقاً يا (هيك). هذه (مايكومب)".

"... أنا فقط أوضح عدم ارتياحي".

قال (أتيكوس): "(هيك)، لقد قدمنا لاستئناف حتى نضمن عدم حدوث أي شيء. اليوم هو السبت. المحكمة لن تعقد حتى الاثنين. يمكنك أن تبقى ليلة واحدة، أليس كذلك؟ لا أظن أحداً في (مايكومب) سيحسدني على عميل واحد، ليس في مثل هذه الأوقات الصعبة".

سرت همهمات ارتياح ولكنها انتهت حينما قال السيد (لينك دياس): "لا أحد هنا يبحث عن المشاكل. أنا فقط قلق من (ساروم القديمة)... هل يمكنك أن تتحصل على - ماذا يسمى يا (هيك)؟".

قال السيد (تايت): "تغيير الموقع. لا توجد فائدة من ذلك، ألا ترى هذا؟".

قال (أتيكوس) شيئاً لم أسمعه. التفت نحو (جيم) ولكنه أشار لي لأصمت.

كان (أتيكوس) يقول: "... بالإضافة لذلك، أنتم لستم خائفين من ذلك الحشد، أليس كذلك؟".

"... أنت تعلم كيف يصبحون حينما يكونون سكارى".

قال (أتيكوس): "لا أحد يشرب عادة يوم الأحد. الجميع يذهبون للكنيسة معظم اليوم...".

قال أحدهم: "ولكن هذه مناسبة خاصة...".

## قتل الطائر المحاكي

استمرت المهمة واللغظ حتى قالت العمدة أن (جيم) إن لم يقم بإضاءة غرفة المعيشة فسوف يجلب العار للعائلة، ولكن (جيم) لم يسمعها.

كان السيد (لينك دياس) يقول: "... لا أعلم لماذا استلمت القضية من الأساس. ستخسر كل شيء من وراء هذا يا (أتيكوس)، وأنا أعني كل شيء".

"هل حقاً تعتقد هذا؟".

كان هذا سؤال (أتيكوس) الخطير. "هل حقاً تعتقد أنك تريد تحريك هذه القطعة لهذا المكان يا (سكاوت)؟". "بام، بام، بام، ثم تصبح رقعة الشطرنج خالية من القطع الخاصة بي". "هل حقاً تعتقد هذا يا بني؟ إذاً اقرأ هذه". ثم يقوم (جيم) بالاجتهاد لباقي الأمسية محاولاً قراءة خطب (هنري جرادي).

"(لينك)، هذا الشاب قد يتم إعدامه على الكرسي، ولكنه لن يموت حتى تظهر الحقيقة". كان صوت (أتيكوس) هادئاً. "وأنت تعلم ما هي الحقيقة".

سرت مهمة وسط الرجال، وصارت مثيرة للشؤم أكثر حينما تراجع (أتيكوس) نحو الدرج، واقترب منه الرجال أكثر.

فجأة صرخ (جيم): "(أتيكوس)، جرس الهاتف يرن!".

قفز الرجال وتفرقوا. كانوا زمرة من الأشخاص الذين نراهم يومياً: تجار، ومزارعون، والدكتور (رينولدز)، وحتى السيد (أفيري).

نادى (أتيكوس): "حسناً، فلترفع السماعة يا بني".

افترق الجمع ضاحكين. حينما أضاء (أتيكوس) مصباح السقف في غرفة المعيشة وجد (جيم) واقفاً عند النافذة، شاحباً إلا من العلامة الحمراء على أنفه الذي كان ضاعطاً على النافذة.

سأل (أتيكوس): "لماذا تجلسون في الظلام؟".

تابعه (جيم) وهو يسير ليجلس على كرسيه ويرفع جريدته. أحياناً كنت أعتقد أن (أتيكوس) كان يخضع كل أزمة في حياته للتقييم الهادئ من خلف صفحات جريدة (سجل موبيل) و(أخبار بيرمنجهام) و(معلن موننجمري).

راح (جيم) يسأل: "لقد جاءوا من أجلك، أليس كذلك؟ كانوا يريدون النيل منك، أليس كذلك؟".

خفض (أتيكوس) الجريدة وهدق في (جيم) قائلاً: "ما الذي كنت تقرأه؟". بعدها قال بلطف: "لا يا بني. هؤلاء كانوا أصدقاءنا".

"ألم تكن هذه - عصابة؟". سأل (جيم) وهو ينظر بركن عينه.

حاول (أتيكوس) أن يكبح ابتسامته ولكنه لم يتمكن من ذلك. "لا. ليس لدينا عصابات وكلام فارغ مثل هذا في (مايكومب). لم يحدث لي أن سمعت بوجود عصابة في (مايكومب)".

"مجموعة (كو كلوكس) جاءوا خلف بعض الكاثوليك في مرة".

قال (أتيكوس): "ولم يسبق أن سمعت بكاثوليك في (مايكومب). أنت تخلط هذا الأمر بأمر آخر. قديماً في حوالي سنة ألف وتسعمائة وعشرين كان هناك جماعة، ولكنها كانت منظمة سياسية أكثر من أي شئ آخر. كما أنهم لم يستطيعوا أن يجدوا أي شخص يمكن إخافته. قاموا بالاستعراض أمام منزل السيد (سام ليفي) في إحدى الليالي، إلا أن (سام) ببساطة وقف في شرفته وأخبرهم أن الأمور كانت جيدة لأنه هو من باعهم الملاءات التي يلبسونها فوق ظهورهم. (سام) أصابهم بالحر الشديد حتى غادروا المكان".

عائلة (ليفي) كانت تملك كل الخصائص لتصفينهم كأناس جيدين: كانوا يقومون بأفضل ما يمكن باستخدام ما لديهم، كما أنهم ظلوا يقيمون على نفس الأرض في (مايكومب) لمدة خمسة أجيال متعاقبة.

قال (أتيكوس): "مجموعة (كو كلوس) ذهبوا ولن يعودوا مرة أخرى".

كنت عائدة للمنزل مع (ديل) ودخلت في اللحظة التي كان (أتيكوس) يقول فيها للعملة: "... لنصرة الأنوثة في الجنوب كأبي شخص آخر، لكن ليس للإبقاء على الخيال المهذب على حساب حياة أحدهم". وهو التصريح الذي جعلني أشك في أنهما كانا يتجادلان مرة أخرى.

بحثت عن (جيم) ووجدته في غرفته جالساً على السرير مفكراً بعمق. سألته: "هل كانا يتجادلان؟".

"تقريباً. لم تتركه لحاله بخصوص قضية (توم روبنسون). تقريباً قالت أن (أتيكوس) يجلب العار للعائلة. أنا خائف يا (سكاوت)".

"خائف من ماذا؟".

"خائف على (أتيكوس). قد يقوم أحدهم بإيذائه". فضل (جيم) أن يظل غامضاً. كانت إجابته لكل ما سألته بعد ذلك أن أذهب وأتركه لحاله.

اليوم التالي كان يوم الأحد. في المسافة الفاصلة بين مدرسة الأحد والكنيسة حينما كان الجمع يمدون أرجلهم، رأيت (أتيكوس) يقف في الفناء مع مجموعة أخرى من الرجال. السيد (هيك تايت) كان موجوداً، وتساءلت إن كان قد رأى الضوء. لم يكن يذهب للكنيسة أبداً. حتى السيد (أندروود) كان هناك. لم يكن السيد (أندروود) ذا فائدة لأي مؤسسة سوى جريدة (منبر مايكومب) والتي كان صاحبها ومحررها وطابعها. كان يقضي معظم أيامه أمام الآلة الطابعة، حيث كان ينعش نفسه بالشرب من إبريق كبير من الخمر. كان نادراً ما يجمع الأخبار بنفسه لأن الناس عادة ما كانوا يجلبون الأخبار إليه. كان يقال أنه يكتب جميع أعداد (منبر مايكومب) من رأسه ويطبعها بنفسه، وهو الشيء الذي كان صعب التصديق. لا بد أن شيئاً ما قد أغرى السيد (أندروود) بالحضور.

قابلت (أتيكوس) داخلاً من الباب. قال أنهم قد نقلوا (توم روبنسون) لسجن مقاطعة (مايكومب). كما أنه قال - وكأنه يهمس لنفسه لآلي - أنهم لو كانوا وضعوه هناك منذ البداية لم تكن لتحدث أي ضجة. رأيتنه يأخذ مقعده في الصف الثالث من الأمام وسمعته يرتل (أقرب إليك ربي) متخلفاً بضع نوتات عن

بقيتنا. لم يكن يجلس جوارنا أنا والعمة و(جيم). كان يفضل أن يجلس لوحده في الكنيسة.

السلام الملفق الذي كان يغلب يوم الأحد صار أكثر إزعاجاً بوجود العمة (ألكساندرا). كان (أتيكوس) يهرع لمكتبه بعد العشاء مباشرة. كنا أحياناً نختلس النظر ونراه جالساً على كرسيه الدوار يقرأ. جهزت العمة (ألكساندرا) نفسها لساعتين من القيلولة وحذرتنا من إصدار أي صوت في الفناء لأن الجيران كانوا نائمين. (جيم) كبير السن حمل كومة من مجلات كرة القدم ودخل إلى غرفته. قضينا أنا و(ديل) أيام الأحد نزحف في حقل (دير).

كان الصيد ممنوعاً في أيام الأحد، ولذلك قضينا أنا و(ديل) اليوم في اللعب بكرة (جيم) في الحقل، ولكن الأمر لم يكن ممتعاً للغاية. سألني (ديل) إن كنت أرغب بمضايقة (بو رادلي). أخبرته أنه لن يكون من اللطيف أن نضايقه، وقضينا بقية الظهرية وأنا أخبر (ديل) عن أحداث الشتاء الماضي. كان متأثراً بصورة واضحة.

افترقنا عند العشاء، وقمنا بعد العشاء - أنا و(جيم) - بالتحضير لأمسية عادية. كان هذا حينما قام (أتيكوس) بفعل أمر جذب انتباهنا: دخل إلى غرفة المعيشة حاملاً سلكاً كهربائياً طويلاً، وكان هناك مصباح متصل في نهاية السلك.

قال (أتيكوس): "سوف أغيب لفترة. سوف يحين موعد نومكم عندما أعود، ولذلك سأقول لكما تصبحان على خير الآن".

وضع (أتيكوس) قبعته على رأسه وخرج من الباب الخلفي.

قال (جيم): "إنه يستقل السيارة".

كان لوالدنا بعض الخصل الغريبة، أحدها كان أنه لا يأكل الحلويات، والأخرى أنه كان يحب المشي. كانت هناك سيارة (شيفروليه) بحالة ممتازة في الجراج، وكان (أتيكوس) يستخدمها حينما يسافر للعمل، ولكن داخل (مايكومب) كان (أتيكوس) يسير من وإلى المكتب أربع مرات كل يوم مغطياً مسافة ميلين

تقريباً. كان يقول أن تمرينه الوحيد هو المشي. في (مايكومب) لم يكن أحد يتمشى بدون هدف معين، وإلا اعتبر شخصاً بدون هدف في الحياة.

فيما بعد حبيت عمتي وأخي تحية النوم ودخلت للفراش، حينما سمعت (جيم) يصدر أصواتاً في غرفته. كنت أعرف الأصوات التي يصدرها حينما يخلد للنوم ولذلك طرقت الباب وسألته: "لماذا لا تذهب للنوم؟".

"سأذهب للبلدة". كان يغير سر واله.

"لماذا؟ الساعة تشارف العاشرة يا (جيم)".

كان يعلم ذلك، ولكنه كان مصمماً على الخروج.

"إنذا سأذهب معك. حتى لو رفضت فسأذهب معك، أتسمعي؟". عرف (جيم) أنه سيضطر للعراك معي ليقتيني في المنزل، وأظنه فكر أن العراك سيكون ضد مشيئة العمه، فاستسلم على مضض.

لبست ملابسي بسرعه. انتظرنا حتى رأينا أضواء العمه تنطفئ، ثم سرنا خارج المنزل بهدوء من الجهة الخلفية. لم يكن القمر بازغاً في تلك الليلة.

همست له: "(ديل) سير غب المجئ".

قال (جيم) بعبوس: "إنذا فليأت".

قفزنا فوق سياج المدخل وقطعنا فناء السيدة (راشيل) الجانبية وذهبنا لنافذة (ديل). أصدر (جيم) صفيراً مميزاً فظهر وجه (ديل) وراء النافذة، ثم اختفى، وعاد بعد خمس دقائق ليفتح المصراع ويزحف للخارج. كان متمرساً في حملاتنا لذلك لم يصدر أي صوت حتى صرنا في الشارع. "ما الأمر؟".

"(جيم) يريد النظر في الجوار". وهي مصيبة قالت (كالبورنيا) أن جميع الأولاد في عمر (جيم) يصابون بها.

قال (جيم): "الذي فقط هذا الإحساس. هذا الإحساس بشئ ما".

مررنا بمنزل السيدة (دوبوس) الخالي والموصد. كانت زهور الكاميليا الخاصة بها قد تغطت بالأعشاب. لا زال أمامنا ثمانية منازل حتى نصل لمكتب البريد.

الجزء الجنوبي من الساحة كان خالياً. الزوايا كانت تمتلئ بشجيرات كثيفة منتصبة للأعلى يبدو بين أغصانها السياج الحديدي المزروود ملتصقاً تحت أضواء الشارع. كان هناك ضوء صادر من حمام المحكمة، أما بقية البناء فكانت مغلقة بالظلام. كانت مجموعة من المحال التجارية تحيط بساحة المحكمة حيث كانت تصدر أضواء خافتة من خلف أبوابها المغلقة.

كان مكتب (أتيكوس) في المحكمة حينما بدأ مزاوله القانون، ولكنه نقل مكتبه بعد عدة سنوات لمقر أكثر هدوءاً في مبنى بنك (مايكومب). حينما التفتنا حول الركن، رأينا السيارة مركونة أمام البنك. قال (جيم): "إنه في الداخل".

ولكنه لم يكن هناك. كان هناك رواق طويل يؤدي إلى مكتبه. بالنظر أسفل الرواق كان يجب أن نرى عبارة (أتيكوس فينش - محامي وقانوني) تبرز بحروف رصينة تحت الإضاءة القادمة من خلف باب المكتب. ولكن المكان كان مظلماً.

أطل (جيم) من باب البنك ليتأكد من خلوه. أدار مقبض الباب ولكن الباب كان موصداً. "لنذهب أعلى الشارع، ربما كان يزور السيد (أندروود)".

السيد (أندروود) لم يكن فقط يدير مكتب جريدة (منبر مايكومب) وإنما كان يعيش هناك، في الطابق العلوي. كان يغطي أخبار المحكمة والسجن ببساطة بالنظر خارج نافذته العلوية. مبنى المكتب كان يقع في الزاوية الشمالية الغربية من الساحة، وكان علينا أن نمر بالسجن حتى نصل إليه.

سجن (مايكومب) كان أكثر مبنى مهيب وبشع في المقاطعة. كان (أتيكوس) يقول أنه يشبه شيئاً من تصميم ابن العم (جوشوا سانت كلير)، لأنه كان يبدو كشئ خارج من حلم شخص ما. كان مبنى بارزاً بشكل صارخ في بلدة مكونة من المتاجر مربعة الواجهات والمنازل ذات السطوح المنحدرة، حيث كان السجن يشبه نكتة قوطية مصغرة بعرض زلزانة وارتفاع زلزانتين، محاطاً

بسور ذي دعامات. ولتكتمل الصورة الخيالية فقد كانت الواجهة من القرميد الأحمر، وتغطت نوافذه الكنسية بقضبان حديدية قوية. كان مبنى السجن محاصراً بين محل (تندال) للخردوات ومكتب جريدة (منبر مايكومب). هذا السجن كان محور حديث (مايكومب) الوحيد: منتقدو المبنى كانوا يقولون أنه يشبه مرحاضاً من الفترة الفيكتورية، أما المؤيدون فكانوا يقولون أنه يعطي البلدة منظرًا ثابتاً محترماً، وأنه لا أحد غريب من البلدة سيشك أبداً في أن المبنى ملئ بالزئوج.

رحنا نمشي على الممر حينما رأينا ضوءاً منفرداً من على البعد. قال (جيم): "هذا غريب. ليس هناك مصباح خارجي في السجن".

قال (ديل): "بيدو أنه أعلى الباب".

كان هناك سلك كهربائي طويل يخرج من بين قضبان نافذة الطابق الثاني، هابطاً على جانب المبنى. على ضوء المصباح رأينا (أتيكوس) جالساً مستنداً على الباب الأمامي. كان جالساً على أحد كراسي مكتبه، وكان يقرأ، غافلاً عن الحشرات الليلية التي كانت ترقص فوق رأسه.

كنت سأركض نحوه ولكن (جيم) أمسك بي وقال: "لا تذهبي إليه لأن ذلك لن يعجبه. هو بخير، فلنعد للمنزل. كنت فقط أريد أن أعرف أين هو".

كنا متخذين مساراً مختصراً للعودة عبر الساحة حينما جاءت أربع سيارات مغبرة من طريق (مريديان) السريع. كانت السيارات تسير ببطء في رتل واحد. دارت السيارات حول الساحة متجاوزة مبنى البنك ثم توقفت أمام السجن.

لم يخرج أحد من السيارات. رأينا (أتيكوس) يرفع نظره من جريدته ثم يغلقها ويطويها واضعاً إياها على حجره. حينما دفع قبعته لمؤخرة رأسه بدا أنه كان يتوقع الزوار.

"تعاليا". همس (جيم). سرنا عبر الساحة وقطعنا الطريق حتى وصلنا لباب (جنتي جنفل). ألقى (جيم) نظرة خاطفة على الممر وقال: "يمكننا أن نقترب



## قتل الطائر المحاكي

أكثر". جرينا نحو باب متجر (تندال) للخردوات وهو موقع قريب وفي نفس الوقت سري لن يرانا فيه أحد.

نزل الرجال من السيارات فرادى وأزواجاً. صارت الظلال أكثر كثافة تحت أضواء الشارع، وكانت تتحرك نحو باب السجن. بقي (أتيكوس) جالساً في مكانه قبل أن يختفي خلف أجساد الرجال.

سأل أحد الرجال: "هل هو بالداخل يا سيد (فينش)؟".

سمعنا (أتيكوس) يجيب: "إنه بالداخل، وهو نائم. رجاءً لا توقظوه".

استجابة لطلب أبي، وما تبين لي فيما بعد أنه كان جانباً مرحاً في موقف غير مرح على الإطلاق، راح الرجال يتحدثون فيما يشبه الهمس.

قال رجل آخر: "أنت تعلم ما نريد. تتح عن الباب يا سيد (فينش)".

أجاب (أتيكوس) بلطف: "يمكنك أن تستدير وتعود لمنزلك يا (والتر). لا بد أن (هيك تايت) في الجوار".

قال رجل آخر: "ليس بالجوار أبداً. فرقة (هيك) ضائعة في الغابة ولن تخرج منها قبل الصباح".

"حقاً؟ ولماذا؟".

"ذهبوا في رحلة قنص". كانت الإجابة المقتضبة. "أنت لم تفكر في هذا، أليس كذلك يا سيد (فينش)؟".

"فكرت فيه، ولكنني لم أصدق. حسناً إذناً". كان صوت والدي كما هو لم يتغير. "هذا يغير الأمور، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد". قال صوت عميق آخر من أحد الظلال.

"هل حقاً تظن هذا؟".

كانت هذه المرة الثانية التي أسمع فيها (أتيكوس) يسأل هذا السؤال في يومين، وكان هذا يعني أن شيئاً على وشك الحدوث. كان هذا أمراً لا يمكنني تفويته، فانفصلت عن (جيم) وجريت بأقصى سرعتي نحو (أتيكوس).

صرخ (جيم) وحاول أن يمسكني، ولكنني كنت أسرع منه ومن (ديل). شققت طريقي بين الأجساد المعتمة عطنة الرائحة ودخلت في دائرة الضوء.

"هيي. (أتيكوس)!"

ظننت أنها ستكون مفاجأة سارة له، ولكن النظرة على وجهه قتلت الفرحة داخلي. رأيت لمحة خاطفة من الخوف في عينيه، ولكنها عادت حينما شق (ديل) و(جيم) طريقيهما نحو دائرة الضوء.

كانت رائحة الويسكي العفن وزرائب الخنازير تعج في المكان، وحينما نظرت حولي اكتشفت أن هؤلاء الرجال كانوا غرباء. لم يكونوا نفس الرجال الذين رأيتهم ليلة أمس. شعرت بالإحراج الشديد لأنني قفزت بانتصار داخل حلقة من الرجال الذين لم أرهم من قبل.

نهض (أتيكوس) من كرسيه، ولكنه كان يتحرك ببطء كرجل كهل. قام بوضع الجريدة أرضاً بحرص شديد، معدلاً ثنياتها بأصابعه الطويلة، والتي كانت ترتجف قليلاً.

قال (أتيكوس): "عد للمنزل يا (جيم). وخذ معك (سكاوت) و(ديل)".

كنا متعودين على الإذعان الفوري - والمرح غالباً- لتعليمات (أتيكوس)، ولكن من طريقة وقفته عرفت أن (جيم) لن يتزحزح من مكانه.

"أخبرتك أن تذهب للمنزل".

هز (جيم) رأسه نافيةً. حينما وضع (أتيكوس) قبضتيه على وركيه، فعل (جيم) مثله، وحينما نظرت إليهما لاحظت أن التشابه بينهما قليل جداً: شعر (جيم) البني الناعم وعيناه البنيتان، ووجهه البياضوي وأذناه المتناسبتان مع رأسه

كانت كلها صفات أماناً. كان ذلك يتعارض مع شعر (أتيكوس) الأسود الذي غزاه الشيب، وملامحه المربعة. ولكنهما كانا يبدوان متشابهين بطريقة ما. التحدي المتبادل جعلهما متشابهين.

"بني. أخبرتك أن تعود للمنزل".

هز (جيم) رأسه مرة أخرى.

"سوف أعيده للمنزل". قالها رجل متين البنيان، وهو يمسك ياقة قميص (جيم) بغلظة حتى كاد ينتزعه من الأرض.

"لا تلمسه!" - قتلها وأطأ أركل الرجل بخفة. كنت حافيةً ولذلك اندهشت حينما سقط على الأرض على ظهره وهو يتألم بشدة. كنت أصوب نحو ساقه ولكن يبدو أنني أصبت هدفاً أعلى بكثير.

"هذا يكفي يا (سكاوت)". قال (أتيكوس) وهو يضع يده على كتفي. "لا تركلي الناس. لا...". كان يتحدث وأنا أحاول تبرير موقفي.

قلت له: "لا أحد يعامل (جيم) بهذه الطريقة".

تذمر أحدهم: "حسناً يا سيد (فينش). أخرجهم من هنا. لديك خمسة عشر ثانية لتخرجهم من هنا".

في وسط هذا التجمع الغريب، وقف (أتيكوس) محاولاً جعل (جيم) ينفذ طلبه. "لن أذهب لأي مكان". كان هذا رد (جيم) الثابت لجميع تهديدات وطلبات (أتيكوس)، والذي قال أخيراً: "أرجوك بني. خذهما للمنزل".

كنت قد بدأت أمل من هذا، ولكنني أحسست أن (جيم) لديه أسبابه الخاصة لفعل ما يفعله، نظراً لما ينتظره حينما يعود (أتيكوس) للمنزل. نظرت حولي للحشد. كانت ليلة صيف، ولكن أغلب الرجال كانوا لابسين ملابس عمل وأقمصة من قماش (الدينيم) القطني المزررة حتى الياقة. فكرت أنهم يسكنون مكاناً بارداً لأن أكمامهم كانت مبسوطة ومزررة عند نهايتها. بعضهم كان يلبس قبعات مشدودة بإحكام لتغطي آذانهم. كانوا رجالاً متجهمين وأقرب للنعاس، ولا يبدو عليهم

## قتل الطائر المحاكي

أنهم تعودوا الاستيقاظ حتى ساعات متأخرة. بحثت مرة أخرى عن وجه مألوف، وفي منتصف الحلقة وجدت واحداً.

"هيه، سيد (كانينجهام)".

يبدو أن الرجل لم يسمعي.

"هيه، سيد (كانينجهام)، كيف تسير إجراءات الورثة؟".

كانت أحوال السيد (والتر كانينجهام) القانونية معروفة تماماً بالنسبة لي، لأن (أتيكوس) كان قد شرحها لي مطولاً من قبل. رمش الرجل الضخم وعلق بإبهاميه على حزامي لباس العمل. لم يكن يبدو عليه الارتياح إذ تتنح ونظر بعيداً، متجاهلاً عبارتي الافتتاحية المرحة.

لم يكن السيد (كانينجهام) يلبس أي قبعة، وكان النصف الأعلى من جبهته أبيضاً بالمقارنة مع وجهه الذي لوحته الشمس، مما جعلني أعتقد أنه كان يلبس قبعة في أغلب الأوقات. حرك الرجل قدميه المحشورتين في حذاء عمل ثقيل.

"ألا تتذكرني يا سيد (كانينجهام)؟ أنا (جين لويس فينش). لقد أحضرت لي بعض الجوز من قبل، أتذكر؟". بدأت أحس عقم محاولتي مثلما يحدث حينما تقابل شخصاً تعرفه من بعيد ولكنه لا يتذكرك.

بدأت من جديد: "أنا أذهب للمدرسة مع (والتر). إنه ابنك، أليس كذلك؟ أليس كذلك يا سيدي؟".

أوماً السيد (كانينجهام) برأسه إيماءة خافتة. لقد كان يعرفني رغم كل شيء.

قلت له: "ابنك معي في الصف، ودرجاته جيدة. إنه فتى جيد". واصلت: "فتى جيد جداً. لقد أخذناه معنا للغداء في البيت من قبل. ربما أخبرك عني، لقد ضربته من قبل ولكنه تقبل الأمر بصدر رحب. بلغه تحياتي لو سمحت".

كان (أتيكوس) يقول أنه من الذوق أن تحدث الناس حول المواضيع التي تهمهم، لا المواضيع التي تهمك أنت. لم يبد على السيد (كانينجهام) الاهتمام بموضوع

ابنه، فحاولت التحدث في موضوع الورثة مرة أخرى كمحاولة أخيرة لجعله يحس بالترحيب.

"مسائل الورثة سيئة". كنت أنصحه، حينما انتبهت لحقيقة أنني كنت أخطب في الجمع كله. كان كل الرجال ينظرون نحوي، بعضهم بأفواه نصف مفتوحة. كان (أتيكوس) قد توقف عن نخز (جيم)، وكان (ديل) واقفاً جوارهما. تصاعد انتباههم ليتحول إلى افتتان. حتى فم (أتيكوس) كان نصف مفتوح، وهو السلوك الذي قال عنه من قبل أنه فظ وغير حضاري. التقت عينانا فأقبل فمه.

"حسناً يا (أتيكوس)، كنت فقط أقول للسيد (كانينجهام) أن مسائل الورثة سيئة وما إلى ذلك، ولكنك قلت أنه لا يجب القلق، لأن هذه المسائل تأخذ وقتاً... وأخبرته أنكم ستحلون الموضوع سووية...". بدأت الكلمات تجف في حلقي، ورحت أتساءل عن الحماسة التي ارتكبتها بحق نفسي. مسائل الورثة كانت موضوعاً مناسباً لحديث في غرفة المعيشة في المنزل.

بدأت أشعر بالعرق يتجمع في أطراف شعري. كان يمكنني أن أتحمل أي شيء سوى مجموعة من الناس الذين يحدقون في. كانوا لا زالوا صامتين.

سألت: "ما المشكلة؟".

لم يقل (أتيكوس) أي شيء. نظرت حولي ثم رفعت رأسي لأنظر نحو السيد (كانينجهام) والذي كان وجهه خالياً من التعبير. ثم قام بفعل شيء غريب: جلس على الأرض وأمسك بي من كتفي.

قال لي: "سوف أخبره أنك أرسلت له تحية أيتها السيدة الصغيرة".

ثم انتصب واقفاً ولوح بكفه العريض وصاح: "فانخل المكان. هيا يا شباب لنتحرك من هنا".

مشى الرجال بخطوات متناقلة وركبوا سياراتهم المتهاكة، فرادى وأزواجاً كما جاءوا. انغلقت الأبواب، وزارت المحركات، ثم انصرف الجمع.

التفت نحو (أتيكوس)، ولكنه كان قد ذهب لحائط السجن واتكأ عليه ووجهه مقابل للحائط. ذهبت إليه وجذبت كفه: "هل يمكننا الذهاب للمنزل الآن؟". أوماً برأسه، ثم أخرج منديله ومسح وجهه، ثم نفخ أنفه بقوة.

"سيد (فينش)؟".

جاء الصوت المبحوح من الظلام من أعلى: "هل ذهبوا؟".

عاد (أتيكوس) خطوة للوراء ونظر للأعلى قائلاً: "لقد ذهبوا. فلتحصل على بعض النوم يا (توم). لن يقوموا بمضايقتك مرة أخرى".

جاء صوت آخر شاقاً للظلام من اتجاه معاكس: "أنت محق تماماً في ذلك. لقد كنت أعطي ظهرك طوال الوقت يا (أتيكوس)".

برز السيد (أندروود)، مسلحاً ببندقية ذات ماسورتين من نافذة بيته أعلى مكتب جريدة (منبر مايكومب).

كان الوقت قد تجاوز ميعاد نمومي وكنت أحس بالتعب، وبدا أن (أتيكوس) والسيد (أندروود) سيتحدثان لما تبقى من الليل، أحدهما يطل من النافذة العلوية والآخر يتحدث إليه من أسفل. في النهاية عاد (أتيكوس) وأطفأ المصباح أعلى باب السجن وحمل كرسيه.

"هل يمكن أن أحمله عنك يا سيد (فينش)؟". سأل (ديل) الذي لم يكن قد نطق بكلمة طوال الوقت.

"حسناً. أشكرك بني".

بينما كنا عائدين في الطريق إلى المكتب، تأخرت أنا و(ديل) خلف (أتيكوس) و(جيم). كان (ديل) مثقلاً بحمل الكرسي ولذلك كانت خطواته أبطأ. (أتيكوس) و(جيم) كانا متقدمين علينا، وتوقعت أن (أتيكوس) كان يعنفه لعدم عودته للمنزل، ولكنني كنت مخطئة. رأيت (أتيكوس) يمد يده ويدلك شعر (جيم). تلك كانت إشارته الوحيدة التي تدل على عاطفته الأبوية.

## الفصل 16

سمعني (جيم) ودفع رأسه عبر الباب الموصل بين غرفتي. إذ اقترب من سريري أضاء نور غرفة (أتيكوس). تجمدنا في مكاننا حتى انطفأ النور، وسمعناه يتقلب فبقينا ساكنين حتى هدأ مرة أخرى.

أخذني (جيم) لغرفته ووضعني في السرير جواره وقال: "حاولي أن تخلدي للنوم. سوف ينتهي الأمر غداً، ربما".

عدنا للمنزل بهدوء حتى لا نوقظ العمّة. أطفأ (أتيكوس) المحرك في المدخل وترك السيارة تتدرج حتى الجراج، ثم دخلنا عبر الباب الخلفي وذهبنا لغرفنا بدون تبادل كلمة واحدة. كنت متعبة للغاية، وبينما جرفني تيار النوم تذكرت (أتيكوس) وهو يطوي جريدته بعناية ويدفع قبعته للخلف، وتحولت الصورة لـ(أتيكوس) وهو يقف في منتصف الشارع الخالي ويدفع نظارته للخلف. فجأة أدركت المعنى الكامل لأحداث الليلة وبدأت في البكاء. كان (جيم) لطيفاً للغاية: لأول مرة لم يذكرني أن الناس في عمر تسع سنوات لا يكون.

لم يكن لدينا شبيهة كبيرة في الصباح التالي ما عدا (جيم) الذي أكل لوحده ثلاث بيضات. راح (أتيكوس) يراقبه بإعجاب واضح، بينما كانت العمّة (ألكساندرا) ترشف قهوتها وتشع منها موجات الاستنكار. الأطفال الذين يخرجون ليلاً كانوا عاراً على العائلة. قال (أتيكوس) أنه كان سعيداً لأن عاره جاء يرافقه، إلا أن العمّة قالت: "كلام فارغ. السيد (أندروود) كان هناك طوال الوقت".

قال (أتيكوس): "هل تعلمين، هذا شيء مضحك فيما يخص (باركستون)، فهو يكره الزنوج ولا يحتمل وجود أحدهم جواره".

كان الرأي المحلي أن السيد (أندروود) رجل حاد الطباع ونجس. كان أبوه، في نوبة مرح طفولي، قد قام بتعميده وسماه (براكستون براج)، وهو الاسم الذي

قام السيد (أندروود) بأفضل ما لديه ليعيش بمستواه. كان (أتيكوس) يقول أن تسمية الناس بأسماء جنرالات الاتحاد كان يؤدي لادمانهم الشرب لا غير.

كانت (كالبورنيا) تصب المزيد من القهوة للعمّة (ألكساندرا)، وهزت رأسها حينما نظرت إليها نظرات مستعطفة طالبة القليل. قالت: "لا زلت صغيرة للغاية. سوف أخبرك متى تكبرين". أخبرتها أنها قد تساعد معدتي المضطربة فقال: "حسناً"، ثم أحضرت كوباً من الدرج. صببت ملعقة من القهوة في الكوب ثم ملأت الكوب حتى طرفه بالحليب. شكرتها بإدخال لساني في الشراب، ونظرت للأعلى لأرى تقطيع العمّة المحذرة، ولكنها كانت تقطب مواجهة (أتيكوس).

انتظرت حتى اختفت (كالبورنيا) داخل المطبخ ثم قالت: "لا نتحدث هكذا أمامهم".

سألها: "أتحدث كيف وأمام من؟".

"مثل هذا أمام (كالبورنيا). لقد قلت أن (براكستون أندروود) يحتقر الزوج أمام وجهها مباشرة".

"حسناً. أنا متأكد أن (كال) تعلم ذلك. جميع من في (مايكومب) يعلمون ذلك".

كنت قد بدأت ألاحظ تغييراً طفيفاً في والدي هذه الأيام، والذي كان يظهر حينما يتحدث مع العمّة (ألكساندرا). لم يكن سخطاً واضحاً وإنما تعبيراً هادئاً. كان هناك حدة خافتة في صوته حينما قال: "أي شيء يمكن قوله حول هذه الطاولة، يمكن قوله أمام (كالبورنيا). هي تعلم مكانتها في هذه العائلة".

"لا أعتقد أن هذه عادة جيدة يد (أتيكوس)، فهي تشجعهم. أنت تعلم كيف يتحدثون فيما بينهم. كل ما يحدث في هذه البلدة يصل المساكن قبل مغيب الشمس".

وضع أبي السكين وقال: "لست على علم بأي قانون يمنعهم من الحديث. ربما لو لم تكن نعطيهم الكثير ليتحدثوا حوله لكانوا هداؤا قليلاً. لماذا لا تشرابين قهوتك يا (سكاوت)؟".



كنت أعب فيها بالملعقة. "كنت أظن السيد (كانينجهام) صديقنا. لقد أخبرتني منذ زمن طويل أنه صديقنا".

"وهو لا زال كذلك".

"ولكنه كان يريد إيذاءك بالأمس".

وضع (أتيكوس) شوكته جوار سكينه ودفن طبقه جانباً ثم قال: "السيد (كانينجهام) رجل طيب في داخله. لقد أعمته سياسة القطيع وحسب".

تحدث (جيم): "لا تتحدث عن سياسة القطيع. هذا الرجل كان سيقنك ليلة أمس".

اعترف (أتيكوس): "ربما كان سيؤذيني قليلاً. ولكن بني، أنت ستفهم الناس أفضل حينما تكبر. الغوغاء دائماً ما تتكون من الناس، بغض النظر عن أي شيء آخر. السيد (كانينجهام) كان جزءاً من الغوغاء ليلة أمس، ولكنه ظل رجلاً. أي غوغاء في أية بلدة جنوبية دائماً ما تتكون من أشخاص تعرفهم – هذا لا يغير كثيراً من حقيقتهم، أليس كذلك؟".

قال (جيم): "لا أعتقد".

قال (أتيكوس): "إذا فقط تطلب الأمر طفلة في الثامنة لكي تعيدهم إلى صوابهم، أليس كذلك؟. هذا يثبت شيئاً: أن عصابة من الحيوانات الضارية يمكن إيقافها، ببساطة لأنهم ما زالوا بشراً. هممم، ربما نحتاج لقوة شرطية لإيقاف الأطفال... أنتم أيها الأطفال ليلة أمس جعلتم (والتر كانينجهام) يقف في مكاني للحظة، وهذا كان كافياً".

حسناً، أملت أن يتفهم (جيم) الناس أفضل حينما يكبر، لأنني لن أتفهمهم أبداً. قلت تأكيداً: "أول يوم سيظهر فيه (والتر) في المدرسة سيكون آخر يوم له".

قال (أتيكوس) بهدوء: "لن تضعي يدك عليه. لا أريد أياً منكما أن يحمل ضغينة لهذا الأمر، مهما حدث".

قالت العمدة (ألكساندرا): "أنت ترى الآن ما ينتج عما تفعله. لا تقل أنني لم أحذرك".

قال (أتيكوس) أنه لن يقول هذا أبداً، ثم دفع كرسيه للخلف ونهض قائلاً: "أمامي يوم طويل، فاعذروني. (جيم)، لا أُرغب برؤيتك أنت و(سكاوت) في البلدة اليوم، رجاءً".

بينما غادر (أتيكوس)، جاء (ديل) واثباً عبر البهو إلى غرفة الطعام وأعلن: "الخبر عم البلدة هذا الصباح. الجميع يتحدث حول كيف تمكننا من إيقاف مئة رجل بأيدينا العارية...". حدجته العمدة (ألكساندرا) بنظراتها حتى صمت. قالت العمدة: "لم يكونوا مئة رجل. ولم يقم أي شخص بإيقاف أي شخص آخر. كانوا فقط مجموعة من آل (كانينجهام)، سكارى ومضطربين".

"أوه، يا عمتي، هذه فقط طريقة (ديل)". قالها (جيم)، ثم أشار إلينا لنتبعه.

"اليوم ستبقون جميعاً في الفناء". قالت العمدة إذ شققنا طريقنا نحو الشرفة الأمامية. كان اليوم يبدو مثل يوم السبت. كان الناس من الجزء الجنوبي للمقاطعة يمرّون أمام منزلنا متمهلين في السير.

جاء السيد (دولفوس رايموند) مترنحاً على صهوة حصانه الأصيل. غمغم (جيم): "لا أستطيع أن أفهم كيف يظل فوق السرج. كيف يمكن لأحد ما أن يسكر قبل الساعة الثامنة صباحاً؟".

جاءت مجموعة من السيدات مارات من أمامنا، لابسات قلنسوات قطنية وفساتين ذات أكمام طويلة. كان يحدوهن رجل ملتح يلبس قبعة صوفية. قال (جيم) مخاطباً (ديل): "هناك ترى بعض آل (مينونايت). هم لا يلبسون ملابس بأزرار". كانوا يعيشون عميقاً في الغابة، وكانت معظم تجارتهم على الجانب الآخر من النهر، ونادراً ما كانوا يزورون (مايكومب). كان (ديل) مهتماً بمعرفة المزيد فشرح (جيم): "لديهم جميعاً عيون زرقاء، والرجال لا يمكنهم أن يخلقوا لحاهم بعد الزواج. الزوجات يروقهن أن يدغدغن أزواجهن بلحاهم".

جاء السيد (إكس بللوبيس) راكباً بغلة ولوح لنا. قال (جيم): "إنه رجل طريف. (إكس) هو اسمه، وليس الحرف الأول منه. كان في المحكمة مرة وسأله عن اسمه فقال (إكس بللوبيس). سأله الكاتب أن يتجهأ فقال (إكس). سأله مرة أخرى فقال (إكس). استمر السؤال والإجابة حتى كتب الكاتب (إكس) على ورقة ورفعها ليراها الجميع. سأله من أين جاء بالاسم وقال أن هذا هو الاسم الذي سماه به والداه حين ولادته".

بينما راحت المقاطعة بأكملها تمر أمامنا، كان (جيم) يقص على (ديل) التواريخ العائلية والسلوك العام للشخصيات البارزة: السيد (تنساو جونز) صوت بالموافقة على قانون تحريم الخمر، والسيدة (إميلي ديفيس) كانت تسف السعوط سراً، والسيد (بايرون والر) كان يعزف الكمان، والسيد (جايك سليد) كان سيركب طقماً ثالثاً من الأسنان الصناعية.

ظهرت مجموعة من المواطنين عابسي الوجوه وأشاروا لفناء السيدة (مودي أتكينسون) الممتلئ بأزهار الصيف المتقدة. عندها خرجت السيدة (مودي) بنفسها ووقفت على الشرفة. كان هناك شيء غريب بخصوص الأنسة (مودي)، حيث أن شرفتها كانت بعيدة منا لم نكن نتمكن من رؤيته ملامحها بوضوح، إلا أننا كنا نستطيع معرفة مزاجها من طريقة وقفها. في هذه اللحظة كانت تقف واضعة يديها على أوراكها، بينما انخفض كتفاها قليلاً، وانحنى رأسها لجهة، وراحت عدسات نظارتها تغمز في ضوء الشمس. كنا نعلم أنها الآن تكشر بابتسامة في منتهى الشر.

أبطأ قائد العربة من سرعة سير بغاله، وهنفت امرأة ذات صوت حاد: "ما يأتي في خيلاء يغادر في الظلمة!".

أجابت الأنسة (مودي): "القلب المرح يصنع محياً بهيجاً!".

أظن أن غاسلي الأقدام كانوا يظنون أن الشيطان كان يقتبس من الكتاب المقدس لأغراضه الشخصية، حيث أن السائق حث بغاله على الإسراع. كان اعتراضهم على حديقة الأنسة (مودي) لغزاً، وكان مما يضاعفه في عقلي حقيقة أن الأنسة (مودي) كانت معرفتها هائلة بالكتاب المقدس رغم أنها كانت تقضي جميع ساعات النهار في الخارج.

"هل ستذهبين للمحكمة هذا الصباح؟". سألتها (جيم) بعد أن مشينا إليها.

قالت الأنسة: "لن أذهب. ليس لدي شأن في المحكمة هذا الصباح".

"لن تذهبي لتشاهدي؟". سألت (ديل).

"لن أذهب. الأمر كله يبعث على المرض. مشاهدة شيطان مسكين يحاول الدفاع عن حياته في المحكمة. انظر إلى كل هؤلاء، الأمر يشبه احتفالاً رومانياً".

قلت لها: "يجب عليهم أن يحاكموه في العلن يا أنسة (مودي). لن يكون الأمر صائباً إن لم يفعلوا ذلك".

ردت علي: "أنا أعلم ذلك. ليس لأن المحكمة علنية يتوجب علي الذهاب. أليس كذلك؟".

جاءت السيدة (ستيفاني كراوفورد) مارة بالجوار، مرتدية قبعة وقفازات وقالت: "هممم. هممم. انظروا لهذا الجمع. وكأن (ويليام جينينغز بريان) سيلقي خطبة".

تساءلت الأنسة (مودي): "إلى أين أنت ذاهبة يا (ستيفاني)؟".

"إلى غابة (جتني)".

قالت الأنسة (مودي) أنها لم تر الأنسة (ستيفاني) قط ذاهبة لغابة (جتني) مرتدية قبعة.

أجابت الأنسة (ستيفاني): "حسناً. فكرت أن أعرج على المحكمة لأرى ما يفعله (أتيكوس)".

"حاذري ألا يسلمك مذكرة استدعاء".

## قتل الطائر المحاكي

طلبنا من الأنسة (مودي) أن توضح ذلك، فقالت أن الأنسة (ستيفاني) كانت تعلم الكثير عن القضية لدرجة أنهم قد يطلبونها للشهادة.

قضينا فترة الظهيرة حتى عاد (أنيكوس) لتناول الغداء. أخبرنا أنهم قضوا فترة الصباح في اختيار هيئة المحلفين. بعد الغداء مررنا على (ديل) وذهبنا للبلدة.

كان احتفالاً صاخباً. لم يبق مكان في سياج الربط لأي حيوان إضافي، حيث كانت البغال والعربات موقوفة تحت كل شجرة. ساحة المحكمة كانت مغطاة بمجموعات جالسة على أوراق الصحف، بينما الحضور يتناولون البسكويت والشراب الممزوج بالحليب الدافئ من الجرار. بعض الناس كانوا يقضمون الدجاج البارد ولحم الخنزير المشوي البارد أيضاً. الموسرون كانوا يشربون الكوكا كولا من زجاجاتها المميزة. الأطفال ذوو الوجوه الدهنية كانوا يلهون في وسط التجمع، بينما التقم الأطفال أثناء أمهاتهم.

في الركن البعيد من الساحة جلس الزوج هادئين تحت الشمس، يتناولون السردين والبسكويت المملح وأنواع أرخص من الكولا. السيد (دولفس رايموند) كان جالساً معهم.

قال (ديل): "(جيم). إنه يشرب من كيس".

كان يبدو أن السيد (دولفس رايموند) بالفعل يشرب من كيس، حيث كانت هناك ماصتان صفراوان تجريان من فمه لتغوصا في داخل كيس ورقي بني.

دمدم (ديل): "لم يحدث أن رأيت شخصاً يفعل هذا".

"كيف يتمكن من إبقاء ما بداخل الكيس بداخله؟"

ضحك (جيم) وقال: "لديه زجاجة كوكا كولا مليئة بالويسكي داخل الكيس، وذلك حتى لا يزعج السيدات. سوف تريانه يشفط منها طوال الظهيرة. سوف يخرج لبرهة حتى يعيد ملئها ثم يواصل".

"لماذا يجلس مع الملونين؟"

## قتل الطائر المحاكي

"هو دائماً ما يفعل ذلك. أظن أنه يميل إليهم أكثر مما يميل إلينا. هو يعيش لوحده بالقرب من حدود المقاطعة. لديه امرأة ملونة وكل أنواع الأطفال المختلطين. سأريكم بعضهم إن رأيتمهم".

قال (ديل): "لا يبدو عليه أنه من الرعاع".

"وهو ليس منهم. إنه يمتلك لوحده جانباً كاملاً من النهر، كما أنه من عائلة عريقة".

"إذاً لماذا يفعل هذا؟".

قال (جيم): "هذه طريقته. يقولون أنه لم يتمكن أبداً من نسيان زواجه. كان يفترض أن يتزوج إحدى نساء عائلة (سينسر) - كما أعتقد. كانوا يخططون لزواج ضخم، ولكنه لم يتم. بعد البروفة سعدت العروس للطابق العلوي وفجرت رأسها ببندقية. ضغطت الزناد بأصابع قدميها!".

"هل عرف أحد لماذا فعلت ذلك؟".

قال (جيم): "لا. لا أحد كان يعلم لماذا ما عدا السيد (دولفس). يقولون أن السبب أنها عرفت بشأن امرأته الزنجية، وأنه كان يعتقد أنه سيبقي عليها ويتزوج بيضاء. من بعد هذا استمر الرجل سكراناً. ولكنه يعامل أطفاله بطريقة جيدة...".

سألته: " (جيم). ما معنى طفل مختلط؟".

"نصف أبيض ونصف ملون. لقد رأيتهم يا (سكاوت). أنت تعرفين ذلك الفتى صاحب الرأس الأحمر الغريب الذي يقوم بالتوصيل من الصيدلية. إنه نصف أبيض. هؤلاء الأطفال تعيسون للغاية".

"تعيسون؟ كيف؟".

"لأنهم لا ينتمون لأي مكان - الملونون - لا يقبلونهم لأنهم نصف بيض، والبيض لا يقبلونهم لأنهم ملونون، لذلك فهم ضائعون - في المنتصف - ولا ينتمون لأي

## قتل الطائر المحاكي

جهة. ولكنهم يقولون أن السيد (دولفس) قد أرسل اثنين من أبنائه شمالاً، حيث أنه لا أحد يمانع مثل هؤلاء في الشمال. انظروا هناك، هذا واحد منهم".

مر بنا طفل صغير قابضاً على يد امرأة زنجية. كان يبدو زنجياً لي: كان لونه كلون الشوكولاتة وكان يمتلك منخرين منتفخين وأسناناً بيضاء جميلة. أحياناً كان يتقافز مرحاً، فتشد المرأة الزنجية يده لتجعله يتوقف.

انتظر (جيم) حتى مروا بنا ثم قال: "هذا أحد الصغار".

سأله (ديل): "كيف يمكنك معرفة ذلك؟ إنه يبدو أسوداً بالنسبة لي".

"في بعض الأحيان لا يمكنك معرفة ذلك، ما لم تكن تعرف من هم. ولكن هذا نصف (رايموند) بالتأكيد".

سألته أنا: "ولكن كيف يمكنك التأكد من ذلك؟".

"لقد أخبرتك يا (سكاوت)، يجب عليك ببساطة أن تعرفي من هم".

"حسناً. كيف تعرف أننا لسنا زنجياً؟".

"العم (جاك فينش) يقول أننا لا نعلم حقاً. يقول أننا لو تتبعنا نسل (فينش) فنحن لسنا زنجياً، ولكنه يقول أنه ربما جاء أجدادنا رأساً من أثيوبيا أثناء العهد القديم".

"حسناً. إن كنا جئنا أثناء العهد القديم فهي فترة طويلة جداً ولا تهمنا الآن".

قال (جيم): "هذا ما ظننته. ولكن في هذه الأنحاء إن كانت بك قطرة واحدة من دم الزنوج فأنت أسود كامل السواد. هيه، انظروا...".

إشارة غير مرئية جعلت متناولي الغداء في الساحة ينهضون مبعثرين أوراق الجرائد وورق السيلوفان وبقايا الطعام. عاد الأطفال لأمهاتهم وحُمل الرضع وجمع الرجال ذوو القبعات المبقعة بالعرق عائلاتهم، وتحرك الجميع عابرين أبواب المحكمة للداخل. في الطرف البعيد للساحة نهض الزوج والسيد

(دولفس) نافضين الغبار عن سراويلهم. كان بينهم بضع نساء وأطفال، وهو الشئ الذي أزال شعور العطلة لديهم. كان ينتظرون عند الأبواب بصبر منتظرين دخول العائلات البيضاء.

قال (ديل): "فلنذهب للداخل".

قال (جيم): "لا. من الأفضل أن ننتظر حتى يدخلوا جميعاً. (أتيكوس) لن يكون سعيداً لو رأنا في الداخل".

مبنى محكمة (مايكومب) كان يذكر من بعيد بمدينة (أرلنغتون)، كانت الأعمدة الخرسانية الداعمة للسقف الجنوبي أكثر ثقلاً مما تحمله. هذه الأعمدة كانت الشئ الوحيد الذي ظل واقفاً حينما احترق مبنى المحكمة في العام 1856، ومن ثم تم بناء مبنى آخر فوق الأعمدة، أو رغماً عن وجود الأعمدة، إن صح التعبير. ولكن بالنسبة للشرفة الجنوبية، فإن مبنى محكمة مقاطعة (مايكومب) كان من العهد الفيكتوري الأول، وكان منظره مسالماً حينما تراه من ناحية الشمال.

من الجهة الأخرى كانت الأعمدة اليونانية تتعارض مع برج الساعة الضخم الذي يعود للقرن التاسع عشر، والذي كان يحتوي على ساعة صدى وغير مضبوطة. هذا المنظر كان يدل على أن الناس مصممون على الاحتفاظ بالماضي حتى ولو في شكل خردة.

للووصول لقاعة المحكمة في الطابق الثاني، كان يجب أن تمر بالعديد من غرف المكتب التي لا تصلها الشمس: مكتب مستشار الضرائب، ومحصل الضرائب، وكاتب المحكمة، وكاتب العدل، وقاضي محكمة الإرث والوصايا الذي كان يعيش في زريبة معتمة باردة تتبعث منها رائحة السجلات المتأكلة، مختلطة برائحة الأسمنت الرطب والبول المتعفن. كان لا بد من إنارة المصابيح في النهار، وكان هناك طبقة من الغبار تعلق بأخشاب الأرضية الخشنة. ساكنو هذه المكاتب كانوا مخلوقات مشابهة لبيئتها التي تعيش فيها: رجال صغار الحجم كالحو الوجوه، بعيدون عن الرياح وعن ضوء النهار. كنا نتوقع وجود ازدحام، ولكننا لم نتوقع رؤية الجماهير التي كانت تملأ بهو الطابق الأول. انفصلت عن (جيم) و(ديل) في الزحام، ولكنني اتجهت نحو الحائط جوار الدرج، لأنني أعلم



أن (جيم) سوف يبحث عني ويجدني هناك. وجدت نفسي في منتصف نادي (إدلر) وحاولت جعل شكلي غير بارز في وسطهم. هؤلاء كانوا مجموعة من الرجال الكهول اللذين يلبسون قمصاناً بيضاء وسراويل كاكي بحملات أحزمة، ممن قضوا حياتهم لا يفعلون شيئاً، ومرت أيام شبابهم وهم جالسون على مقاعد الصنوبر تحت أشجار السنديان في الساحة. قال (أتيكوس) أنهم كانوا نقاداً منتبهين لعمل المحكمة، ولذلك كانت معرفتهم بالقانون مثل معرفة رئيس المحكمة العليا، نظراً للسنين التي قضوها في الملاحظة والمتابعة. عادة كانوا يكونون المتفرجين الوحيديين في المحكمة، واليوم كان يبدو عليهم الاستياء من مقاطعة روتينهم اليومي. حينما تحدثوا كانت أصواتهم مهمة ولكنها مهملّة في وسط الضجة. كان حوارهم يدور حول أبي.

قال أحدهم: "... يظن أنه يعلم ما يفعل".

قال آخر: "أوه، لا، أنا لن أقول هذا. إن (أتيكوس فينش) قارئ متعمق، وهو ممتاز جداً في هذا".

"إنه يقرأ بالفعل. وهذا كل ما يفعله". صدرت ضحكات من أعضاء النادي.

قال ثالث: "دعني أخبرك شيئاً الآن يا (بيلي). أنت تعلم أن المحكمة عينته للدفاع عن هذا الزنجي".

"أعلم ذلك، ولكن (أتيكوس) يحاول حقاً الدفاع عنه. هذا ما لست مرتاحاً إليه".

هذه كانت معلومة جديدة علي، وقد أوضحت لي الأمر بصورة مختلفة: فهمت أن (أتيكوس) كان مضطراً للدفاع عن الرجل، بغض النظر عن رغبته في ذلك. فكرت أنه من الغريب أنه لم يذكر لنا شيئاً عن ذلك، إذ كان يمكننا أن نستفيد من هذه المعلومة للدفاع عنه وعن أنفسنا. كان مضطراً لفعل ذلك، لذلك قام بالدفاع عن الرجل. كانت هذه العبارة ستعني لنا صراعات أقل وجدالاً أقصر مع الآخرين. ولكن هذا لم يكن يفسر سلوك البلدة. المحكمة عينت (أتيكوس) للدفاع عن الرجل، ولكن (أتيكوس) كان يحاول الدفاع عن الرجل، وهو ما لم يرق لسكان البلدة. كل هذا كان مثيراً للحيرة.

بدأ الزوج في الدخول بعد أن انتظروا البيض ليصعدوا للطابق العلوي.

"هيه، انتظروا لحظة". قالها أحد أعضاء النادي وهو يرفع عصاه. "لا تصعدوا هذا الدرج. ليس الآن".

بدأ أعضاء النادي صعود الدرج بمفاصلهم المتيبسة، واصطدموا بر(ديل) و(جيم) اللذين كانا يبحثان عني. ضغط (جيم) نفسه بينهم للمرور وصاح: "تعالى يا (سكاوت) بسرعة. لم يتبق كرسي خالياً. سنضطر للوقوف".

"انظري هنا الآن". قالها بتوتر، بينما السود يصعدون الدرج للأعلى. كان الرجال الكهول اللذين صعدوا قبلهم قد شغلوا معظم مساحة الوقوف، بينما كان حظنا سيئاً ولم نجد مكاناً للوقوف. كان ذلك خطئى كما أخبرني (جيم). وقفنا بتعاسة مستندين إلى الحائط.

"ألم تتمكنوا من الدخول؟".

كان المبجل (سايكس) واقفاً ينظر إلينا وهو يحمل قبعة سوداء في يده.

قال (جيم): "مرحباً أيها المبجل. لا، (سكاوت) أضاعت علينا الفرصة".

"حسناً. لنر ما يمكننا فعله".

صعد المبجل (سايكس) للأعلى ثم عاد بعد عدة دقائق وقال: "لا يوجد كرسي واحد شاغر. هل تعتقدون أنه يمكنكم المشاهدة من الشرفة برفقتي؟".

قال (جيم): "بالتأكيد". أسرعنا بسعادة أمام المبجل (سايكس) لأرضية المحكمة، ومن ثم صعدنا الدرج الداخلي وانتظرنا عند الباب. جاء المبجل (سايكس) خلفنا وهو يلتقط أنفاسه، ثم قادنا بلطف وسط الأشخاص السود الموجودين في الشرفة. نهض أربعة زوج وتركوا لنا مقاعدهم في الصف الأول.

شرفة الملونين هذه كانت تحتل ثلاثة من جدران المحكمة، ومن الطابق الثاني كنا نستطيع رؤية كل شئ في الأسفل.

هيئة المحلفين كانت تجلس جهة الشمال تحت النوافذ الطويلة. كانوا يبدون مزارعين من قاماتهم الطويلة الضامرة وجلودهم التي لوحتها الشمس، وكان هذا طبيعياً لأن سكان المدينة نادراً ما كانوا ينضمون لهيئة محلفين، فهم إما يتم ضربهم أو إعفاؤهم من المهمة. واحد أو اثنان من هيئة المحلفين كانوا يبدون كأفراد من آل (كانينجهام). في هذه اللحظة كانوا جميعاً يجلسون منتصبين بانتباه.

كاتب العدل ورجل آخر و(أتيكوس) و(توم روبنسون) كانوا يجلسون على طاولات وظهورهم باتجاهنا. كان هناك كتاب بني الغلاف وبعض الحبوب الصفراء على طاولة كاتب العدل، بينما كانت طاولة (أتيكوس) خالية. داخل الدرابزين الذي كان يفصل المشاهدين من المحكمة، جلس الشهود على مقاعد مغلقة بجلد البقر وكانت ظهورهم باتجاهنا.

كان القاضي (تايلور) جالساً على المقعد مثل سمكة قرش عجوز ناعسة، بينما كانت سمكته القائدة تكتب بسرعة في الأسفل أمامه. القاضي (تايلور) كان يبدو كمعظم القضاة اللذين رأيتهم في حياتي: ودوداً، أبيض الشعر، أحمر الوجه، وكان يدير قاعة المحكمة بصورة غير رسمية تثير الرعب: كان أحياناً يرفع قدميه عالياً، وأحياناً أخرى ينشغل بتنظيف أظافره مستخدماً سكين الجيب الخاص به. في جلسات الاستماع المالية الطويلة، خاصة بعد تناول الغداء، كان القاضي يعطي الانطباع بأنه سيغفو. إلا أن هذا الانطباع اختفى للأبد حينما حاول أحد المحامين في مرة أن يوقظ القاضي بأن دفع كومة من الكتب لتسقط على الأرض. بدون أن يفتح عينيه، دمدم القاضي (تايلور): "افعل هذا مرة أخرى يا سيد (ويتلي) وسوف تغرم مائة دولار".

كان رجلاً متبحراً في القانون. ورغم أنه كان يبدو عليه أنه يزاول عمله بإهمال، إلا أن الحقيقة أنه كان يتعامل بشدة مع أي محضر يمثل على طاولته. المرة الوحيدة التي وصل فيها القاضي (تايلور) لطريق مسدود في قضية كانت بسبب آل (كانينجهام). كانت أرض (ساروم) القديمة، وهي الأرض المسجلة باسمهم، مأهولة بعائلتين كانتا منفصلتين في البداية، ولكنهما تحملان نفس الاسم للأسف. تزوج آل (كانينجهام) من آل (كونينجهام) وصارت تهجئة الاسم غير مهمة، حتى تنازعت العائلتان حول الأرض، وتم تحويل الأمر للمحكمة.

خلال المناظرة قال (جيمس كانينجهام) أن والدته كانت تكتب الاسم (كانينجهام) على الصكوك والأوراق، ولكنها حقيقةً كانت من آل (كونينجهام)، وقال أنها كانت لا تحسن التهجئة، كما أنها نادراً ما كانت تقرأ، وكانت تسرح بعيداً حينما كانت تجلس في صالة المنزل الأمامية مساءً. بعد تسع ساعات من الاستماع لغرائب عادات سكان (ساروم) القديمة، قام القاضي (تايلور) بشطب القضية من المحكمة. وحينما سئل عن السبب قال: "التغاضي عن الخلاف"، وأعلن أنه يرجو من الرب أن يكون المتخاصمون قد رضوا بعد قول آرائهم في العلن، وقد كانوا كذلك. كان هذا كل مرادهم منذ البداية.

كانت لدى القاضي (تايلور) خصلة مثيرة للاهتمام. كان يسمح بالتدخين في قاعة المحكمة رغم أنه لم يكن يمارسه شخصياً. في بعض الأحيان، لو كنت محظوظاً، كنت ستراه يضع سيجاراً طويلاً غير مشتعل في فمه ويقضمه ببطء. قطعة قطعة يختفي السيجار، ليظهر بعد ساعات في شكل كتلة ملساء مسطحة ممتزجة بالعصارة المعوية للقاضي (تايلور). سألت (أتيكوس) مرةً كيف كانت السيدة (تايلور) تحتفل أن تقبله، ولكن (أتيكوس) قال أنهما لم يكونا يقبلان بعضهما كثيراً.

منصة الشهادة كانت إلى يمين القاضي (تايلور)، وحينما وصلنا لمقاعدنا كان السيد (هيك تايت) قد اعتلى المنصة.

## الفصل 17

سألت (جيم): "هل هؤلاء آل (إيويل) الجالسون هناك؟".

أجابني: "هشش. السيد (هيك تايت) يقوم بالشهادة".

كان السيد (تايت) متزيئاً للمناسبة. كان يلبس بذلة عمل عادية جعلته يبدو كالرجال الآخرين. لم يكن يلبس حذاءه الطويل، ولا سترة الحطاب، ولا حزامه المزين بالطلاقات. منذ تلك اللحظة توقف منظره عن إخافتي.

كان يجلس منحنيّاً إلى الأمام في كرسي الشهادة، وكانت يده مضمومتين بين ركبتيه وهو يستمع بانتباه لكاتب العدل.

لم يكن السيد (جيلمر) كاتب العدل معروفاً بالنسبة لنا. كان ينحدر من (أبوتسفيل)، وقد كنا نراه فقط حينما تنعقد المحكمة، وهذا الحدث كان نادراً لأنني و(جيم) لم نكن نهتم كثيراً بالمحكمة. كان رجلاً أصلعاً حليق الوجه، ما بين الأربعين والستين في العمر. ورغم أنه كان يولينا ظهره، إلا أننا كنا نعلم أن لديه حولاً طفيفاً في إحدى عينيه، وهي الخاصية التي كان يستخدمها لمصلحته. كان يبدو أنه ينظر نحوك في حين أنه ينظر بعيداً، ولذلك كان وجوده جحيماً بالنسبة للمحلفين والشهود. كان المحلفون ينتبهون بشدة لأنهم - في ظنهم - تحت المراقبة، وكذلك كان يفعل الشهود.

كان السيد (جيلمر) يقول: "... بألفاظك الخاصة يا سيد (تايت)".

قال السيد (تايت) وهو يلمس نظارته ويحدق في ركبتيه: "حسناً. لقد تم استدعائي...".

"هل يمكنك أن تخاطب المحلفين يا سيد (تايت)؟ شكراً. من قام باستدعائك؟".

## قتل الطائر المحاكي

قال السيد (تايت): "لقد أحضرني (بوب)... السيد (بوب إيويل) الموجود هناك، في إحدى الليالي...".

"أية ليلة يا سيدي؟".

قال السيد (تايت): "كانت ليلة الحادي والعشرين من نوفمبر. كنت أغادر مكتبي عائداً للمنزل حينما دخل (بو...)، أعني السيد (إيويل). كان منفعلاً للغاية وأخبرني أن آتي لمنزله بسرعة، لأن زنجياً ما قد اغتصب ابنته".

"وهل ذهبت؟".

"بالتأكيد. ركبت في السيارة وقدت بأقصى سرعة".

"وماذا وجدت حين وصولك؟".

"وجدتها مرمية على الأرض في منتصف الغرفة الأمامية، تلك الموجودة على اليمين من المدخل. كان أحدهم قد ضربها بقسوة. رفعتها لتقف على قدميها، ومن ثم قامت بغسل وجهها في دلو في ركن الغرفة وقالت أنها بخير. سألتها من ضربها وقالت إنه (توم روبنسون)...".

القاضي (تايلور) والذي كان مشغولاً بالنظر لأظافره، رفع رأسه وكأنما كان يتوقع اعتراضاً، ولكن (أتيكوس) ظل صامتاً.

"... سألتها إن كان هو من ضربها فأجابت نعم. سألتها إن كان قد اغتصبها فأجابت نعم لقد فعل. ذهبت إلى منزل (روبنسون) وأحضرتة، فتعرفته الفتاة على أنه الجاني، وألقيت القبض عليه. هذا كل ما حدث".

قال سيد (جيلمر): "شكراً لك".

قال القاضي (تايلور): "هل لديك أي أسئلة يا (أتيكوس)؟".

"نعم". أجاب أبي الذي كان جالساً خلف طاولته. كان كرسيه مائلاً للجانب، ورجلاه منقاطعتين، وكانت ذراعه تستريح على ظهر مقعده.

"هل ناديت على الطبيب يا أيها المأمور؟ هل قام أي شخص بمناداة الطبيب؟"  
كان سؤال (أتيكوس).

أجاب السيد (تايت): "لا سيدي".

"لم تتادِ الطبيب؟"

"لا سيدي". أعادها السيد (تايت).

"لماذا؟". كانت هناك حدة في صوت (أتيكوس).

"حسناً. يمكنني أن أخبرك لماذا لم أفعل: لم يكن هناك داعٍ يا سيد (فينش). الفتاة كانت قد ضربت بشدة. شئ ما قد حدث لها، وكان هذا واضحاً للغاية".

"ولكنك لم تتادِ الطبيب؟ بينما كنت حاضراً في الموقع، هل قام أي شخص بالإرسال في طلب الطبيب، أو الذهاب لإحضار الطبيب، أو حملها لعيادة الطبيب؟"

"لا يا سيدي...".

تدخل القاضي (تايلور): "لقد أجاب السؤال ثلاث مرات يا (أتيكوس). هو لم يقم بإحضار الطبيب".

قال (أتيكوس): "كنت فقط أريد التأكد يا حضرة القاضي". ابتسم القاضي.

اعتصرت يد (جيم) درابزين الشرفة الذي كان يستند إليه، وراح يتنفس بعمق. حينما نظرت للأسفل لم أر ما يستدعي رد الفعل هذا، وتساءلت إن كان (جيم) يحاول أن يبدو درامياً. كان (ديل) يشاهد بهدوء، كما كان المبجل (سايكس) الجالس جواره.

سألته: "ما المشكلة؟". أجابني: "شششش!".

## قتل الطائر المحاكي

كان (أتيكوس) يقول: "حضرة المأمور. أنت تقول أنها كانت مضروبة بشدة. كيف؟".

"حسناً...".

"صف جروحها وحسب يا (هيك)".

"حسناً. كانت مصابة حول الرأس. كانت هناك كدمات تتكون على ذراعيها، وقد حدثت قبل ذلك بثلاثين دقيقة...".

"كيف عرفت ذلك؟".

ابتسم السيد (تايت) وقال: "أعتذر، هذا ما أخبروني به. على كل حال، كانت مصابة بكدمات عديدة حينما وصلت للمنزل، وكان السواد يغلف عيناها".

"أي عين؟".

رمش السيد (تايت) وجرت أصابعه على شعره، ثم قال بهدوء: "النر الآن". ثم نظر نحو (أتيكوس) وكأنه كان يرى السؤال طفولياً فسأله (أتيكوس): "ألا تستطيع التذكر؟".

أشار السيد (تايت) نحو شخص خفي يقف على بعد خمس بوصات أمامه وقال: "عيناها اليسرى".

قاطعته (أتيكوس): "لحظة أيها المأمور. هل كانت عيناها اليسرى التي تقابلك، أم عيناها اليسرى وهي تقف بجانبك؟".

قال السيد (تايت): "أوه، فعلاً. إنها عيناها اليمنى. كانت عيناها اليمنى يا سيد (فينش). أتذكر الآن لأن الكدمة كانت في هذا الجانب من وجهها...".

رمش السيد (تايت) مرة أخرى وكأنه قد استوضح شيئاً ما، ثم أدار رأسه ونظر نحو (توم روبنسون). بطريقة غريزية رفع (توم روبنسون) رأسه.



يبدو أن (أتيكوس) أيضاً قد استوضح شيئاً ما، لأنه نهض واقفاً على رجليه وقال: "أبيها المأمور، هلا أعدت ما قُلت مرة أخرى".

"لقد كانت عيناها اليمين".

"لا...". - سار- (أتيكوس) نحو- طاولة كاتب المحكمة وانحنى لينظر إلى اليد التي تكتب بصرامة. توقفت اليد وقلبت الصفحة في المذكرة، ثم قال الكاتب: "سيد (فينش). أتذكر الآن لأن الكدمة كانت في هذا الجانب من وجهها...".

رفع (أتيكوس) رأسه ناظراً نحو السيد (تايت): "أي جانب، مرة أخرى، يا (هيك)؟".

"الجانب الأيمن، يا سيد (فينش)، ولكنها كانت مصابة بكدمات أخرى... هل تريد أن تسمع وصفها؟".

كان واضحاً أن (أتيكوس) يريد إلقاء سؤال آخر، ولكنه فكر أنه من الأفضل أن يواصل: "نعم. هل يمكنك أن تصف الجروح الأخرى؟". بينما أجاب السيد (تايت)، التفت (أتيكوس) ونظر نحو (توم روبنسون) وكأنه يقول له أن هذا لم يكن في الحساب.

"... كانت ذراعاها مغطاتين بالكدمات. حينما أررتي رقبتها، كانت هناك آثار أصابع واضحة على حلقها...".

"على امتداد الرقبة؟ هل كانت هناك آثار في مؤخرة الرقبة؟".

"يمكنني أن أقول أنها كانت محيطة بالرقبة يا سيد (فينش)".

"هل يمكنك ذلك؟".

"نعم سيدي. الفتاة لديها حلق صغير، وأي شخص كان بإمكانه إحاطته ب...".

"فقط أجب بلا أو نعم لو سمحت أيها المأمور". قاطعه (أتيكوس) بلهجة جافة، فصمت السيد (تايت).

جلس (أتيكوس) في كرسية وأوماً لكاتب العدل، الذي هز رأسه باتجاه القاضي، الذي أوماً للسيد (تايت)، الذي وقف متصلباً وغادر منصة الشهادة.

في الطابق الأسفل كانت الرؤوس تلتفت، والأقدام تخذش الأرضية، والأطفال يُرفعون على أكتاف أمهاتهم، وفر بعض الأطفال من قاعة المحكمة، وراح الزوج خلفنا يتهايمسون بصوت خافت. سأل (ديل) المجلد (سايكس) ما الموضوع، ولكن المجلد (سايكس) قال أنه لا يعلم. حتى الآن كان الموضوع مملأً تماماً: لم ينفجر أحدهم، ولم يكن هناك مجادلات بين محاميي الجانبين، ولم تحدث دراما. من الواضح أن الأمر كان مخيباً للأمال بالنسبة للحضور. كان (أتيكوس) مواصلاً بصورة ودية وكأن القضية نزاع على أرض. كانت لديه قدرة لا متناهية على ترويض البحار الهائجة، لذلك كان يمكنه أن يحول قضية اغتصاب إلى ما يشبه الموعظة أو الخطبة. اختفت من ذاكرتي صورة الرعب المسجد في رائحة الويسكي المتعفن ومخازن الحبوب، وعيون الرجال الناعسة في الوجوه المتجهمة، والصوت الأجهش الذي ينادي ليلاً: "سيد (فينش)؟ هل ذهبوا؟".

كابوسنا كان قد اختفى في ضوء النهار، وكل شيء سيكون بخير.

كل الحضور كانوا مسترخين، بما فيهم القاضي (تايلور)، ما عدا (جيم). كان فمه ملتوياً في نصف ابتسامة متعمدة، وعيناه تجولان حوله بمرح، وقال شيئاً ما عن الأدلة الدامغة مما جعلني أتأكد أنه كان يباهي.

"... (روبرت لي إيويل)!"

استجابة لنداء الكاتب، نهض رجل قزم يشبه الديك من كرسية وسار متبخترًا نحو المنصة، بقفاً محمر من سماع اسمه. حينما استدار ليلقي القسم رأينا وجهه المحمر مثل رقبتة، كما رأينا التشابه بين شكله واسمه: شعره كان ناعماً وحديث الغسل، أنفه كان نحيلًا ومدققاً ولامعاً، كما أن فكه كان صغيراً جداً لتحسبه جزءاً من رقبتة.

"... فليساعدي الرب". نعق كالغراب وهو يقسم.

جميع البلدات مثل (مايكومب) كان بها عائلات كآل (إيويل). لم تكن التقلبات الاقتصادية تغير من وضعهم، العائلات كآل (إيويل) كانوا يعيشون عالية على المقاطعة في حالي ازدهارها أو كسادها. لم يكن الموظفون المسئولون عن الغياب يستطيعون إبقاء أطفالهم كثيري العدد في المدارس. لم يكن موظفو الصحة العامة يستطيعون تحريرهم من التشوهات الخلقية والإصابة بالديدان والأمراض المتوطنة في الأماكن القذرة.

عائلة (إيويل) كانت تعيش خلف مكب النفايات في أرض كانت في ما مضى كوخاً للزئوج. جدران الكوخ الخشبية كانت مدعمة بالحديد المموج، أما السقف فكان مكسياً بعلب الصفيح التي تم طرقتها لتصبح مستوية. شكل الكوخ كان مربعاً، وبه أربع غرف صغيرة تفتح في بهو ضيق كماسورة البندقية. الكوخ بأكمله كان يستقر بصعوبة فوق أربع كتل من الحجر الجيري. النوافذ كانت عبارة عن فتحات في الجدران، وفي الصيف كانوا يغطونها بقطع دهنية من القماش لإبقاء الحشرات التي تتغذى على قمامة (مايكومب) خارجاً.

لم تكن الحشرات تتغذى جيداً لأن آل (إيويل) كانوا يلتقطون القمامة من المكب يومياً. ما كانوا يجمعونه - سوى ما يستطيعون أكله - كانوا يخزنونه حول المنزل، مما أعطى المكان منظرأً شبيهاً بمكان اللعب الخاص بطفل مجنون. سور المكان كان يتكون من قطع متفرقة من أغصان الشجر وعصي المكناس وقضبان الأدوات المختلفة. فوق كل هذا كانت توضع رؤوس المطارق والمعاول الصدئة، والمجارف، والفؤوس، وأدوات الحفر، والتي كانت تربط جميعاً بقطع من السلك الشائك. هذه المتاريس كانت تحيط بفناء متسخ يحوي بقايا سيارة (فورد) قديمة، وكرسي أسنان مهمل، وصندوق ثلج عتيق، وأشياء أخرى صغيرة: أحذية قديمة، أجهزة راديو معطلة، إطارات صور، جرار فاكهة، وتحت الجميع كانت مجموعة من الدجاجات الهزيلة تنقر باحثة عن أمل.

ولكن ركنأً واحداً من الفناء كان يحير (مايكومب). جوار السور كان هناك صف مكون من ست جرار تساقط طلاؤها، تحتوي على نباتات إبرة الراعي ذات اللون الأحمر الفاقع، والتي يرعاها أحدهم بحنان كما ترعى الأنسة (مودي) نباتاتها بحرص، غير أنها لم تكن تقبل بنبات إبرة الراعي على أرضها. كان الناس يتحدثون أن هذه النباتات تخص (ماييلا إيويل).

لم يكن أحد يعلم على وجه التأكيد كم عدد الأطفال في المنزل. البعض كانوا يقولون ستة، والبعض الآخر تسعة. الشيء الأكيد هو أن العديد من وجوه الأطفال المغبرة كانت تطل من النوافذ ويراها المارون بالمنطقة. لم يكن أحد يمر هناك عادة إلا عند حلول عيد الميلاد، حيث كانت الكنائس توصل سلال النفايات، وحينما كان عمدة (مايكومب) يطلب منا مساعدة جامع النفايات بأن نقوم برمي أوساخنا وأشجارنا بأنفسنا.

أخذنا (أتيكوس) برفقته في عيد الميلاد الماضي حينما استجاب لطلب العمدة. كان الطريق الجانبي المتسخ - المتفرع من الطريق السريع - يجري حذاء مكب النفايات ويمضي حتى خمسمائة ياردة خلف منطقة (إيويل)، حيث يوجد منطقة صغيرة لإسكان الزوج. حتى تتمكن السيارات من الالتفاف والعودة كان يجب أن تعود القهقري نحو الطريق السريع، أو أن تقطع الطريق الجانبي حتى نهايته ثم تستدير للخلف، وغالباً كان الناس يستديرون في الفناء الأمامي لمسكن الزوج. في غسق ديسمبر الثلجي كانت أكواخهم تبدو نظيفة ودافئة، يتصاعد الدخان الأزرق الشاحب من مداخنها، وتتوهج جدرانها باللون الكهرماني من النيران المشتعلة بالداخل. كانت تعبق روائح شهية في المكان من الدجاج المشوي ولحم الخنزير الهش. استطعنا أنا و(جيم) التعرف على رائحة طهي السناجب، ولكن (أتيكوس) ابن البلد هو من استطاع تعرف رائحة طهي الأرانب وحيوان الأبوسوم. تلاشت الروائح حينما مررنا بمسكن عائلة (إيويل) ونحن عائدون.

كل ما كان يميز الرجل الصغير الواقف على منصة الشهادة عن جيرانه الأقارب كان أنه إن اغتسل بالصابون والماء الحار فإن جلده كان سيكون أبيض اللون.

سأل السيد (جيلمر): "سيد (روبرت إيويل)؟".

أجاب الشاهد: "هذا اسمي يا سيدي".

انتصب ظهر السيد (جيلمر) قليلاً، وشعرت بالشفقة عليه. ربما كان من الأفضل أن أشرح شيئاً ما الآن. كنت سمعت أن أبناء المحامين حينما يرون

والديهم في المحكمة في خضم الجدل يفكرون بطريقة خاطئة، حيث يعتقدون أن محامي الخصم هو العدو اللدود لو الدهم، ولذلك يتعذبون، ويندهشون حينما يرون والديهم خارجين مترافقين مع خصومهم في أول استراحة. لم أكن أنا و(جيم) كذلك، حيث لم تحدث لنا أي صدمة من جراء مشاهدة والدنا يربح أو يخسر قضية، ولذلك لن أستطيع أن أحكي أي قصص درامية حول هذا، ولو حكيت فستكون قصصاً من نسج خيالي. كان يمكننا أن نعلم حينما يتحول النزاع من نزاع مهني إلى آخر حاد، ولكن هذا كان بسبب مشاهدة المحامين الآخرين، لا والدنا. لم يحدث من قبل أن سمعت (أتيكوس) يرفع صوته إلا ليسمع شاهداً ضعيف السمع. كان السيد (جيلمر) يقوم بعمله، كما كان (أتيكوس) يقوم بعمله. بالإضافة لذلك فإن السيد (إيويل) كان شاهد السيد (جيلمر) وعلى ذلك فلم يكن هناك من سبب لكي يكون فظاً معه.

"هل أنت والد (ماييلا إيويل)؟". كان هذا هو السؤال التالي.

"حسناً. إن لم أكن والدها فلا يمكنني أن أغير هذا الآن، لأن أمها قد ماتت". كانت الإجابة.

اهتز القاضي (تايلور) ملتفياً في مقعده الدوار، ونظر بهدوء نحو الشاهد. "هل أنت والد (ماييلا إيويل)؟". كان سؤال القاضي بطريقة جعلت الضحكات تتوقف فجأة.

"نعم سيدي". قال السيد (إيويل) بخنوع.

واصل القاضي (تايلور) بأسلوب طيب: "أهذه أول مرة لك في المحكمة؟ لا أذكر أنني رأيتك من قبل هنا". حينما أوماً الشاهد برأسه إيجاباً وأصل القاضي: "حسناً، لنوضح شيئاً هنا. سوف لن يكون هناك أي تخمينات فاحشة مسموعة حول أي موضوع في هذه القاعة طالما أنني جالس هنا. هل تفهم؟".

أوماً السيد (إيويل) برأسه، ولكنني لا أظن أنه فهم فعلاً. تنهد القاضي (تايلور) وقال: "حسناً. سيد (جيلمر)؟".

## قتل الطائر المحاكي

"شكراً لك سيدي القاضي. هل يمكنك أن تخبرنا بأفظاك الخاصة يا سيد (إيويل)، ما الذي حدث في أمسية الحادي والعشرين من نوفمبر؟".

ابتسم (جيم) ودفع شعره للوراء. كانت عبارة (بأفظاك الخاصة) العلامة المميزة للسيد (جيلمر). كنا نتساءل عن يعتقد السيد (جيلمر) أن الشاهد سيقبّس منه؟.

"حسناً. في ليلة الحادي والعشرين من نوفمبر كنت عائداً من الغابة بحمل من حطب النار، ولحظة أن وصلت للسور سمعت (ماييلا) تصرخ كخنزير عالق من داخل المنزل...".

هنا نظر القاضي (تايلور) نحو الشاهد نظرة حادة، ثم قرر أن أفضاه تخلو من المقاصد السيئة، فترك الحوار يتواصل.

"في أي ساعة كان ذلك يا سيد (إيويل)؟".

"قبل الغروب مباشرة. حسناً، كنت أقول أن صراخ (ماييلا) كان أعلى من صراخ المسيح...". ولكن نظرة حادة أخرى من القاضي أخرست السيد (إيويل).

قال السيد (جيلمر): "حسناً؟ كانت تصرخ؟".

نظر السيد (إيويل) بارتباك نحو القاضي وقال: "حسناً. كانت (ماييلا) تصدر هذه الضوضاء العالية فرميت حملي وجريت بأقصى سرعة ولكنني اشتبكت في السور. ولكن حينما تمكنت من فك نفسي من السلك الشائك جريت نحو النافذة ورأيت...". تحول لون وجه السيد (إيويل) إلى القرمزي، ثم وقف على قدميه وأشار بإصبعه نحو (توم روبنسون) قائلاً: "رأيت هذا الزنجي الأسود الجالس هناك يعتدي على صغيرتي (ماييلا)!".

كانت محكمة القاضي (تايلور) عادة هادئة للغاية، لدرجة أنه لم يكن يحتاج لاستخدام المطرقة في الأحوال العادية، ولكنه اضطر للطرق لمدة خمس دقائق كاملة حتى هدأت القاعة. (أتيكوس) كان واقفاً جوار المقعد يقول شيئاً للقاضي، بينما السيد (هيك تايت)، رجل القانون الأول في المقاطعة، وقف في منتصف

الممر يحاول تهدئة القاعة المكتظة من خلفنا تصاعدت آهات مكتومة من الملونين.

انحنى المبجل (سايكس) فوقى أنا و(ديل)، وراح يجر كوع (جيم) قائلاً: "سيد (جيم). من الأفضل أن تأخذ الأنسة (جين لويس) للمنزل. سيد (جيم)، هل تسمعني؟".

أدار (جيم) رأسه وقال: "(سكاوت)، عودي للمنزل. (ديل)، عد مع (سكاوت) للمنزل".

"سيتوجب عليك أن تجربني على ذلك". قلت ذلك وأنا أتذكر قول (أتيكوس) الفاصل من قبل.

تجهم وجه (جيم) بغضب وهو ينظر إلي، ثم قال للمبجل (سايكس): "أعتقد أنه لا بأس بوجودها أيها المبجل، فهي لا تفهم ما يحدث".

كنت أشعر بالإهانة البالغة. "أنا أفهم تماماً ما يحدث. أنا أستطيع فهم كل ما يمكنك أنت فهمه".

"أوه، صمتاً. هي لا تفهم شيئاً أيها المبجل. سنها لم تبلغ التاسعة بعد".

كانت عينا المبجل تشعان بالقلق وهو يقول: "هل يعلم السيد (فينش) أنكم هنا؟. هذا الأمر لا يليق بالأنسة (جين لويس) ولا بكما أنتما أيضاً".

هز (جيم) رأسه وقال: "هو لا يستطيع رؤيتنا من هذه المسافة أيها المبجل. لا بأس".

كنت أعلم أن (جيم) سيفوز بالجدال، لأنني كنت أعلم أنه لا شيء سيجبره على المغادرة الآن. أنا و(ديل) كنا سالمين للوقت الحالي، إلا أن (أتيكوس) كان يمكنه رؤيتنا من مكانه لو نظر للأعلى.

بينما راح القاضي (تايلور) يضرب مطرقة بعنف، جلس السيد (إيويل) متعرجاً في مقعد الشهادة وهو يقلب نظره بفخر فيما فعله. بلفظ واحد تمكن من

تحويل الحضور السعيد الذين جاءوا متنزهين لحشد من الوجوه العابسة المتوترة المدممة التي تم تنويمها مغناطيسياً ببطء بواسطة طرقات المطرقة التي راحت تخفت شدتها، حتى صار الصوت الوحيد المسموع في قاعة المحكمة هو صوت (طق، طق، طق) الخافت، وكأن القاضي كان يطرق الطاولة بقلم رصاص.

بعد أن استعاد السيطرة على قاعة المحكمة مرة أخرى، أرجع القاضي (تايلور) ظهره للوراء في كرسيه وبدا عليه الإرهاق، وكأنه عمره بدأ يظهر على تقاسيمه. كنت أفكر فيما قاله (أتيكوس) عن أن القاضي والسيدة (تايلور) لم يكونا يقبلان بعضهما كثيراً - لا بد من أنه شارف السبعين من عمره.

قال القاضي (تايلور): "لقد تم تقديم طلب بأن تخلي القاعة من الحضور، أو على الأقل النساء والأطفال، وقد تم رفض الطلب في الوقت الحالي. من حق الناس أن يشاهدوا ما يريدون، وأن يستمعوا لما يريدون، ولهم الحق في أن يعرضوا أطفالهم لذلك أيضاً. ولكنني أؤكد لكم على أمر واحد: سوف تقبلون ما تسمعون وترون بصمت وإلا ستغادرون قاعة المحكمة، ولن تغادروا القاعة حتى تمثلوا جميعاً أمامي بتهمة ازدراء المحكمة. سيد (ايويل)، ستبقي شهادتك في حدود اللغة الانجليزية المهذبة لو أمكن ذلك. واصل يا سيد (جيلمر)".

السيد (ايويل) كان مثل الأصم الأبكم. أنا متأكدة أنه لم يسمع الكلمات التي وجهها له القاضي (تايلور) من قبل، لأن لسانه تتم بها بصعوبة، ولكن معناها اتضح في وجهه. اختفت العجرفة من وجهه وحل محلها جدية وإصرار، ولكن القاضي (تايلور) لم يكن لينخدع بهذا، واستمر ينظر إليه طوال فترة جلوسه على مقعد الشهادة كأنما يتحدها ليخطو خطوة واحدة خطأ.

تبادل السيد (جيلمر) و(أتيكوس) النظرات. كان (أتيكوس) جالساً، مسنداً خده على قبضته، ولم تكن نرى وجهه، أما السيد (جيلمر) فكان يبدو يائساً. تكفل سؤال القاضي (تايلور) بجعله يسترخي قليلاً: "سيد (ايويل)، هل رأيت المدعى عليه يمارس الاتصال الجنسي مع ابنتك؟".

"نعم، رأيتته".



## قتل الطائر المحاكي

ظل الحضور صامتاً، ولكن المدعى عليه قال شيئاً ما. همس (أتيكوس) في أذنه فصمت مرة أخرى.

سأل السيد (جيلمر): "تقول أنك كنت عند النافذة؟".

"نعم سيدي".

"كم يبلغ ارتفاعها من الأرض؟".

"حوالي ثلاثة أقدام".

"هل كنت ترى الغرفة بوضوح؟".

"نعم سيدي".

"كيف كانت الغرفة تبدو؟".

"حسناً، كانت مبعثرة تماماً كما لو أن عراكاً تم بالداخل".

"ما الذي فعلته حينما رأيت المدعى عليه؟".

"حسناً، جريت حول المنزل لأدخل، ولكنه هرب من الباب الأمامي قبل أن أصل إليه، ولكني رأيته جيداً. كنت مشغولاً بالاطمئنان على (ماييلا) ولذلك لم أتبعه. جريت للداخل ووجدتها راقدة على الأرض تصرخ...".

"ثم ماذا فعلت؟".

"جريت بأسرع ما يمكنني لأحضر (تايت). كنت أعرف من الجاني، فهو يعيش أسفل الشارع هناك في عش الزوج، وكان يمر بالمنزل يومياً. أيها القاضي، لقد ظلت طوال خمسة عشر سنة أطلب من المقاطعة إخلاء ذلك العش. هؤلاء القوم جيرتهم محفوفة بالمخاطر، كما أن قيمة الأرض تنخفض بسببهم...".

"شكراً لك يا سيد (إيويل)". قالها السيد (جيلمر) باستعجال.

هبط الشاهد بسرعة من المنصة واصطدم مسرعاً بـ(أتيكوس) الذي وقف ليأخذ دوره في الاستجواب. هذه المرة سمح القاضي (تايلور) للمحكمة بالضحك على الموقف.

قال (أتيكوس) بلطف: "لحظة يا سيدي. هل يمكنني أن أسألك سؤالاً أو اثنين؟".

تراجع السيد (ايويل) لمقعد الشهادة وجلس عليه وهو يرمق (أتيكوس) بشك متعالي، وهي نظرة شهود (مايكومب) عندما يواجهون المحامي الخصم.

بدأ (أتيكوس) الحديث: "سيد (ايويل). يبدو أنه قد حدث الكثير من الركض في تلك الليلة. فلنر إذاً، أنت تقول أنك ركضت نحو المنزل وأنت ركضت نحو النافذة وأنت ركضت للداخل، وأنت ركضت نحو (ماييلا)، وأنت ركضت لتحضر السيد (تايت). هل حدث، أثناء كل هذا الركض، أنك ركضت لتحضر الطبيب؟".

"لم أكن أحتاج لذلك. لقد رأيت ما حدث".

قال (أتيكوس): "ولكن هناك شيئاً واحداً لا أفهمه. ألم تكن مهتماً بحالة (ماييلا)؟".

قال السيد (ايويل): "بالتأكيد كنت مهتماً. لقد رأيت الجاني".

"لا، أعني حالتها الصحية. هل قدرت أن طبيعة جروحها تحتاج لعناية صحية فورية؟".

"ماذا؟".

"ألم تفكر أنها تحتاج لرؤية الطبيب حالاً؟".

قال الشاهد أنه لم يفكر في ذلك، وأنه لم يحدث أن أحضر الطبيب لأي سبب في حياته من قبل، وأنه إن نادى الطبيب فإنه ذلك كان سيكلفه خمسة دولارات، ثم سأل: "هل هذا كل شيء؟".

قال (أتيكوس) بطريقة عفوية: "ليس بعد. لقد استمعت لشهادة المأمور يا سيد (إيويل)، أليس كذلك؟".

"كيف ذلك؟".

"لقد كنت في غرفة المحكمة حينما أدلى السيد (هيك تايت) بشهادته، أليس كذلك؟ لقد سمعت كل شيء قاله، أليس كذلك؟".

فكر السيد (إيويل) ملياً في السؤال، ثم قرر أن السؤال غير مؤذ فقال: "نعم".

"هل تشاركه وصفه لجروح (ماييلا)؟".

"كيف ذلك؟".

نظر (أتيكوس) نحو السيد (جيلمر) وابتسم. يبدو أن السيد (إيويل) كان مصراً على ألا يعطي الدفاع فرصة اليوم.

"السيد (تايت) شهد أن عينها اليمنى كانت مسودة، وأنها قد ضربت حول الـ...".

قاطعها الشاهد: "أوه، طبعاً، أنا أنثي على كل ما قاله (تايت)".

قال (أتيكوس) بلطف: "حقاً؟ أريد فقط أن أتأكد". مشى (أتيكوس) إلى كاتب المحكمة وقال شيئاً. راح الكاتب لعدة دقائق يقرأ شهادة السيد (تايت) وكأنها اقتباسات سوق الأوراق المالية: "... أي عين عينها اليسرى أوه نعم هذا سيجعلها العين اليمنى لقد كانت عينها اليمنى سيد (فينش) أنا أذكر الآن أنها كانت قد ضربت"، قام بقلب الصفحة وواصل: "على هذا الجانب من وجهها هل يمكنك إعادة ما قلت أيها المأمور لقد كانت عينها اليمنى...".

قال (أتيكوس): "شكراً لك يا (بيرت). لقد سمعت الشهادة مرة أخرى يا سيد (إيويل). هل لديك ما تود إضافته؟ هل تتفق مع المأمور؟".

"أنا أتفق مع (تايت). عيناها كانت سوداء وكانت قد ضربت بشدة".

كان يبدو علي الرجل الصغير أنه نسي الذل الذي تعرض له من قبل، كما كان يبدو واضحاً أنه ظن (أتيكوس) خصماً سهلاً لأن لونه بدأ يحمر من جديد، كما انتفخ صدره، وصار من جديد ديكاً أحمرأ صغيراً. بدا وكأن قميصه سينفجر حينما سأل (أتيكوس) سؤاله التالي: "سيد (إيويل)، هل يمكنك القراءة والكتابة؟".

صاح السيد (جيلمر) مقاطعاً: "اعتراض. لا أرى علاقة أمية الشاهد بالقضية. سؤال غير موضوعي ولا علاقة له بالقضية".

كان القاضي (تايلور) على وشك الحديث حينما قال (أتيكوس): "سيدي القاضي، لو سمحت بهذا السؤال وسؤال آخر إضافي فسوف تعرف السبب".

قال القاضي (تايلور): "حسناً، لنر. ولكن تأكد من أن نعرف السبب يا (أتيكوس). الاعتراض مرفوض".

بدا السيد (جيلمر) متلهفأ مثل بقيتنا ليعرف ما علاقة حالة السيد (إيويل) التعليمية بالقضية.

كان (أتيكوس) يقول: "سوف أعيد السؤال. هل تستطيع القراءة والكتابة؟".

"بكل تأكيد".

"هل يمكنك كتابة اسمك وأن ترينا إياه؟".

"سوف أفعل بالتأكيد. كيف تظن أنني أوقع شيكات الإعانة؟".

كان السيد (إيويل) يحاول ترقيق قلوب المواطنين أمثاله من الحضور. الهمسات والضحكات من أسفل كانت على الأرجح بسبب أنه شخص مضحك.

كنت قد بدأت أتوتر. كان يبدو أن (أتيكوس) يعلم ما يفعله، ولكن ما بدا لي هو أنه كان يسير بغير هدى. لا يجب بأي حال من الأحوال عندما تقوم باستجواب

الشاهد أن تسأل سؤالاً لا تعلم إجابته مسبقاً. كان هذا معتقداً تشربته منذ حداثتي. افعل ذلك وسوف تتلقى إجابة لا ترغب بها، وهي الإجابة التي من شأنها أن تخرب قضيتك تماماً.

كان (أتيكوس) يبحث في الجيب الداخلي لمعطفه. أخرج منه مظروفاً، ثم أدخل يده في جيب سترته واستخرج قلم الحبر الخاص به. كان يتحرك على مهل. استدار حتى صار مواجهاً لهيئة المحلفين، ثم فتح غطاء قلم الحبر ووضع الغطاء برفق على طاولته. بعدها قام بهز القلم قليلاً ثم ناول القلم والمظروف للشاهد وسأله: "هل يمكنك أن تكتب اسمك؟. بوضوح لو سمحت حتى يستطيع المحلفون رؤيتك".

كتب السيد (إيويل) على ظهر المظروف ثم رفع نظره برضا ليووجه القاضي (تايلور) الذي كان يحدق فيه وكأنه شجرة (جاردينيا) فواحة كاملة الأزهار تجلس على منصة الشهود. كان السيد (جيلمر) نصف واقف ونصف جالس عند طاولته يحاول رؤية ما يحدث. كان المحلفون يراقبون الشاهد، وكان أحدهم منحنيًا للأمام، مستنداً براحتيه على الدرابزين.

سأل الشاهد: "ما الشيء المثير للاهتمام لهذا الحد؟".

أجابه القاضي (تايلور): "أنت أعسر يا سيد (إيويل)". التفت السيد (إيويل) بغضب وقال للقاضي أنه لا يرى علاقة كونه أعسر بالقضية، وقال أنه كان رجلاً يخاف الرب وأن (أتيكوس فينش) كان يحاول استغفاله. قال أن المحامين المخادعين مثل (أتيكوس فينش) كانوا يستغلونه طوال الوقت بأساليبهم المخادعة. لقد أخبرهم بما حدث، وسوف يعيد قصته مرة بعد مرة، وقد قام بفعل ذلك. لم يستطع أي سؤال سأله (أتيكوس) بعد ذلك أن يجعله يغير قصته، وهي أنه نظر عبر النافذة، بعدها هرب الزنجي، ثم أسرع هو ليحضر الأمور. في النهاية صرفه (أتيكوس).

سأله السيد (جيلمر) سؤالاً إضافياً: "حول كتابتك بيدك اليسرى، هل أنت بارع في استخدام كلتا يديك يا سيد (إيويل)؟".

"لا أستطيع ذلك، يمكنني استخدام يد واحدة بنفس جودة الأخرى. يد واحدة بنفس جودة الأخرى". أجاب السيد (إيويل) وهو ينظر نحو طاولة الدفاع.

بدا (جيم) وكأنه سيصاب بنوبة صامته. كان يدق درابزين الشرفة برفق ويهمس: "لقد قبضنا عليه".

لم أكن أظن ذلك. كان (أتيكوس) يحاول، في رأيي، أن يبين أنه من الممكن أن يكون السيد (إيويل) هو من قام بضرب (ماييلا). حتى الآن كنت أفهم القصة. إن كانت عينا اليمنى هي السوداء، وكانت معظم الضربات على جانب وجهها الأيمن، فهذا ربما يدل على أن من ضربها أعسر. هذا ما كان سيوافق عليه (شيرلوك هولمز) و(جيم فينش)، ولكن (توم روبنسون) قد يكون أعسراً أيضاً. رحت أتخيل – كما فعل السيد (هيك تايت) – شخصاً واقفاً أمامي، وشاهدت تمثيلية صامته في عقلي، بعدها خلصت إلى أنه ربما أمسكها بيده اليمنى وضربها بيده اليسرى. نظرت إليه في الأسفل. كان ظهره مواجهاً لنا، ولكنني رأيت بوضوح كتفيه العريضين ورقبته الثخينة. بإمكانه بسهولة أن يفعل ذلك. أعتقد أن (جيم) يسرح بخياله.

## الفصل 18

ارتفع النداء مجدداً: "ماييلا فيوليت إيويل)!".

صعدت فتاة شابة لمنصة الشهود. بينما رفعت يدها اليمنى وراحت تقسم أن شهادتها هي الحق، كل الحق ولا شيء غير الحق فليساعدنا الرب، بدت هشة وضعيفة. ولكن حينما جلست على مقعد الشهادة وواجهتنا اتضحت حقيقتها كفتاة ممثلة الجسم، متعودة على العمل الشاق.

كان من السهل في مقاطعة (مايكومب) أن تعلم إن كان الشخص يستحم بصورة مستمرة، على عكس الحمامات السنوية. كان السيد (إيويل) محترقاً، كأن حمامه الليلي حرمه من طبقات الأوساخ المغلفة لجسده، فبدا جلده حساساً لأي شيء. أما (ماييلا) فكان يبدو أنها تحاول الحفاظ على نظافتها، وتذكرت نباتات إبرة الراعي الحمراء في فناء (إيويل).

طلب السيد (جيلمر) من (ماييلا) أن تخبر هيئة المحلفين، بألفاظها الخاصة، ما حدث في ليلة الحادي عشر من نوفمبر في العام المنصرم. وأكد عليها أن تستخدم تعبيراتها الخاصة فقط إن أمكن. ظلت (ماييلا) صامتة.

"أين كنت وقت الغسق في تلك الأمسية؟". بدأ السيد (جيلمر) يسأل بصبر.

"على الشرفة".

"أية شرفة؟".

"لا توجد غير شرفة واحدة. الشرفة الأمامية".

"ماذا كنت تفعلين في الشرفة؟".

"لا شيء".

قال القاضي (تايلور): "فقط أخبرينا بما حدث. يمكنك أن تفعل ذلك؟".

حدقت (ماييلا) في وجهه، ثم انفجرت بالبكاء. غطت فمها بيديها وراحت تنتحب. تركها القاضي (تايلور) تبكي لعدة دقائق ثم قال: "هذا يكفي الآن. لا تخافي من أي شخص من الحضور، طالما أنك تخبرين الحقيقة. أنا أعلم أن كل هذا غريب عليك، ولكن يجب عليك ألا تخجلي أو تخافي من أي شيء. لماذا أنت خائفة؟".

قالت (ماييلا) شيئاً من خلف يديها. سألتها القاضي: "ما كان هذا؟".

"هو". قالت وهي تنتحب، مشيرةً نحو (أتيكوس).

"السيد (فينش)؟".

أومأت برأسها بشدة وقالت: "لا أريده أن يستجوبني كما استجوب بابا، محاولاً جعله يبدو أفسر...".

راح القاضي (تايلور) يحك شعره الأبيض الكثيف. كان من الواضح أنه لم يحدث أن واجه مشكلة كهذه من قبل. سألتها: "كم عمرك؟".

أجابت (ماييلا): "تسعة عشر ونصف".

تتنح القاضي (تايلور) في محاولة يائسة لجعل صوته مريحاً لها وهو يهمهم: "ليست لدى السيد (فينش) النية لإخافتك، وإن فعل، فأنا موجود هنا لإيقافه. هذا أحد أسباب وجودي هنا. والآن بما أنك فتاة كبيرة، أرجو أن تجلسي معتدلة وتخبرينا عن... عماذا حدث لك. يمكنك أن تفعل ذلك، أليس كذلك؟".

همست لـ(جيم): "هل لديها منطلق؟".



كان (جيم) محدقاً في منصة الشهود في الأسفل. قال: "لا أستطيع التحديد حتى الآن. لديها منطوق كافٍ لجعل القاضي يحس بالشفقة تجاهها، ولكن ربما كانت فقط... أوه، لا أعلم".

بعد أن هدأت، نظرت (ماييلا) نظرة أخيرة مرتعبة نحو (أتيكوس) ثم قال للسيد (جيلمر): "حسناً يا سيدي. كنت على الشرفة... وجاء هو ثم، كما ترى، كان هناك هذه الخزانة القديمة في الفناء والتي أحضرها بابا لتقطيعها... أخبرني بابا أن أقوم بالتقطيع ريثما يذهب للغابة، ولكنني لم أكن أشعر بطاقة كافية في ذلك الوقت، ثم جاء هو...".

"من هو؟"

أشارت (ماييلا) نحو (توم روبنسون). قال السيد (جيلمر): "سأضطر لأن أطلب منك أن تكوني أكثر تحديداً، لو سمحت. لأن كاتب المحكمة لا يمكنه تسجيل الإيماءات بصورة جيدة". أجابت الفتاة: "هذا الرجل هناك، (روبنسون)".

"ثم ماذا حدث؟"

"قلت له تعال هنا أيها الزنجي واقطع هذه الخزانة وسوف أعطيك خمس سنتات. كان يمكنه أن يفعلها بسهولة بكل تأكيد. دخل إلى الفناء ودخلت أنا للمنزل لإحضار السننات الخمس ثم التفتت عائدة، وقيل أن أنتبه وجدته فوق. ركض خلفي داخل الدار. قبض على رقبتني وهو يشتمني ويقول أنني قذرة... حاولت أن أقاوم وأن أصرخ، ولكن يده كانت تعصر رقبتني. راح يضربني ويضربني...".

انتظر السيد (جيلمر) حتى تستعيد (ماييلا) رباطة جأشها. كانت قد اعتصرت مندليها حتى صار حبلاً ليناً، وحينما فردته لتمسح وجهها كان المنديل مليئاً بالتجاعيد من عصر يديها الحاريتين. انتظرت أن يسأل السيد (جيلمر) سؤالاً آخر، وحينما لم يفعل، قالت: "... رماني على الأرض وراح يخنقني ثم اغتصبني".

قال السيد (جيلمر): "هل صرخت؟ هل صرخت وقاومت؟".

"أظن أنني فعلت ذلك. صرخت ما تمكنت. رفست وصرخت بقدر ما استطعت".

"ثم ماذا حدث؟".

"لا أذكر جيداً، ولكن الشيء التالي الذي أذكره هو- أن بابا كان في الغرفة واقفاً فوقي وهو يصرخ: من فعلها؟ من فعلها؟ ثم أظن أنني فقدت الوعي ولم أفق إلا والسيد (تايت) يرفعني من على الأرض ويقودني نحو دلو الماء".

من الواضح أن سرد (ماييلا) قد أعطاها ثقة بنفسها، ولكنها ليست ثقة صريحة مثل أبيها. كان هناك شيء مستتر حول هذه الفتاة، شيء مثل قط ثابت النظر، مضطرب الذيل.

سأل السيد (جيلمر): "تقولين أنك قاومته بأقصى قوة؟ هل قاتلته بأسنانك وأظفارك؟".

"لقد فعلت بالتأكيد". رددت (ماييلا) مقالة أبيها.

"هل أنت متأكدة أنه... اغتصبك؟".

تلوى وجه (ماييلا) وخفت أن تبدأ بالبكاء مرة أخرى، ولكنها قالت: "لقد فعل ما جاء لأجله".

نبهنا السيد (جيلمر) لحرارة الجو حينما مسح رأسه بيده. "هذا كل ما لدي الآن". كان يتحدث بلطف. "ولكن ابقِ مكانك. أتوقع أن السيد (فينش) الكبير السئ لديه بعض الأسئلة لك".

"الإدعاء لن يقوم بتحيز الشاهدة ضد محامي الدفاع". دمدم القاضي (أتيكوس) بتزمت. "ليس الآن على الأقل".

وقف (أتيكوس) مبتسماً، ولكن بدلاً عن أن يمشي نحو منصة الشهود، فتح معطفه وعلق إبهاميه في سترته، ثم مشى عبر القاعة نحو النوافذ. راح ينظر للخارج، ولم يبد عليه أنه مهتم تحديداً بما يراه، ثم عاد أدراجه وسار نحو منصة الشهود. من سنين خبرتي الطويلة كنت أعلم أنه كان يحاول اتخاذ قرار بشأن شيء ما.

قال أبي مبتسماً: "آنسة (ماييلا). لن أحاول أن أخيفك لفترة، ليس الآن على الأقل. لتتعرف على بعضنا الآن. كم عمرك؟".

"قلت أنني في التاسعة عشر. أخبرت القاضي الجالس هناك". قالت (ماييلا) وهي تهز رأسها باحتقار باتجاه المقعد.

"وقد فعلت ذلك. فعلت ذلك، سيدتي. سوف تضطرين لتحلمي قليلاً يا آنسة (ماييلا)، فأنا أكبر في السن ولا أستطيع التذكر كما كنت من قبل. قد أسألك بعض الأسئلة حول أشياء قلتيها من قبل، ولكنك ستجيبين عليها في جميع الأحوال، أليس كذلك؟ جيد".

لم أر تعبيراً على وجه (ماييلا) يبرر افتراض (أتيكوس) أنها أعطته تعاونها الكامل. كانت تنظر إليه بغضب. قالت: "لن أجيب على كلمة تقولها طالما أنك تستهزئ بي".

"سيدتي؟". سألها (أتيكوس) مشدوهاً.

"طالما أنك تسخر مني".

قال القاضي (تايلور): "السيد (فينش) لا يسخر منك. ما مشكالك بالضبط؟".

نظرت (ماييلا) إلى (أتيكوس) من تحت جفنيها المسدلين، ولكنها خاطبت القاضي: "طالما يناديني سيدتي ويقول آنسة (ماييلا). لست مضطرة لاحتمال وقاحته. لا يتوجب علي ذلك".

واصل (أتيكوس) مشيه نحو النافذة وترك القاضي (تايلور) يتعامل معها. لم يكن القاضي (تايلور) من الشخصيات التي تستثير الشفقة، ولكنني أحسست

## قتل الطائر المحاكي

بألمه وهو يحاول الشرح لـ(ماييلا): "هذه فقط طريقة السيد (فينش). لقد قمنا بعقد جلسات في هذه المحكمة لسنوات طويلة، والسيد (فينش) دائماً ما كان مهذباً مع الجميع. هو لا يحاول أن يسخر منك، هو فقط يحاول أن يكون مهذباً. هذه هي طريقته".

عاد القاضي للوراء في مقعده. "(أتيكوس)، لنواصل هذه الجلسة، وليوضح السجل أن الشاهدة لم يتم التعامل معها بوقاحة، رغم أن رأيها معاكس لذلك".

تساءلت إن كان هناك أي شخص قد ناداها بـ(سيدتي) أو (آنسة ماييلا) في حياتها. على الأرجح لا، لأنها كانت تشعر بالإهانة من المجاملات الروتينية. كيف كانت حياتها بالضبط؟ وقد جاءت الإجابة بسرعة.

واصل (أتيكوس): "تقولين أنك في التاسعة عشر. كم لديك من الإخوة والأخوات؟". كان يسير عائداً من النافذة إلى المنصة.

"سبعة". أجابت هي، بينما رحت أتساءل إن كانوا جميعاً يشبهون العينة التي رأيتها في أول يوم للمدرسة.

"هل أنت أكبرهم سناً؟".

"نعم".

"كم مضى على وفاة أمك؟".

"لا أعرف... وقت طويل".

"هل ذهبت للمدرسة على الإطلاق؟".

"أقرأ وأكتب بصورة جيدة مثل بابا الجالس هناك".

بدت (ماييلا) كالسيد (جنقل) من أحد الكتب التي كنت أقرأها.

"كم سنة ذهبت للمدرسة؟".

"سنتان... ثلاث... لا أدري".

رحت ببطء أرى نمطاً في أسئلة (أتيكوس). مستخدماً أسئلة لم يعتبرها السيد (جيلمر) لا علاقة لها بالموضوع أو غير مهمة، ولذلك لم يعترض عليها، كان (أتيكوس) يبني صورة لحياة عائلة (إيويل) المنزلية أمام هيئة المحلفين. علم أعضاء هيئة المحلفين المعلومات الآتية: شيك الإعانة كان أقل بكثير مما تحتاجه العائلة للمعيشة، وكان هناك احتمال كبير أن بابا كان يستخدمه لشرب الخمر في جميع الأحوال، حيث أنه كان يذهب للمستنقع لعدة أيام ثم يعود للمنزل مريضاً. كان الجو على الأغلب بارداً ولا يحتاج للبس حذاء، ولكن حينما تحتاج للبس حذاء فإنك تستطيع عمل حذاء أنيق من قطع الإطارات القديمة. كانت العائلة تملأ دلاء الماء من نبع كان يجري في طرف مكب النفايات، وكانوا يبقون المنطقة المجاورة له نظيفة من الأوساخ، وكانت مسؤولية كل شخص أن يحافظ على نظافة نفسه: إذا أردت أن تغتسل فعليك أن تجلب ماءك بنفسك. الأطفال الصغار كانوا مصابين بحالات زكام دائمة، كما كانوا يعانون من حكة مزمنة. كانت هناك سيدة تأتي أحياناً لتسأل (ماييلا) لماذا لم تبق في المدرسة وتسجل إجابتها على الورق. بوجود فردين من العائلة يستطيعان القراءة والكتابة، لم يكن هناك حوجة لأن يتعلم بقيتهم. كان بابا يحتاجهم في المنزل.

"أنسة (ماييلا)". قالها (أتيكوس) رغباً عنه. "فتاة في التاسعة عشرة مثلك لا بد أن يكون لديها أصدقاء. من أصدقاؤك؟".

قطبت الشاهدة وبدا أنها متحيرة. "أصدقاء؟".

"نعم. ألا تعرفين أي شخص في عمرك، أو أكبر، أو أصغر؟ أو أولاد أو بنات؟ أي أصدقاء؟".

عدائية (ماييلا)، والتي كانت قد تحولت لحيادية – ولكن على مضض – بدأت مرة أخرى بالانفجار. "هل أنت تسخر مني مرة أخرى يا سيد (فينش)؟".

ترك (أتيكوس) سؤالها يجيب عن سؤاله.

## قتل الطائر المحاكي

---

"هل تحبين أباك يا أنسة (ماييلا)؟". كان هذا سؤاله التالي.

"طبعاً أحبه. ما الذي تقصده؟".

"أعني، هل يعاملك بطريقة جيدة؟ هل من السهل العيش معه؟".

"إنه محتمل، ما عدا عندما...".

"ما عدا عندما ماذا؟".

نظرت (ماييلا) نحو أبيها، الذي كان جالساً على طرف كرسيه مستنداً إلى الدرابزين. انتصب في جلسته منتظراً إجابتها.

قالت (ماييلا): "ما عدا عندما... لا شيء. لقد قلت أنه محتمل".

عاد السيد (ايويل) للوراء مجدداً.

"ما عندما حينما يكون سكراناً؟". سأل (أتيكوس) بلطف شديد لدرجة أن (ماييلا) أوأمت برأسها.

"هل حدث أن جاء وراءك من قبل؟".

"ماذا تعني؟".

"حينما يكون... غاضباً. هل حدث أن قام بضربك؟".

نظرت (ماييلا) حولها. نظرت للأسفل إلى كاتب المحكمة، ثم للأعلى نحو القاضي الذي قال: "أجيبني على السؤال يا أنسة (ماييلا)".

"أبي لم يلمس شعرة من رأسي طوال حياتي". أعلنتها بحزم. "لم يحدث أن لمسني أبداً".

## قتل الطائر المحاكي

كانت نظارة (أتيكوس) قد انزلت قليلاً فأعاد دفعها أعلى أنه. "لقد تعرفنا على بعضنا جيداً يا آنسة (ماييلا)، والآن أعتقد أنه من الأفضل أن نعود للقضية. تقولين أنك طلبت من (توم روبنسون) أن يقوم بقطع... ماذا كان ذلك؟".

"خزانة قديمة مليئة بالأدراج من جهة واحدة".

"هل كنت تعرفين (توم روبنسون)؟".

"ماذا تعني؟".

"أعني هل كنت تعلمين من هو؟ أين كان يعيش؟".

أومأت (ماييلا) برأسها. "كنت أعلم من هو. كان يمر يوماً بمنزلنا".

"هل كانت هذه أول مرة تطليبين منه الدخول داخل السور؟".

قفزت (ماييلا) تقريباً عند سماعها للسؤال. كان (أتيكوس) يقوم برحلته البطيئة نحو النوافذ كما كان يفعل طوال الوقت: كان يلقي سؤالاً، ثم ينظر خارجاً منتظراً إجابة. لم يكن قد رأى قفرتها اللاإرادية، ولكنني أظن أنه كان يعلم أنها قد تحركت من مكانها. استدار نحوها ورفع حاجبيه وأعاد السؤال: "هل...".

"نعم كانت أول مرة".

"ألم تطلبي منه أن يدخل داخل السور من قبل؟".

كانت جاهزة للإجابة الآن: "لم أفعل. بالتأكيد لم أفعل".

قال (أتيكوس) بهدوء: "(لم أفعل) واحدة ليست كافية. ألم تطلبي منه أبداً أن ينفذ لك مهام غريبة من قبل؟".

اعترفت (ماييلا): "ربما أكون قد فعلت. كان هناك العديد من الزنوج بالجوار".

"هل يمكنك تذكر أي مواقف أخرى؟".

"لا".

"حسناً. الآن نعود لما حدث. قلت أن (توم روبنسون) كان وراءك في الغرفة حينما استدرت، هل هذا صحيح؟".

"نعم".

"قلت أنه أمسك رقبتك وراح يشتمك ويقول أنك قذرة، هل هذا صحيح؟".

"هذا صحيح".

يبدو أن ذاكرة (أتيكوس) قد أصبحت فجأة دقيقة للغاية. "قلت: لقد أمسك بي وخنقتي واغتصبني. هل هذا صحيح؟".

"هذا ما قلته".

"هل تذكرين ضربه لك في وجهك؟".

ترددت الشاهدة.

"يبدو أنك واثقة تماماً من أنه قام بخنقك. طوال هذا الوقت كنت تقاومين، أتذكرين ذلك؟ لقد (رفست وصرخت بأعلى صوت). هل تذكرين ضربه لك في وجهك؟".

(ماييلا) كانت صامتة، وكان يبدو عليها أنها تحاول أن توضح شيئاً بينها وبين نفسها. للحظة ظننت أنها تحاكي حيلة السيد (هيك تايت) وحيلتي بأن تتظاهر بأن هناك شخصاً وهمياً أمامها. رفعت بصرها ونظرت نحو السيد (جيلمر).

"إنه سؤال بسيط يا أنسة (ماييلا). سوف أحاول مرة أخرى. هل تذكرين ضربه لك في وجهك؟". كان صوت (أتيكوس) قد فقد لهجته المريحة، وصار الآن يتحدث بصوته الجاف المهني غير المتحيز. "هل تذكرين ضربه لك في وجهك؟".



"لا. لا أذكر إن كان قد ضربني. أعني، نعم، لقد ضربني".

"هل كانت عبارتك الأخيرة هي الإجابة؟".

"هه؟ نعم، لقد ضربني... ولكنني لا أذكر... لا أذكر... حدث كل شيء بسرعة كبيرة".

نظر القاضي (تايلور) بصرامة نحو (ماييلا) وقال: "إياك أن تبكي أيتها السيدة الشابة...". ولكن (أتيكوس) قال: "دعها تبك إن أردت يا سيدي القاضي. لدينا كل الوقت في العالم".

تنشقت (ماييلا) بغضب ونظرت نحو (أتيكوس). "سوف أجيب أي سؤال لديك... أتضرني هنا وتقوم بالاستهزاء بي؟ سوف أجيب أي سؤال لديك...". قال (أتيكوس): "لا بأس بهذا. لدي فقط بضعة أسئلة إضافية. أنسة (ماييلا)، لا أقصد أن أكون مملاً، ولكنك شهدت أن المدعى عليه قام بضربك، وقبض على رقبتك، وقام بخنقك، ومن ثم اغتصبك. أريدك أن تكوني متأكدة من أنك ستتعرفين على الرجل المطلوب. هل يمكن أن تتعرفي على الرجل الذي قام باغتصابك؟".

"سوف أفعل. هذا هو، الجالس هناك".

التفت (أتيكوس) نحو المدعى عليه. "توم)، انهض. دع الأنسة (ماييلا) تراك بصورة جيدة. هل هذا هو الرجل يا أنسة (ماييلا)؟".

تموجت كتفا (توم روبنسون) القويتان تحت قمصيه الخفيف. نهض واقفاً على قدميه، واضعاً يده اليمنى على ظهر مقعده. كان يبدو غير متزن، ولكن ليس بسبب طريقة وقوفه. ذراعه اليسرى كانت أقصر باثنتي عشرة بوصة من اليمنى، وكانت تتدلى جوار جسده بلا حراك. يده اليسرى كانت صغيرة وضامرة، ومن مكاني البعيد في الشرفة كنت أعلم أنه لا يستطيع استخدام يده اليسرى.

ارتفع تنفس (جيم) وهو يقول: "(سكاوت)، (سكاوت)، انظري! أيها المبجل، إنه معاق!".

انحنى المبجل (سايبكس) فوقه وهمس لـ(جيم): "ما حدث أن يده انحسرت في ملح قطن، ذلك الخاص بالسيد (دولفس رايموند) حينما كان (توم) صبياً... كان سينزف حتى الموت... تمزقت جميع العضلات وانفصلت عن العظام...".

قال (أتيكوس): "هل هذا هو الرجل الذي قام باغتصابك؟".

"بالتأكيد هو".

سؤال (أتيكوس) التالي كان يتكون من كلمة واحدة: "كيف؟".

كانت (ماييلا) مشتتة: "لا أعلم كيف فعلها، ولكنه فعلها... أخبرتك أن كل شيء حدث بسرعة كبيرة...".

"والآن لنفكر في هذا بهدوء...". بدأ (أتيكوس) يتحدث، ولكن السيد (جيلمر) قاطعه باعتراض: لم يكن سؤاله غير مهم أو غير مرتبط بالموضوع، ولكن (أتيكوس) كان يرهب الشاهدة.

ضحك القاضي (تايلور) وقال: "أوه، اجلس يا (هوراس)، إنه لم يفعل شيئاً كهذا. إن كان هناك أي شيء فإن الشاهدة هي من ترهب (أتيكوس)".

كان القاضي (تايلور) هو الوحيد الذي ضحك في القاعة بأكملها. حتى الرضع كانوا جامدين، وللحظة تساءلت إن كانوا قد اختنقوا بأنداء أمهاتهم.

قال (أتيكوس): "والآن، آنسة (ماييلا)، لقد شهدت بأن المدعى عليه قام بخنقك وضربك... لم تقولي أنه تسلل وراءك وأفقدك وعيك، بل قلت أنك التفتت ورأيت خلفك...". كان (أتيكوس) قد عاد خلف طاولته، وراح يؤكد كلماته بأن طرق برامجه على الطاولة. "هل ترغبين بمراجعة أي جزء من شهادتك؟".

"هل تريد مني أن أقول شيئاً لم يحدث؟".

"لا سيدتي- أريد منك أن تقولي شيئاً قد حدث- أخبريناء مرة واحدة بعدء ماذا حدث؟".

"أخبرتك ما حدث".

"قلت في شهادتك أنك التفت ووجدته وراءك. هل قام بخنقك عندها؟".

"نعم".

"ثم حرر حلقك وراح يضربك؟".

"قلت أنه فعل".

"هل أصاب عينك اليسرى بيده اليمنى؟".

"قمت بتفاديها وطاشت الضربة. هذا ما حدث، تفاديتها وطاشت". كانت (ماييلا) قد وجدت الحل أخيراً.

"أنت تتذكرين هذه النقطة بوضوح الآن. قبل قليل لم تكوني تتذكرين جيداً، أليس كذلك؟".

"قلت أنه ضربني".

"صحيح. لقد خنقك، وضربك، ثم اغتصبك، هل هذا صحيح؟".

"بالتأكيد".

"أنت فتاة قوية. ما الذي كنت تفعلينه طوال الوقت، هل كنت فقط وافقة مكانك؟".

"أخبرتك أنني صرخت ورفست وقاومت...".

## قتل الطائر المحاكي

خلع (أتيكوس) نظارته والتفت بعينه اليمنى السليمة لينظر للشاهدة، ثم امطرها بالأسئلة حتى قال القاضي (تايلور): "سؤال واحد بعد الآخري (أتيكوس). أعط الشاهدة الفرصة لتجيب".

"حسناً. لماذا لم تهربي؟"

"حاولت...".

"حاولت؟ ما الذي كان يمنعك؟"

"أنا... لقد رماني على الأرض. نعم، هذا ما فعله، رماني على الأرض ثم جثم فوقي".

"وكنت تصرخين طوال هذا الوقت؟"

"بالتأكيد".

"إذاً لماذا لم يسمعك الأطفال الآخرون؟ أين كانوا؟ في مكب النفايات؟"

"أين كانوا؟"

لا إجابة.

"لماذا لم يأتوا راكضين على صوت صراخك؟ مكب النفايات أقرب من الغابة، أليس كذلك؟"

لا إجابة.

"أم أنك لم تصرخي حتى رأيت والدك في النافذة؟ لم تفكري في الصراخ حتى تلك اللحظة، أليس كذلك؟"

لا إجابة.

"هل صرخت أولاً على أبيك أم على (توم روبنسون)؟ أيهما؟".

لا إجابة.

"من قام بضربك؟ (توم روبنسون) أم والدك؟".

لا إجابة.

"ما الذي رآه والدك من النافذة، جريمة اغتصاب، أم أفضل دفاع عنها؟ لماذا لا تخبرين الحقيقة يا طفلي، وهي أن (بوب إيويل) هو من قام بضربك؟".

حينما أدار (أتيكوس) ظهره لـ(ماييلا) كان يبدو أن معدته تؤلمه، ولكن وجهه (ماييلا) كان مزيجاً من الرعب والغضب. جلس (أتيكوس) متعباً على كرسيه وراح ينظف زجاج نظارته مستخدماً منديله.

فجأة تمكنت (ماييلا) من الحديث مرة أخرى: "الذي شئ واحد أريد قوله".

رفع (أتيكوس) رأسه: "هل تريدين أن نخبرينا بما حدث؟".

ولكنها لم تسمع نبرة التعاطف في سؤاله. "سأقول شيئاً واحداً ولكن أقول أي شئ بعد هذا. هذا الزوجي الجالس هناك قد اغتصبني، وإن لم تقوموا أيها السادة لابسي الملابس الفاخرة بفعلي أي شئ حيال هذا فأنتم لستم أكثر من مجموعة جنباء خبيثي الرائحة، جميعكم، جنباء وخبيثوا الرائحة. ملابسكم الفاخرة لا تعني شيئاً... قولك (سيدتي) و(أنسة ماييلا) لا يعني شيئاً يا سيد (فينش)...".

بعدها انفجرت بالبكاء حقيقةً لا تمثيلاً، وراح كتفاها يهتران مع نحيبها الغاضب. من ثم نفذت وعدّها ولم تجب أي سؤال، حتى عندما حاول السيد (جيلمر) أن يعيدها لمسار القضية. أعتقد أنه لولا فقرها وجهلها لكان القاضي (تايلور) قد وضعها في السجن بسبب الإزدراء الذي أظهرته لكل الحضور في القاعة. بطريقة ما، كان (أتيكوس) قد نجح في إصابتها إصابة شديدة لم أتمكن من رؤيتها، ولكنه لم يستمتع أبداً بذلك. كان جالساً مطرق الرأس. حينما غادرت (ماييلا) منصة الشهود ومرت على طاولة (أتيكوس) نظرت إليه بكرامية لم أر أحداً ينظر بها لأي أحد آخر من قبل.

حينما أخبر السيد (جيلمر) القاضي (تايلور) أن الإدعاء يريد الاستراحة، قال القاضي: "حان الوقت لنستريح جميعاً. سوف نأخذ عشرة دقائق".

التقى (أتيكوس) والسيد (جيلمر) أمام المقعد وراحا يتهامسان، ثم غادرا قاعة المحكمة عبر الباب الموجود خلف منصة الشهود، وكانت هذه إشارة لنا جميعاً لكي نتمدد. اكتشفت أنني كنت جالسة على حافة المقعد الطويل وأني كنت مخدرة. وقف (جيم) وتثاءب، وفعل (ديل) مثله، أما الميجل (سايكس) فقد مسح وجهه باستخدام قبعته، وقال أن درجة الحرارة فوق التسعين.

السيد (براكتون أندروود)، والذي كان جالساً بهدوء في المقعد المخصص للصحفيين، كان يمتص الشهادة بعقله الشبيه بالإسفنجة. جال بعينيه حول الشرفة المليئة بالمونين، ثم التقت عيناه بعيني. شخر بطريقة ساخرة ثم نظر بعيداً.

قلت: "(جيم)، لقد رأنا السيد (أندروود)".

"لا بأس - سوف لن يخبر - (أتيكوس) - فقط سيضع الخبر - في الجزء الاجتماعي من (المنير)". التفت (جيم) مرة أخرى نحو (ديل) وراح يشرح - في اقتراضي - الأجزاء الدقيقة من المحاكمة، ولكنني كنت أتساءل ما هي تلك الأجزاء. لم يكن هناك أي مناظرات مطولة بين (أتيكوس) والسيد (جيلمر)، ويبدو أن السيد (جيلمر) كان يتراجع مكرهاً، وكان الشهود منقادين من أنوفهم كالحمير، مع القليل جداً من الاعتراضات. ولكن (أتيكوس) كان قد أخبرنا من قبل أن أي محامي يتشدد في بناء قضيته على الأدلة في محكمة القاضي (تايلور) سوف ينتهي الأمر بإعطائه تعليمات صارمة من مقعد القاضي. أخبرني ذلك ليجعلني أفهم أن القاضي (تايلور) ربما يبدو مجنوناً ويعمل نصف نائم، ولكنه كان نادراً ما يتراجع، وكان هذا هو الدليل على أنه قاض جيد، كما قال (أتيكوس).

عاد القاضي (تايلور) وصعد إلى كرسيه الدوار، ثم أخرج سيجاراً من جيب سترته وراح يفحصه وهو يفكر. بعد أن اجتاز السيجار عملية الفحص، قام القاضي بقضمه بقوة. لکمت (ديل) وقلت له: "أحياناً ما نأتي لنشاهده. سوف يستغرق الأمر فترة ما بعد الظهر. فقط راقبه". غير عالم بالفحص الدقيق من

## قتل الطائر المحاكي

الحضور في الطابق العلوي، تخلص القاضي (تايلور) من الجزء المقطوع بأن دفعه باحتراف إلى شفتيه وقال: "خخخففووو!". حطت البصقة في منتصف المصقة حتى كدنا نسمع صوت الضربة في الأعلى. دمدم (ديل): "أراهن أنه كان محترفاً في لعبة كرة البصق".

كقاعدة عامة، كانت الاستراحة تعني الخروج الجماعي، ولكن لم يتحرك أحد اليوم. حتى آل (إدler) الذين فشلوا في إحراج الشباب لجعلهم يتركون مقاعدهم، بقوا واقفين قبالة الحوائط. أظن أن السيد (هيك تايت) قام بحجز الحمامات لموظفي المقاطعة.

عاد (أتيكوس) والسيد (جيلمر)، ونظر القاضي (تايلور) في ساعته، ثم قال: "الساعة تشارف الرابعة". كان هذا مثيراً للاهتمام، لأنه يعني أن ساعة المحكمة قد أعلنت الساعة مرتين على الأقل، ولكنني لم أسمع أو أحس بضرباتها. سأل القاضي (تايلور): "هل نختم هذه الجلسة؟ ما رأيك يا (أتيكوس)؟".

أجاب (أتيكوس): "أعتقد أنه يمكننا ذلك".

"كم شاهداً لديك؟".

"واحد".

"حسناً. نادِ الشاهد".

## الفصل 19

حرك (توماس روبنسون) أصابع يده اليمنى وأدخلها تحت ذراعه اليسرى ليرفعها ويضع يده اليسرى المينة على الغلاف الأسود للانجيل. حينما رفع يده اليمنى للقسم، انزلت يده اليسرى المعطلة عن سطح الانجيل وسقطت لتضرب طاولة الكاتب. حاول أن يرفعها مرة أخرى حينما تذمر القاضي (تايلور): "هذا كافٍ يا (توم)". تلا (توم) القسم ثم جلس على كرسي الشهادة. قام (أتيكوس) بتحفيزه بسرعة ليخبرنا: كان (توم) في الخامسة والعشرين من عمره. كان متزوجاً ولديه ثلاثة أطفال. لم تكن هذه أول مشكلة قانونية تواجهه، كان قد حبس مدة ثلاثين يوماً من قبل بتهمة السلوك غير المنضبط.

قال (أتيكوس): "لا بد أنك كنت غير منضبطاً. ماذا فعلت؟".

"تشاجرت مع رجل آخر. كان يحاول جرحي".

"وهل نجح في ذلك؟".

"نعم سيدي. جرح بسيط ليس كبيراً كفاية ليكون مؤلماً. كما ترى فأنا...".  
حرك (توم) كتفه الأيسر.

قال (أتيكوس): "نعم. هل تم الحكم عليهما سوية؟".

"نعم سيدي. اضطررت لدخول السجن لأنني لم أتمكن من دفع الغرامة. الشخص الآخر دفعها وخرج".

مال (ديل) فوقي وسأل (جيم) ما الذي يفعله (أتيكوس). قال (جيم) أن (أتيكوس) كان يري المحلفين أن (توم) لم يكن لديه شيء ليخفيه.

سأل (أتيكوس): "هل كنت تعرف (ماييلا فيوليت إيويل)؟".



"نعم سيدي. كنت مضطراً للمرور أمام منزلها من وإلى الحقل يوماً".

"حقل من؟".

"أنا التقط القطن للسيد (لينك دياس)".

"هل كنت تلتقط القطن في نوفمبر؟".

"لا يا سيدي. أنا أعمل في فناءه في الخريف والشتاء. أنا أعمل لديه طوال السنة بصورة ثابتة. لديه الكثير من شجر الجوز وغيره".

"قلت أنك كنت مضطراً للمرور بمنزل السيد (ايويل) للذهاب والعودة من العمل. هل هناك أي طرق أخرى للذهاب؟".

"لا يا سيدي. ليس هناك طرق أخرى".

"(توم)، هل حدث أن تكلمت الفتاة معك من قبل؟".

"نعم يا سيدي. كنت أميل قبعتي احتراماً حينما أمر أمامها. وفي أحد الأيام طلبت مني أن أدخل داخل السور وأقوم بتكسير دولا ب خشبي لأجلها".

"متى طلبت منك أن تكسر الدولا ب خشبي؟".

"سيد (فينش)، كان هذا منذ زمن بعيد، في الربيع الماضي. أتذكره لأن ذلك كان وقت تكسير الخشب وكنت أحمل معول التكسير معي. أخبرتها أنني لا أحمل شيئاً سوى ذلك المعول، ولكنها أخبرتني أن لديها فأساً. أعطتني الفأس وكسرت لها الدولا ب خشبي. قالت لي: أظن أنه يتوجب علي أن أعطيك خمسة سنتات، أليس كذلك؟ فقلت لها: لا سيدتي، ليس هناك أي أجر. بعدها عدت للمنزل. سيد (فينش)، كان هذا منذ زمن بعيد في الربيع الماضي، أي مضى عليه أكثر من سنة".

"هل حدث أن دخلت للمنزل مرة أخرى؟".

---

"نعم سيدي".

"متى؟".

"حسناً. ذهبت عدة مرات".

امتدت يد القاضي (تايلور) تلقائياً نحو مطرقتة، ولكنه ترك يده تعود مكانها لأن المهمات في الأسفل توقفت لوحدها بدون تدخله.

"تحت أي ظروف؟".

"عذراً سيدي؟".

"لماذا دخلت داخل السور عدة مرات؟".

استرخت الخطوط على جبهة (توم روبنسون) وقال: "كانت تناديني يا سيدي. يبدو أنه في كل مرة أمر بها بالمنزل كان يكون لديها شيء صغير تريدي أن أفعله لها، مثل قطع الخشب أو جلب الماء. كانت تصب الماء على الزهور الحمراء يومياً...".

"هل كانت تدفع لك لقاء خدماتك؟".

"لا سيدي، ليس. بعدما عرضت علي خمسة سنتات أول مرة. كنت سعيداً بخدمتها، فالسيد (إيويل) لم يكن يساعدها البتة، ولا حتى الأطفال، وكنت أعلم أنها لا تملك سنتات لتصرفها".

"أين كان الأطفال الآخرون؟".

"كانوا دائماً متواجدين حول المكان. كان بعضهم يشاهدني وأنا أعمل، بينما يجلس البعض الآخر في النافذة".

"هل كانت الأنسة (ماييلا) تتحدث إليك؟".

"نعم سيدي. كانت تتحدث إلي".

بينما راح (توم روبنسون) يدلي بشهادته، فكرت في أن (مايلا إيويل) كانت أكثر إنسان وحدة على سطح الأرض. كانت أكثر وحدة من (بو رادلي) الذي لم يخرج من المنزل لمدة خمس عشرة سنة. حينما سألتها (أتيكوس) إن كان لديها أصدقاء، لم يبد عليها أنها فهمت ما يعنيه، ثم ظنت بعدها أنه يسخر منها. فكرت أنها كانت حزينة مثلها مثل الأطفال المختلطين الذين تحدث عنهم (جيم): البيض لا يريدون التعامل معها لأنها تعيش مع الخنازير، والزواج لا يريدون التعامل معها لأنها بيضاء. لم يكن بإمكانها العيش مثل السيد (دولفس رايموند) الذي كان يفضل صحبة الزوج، لأنها لم تكن تملك ضفة نهر ولا كانت من عائلة عريقة مثله. لم يكن أحد يقول (هذه طريقهم في العيش) حينما يتحدثون عن آل (إيويل). كانت (مايكومب) تعطيهم سلالاً في عيد الميلاد، وأموالاً للإعانة، ولكنها أدارت ظهرها لهم. على الأرجح أن (توم روبنسون) كان الشخص الوحيد الذي عاملها باحترام. ولكنها قالت أنه اغتصبها، وحينما وقفت نظرت نحوه وكأنه تراب تحت قدميها.

قاطع (أتيكوس) تأملاتي: "هل حدث من قبل، في أي وقت من الأوقات، أن دخلت أرض (إيويل).. هل حدث أبداً أن وضعت قدمك على ممتلكات (إيويل) بدون دعوة صريحة من أحد من العائلة؟".

"لا سيدي، لم يحدث ذلك أبداً. لا يمكنني أن أفعل ذلك يا سيد (فينش)".

كان (أتيكوس) يقول أحياناً أن الطريقة الوحيدة لتعرف إن كان الشاهد يكذب أو يقول الحقيقة هي أن تسمع لا أن تشاهد. قمت بتطبيق هذا الاختبار. ووجدت أن (توم) قد أنكر الأمر ثلاث مرات بنفس واحد، ولكن بهدوء، وبدون أن يكون هناك لمحة من البكاء أو الانتحاب في صوته، ووجدت نفسي أصدقته على الرغم من اعتراضه المستمر. بدا عليه أنه زنجي محترم، والزنجي المحترم لا يدخل فناء أحدهم بإرادته الخاصة.

"(توم). ما الذي حدث لك في أمسية الحادي والعشرين من نوفمبر من العام الماضي؟".

في الأسفل، تنفس المشاهدون عميقاً وانحنوا للأمام. ورائنا، فعل الزوج الشيء نفسه.

كان (توم) زنجياً ذا لون أسود ناعم، ليس لامعاً، بل أسود ناعم. كان بياض عينيه يضىء في وسط وجهه، وحينما كان يتحدث كنت ترى لمحات من أسنانه البيضاء. إن كان مكتملاً بدون الشلل كان سيكون عينة جيدة من البشر.

كان يقول: "سيد (فينش). كنت عائداً للمنزل كالمعتاد في تلك الأمسية، وحينما مررت بمنزل (إيويل) كانت الأنسة (ماييلا) على الشرفة، كما قالت بنفسها. كان المكان هادئاً جداً، ولم أعرف السبب حينها. كنت أفكر في سبب الهدوء وأنا أمر بالمنزل، حينما نادتنني وأخبرتني أن أدخل وأساعدها. حسناً، دخلت داخل السور ورحت أنظر حولي مفتشاً عن شيء أعمل عليه، ولكنني لم أر شيئاً ذا بال. حينها قالت لي: لا، لدي شيء أريدك أن تعمله داخل المنزل، فالباب القديم خرج عن مفاصله والخريف قادم. سألتها إن كان لديها مفك براغي فأجابت نعم. صعدت على الدرج وأخبرتني أن أدخل للداخل. دخلت للغرفة الأمامية وفحصت الباب، ثم قلت لها: أنسة (ماييلا) هذا الباب بحالة ممتازة. رحنت أجدبه للأمام والخلف وكانت المفاصل بحالة ممتازة. عندها أغلقت الباب في وجهي. كنت أتساءل يا سيد (فينش) لماذا كان المكان هادئاً، وعندها أدركت أنه لا يوجد أطفال في المنزل، ولا واحد منهم. عندها سألتها: أنسة (ماييلا)، أين الأطفال؟"

كان جلد (توم) الأسود الناعم قد بدأ يلتحم. مسح وجهه بكفه ثم واصل: "سألتها أين الأطفال؟ وقالت... كانت تضحك، تقريباً... قالت أنهم ذهبوا جميعاً للبلدة لشراء الآيس كريم. قالت أنه لزمها عام كامل لتدخر تلك السنوات، ولكنها فعلتها، وذهب الجميع إلى البلدة".

لم يكن ضيق (توم) نابعاً من الرطوبة. سأله (أتيكوس): "ماذا قلت حينها يا (توم)؟"

"قلت شيئاً على غرار، جيد يا أنسة (ماييلا)، هذه حصافة منك أن تعاملهم هكذا. عندها قالت: هل تظن ذلك؟ لا أظن أنها فهمت ما كنت أعنيه... كنت

أقصد أنه كان من الحصافة أن تدخر أموالها بهذه الطريقة، وأنه من الجيد أنها تكافئهم".

قال (أتيكوس): "أنا أفهمك يا (توم). واصل".

"حسناً. أخبرتها أنه من الأفضل أن أنصرف، إذ لم يكن هناك شيء يمكن أن أفعله لها. ولكنها قالت: أوه نعم، هناك شيء. سألتها ما هو. فأخبرتني أن أقف فوق ذلك الكرسي وأحضر ذلك الصندوق من أعلى الدولاب الخشبي".

سأل (أتيكوس): "ليس نفس الدولاب الخشبي الذي كسرته من قبل؟".

ابتسم الشاهد. "لا يا سيدي، واحد آخر. عالٍ جداً بارتفاع الغرفة تقريباً. فعلت ما طلبت مني، وبينما كنت أحاول الوصول للصندوق تفاجأت بأنها أمسكت بي من رجلي... أمسكت برجلي يا سيد (فينش). كنت خائفاً للغاية لدرجة أنني قفزت من الكرسي وأوقعته أرضاً... كان هذا الشيء الوحيد من الأثاث الذي تم قلبه في تلك الغرفة يا سيد (فينش) حينما غادرت. أنا أقسم على ذلك".

"ماذا حدث بعد أن قلبت الكرسي أرضاً؟".

توقف (توم روبرنسون) عن الحديث تماماً. نظر نحو (أتيكوس)، ثم نحو هيئة المحلفين، ثم نحو السيد (أندروود) الجالس قبالة عبر الغرفة.

"(توم)، لقد أقسمت على قول الحق. هل ستقول الحق؟".

حرك (توم) يده بعصبية على فمه.

"ماذا حدث بعد هذا؟".

"أجب عن السؤال". قالها القاضي (تايلور)، الذي تلاشى ثلث سيجاره الآن.

"سيد (فينش). نزلت من الكرسي والتفت ورائي، وقفزت هي علي".

"قفزت عليك؟ بعنف؟".

"لا يا سيدي، لقد... لقد احتضنتني. احتضنتني من خصري".

هذه المرة هوت مطرقة القاضي (تايلور) بعنف، في نفس الوقت الذي أضيئت فيه مصابيح السقف في القاعة. لم يكن الظلام قد حل، ولكن شمس العصر كانت قد غادرت النوافذ. استعاد القاضي (تايلور) النظام بسرعة هذه المرة.

"ثم ماذا فعلت؟"

ابتلع الشاهد لعبه بصعوبة. "وصلت إلي وقبلتني على جانب وجهي. قالت أنها لم يحدث أن قبلت رجلاً بالغاً من قبل، وأنها لن تخسر شيئاً من أن تقبل زنجياً. قالت أنه مهما كان ما سيفعله أبوها فإنه لا يهم. قالت لي: قبلني أيها الزنجي. قلت لها: دعيني أخرج من هنا يا أنسة (مايلا). حاولت الهرب ولكنها ألصقت ظهرها إلى الباب واضطرت لأن أضعها. لم أكن أريد أن أؤذيها يا سيد (فينش). قلت لها مرة أخرى: دعيني أخرج، ولكن في اللحظة التي قاتتها فيها رأيت السيد (إيويل) هناك يصرخ عبر النافذة".

"ماذا كان يقول؟"

ابتلع (توم روبنسون) لعبه مرة أخرى واتسعت عيناه: "شئ لا يصح قوله... شئ لا يصح قوله أمام الناس والأطفال هنا...".

"ماذا قال يا (توم)؟ يجب عليك أن تخبر المحلفين ماذا قال".

أغلق (توم روبنسون) عينيه بقوة وقال: "لقد قال: عليك اللعنة أيتها العاهرة. سوف أقتلك".

"ثم ماذا حدث؟"

"سيد (فينش)، كنت أجري بسرعة فلم أتمكن من معرفة ما حدث".

"هل قمت بالاعتداء على (مايلا إيويل) يا (توم)؟"

"لا سيدي، لم أفعل".

"هل قمت بإيذائها بأي طريقة؟".

"لا سيدي، لم أفعل".

"هل حاولت مقاومتها؟".

"لقد حاولت يا سيد (فينش). حاولت ولكنني كنت سأؤذيها، ولم أكن أرغب بإيذائها. لم أكن أرغب بدفعها أو ضربها".

فكرت حينها أن أخلاق (توم روبنسون) تشبه إلى حد كبير أخلاق (أتيكوس)، كل على طريقته الخاصة. لم أفهم دقة موقف (توم) حتى شرحها لي أبي فيما بعد: لم يكن يجرؤ على أن يضرب امرأة بيضاء ثم يتوقع أن يعيش مطولاً، ولذلك اغتتم أول فرصة للهرب... وهي علامة أكيدة على الإقرار بالذنب.

قال (أتيكوس): "أريدك يا (توم) أن تعود مرة أخرى للسيد (إيويل). هل خاطبك قائلاً أي شيء؟".

"لا سيدي. ربما كان قد قال شيئاً، ولكنني لم أكن هناك لاستمع...".

"هذا يكفي". قاطعه (أتيكوس) بحدة. "ماذا سمعت؟ من الذي كان يخاطبه؟".

"سيد (فينش). لقد كان يتحدث وينظر نحو الأنسة (ماييلا)".

"عندها هربت أنت؟".

"هذا ما فعلته يا سيدي".

"لماذا هربت؟".

"كنت خائفاً يا سيدي".

"لماذا كنت خائفاً؟".

"سيد (فينش)، لو كنت زنجياً مثلي، كنت ستخاف أيضاً".

جلس (أتيكوس) على كرسيه. شق السيد (جيلمر) طريقه نحو منصة الشهود، ولكن قبل أن يصلها، وقف السيد (لينك دياس) في منتصف الحضور وأعلن: "فقط أريد منكم جميعاً أن تعلموا شيئاً واحداً الآن. هذا الفتى يعمل لدي منذ ثمان سنوات ولم أواجه ذرة مشاكل من جانبه. ولا ذرة".

"أغلق فمك يا سيدي!" كان القاضي (تايلور) متيقظاً ويزأر كالأسد، كما أن وجهه كان وردياً. لم يكن السيجار في فمه يعيق حديثه، وهي معجزة. صاح القاضي: "(لينك دياس)، إن كان لديك أي شيء تريد قوله، يمكنك أن تقوله تحت القسم وفي الوقت المناسب. ولكن حتى ذلك الحين، اخرج من هذه القاعة، هل تسمعي؟ اخرج من هذه القاعة، سيدي، هل تسمعي؟ علي اللعنة لو استمعت لهذه القضية مرة أخرى!".

صوب القاضي (تايلور) نظراته النارية على (أتيكوس) وكأنه يتحده أن يفتح فمه، ولكن (أتيكوس) خفض رأسه وراح يضحك في حجره. تذكرت شيئاً قاله من قبل عن أن سلطة القاضي (تايلور) أحياناً تتجاوز حدود مسؤوليته، وأن القليل جداً من المحامين كانوا يفعلون شيئاً بخصوص ذلك. نظرت نحو (جيم)، ولكن (جيم) هز رأسه وقال: "ليس الأمر كأن أحد أفراد هيئة المحلفين وقف وبدأ بالحديث. أعتقد أن الأمر كان سيكون مختلفاً عندها. السيد (لينك) كان يعرقل الأمن أو شيء من هذا القبيل".

أخبر القاضي (تايلور) كاتب المحكمة أن يحو أي شيء كتبه بعد عبارة "سيد (فينش)، لو كنت زنجياً مثلي، كنت ستخاف أيضاً". كما أخبر المحلفين أن يتغاضوا عن المقاطعة. ألقى نظرات مليئة بالشك نحو الممر الأوسط وانتظر، في اعتقادي، حتى يغادر السيد (لينك دياس) القاعة تماماً. حينها فقط قال: "يمكنك المواصلة يا سيد (جيلمر)".

"لقد حكم عليك من قبل بثلاثين يوماً بتهمة السلوك غير المنضبط، أليس كذلك يا (روبنسون)؟". كان السيد (جيلمر) يسأل.



"نعم سيدي".

"كيف كان الزنجي يبدو حينما انتهيت من عراكه؟".

"لقد ضربني يا سيد (جيلمر)".

"نعم، ولكن قد تمت إدانتك أيضاً، أليس كذلك؟".

رفع (أتيكوس) رأسه وقال: "كانت جناحة وهي مسجلة في السجل يا سيدي القاضي". كان صوته يدل على أنه متعب.

"ولكن الشاهد سيجيب السؤال". قال القاضي (تايلور) بنفس اللهجة المتعبة.

"نعم سيدي، حكم علي بثلاثين يوماً".

كنت أعلم أن السيد (جيلمر) سوف يخبر المحلفين بصدق أن أي شخص قد حكم عليه بالسلوك غير المنضبط يمكنه بسهولة أن يعتدي على (مايلا إيويل)، وكان هذا سبب سؤاله. أسباب كهذه تساعد القضية.

"(روبنسون)، أنت جيد جداً في استخدام يد واحدة لتقطيع الخشب وإضرام النار، أليس كذلك؟".

"نعم سيدي، أظن ذلك".

"قوي بما يكفي لأن تخنق امرأة وترميها على الأرض؟".

"أنا لم أفعل هذا أبداً يا سيدي".

"ولكنك قوي بما يكفي لتفعله؟".

"أظن ذلك، سيدي".

"كنت ترغب بها منذ مدة طويلة، أليس كذلك يا فتى؟".

"لا سيدي، لم يحدث أبداً أن رغبت فيها".

"إذاً فقد كان تهذيباً عالياً من جانبك أن تقوم بكل التقطيع وجلب الماء لأجلها، أليس كذلك يا فتى؟".

"كنت فقط أحاول مساعدتها يا سيدي".

"كان هذا تصرفاً كريماً جداً من جانبك. كان لديك مهام منزلية لتؤديها بعد عودتك من العمل، أليس كذلك؟".

"نعم سيدي".

"لماذا لم تقم بأعمالك المنزلية بدلاً عن أعمال الأنسة (إيويل)؟".

"كنت أقوم بهما معاً يا سيدي".

"لا بد أنك كنت مشغولاً للغاية. لماذا؟".

"لماذا ماذا يا سيدي؟".

"لماذا كنت متحمساً لأداء مهام هذه المرأة؟".

تردد (توم روبنسون) باحثاً عن إجابة. "كان يبدو أنها لا تجد من يساعدها، كما قلت من قبل...".

"بوجود السيد (إيويل) وسبعة من الأطفال يا فتى؟".

"حسناً. لقد قلت أنه لم يبد على أحدهم أنه يساعدها بشئ...".

"هل قمت بكل هذا التقطيع والعمل الدعوب كفعل خير يا فتى؟".

"حاولت أن أساعدها، كما قلت".

ابتسم السيد (جيلمر) متجهاً نحو هيئة المحلفين. "أنت شخص جيد للغاية، كما يبدو. قمت بكل هذا العمل بدون أن تعطيك قرشاً؟".

"نعم سيدي. كنت أشعر بالشفقة عليها. كان يبدو أنها تحاول أكثر من بقيتهم...".

"كنت تشعر بالشفقة عليها. كنت تشعر بالشفقة عليها؟". كان السيد (جيلمر) يكاد أن يطير للسماء منتصراً.

استوعب الشاهد غلظته وراح يتململ بعدم ارتياح في مقعده، ولكن الضرر قد حدث بالفعل. لم يكن أحد ممن بالأسفل معجباً بإجابة (توم روبنسون). توقف السيد (جيلمر) لفترة طويلة ليترك تأثيره المطلوب.

واصل السيد (جيلمر): "والآن، في الحادي والعشرين من نوفمبر، ذهبت للمنزل كالعادة. وطلبت منك أن تدخل وتكسر دولاياً خشبياً؟".

"لا سيدي".

"هل تنكر أنك ذهبت إلى المنزل؟".

"لا سيدي... قالت أن لديها شيئاً تريدني أن أفعله داخل المنزل...".

"هي تقول أنها طلبت منك أن تكسر دولاياً خشبياً، أليس هذا صحيحاً؟".

"لا سيدي، ليس صحيحاً".

"إذاً أنت تقول أنها تكذب يا فتى؟".

وقف (أتيكوس) على قدميه، ولكن (توم روبنسون) لم يكن يحتاج معاونته. "أنا لا أقول أنها تكذب يا سيد (جيلمر). أنا أقول أنها مخطئة في ظنها".

بالنسبة لعشر الأسئلة التالية، التي راجع فيها السيد (جيلمر) رواية (ماييلا) للأحداث، كان جواب الشاهد الثابت هو أنها كانت مخطئة في ظنها.

"ألم يطارك السيد (إيويل) خارج المنزل يا فتى؟".

"لا سيدي. لا أظن أنه فعل ذلك".

"لا تظن؟ ماذا تعني بهذا؟".

"أعني أنني لم أنتظر مطولاً لأعرف إن كان يطاردني أم لا".

"أنت صريح تماماً حول هذا. لماذا جريت بسرعة؟".

"أخبرتكَ أنني كنت خائفاً سيدي".

"لو كان ضميرك مستريحاً، لماذا كنت خائفاً؟".

"كما قلت من قبل... ليس شيئاً آمناً لزوجي أن يكون في... موقف كهذا".

"ولكنك لم تكن في موقف... لقد شهدت أنك كنت تقاوم الأنسة (إيويل). هل كنت خائفاً من أنها ستؤذيك فهربت، وأنت بهذه الضخامة؟".

"لا سيدي. كنت خائفاً أن أنتهي في قاعة المحكمة، مثلما حدث لي الآن".

"خائف من إلقاء القبض عليك؟ خائف من أن تواجه عواقب فعلتك؟".

"لا سيدي. خائف من أن أواجه عواقب ما لم أفعله".

"هل تتحدث معي بصفاقة يا فتى؟".

"لا سيدي، لم أقصد ذلك".

كان هذا ما سمعته من استجواب السيد (جيلمر)، لأن (جيم) أجبرني على أن آخذ (ديل) للخارج. لسبب ما بدأ (ديل) يبكي ولم يتوقف. بدأ يبكي بصمت، ثم أصبح نحيبه مسموعاً لعدة أشخاص في الشرفة. قال (جيم) أنني إن لم أخرج معه فسوف يجبرني على ذلك، كما قال المبجل (سايكس) أنه من الأفضل أن أذهب، ولذلك ذهبت. كان (ديل) يبدو بخير طوال ذلك اليوم، ولكنني خمنت أنه لم يتعاف تماماً من هروبه من المنزل.

"ألا تشعر بأنك أفضل؟". سألته، حينما وصلنا آخر درجة في السلم. حاول (ديل) أن يتمالك نفسه حينما جرينا نازلين الدرج الجنوبي. كان السيد (لينك دياس) واقفاً لوحده في الدرجة العلوية. سألني حينما مررنا به: "هل حدث أي شيء يا (سكاوت)؟". أجبته من فوق كتفي: "لا سيدي. (ديل) هنا مريض".

قال لنا: "تعاليا للخارج تحت الأشجار. لا بد أنها الحرارة". اخترنا أكثر شجرة بلوط سميكة وجلسنا تحتها.

قال (ديل): "لم أستطع أن أتحمله".

"من، (توم)؟".

"هذا السيد (جيلمر) الذي يتعامل معه بهذه الطريقة، يتحدث إليه بكراهية واحتقار...".

"هذه وظيفته يا (ديل). لو لم يكن لدينا محامو ادعاء... حسناً، لا أظن أنه كان سيكون لدينا محامو دفاع".

زفر (ديل) بصبر. "أنا أعلم كل هذا يا (سكاوت). الطريقة التي كان يتحدث بها أصابتنني بالقرف الشديد".

"يفترض أن يتعامل بهذه الطريقة يا (ديل)، لقد كان يستج...".

"لم يكن يتعامل هكذا حينما...".

"هؤلاء كانوا شهوده يا (ديل)".

"حسناً. السيد (فينش) لم يتعامل بهذه الطريقة مع (ماييلا) والكهل (إبويل) حينما قام باستجوابهم. الطريقة التي كان يناديه بها (يا فتى) طوال الوقت، وكيف كان يهزأ به، وكيف كان ينظر نحو المحلفين حينما يبدأ الرجل بالإجابة...".

"حسناً يا (ديل). هو بعد كل شيء مجرد زنجي".

"هذا لا يهمني البتة. هذا ليس صحيحاً. هذا ليس صحيحاً أبداً أن يتم معاملتهم بهذه الطريقة. ليس لأي شخص الحق في أن يتحدث هكذا... إن هذا يجعلني أشعر بالغبثان".

"هذه فقط طريقة السيد (جيلمر) يا (ديل)، وهو يفعلها مع الجميع. أنت لم تره وهو يتعامل بقسوة من قبل. حسناً، اليوم بدأ السيد (جيلمر) وكأنه لم يكن يحاول حتى. أعني أن معظم المحامين يعاملون الشهود هكذا".

"السيد (فينش) لا يفعل هذا".

"هو ليس مثلاً يا (ديل)، هو...". كنت أبحث في ذاكرتي عن عبارة محددة قالتها السيدة (مودي أتكينسون)، ثم تذكرتها فقلت: "إنه نفس الشخص داخل وخارج قاعة المحكمة".

قال (ديل): "هذا ليس ما أعنيه".

"أعلم ما تعنيه يا فتى". قالها صوت من خلفنا. ظننا أن الصوت قادم من جذع الشجرة، ولكنه كان السيد (دولفس رايموند) الذي أطل علينا من خلف الجذع. "أنت لست رقيقاً، إلا أن الأمر يجعلك تشعر بالغبثان، أليس كذلك؟".

## الفصل 20

"تعال هنا يا بني. لدي شئ سيهدئ لك معدتك".

بما أن السيد (دولفس رايموند) كان رجلاً شريراً فقد قبلت دعوته بتردد، ولكنني تبعته (ديل). لسبب ما، لم أكن أعتقد أن (أتيكوس) كان سيكون سعيداً لو تعاملنا بطريقة ودية مع السيد (رايموند)، كما كنت أعلم أن العمدة (ألكساندرا) ستمانع ذلك.

"خذ". قالها الرجل وهو يمد كيسه الورقي ذي المصاصات لـ(ديل). "ارشف رشفة جيدة. سوف تتكفل بتهدئتك".

مص (ديل) من الماصة، ثم ابتسم، ثم أخذ مصة أخرى طويلة.

"هيه هيه". قالها السيد (رايموند) الذي كان سعيداً بإفساده لطفل صغير.

حذرت (ديل): "خذ حذرك الآن يا (ديل)".

ترك (ديل) المصاصات وابتسم. "سكاوت"، هذا ليس شيئاً غير كوكا كولا".

جلس السيد (رايموند) مستنداً على الشجرة، بعد أن كان راقداً على العشب. "أنتم لن تفسحوا سري الآن أيها الصغار، أليس كذلك؟ سوف تتشوه سمعتي لو فعلتم ذلك".

"أتعني أن كل ما تشربه من هذا الكيس هو الكوكا كولا؟ فقط كوكا كولا؟".

أوما السيد (رايموند) برأسه وقال: "نعم سيدتي". أعجبتني رائحته التي هي مزيج من الجلد المدبوغ والأحصنة والقطن. كان يلبس حذاء ركوب الخيل الانجليزي الوحيد الذي رأيته في حياتي. "هذا كل ما أشربه، معظم الوقت".

"إذا فأنت تتظاهر بأنك نصف...؟ أعتذر يا سيدي". أمسكت نفسي في اللحظة الأخيرة. "لم أكن أقصد أن...".

ضحك السيد (رايموند) ولم يبد عليه أنه أحس بالإهانة. حاولت أن أصيغ السؤال بصورة متحفظة: "لماذا تتصرف بالطريقة التي تتصرف بها؟".

قال السيد (رايموند): "الم... أوه، فهمت، تعنين لماذا أتظاهر؟ حسناً، الأمر بسيط للغاية. بعض الناس لا يعجبهم الطريقة التي أعيش بها. يمكنني أن أخبرهم أن يذهبوا للجحيم، فأنا لا يهمني إن لم تعجبهم طريقتي. أنا أقول أنني لا يهمني إن لم تعجبهم طريقتي، وهذه حقيقة، ولكنني لا أقول فليذهبوا إلى الجحيم، أترين؟".

قلت أنا و(ديل) معاً: "لا يا سيدي".

"أحاول أن أعطيهم سبباً. الناس يرتاحون إن وجدوا سبباً يتعلقون به. حينما آتي للبلدة، وهذا نادراً ما يحدث، فإنني أتمايل قليلاً وأشرب من هذا الكيس، وحينها يقول الناس أن (دولفس رايموند) واقع في برائن الويسكي، ولذلك فهو لن يغير أسلوبه. هو لا يستطيع أن يتحكم في نفسه ولذلك يعيش بالطريقة التي يعيش بها".

"هذا ليس نزيهاً يا سيد (رايموند)، أن تجعل نفسك تبدو أسوأ مما أنت عليه...".

"هذا ليس نزيهاً ولكنه يساعد الناس بصورة كبيرة. سأخبرك سرّاً، يا آنسة (فينش)، أنا لا أشرب الخمر كثيراً، ولكن الناس لن يتمكنوا أبداً من فهم أنني أعيش بالطريقة التي أعيش بها لأنها الطريقة التي أريدها".

كان لدي إحساس أنني يجب ألا أكون هنا أتحدث مع هذا الرجل الآثم صاحب الأطفال الملونين، الذي لا يبالي بمن يعرف حقيقة الأمر، ولكنه كان فاتناً. لم يحدث أبداً أن قابلت شخصاً قام بعمل خدعة مقصودة ضد نفسه وباختياره. ولكن لماذا انتمنا على أدق أسرارهم؟ سألته عن السبب.



أجابني: "لأنكما طفلان وسوف تفهمان الأمر. وأيضاً لأنني سمعت هذا...".

أوماً برأسه نحو (دليل): "لم تتلوث غريزته بالأشياء بعد. دعيه يكبر قليلاً وسوف لن يشعر بالغثيان ولن يبكي. ربما تصدمه الأشياء التي سيرها... أشياء غير صحيحة تماماً، ولكنه لن يبكي، ليس عندما يكبر عدة سنوات أخرى".

"البكاء حول ماذا يا سيد (رايموند)؟". كانت ذكورة (دليل) قد بدأت تفرض نفسها.

"البكاء حول الأشياء السيئة التي يفعلها الناس للآخرين – بدون حتى التفكير فيها. البكاء حول تعامل البيض مع الملونين، بدون حتى التوقف في التفكير في أنهم بشر أيضاً".

تمتت: "(أتيكوس) يقول أن خداع رجل ملون أسوأ بعشرة مرات من خداع رجل أبيض. يقول أنه أسوأ شيء يمكن أن تفعله".

قال السيد (رايموند): "لا أظن أن هذا صحيح... أنسة (جين لويس)، أنت لا تعلمين أن أباك ليس رجلاً عادياً، ستحتاجين لعدة سنوات لتستوعي هذا... أنت لم تري ما يكفي في هذه الحياة بعد. أنت لم تري حتى هذه البلدة، ولكن كل ما يتوجب عليك فعله هو أن تعودى لداخل المحكمة".

حينها تذكرت أننا قد فوتنا أغلب استجواب السيد (جيلمر). نظرت نحو الشمس التي كانت تغيب بسرعة خلف سقوف المحال التجارية في الجزء الغربي من الساحة. بين النارين، لم أستطع أن أحدد أي الجانبين أريد أن أستمع إليه: السيد (رايموند) أو محكمة الدائرة القضائية الخامسة. سألت (دليل): "هيا يا (دليل). أنت بخير الآن؟".

"نعم. سعدت بلقائك يا سيد (رايموند)، وأشكرك على الشراب، لقد كان مهدئاً بصورة ممتازة".

جرينا عاندين للمحكمة ثم صعدنا الدرج قفزاً درجتين درجتين، وشققنا طريقنا في الشرفة. المبجل (سايكس) أبقى مقعدنا شاغرين.

كانت القاعة هادئة، وتساءلت مرة أخرى عن الرضع. كان السيجار قد تحول لبقعة بنية في منتصف فم القاضي (تايلور). كان السيد (جيلمر) يكتب شيئاً ما في إحدى المذكرات الصفراء على طاولته، في محاولة لأن يسبق كاتب المحكمة، والذي كانت يده تهتز بسرعة. تمتت: "اللعنة، لقد فاتنا العرض".

كان (أتيكوس) في منتصف خطبته التي ألقاها على هيئة المحلفين. كان قد أخرج أوراقاً من حقيبته المجاورة لكرسيه ووضعها على الطاولة. كان (توم روبنسون) يلهو بالأوراق.

"... وفي غياب أدلة قطعية، فإن هذا الرجل متهم بتهمة عقوبتها الإعدام، وهو الآن يرافع للدفاع عن حياته...".

لكمت (جيم). "كم مضى عليه؟".

همس (جيم): "قام باستعراض الأدلة. سوف نربح يا (سكاوت). لا أرى سبباً معارضاً. لقد تحدث لحوالي خمس دقائق، وبيّن بصورة قاطعة كما أبين لك الآن. كان يمكنك أن تفهمي ما قال".

"هل قام السيد (جيلمر)...؟".

"ششش. لا شيء جديد. نفس الأدلة. والآن اصمتي".

نظرنا للأسفل مرة أخرى. كان (أتيكوس) يتحدث ببساطة، بنفس الطريقة المحايدة التي يملي بها خطاباً. كان يسير ببطء أمام هيئة المحلفين التي كانت تستمع بانتباه: كانت رءوسهم مرفوعة، وكانوا يتابعون مسار (أتيكوس) باحترام. أظن أن ذلك كان بسبب أن (أتيكوس) لم يكن شخصية صارخة.

توقف (أتيكوس) ثم قام بفعل شيء لا يفعله عادة. قام بفك ساعته وسلسلتها ووضعهما على الطاولة قائلاً: "بعد إذن عدالة المحكمة...".

أوماً القاضي (تايلور)، ثم قام (أتيكوس) بفعل شيء لم أره يفعله قبلها ولا بعدها، لا في العلن ولا في السر. قام بفك أزرار- سترته وياقة قميصه وأرخص ربطة

عنقه ثم خلع معطفه. لم يكن يخلع شيئاً من ملابسه حتى موعد النوم، وبالنسبة لي ولـ(جيم) كان الأمر مشابهاً لوقوفه عارياً أمامنا، فتبادلنا نظرات مرتعبة.

وضع (أتيكوس) يديه في جيبه، وحينما التفت نحو هيئة المحلفين رأيت زر ياقته الذهبي ورؤوس أقلامه تلتمع في الضوء.

"أيها السادة". نظرنا أنا و(جيم) نحو بعضنا مرة أخرى، وكأن (أتيكوس) قد قال: "(سكاوت)". كان صوته قد فقد جفافه وحياديته. كان يتحدث لهيئة المحلفين وكأنهم رفقاء قابلهم في زاوية مكتب البريد.

كان يقول: "أيها السادة. سوف أكون مختصراً. ولكنني أريد أن أستفيد من الوقت المتبقي لي معكم لأقوم بتذكيركم بأن هذه ليست قضية صعبة، وهي لا تحتاج للبحث الدقيق في حقائق معقدة، ولكنها تحتاج منكم أن تكونوا متأكدين بما لا يدع مجالاً للشك إن كان المدعى عليه مذنباً أو لا. في البدء، هذه القضية لم تكن تحتاج للمثول أمام المحكمة. هذه القضية واضحة كوضوح اللون الأبيض من الأسود.

"لم يتم الادعاء بتقديم ذرة من الدلائل الطبية التي تؤكد أن الجريمة التي اتهم بها (توم روبنسون) قد حدثت بالفعل. الادعاء اعتمد على شهادة شاهدين لم يتم التشكيك فيهما فحسب، بل تمت معارضتهما بوضوح من قبل المدعى عليه. المدعى عليه ليس مذنباً، ولكن شخصاً آخر في هذه القاعة مذنب بالتأكيد.

"لا أحمل، في قلبي سوى الشفقة لشاهد الادعاء الأساسي، ولكن شفقتي لا تصل لدرجة أن أضع حياة رجل في خطر، وهو ما قامت به الفتاة في محاولة للتخلص من شعورها بالذنب.

"أقول شعورها بالذنب يا سادة، لأن الذنب هو الدافع وراء ما فعلت. هي لم ترتكب أي جريمة، ولكنها فقط خالفت قانوناً صامداً منذ زمن قديم في مجتمعنا. هذا القانون قاس لدرجة أن من يخالفه يطرد من بيننا لأنه غير مناسب للعيش معنا. هي ضحية الفقر المدقع والجهل، ولكنني لا أستطيع أن أشعر بالشفقة نحوها، لأنها بيضاء. لقد كانت تعلم ضخامة التهمة التي تقدمت بها، ولكن لأن رغباتها كانت أقوى من القانون الذي كانت تخالفه، فقد أصرت على مخالفته.

لقد أصرت على فعلها، والنتيجة كانت شيئاً عرفناه جميعاً في وقت أو آخر. لقد قامت بفعل شيء يفعله جميع الأطفال - حاولت أن تجعل الدليل على جريمتها يقع بعيداً عنها. ولكن في هذه الحالة لم تكن طفلاً يحاول إخفاء شيء مسروق: حاولت أن تهاجم ضحيتها - والذي تستوجب المسألة أن يتم إبعاده عنها - كان لا بد من إبعاده بعيداً خارج هذا العالم. كان لا بد أن تقوم بتدمير الدليل على جريمتها.

"ما كان الدليل على جريمتها؟ (توم روبنسون)، الإنسان. كان لا بد أن تبعد (توم روبنسون) بعيداً. كان (توم روبنسون) تذكراها اليومي الذي يذكرها بما فعلت. فما هو الذي فعلته؟ قامت بإغراء زنجي.

"كانت بيضاء، وقامت بإغراء زنجي. لقد فعلت شيئاً لا يغتفر في مجتمعنا: قبلت رجلاً أسود. لم يكن رجلاً كهلاً، بل شاباً زنجياً قوياً. لم تكن تهتم بالقانون قبل أن تخالفه، ولكن بعد ذلك صار القانون مشكلة بالنسبة لها.

"والدها رآها، والمدعى عليه شهد على عبارات الوالد. ما الذي فعله الوالد؟ نحن لا نعلم، ولكن لدينا أدلة ظرفية تقول أن (ماييلا إيويل) تم ضربها بوحشية بواسطة شخص يستعمل يده اليسرى بكثرة. نحن نعلم - جزئياً - ما فعله السيد (إيويل): لقد فعل ما سيفعله أي شخص أبيض محترم دؤوب العمل ويخاف الرب تحت هذه الظروف... لقد أصدر مذكرة، على الأغلب أنه وقعها بيده اليسرى، والسيد (روبنسون) يجلس الآن أمامكم بعد ما تلا القسم بيده الوحيدة الجيدة، وهي اليد اليمنى.

"وهكذا فإن زنجياً هادئاً ومحترماً ومتواضعاً، تهور بما يكفي ليشعر بالشفقة على امرأة بيضاء، فاضطر لأن يخضع كلمته للمقارنة مع كلمات شخصين أبيضين. لا أظن أنكم تحتاجون مني أن أذكركم بمظهرهما وسلوكهما على المنصة، لقد رأيتموهما بأنفسكم. شهود الإدعاء، باستثناء مأمور مقاطعة (مايكومب)، قد عرضوا أنفسهم عليكم وعلى المحكمة بثقة ساخرة أن شهادتهم لن يتم التشكيك فيها. كانوا واثقين أنكم أيها السادة سوف تصدقونهم على افتراضهم الشرير أن جميع الزوج يكذبون، وأن جميع الزوج عديمو الأخلاق، وأن جميع الزوج الرجال لا يمكن ائتمانهم على نساتنا، وهو افتراض يتناسب مع صغر عقولهم.

" هي كذبة، نعلم أنها أسود من لون جلد (توم روبنسون) نفسه، وهي كذبة لا أحتاج لأن أوضحها لكم. أنتم تعلمون الحقيقة، والحقيقة هي: بعض الزوج يكذبون، وبعض الزوج عديمو الأخلاق، وبعض الزوج الرجال لا يمكن انثمانهم على النساء، سوداً كن أو بيضاً. ولكن هذه حقيقة تنطبق على جميع الجنس البشري، لا على جنس معين من الرجال. لا يوجد شخص واحد في هذه الغرفة لم يخبر كذبة من قبل أو يفعل شيئاً لا أخلاقياً من قبل، كما لا يوجد رجل حي لم ينظر إلى امرأة بشهوة".

صمت (أتيكوس) وأخرج منديله، ثم خلع نظارته وقام بتنظيف زجاجها. هذه المرة أيضاً رأينا شيئاً جديداً لم يكن (أتيكوس) يفعله من قبل: لم نره يتعرق من قبل، كان أحد الرجال الذين لا يغطي العرق وجوههم أبداً، ولكن الآن كان وجهه يلتئم بالعرق.

"شئ أخير أيها السادة، قبل أن أختم. لقد قال (توماس جيفرسون) مرة أن جميع الرجال خلقوا متساويين، وهي عبارة يحب اليانكيز والجزء النسوي من الفرع التنفيذي في (واشنطن) أن يلقوها في وجوهنا طوال الوقت. هناك ميل في هذا العام المبارك، عام 1935، لأن يستخدم الناس هذه العبارة خارج سياقها لخدمة أغراض متعددة. أكثر مثال سخيف أستطيع أن أفكر فيه هو أن الأشخاص الذين يديرون مؤسسات التعليم الحكومي يشجعون الأغبياء والخاملين، مثلما يشجعون الكاديين والمجتهدين - بحجة أن جميع الرجال خلقوا متساويين، لذلك فإن رجال التعليم سيخبرونك بخطورة أن الأطفال المتخلفين سيعانون من أسوأ عقد النقص. إننا نعلم أن جميع الرجال لم يخلقوا متساويين كما يريد بعض الناس أن نفهم. بعض الناس أذكى من البعض الآخر. بعض الناس تتوفر لهم فرص أكثر لأنها خلقت معهم. بعض الرجال يجنون مالاً أكثر من الآخرين. بعض السيدات يصنعن كعكاً أذ من كعك الأخريات. بعض الناس يولدون محظوظين حظاً يتجاوز ما يحدث للرجال العاديين.

"ولكن هناك طريقة وحيدة في هذا البلد تجعل جميع الرجال يكونون متساويين. هناك مؤسسة إنسانية وحيدة تجعل الفقير مساوياً لفرد من آل (روكفيلر)، وتجعل الغبي مساوياً لـ(أينشتين)، وتجعل الجاهل مساوياً لأي عميد كلية. هذه المؤسسة، يا سادتي، هي المحكمة. يمكنها أن تكون المحكمة العليا للولايات

المتحدة، أو أن تكون أكثر محكمة تواضعاً في البلاد، أو أن تكون هذه المحكمة الموقرة التي تخدمونها الآن. محاكمنا لديها إخفاقاتها، مثلها مثل أي مؤسسة إنسانية أخرى، ولكن في هذه البلاد نحن نعتبر محاكمنا المكان الذي يتساوى فيه الرجال، فهنا نقول أن جميع الرجال قد خلقوا متساويين.

"أنا لست مثالياً لأومن تماماً بكمال محاكمنا ونظام هيئة المحلفين. هذا ليس مفهوماً مثالياً بالنسبة لي، بل واقع حي ملموس. يا سادتي، المحكمة هي أفضل ما تكون بجلوسكم أمامي كهيئة محلفين. المحكمة تكون عادلة بقدر عدالة هيئة محلفيها، وهيئة المحلفين تكون عادلة بقدر عدالة الرجال الذين يكونونها. أنا متأكد من أنكم أيها السادة سوف تراجعون الدليل الذي سمعتموه بدون عاطفة، ثم ستتخذون قراراً، وستعيدون المدعى عليه إلى عائلته. أرجوكم باسم الرب أن تقوموا بواجبكم".

انخفض صوت (أتيكوس)، وحينما أعطى ظهره لهيئة المحلفين قال شيئاً لم أسمعته. كان يتحدث إلى نفسه بأكثر مما كان يخاطب المحكمة. لکمت (جيم) وقلت: "ماذا قال؟".

"باسم الرب، أرجو أن تصدقوه. أعتقد أن هذا ما قاله".

انحنى (ديل) فجأة فوقي وجر (جيم). "انظر هناك!".

تابعنا إشارته بقلوب خافقة. كانت (كالبورنيا) تسير في الممر الأوسط، متجهة نحو (أتيكوس).

## الفصل 21

توقفت (كالبورنيا) بخجل عند الدرايزين وانتظرت حتى يراها القاضي (تايلور). كانت تلبس مئزراً نظيفاً وتحمل مظروفاً في يدها.

رأها القاضي (تايلور) وقال: "أنت (كالبورنيا)، أليس كذلك؟".

قالت: "نعم سيدي. هل يمكنني أن أمرر هذه المذكرة للسيد (فينش) لو سمحت؟ لا علاقة لهذه المذكرة بالمحاكمة".

أوماً القاضي (تايلور) برأسه وأخذ (أتيكوس) المظروف من (كالبورنيا)، ثم فتحه وقرأ محتواه، بعدها قال: "أيها القاضي... هذه مذكرة من أختي. إنها تقول أن أطفالنا مفقودون وأنهم لم يظهروا منذ الظهيرة... أنا... هل يمكنك أن...".

"أنا أعلم أين هم يا (أتيكوس)". تدخل السيد (أندروود). "إنهم موجودون هناك في الأعلى، عند شرفة الملونين. إنهم هناك منذ الواحدة وثمانية عشرة دقيقة بعد الظهر".

التفت والدنا ونظر للأعلى ونادى: "(جيم)، اهبط للأسفل وتعال هنا". بعدها قال شيئاً للقاضي ولكنني لم أتمكن من سماعه. شققنا طريقنا مارين بالمبجل (سايكس) واتجهنا نحو الدرج.

قابلنا (أتيكوس) و(كالبورنيا) في الأسفل. كانت (كالبورنيا) غاضبة بينما كان (أتيكوس) متعباً.

كان (جيم) يتقافز بحماس. "لقد ربحنا. أليس كذلك؟".

قال (أتيكوس) باختصار: "ليس لدي أدنى فكرة. هل كنتم هنا طوال فترة بعد الظهر؟ عودوا للمنزل مع (كالبورنيا) وتناولوا عشاءكم... وابقوا في المنزل".

راح (جيم) يترجاه: "أوه، (أتيكوس). اتركنا نعود. أرجوك، دعنا نسمع الحكم. أرجوك سيدي".

"هيئة التحكيم قد تخرج وتعود في دقيقة، نحن لا نعرف حقاً...". ولكننا علمنا أنه يلين. "حسناً. لقد سمعتم الأمر كله، ربما من الأفضل أن تسمعوا الجزء الأخير. سأخبركما شيئاً: يمكنكما أن تعودا بعد أن تتناولوا طعام العشاء... كلا بهدوء ولا تستعجلا لأنكما لن تفوتا أي شئ مهم... وعندما تعودون إن كان المحلفون لا زالوا خارجاً فيمكنكم الانتظار معنا. ولكنني أتوقع أن تنتهي القضية قبل أن تعودوا".

قال (جيم): "هل تظن أنهم سيبرءونه بهذه السرعة؟".

فتح (أتيكوس) فمه ليغيب، ثم أغلقه وغادر.

رحت أدعو أن يظل المبجل (سايكس) محتفظاً بمقاعدنا، ولكنني توقفت عن الدعاء حينما تذكرت أن الناس قد نهضوا وغادروا زرافات ووحداً حينما غادر المحلفون. هذه الليلة ستشهد فيضاناً من البشر في الصيدلية والكافيتريا والفندق، ما لم يكن الناس قد أحضروا معهم عشاءهم.

قادتنا (كالبورنيا) للمنزل وهي تقول: "... أن أقوم بسلخكم أحياء. الفكرة نفسها، أن الأطفال يستمعون لكل هذا الحديث! سيد (جيم)، ألم تكن تعلم أنه ليس من المناسب أن تستمع أختك الصغيرة لهذه المحاكمة؟ الأنسة (ألكساندرا) كادت تصاب بجلطة وشلل حينما عرفت ما فعلتم! ليس من المناسب للأطفال أن يستمعوا...".

كانت مصابيح الشارع مضاءة، وتمكننا من لمح وجه (كالبورنيا) الساخط من الجانب كلما مررنا بأحدها. كانت لا زالت تتحدث: "سيد (جيم). كنت أظنك تنضج وتكبر... الفكرة نفسها، هذه أختك الصغرى! الفكرة نفسها يا سيدي! يجب أن تكون خجلاً من نفسك... أليس لديك أي إحساس على الإطلاق؟".



كنت مبتهجة للغاية. حدث كثير من الأشياء بسرعة كبيرة وتخيلت أنني سأحتاج لعدة سنوات لأفهم ما حدث بالتفصيل. والآن هذه (كالبورنيا) تعطي (جيم) الغالي عليها توبيخاً شديداً للهجة... أي عجائب أخرى ستأتي بها هذه الليلة؟

كان (جيم) يضحك. "ألا تريدان أن تسمعي ما حدث يا (كال)؟".

"أغلق فمك يا سيدي! يجب عليك أن تخفض رأسك خجلاً ولكنك بدلاً عن ذلك تضحك...". أعادت (كالبورنيا) إحياء مجموعة من التهديدات البالية مما جعل (جيم) يحس بالقليل من الخجل. عندما وصلنا المنزل صعدت (كالبورنيا) الدرج الأمامي وقالت عبارتها المأثورة: "لو لم يضربكما السيد (فينش)، فسوف أفعل أنا ذلك... والآن ادخل المنزل يا سيدي!".

دخل (جيم) مبتسماً، وأعطت (كالبورنيا) موافقة ضمنية لانضمام (ديل) للعشاء. قالت له: "اتصل الآن بالآنسة (راشيل) وأخبرها أين مكانك الحالي. كانت ستجن وهي تبحث عنك... احذر ألا تقوم بإعادة ارسالك إلى (مريديان) أول شيء في الصباح".

قابلتنا العمدة (ألكساندرا) وكادت تفقد الوعي حينما أخبرتها (كالبورنيا) أين كنا. أعتقد أنها تألمت حينما أخبرناها أن (أتيكوس) أمرنا بالعودة، لأنها لم تنطق أي كلمة طوال العشاء. راحت فقط تحرك الأكل في طبقها وهي تنظر إليه بحزن، بينما انتقمنا منا (كالبورنيا) أثناء خدمتها لنا. راحت تصب الحليب وتضع البطاطس والسلطة وهي تتمتم: "اخجلوا من أنفسكم" بدرجات متفاوتة من الشدة، وكانت آخر عبارة لها الأمر: "والآن كلوا جميعاً بروية".

كان الميجل (سايكس) قد احتفظ بمقاعدنا شاغرة. تفاجأنا حينما علمنا أننا غيبنا لمدة ساعة، وتفاجأنا مرة أخرى عندما وجدنا قاعة المحكمة كما تركناها، مع وجود تغييرات طفيفة: كان ركن هيئة المحلفين خالياً، ولم يكن المدعى عليه موجوداً، كما اختفى القاضي (تايلور) إلا أنه ظهر مرة أخرى حينما اتخذنا مقاعدنا.

قال (جيم): "لم يتحرك أحد تقريباً".

## قتل الطائر المحاكي

قال المبجل (سايكس): "تحركوا قليلاً حينما غادر المحلفون. رجال البلدة في الأسفل أحضروا العشاء لنسائهم، اللاتي أَرْضَعْنَ أطفالهن".

سأل (جيم): "كم لبثوا في الخارج؟".

"حوالي ثلاثين دقيقة. تحدث السيدان (فينش) و(جيلمر) مرة أخرى، ثم سرح القاضي المحلفين للتداول".

تساءل (جيم): "كيف كان؟".

"ماذا أقول؟ أوه، لقد كان جيداً. لا أستطيع أن أشتكي للحظة، فقد كان ذكياً وحاضر البديهة. قال شيئاً بما معناه إن كنتم تصدقون هذا فسيتعين عليكم أن تعودوا بحكم واحد، وإن لم تكونوا تصدقون هذا فيتعين أن تعودوا بحكم آخر. أحسست بأنه يميل في اتجاهنا...". حك المبجل (سايكس) رأسه.

ابتسم (جيم) وقال بحكمة: "لا يفترض أن يميل لأي اتجاه أيها المبجل، ولكن لا تقلق، لقد فزنا بالقضية. لا أستطيع أن أرى كيف سيدينه المحلفون بعد ما سمعنا...".

"لا تكن واثقاً للغاية يا سيد (جيم). لم يحدث أبداً أن رأيت هيئة محلفين تصدر حكماً لصالح رجل ملون ضد رجل أبيض...". ولكن (جيم) اعترض على قول المبجل (سايكس)، واضطربنا أن نستمع لاستعراض مطول للدلائل مصحوبة بأفكار (جيم) الخاصة بقانون الاغتصاب: لم يكن ليكون اغتصاباً إن وافقت المرأة، ولكن السن القانونية هي الثامنة عشر في ولاية (ألاباما)، و(ماييلا) كانت في التاسعة عشر. لكي تصح القضية كاغتصاب كان لا بد للمرأة أن ترفض وتصرخ، وكان لا بد من أن يتم قهرها وضربها، وربما إفقادها الوعي تماماً. أما إن كانت المرأة تحت الثامنة عشر فليس من المطلوب حدوث كل هذا.

اعترض المبجل (سايكس): "سيد (جيم)... هذا ليس شيئاً لطيفاً ليقال أمام السيدات الصغيرات...".

## قتل الطائر المحاكي

أجاب (جيم): "أوه، إنها لا تعلم ما نتحدث عنه. إن هذا أكبر من سنك يا (سكاوت)، أليس كذلك؟".

"إنه ليس كذلك. أنا أفهم كل كلمة خرجت من فمك". يبدو أنني كنت مقنعة بصورة كبيرة، لأن (جيم) صمت ولم يناقش الموضوع مرة أخرى.

سأل (جيم): "ما هي الساعة الآن أيها الميجل؟".

"تقترب من الثامنة".

نظرت للأسفل ورأيت (أتيكوس) يتجول واضعاً يديه في جيبه. ذهب للنوافذ، ثم راح يسير حذاء الدرايزين وحتى ركن هيئة المحلفين. نظر داخل الركن، ثم تأمل القاضي (تايلور) في عرشه، ثم عاد إلى حيث بدأ. تلاققت عينانا ولوحت له. أجاب تحيتي بهزة رأس وواصل مسيره.

كان السيد (جيلمر) واقفاً جوار النوافذ يتحدث مع السيد (أندروود). كاتب المحكمة (بيرت) كان يدخل باستمرار وقد جلس رافعاً رجليه على الطاولة.

الأشخاص الوحيدون الذين كان سلوكهم طبيعياً كانوا ضباط المحكمة وهم (أتيكوس) والسيد (جيلمر) والقاضي (تايلور) و(بيرت). أما البقية، فلم يحدث لي أن رأيت قاعة محكمة مكتظة ولكنها هادئة بهذه الطريقة. أحياناً قد يبكي وليد ما بانزعاج، وقد يهرول طفل ما خارج القاعة، ولكن الكبار ظلوا جالسين كما لو أنهم في الكنيسة. في الشرفة، كان الزنوج يقفون ويجلسون حولنا بصبر أسطوري.

ساعة المحكمة القديمة عانت معاناتها المعروفة ثم أعلنت الساعة بثمان ضربات داوية هزتنا حتى العظام.

حينما دقت الساعة إحدى عشرة دقيقة كنت قد صرت خدرة. بعد أن تعبت من مقاومة النوم، سمحت لنفسني بأن آخذ إغفاءة قصيرة على ذراع وكتف الميجل (سايكس) المريحين. اهتزت مستيقظة وحاولت بكل أمانة أن أظل كذلك، فنظرت للأسفل وركزت على الرؤوس التي أراها: ستة عشر رأساً أصلع، أربعة عشر حمر شعر الرأس، أربعون رأساً تتدرج من الأسود للبني... هنا

تذكرت شيئاً قاله لي (جيم) مرة حيث كان يشرح لي عندما كان يمر بفترة بحث نفسي قصيرة: قال لي لو أن مجموعة من الناس (في حجم إستاد كرة مثلاً) قاموا بالتركيز في شيء واحد كإشعال النار في شجرة في الغابة فإن تلك الشجرة سوف تبدأ بالاشتعال ذاتياً. فكرت في أن أسأل كل شخص موجود بالأسفل أن يركز في أن ينال (توم روبنسون) حريره، ولكنني قدرت أنهم إن كانوا متعبين مثلي فإن الأمر لن ينجح.

كان (ديل) غارقاً في النوم، مسنداً رأسه على كتف (جيم)، بينما كان (جيم) صامتاً.

سألت (جيم): "ألم تنتفض فترة طويلة حتى الآن؟".

أجابني بحبور: "بالتأكيد يا (سكاوت)".

"حسناً. بالطريقة التي شرحتها بها، الأمر لم يأخذ سوى خمس دقائق".

رفع (جيم) حاجبيه وقال: "هناك أشياء لا تفهمينها". لم أجب لأنني كنت متعبة للغاية.

من المؤكد أنني كنت مستيقظة إلى حد ما، وإلا لم أكن لأحس بذلك الإحساس الذي تسلسل إلي، والذي كان يشبه شعوراً شعرت به في الشتاء الماضي، وارتجفت رغم أن الجو كان حاراً. كبر الإحساس حتى ملأ جو القاعة وتذكرت صباحاً بارداً في فبراير، حيث كانت الطيور المحاكية صامتة، وتوقفت مطارق النجارين عن بناء منزل السيدة (مودي) الجديد، وأغلقت جميع الأبواب الخشبية في الحيرة مثلما كان باب منزل (رادلي) موصداً. الشارع كان مقفراً وخالياً ومنتظراً، بينما اكتظت قاعة المحكمة بالناس. لم تكن ليلة الصيف هذه تختلف عن صباح الشتاء ذلك. كان السيد (هيك تايت) قد دخل إلى القاعة وراح يتحدث مع (أتيكوس)، وكأنه كان يلبس حذاء الطويل وسترة الحطاب تلك. توقف (أتيكوس) عن رحلته الهادئة وأسند قدمه على رجل الكرسي وراح يستمع إلى السيد (تايت)، بينما يده تجري للأعلى والأسفل على فخذيه. توقعت السيد (تايت) أن يقول في أي لحظة: "أطلق النار يا سيد (فينش)...".

ولكن السيد (تايت) قال في صوت ممتلئ سلطة وقوة: "هذه المحكمة سوف تتعقد". ارتفعت الرؤوس في الطابق الأسفل متحفزة. غادر السيد (تايت) القاعة وعاد مع (توم روبنسون). قاده إلى كرسيه جوار (أتيكوس)، ثم وقف جوارهما. انتبه القاضي (تايلور) وجلس منتصباً، وراح ينظر نحو ركن المحلفين الخالي.

ما حدث بعد ذلك كان يشبه الحلم. رأيت هيئة المحلفين تعود في الحلم، وكانوا يسبرون كمن يسبح تحت الماء، وكان صوت القاضي (تايلور) يأتي من على البعد ضعيفاً. رأيت شيئاً لا يتوقع أن يراه إلا ابن أو بنت محامي، وكان ذلك كرؤية (أتيكوس) يسير إلى الشارع ثم يرفع البندقية على كتفه ويضغط الزناد، مع الفرق أنك تشاهد طوال الوقت وأنت تعلم أن البندقية ليس بها رصاص.

المحلفون لا ينظرون أبداً نحو المدعى عليه إن كان مذنباً، وحينما دخلت هيئة المحلفين هذه لم يكونوا ينظرون نحو (توم روبنسون). قام رئيس المحلفين بتسليم قطعة ورق للسيد (تايت) الذي ناولها لكتاب المحكمة والذي ناولها بدوره للقاضي...

أغلقت عيني بقوة. كان القاضي (تايلور) يأخذ نتيجة التصويت: "مذنب... مذنب... مذنب... مذنب...". نظرت نحو (جيم): يدها كانتا مبيضتين من قبضه على درابزين الشرفة، وكتفاه كانا يهتزان كأن كل (مذنب) كانت تطعنه في ظهره.

كان القاضي (تايلور) يقول شيئاً ما. كانت مطرقتة في يده ولكنه لم يكن يستعملها. رأيت (أتيكوس) يدفع الورق الموجود على الطاولة داخل حقيبتة، من ثم أغلق الحقيبة، وسار إلى كاتب المحكمة وقال له شيئاً ما، ثم أوماً نحو السيد (جيلمر)، ثم ذهب إلى (توم روبنسون) وهمس شيئاً في أذنه. كانت يد (أتيكوس) على كتف (توم) حينما كان يهمس له. بعدها حمل (أتيكوس) معطفه من على ظهر كرسيه، وضعه فوق كتفه، وغادر القاعة، ولكنه لم يغادر عبر المخرج الطبيعي الذي يسلكه عادة. لا بد أنه أراد العودة للمنزل بطريق مختصر لأنه كان يسير بسرعة في الممر الأوسط متجهاً نحو المخرج الجنوبي. تابعت قمة رأسه وهو يتجه نحو الباب. لم يرفع نظره مرة واحدة للأعلى وهو يغادر.

كان أحدهم يلكنني، ولكنني لم أكن أرغب برفع عيني عن الناس الموجودين في الأسفل، وعن صورة (أتيكوس) وهو يمشي وحيداً في الممر.

"أنسة (جين لويس)؟".

نظرت حولي ورأيتهم واقفين. كل الزوج في الشرفة، الجالسين والواقفين جوار الحائط، كانوا يقفون على أرجلهم. كان صوت المبجل (سايكس) بعيداً كصوت القاضي (تايلور): "أنسة (جين لويس)، أرجو أن تقفي. أبوك يغادر".

## الفصل 22

كان دور (جيم) في البكاء. كان وجهه مبتلاً بالدموع أثناء مرورنا عبر الحشد المبتهج. كان يدمدم: "هذا ليس صحيحاً". استمر يدمدم طوال الطريق حتى وصلنا ركن الساحة حيث وجدنا (أتيكوس) واقفاً بانتظارنا. كان واقفاً تحت مصباح الطريق ينظر وكأن شيئاً لم يحدث: كانت سترته مزررة، وياقة قمصيه وربطة عنقه في مكانهما، والتمعت سلسلة ساعته الذهبية في الضوء. كان هو نفسه الشخص الساحر الذي نعرفه.

قال (جيم): "هذا ليس صحيحاً يا (أتيكوس)".

"لا يا بني، إنه ليس صحيحاً".

مشينا سوية نحو المنزل.

كانت العمة (ألكساندرا) تنتظر وكانت لابسة رداء الخروج. كدت أقسم أنها كانت تلبس مشدداً تحته. كانت تتمتم: "أنا أسفة يا أخي". لم نسمعها من قبل تنادي (أتيكوس) بـ "أخي"، لذلك استرقت نظرة نحو (جيم)، ولكنه لم يكن يستمع. كان يرفع نظره نحو (أتيكوس)، ثم يخفضه إلى الأرض، وتساءلت إن كان يظن (أتيكوس) مسئولاً بصورة ما عن إدانة (توم روبنسون).

"هل هو بخير؟". سألت العمة، تستفسر عن (جيم).

قال (أتيكوس): "سوف يظل هكذا للفترة الحالية. القضية كانت أقوى مما يتحمل". أخرج والدنا زفرة ثم واصل: "سأخلد للنوم. وإذا لم أستيقظ في الصباح، لا توقظوني رجاءً".

"منذ البداية كان رأيي أنه ليس من الحكمة أن يقوموا ب...".

قاطعها (أتيكوس): " هذا منزلهم يا أختي. وهذا ما صنعناه لهم، فمن الأفضل أن يتعودوا عليه".

"ولكن لا يصح أن يذهبوا ويتخبطوا في قاعة المحكمة...".

"إنها مقاطعة (مايكومب)، مثلها مثل اجتماعات الجمعية التبشيرية لشرب الشاي".

كانت عينا العمة (ألكساندرا) قلفتين: " (أتيكوس). أنت آخر من كنت أتوقع أن يسخر من هذا الموضوع".

"أنا لا أسخر. أنا فقط متعب. سأذهب للسريير".

" (أتيكوس)...". قالها (جيم) ببؤس.

التفت (أتيكوس) وهو على عتبة الباب: "ماذا يا بني؟".

"كيف أمكنهم أن يفعلوا ذلك؟ كيف؟".

"لا أدري، ولكنهم فعلوها. لقد فعلوها من قبل، وفعلوها اليوم، وسوف يفعلونها مجدداً. وحينما يفعلونها يبدو أن الأطفال وحدهم من سيكون. تصبحون على خير".

ولكن الأشياء دائماً ما تتحسن في الصباح. استيقظ (أتيكوس) في ساعته المعتادة، وكان يجلس في غرفة المعيشة حاملاً جريدة (سجل موبيل) حينما دخلنا. كان وجه (جيم) المتيقظ يطرح السؤال الذي عجزت شفتاه الناعستان عن طرحه أمس.

"لم يحن الوقت للقلق بعد". راح (أتيكوس) يطمأنه إذ دخلنا غرفة الطعام. "لم تنته القضية بعد. سوف نقدم استئنافاً، ويمكنك أن تعتمد على هذا. يا إلهي، ما كل هذا يا (كال)؟". كان (أتيكوس) يحدق في طبق فطوره.



قالت (كالبورنيا): "أب (توم روبنسون) أرسل لك دجاجاً هذا الصباح، فقامت بطهيه".

"أخبريه أن لي الشرف بهذا... أراهن أنهم لا يتناولون دجاجاً على الإفطار في البيت الأبيض. وما هذه؟".

قالت (كالبورنيا): "لغائف. أرسلتها (إستيل) النازلة في الفندق".

نظر إليها (أتيكوس) مندهشاً فقالت: "من الأفضل أن تأتي هنا وترى ما يوجد في المطبخ يا سيد (فينش)".

تبعناه للمطبخ، حيث كانت الطاولة محملة بكمية من الطعام تكفي لدفن العائلة تحتها: أكوام من لحم الخنزير المملح والطماطم والفاصولياء والعنب. ابتسم (أتيكوس) حينما وجد جرة تحوي براجم الخنازير المخلاة. "هل تظنين أن العمدة ستسمح لي بتناول هذه في غرفة الطعام؟".

قالت (كالبورنيا): "كانت هذه الأشياء تملأ الدرج الخلفي حينما أتيت هذا الصباح. إنهم يقدرون ما فعلته يا سيد (فينش). وهم لا يتجاوزون حدودهم، أليس كذلك؟".

امتلأت عينا (أتيكوس) بالدموع، وعجز عن الحديث للحظة، ثم قال: "أخبريهم أنني شاكر لهم. أخبريهم... أخبريهم أنه لا يجب أن يفعلوا هذا مرة أخرى. الأحوال الاقتصادية صعبة...".

غادر (أتيكوس) المطبخ وذهب إلى غرفة الطعام. استأذن من العمدة (ألكساندرا)، ثم لبس قبعته وغادر للبلدة.

سمعنا خطوات (ديل) في البهو، فقامت (كالبورنيا) بترك إفطار (أتيكوس) الذي لم يأكله مكانه على الطاولة. أخبرنا (ديل) بينما راح يأكل بنهم عن رد فعل الأنسة (راشيل) على أحداث الليلة الماضية وهو: إن كان (أتيكوس فينش) يريد أن ينطح رأسه في جدار حجري فهذا شأنه.

"كنت سأخبرها". قال (ديل) وهو يقضم فخذ الدجاجة. "ولكنها لم تكن راغبة في الاستماع. قالت أنها ظلت مستيقظة طوال الليل تتساءل عن مكاني، وأنها كانت ستطلب من المأمور البحث عني لولا أنه كان حاضراً في جلسة الاستماع".

قال (جيم): "(ديل). يجب عليك أن تتوقف عن الخروج بدون إخبارها. إن هذا يثير غضبها بشدة".

تنهد (ديل) وقال: "أخبرتها حتى بح صوتي أين كنت ذاهباً، ولكنها كانت قد رأت الكثير من الثعابين في الخزانة. أراهن أن هذه المرأة تشرب نصف لتر من البيرة يومياً بدل الإفطار... أعلم أنها تشرب مقدار كوبين على الأقل. لقد رأيتها".

تدخلت العمدة (ألكساندرا): "لا تتحدث هكذا يا (ديل). هذا الكلام لا يصح من طفل. هذا الكلام... ساخر جداً".

"أنا لست ساخراً يا آنسة (ألكساندرا). إخبار الحقيقة لا يعد سخريّة، أليس كذلك؟".

"بالطريقة التي تخبرها بها؟ هي سخريّة".

نظر إليها (جيم) وقال مخاطباً (ديل): "هيا بنا. يمكنك أن تأخذ هذا معك".

حينما خرجنا إلى الشرفة الأمامية كانت الآنسة (ستيفاني كراوفورد) مشغولة بالحديث مع الآنسة (مودي) والسيد (أفيري). نظر الثلاثة إلينا ثم وصلوا حديثهم. أصدر (جيم) صوتاً وحشياً من حلقه. تمنيت لو كان معي سلاح.

قال (ديل): "أكره حينما ينظر البالغون نحوي. إنهم يجعلونك تحس كما لو أنك قد فعلت شيئاً ما خطأ".

نادت الآنسة (مودي) على (جيم فينش) ليحضر.

تأوه (جيم) ورفع نفسه من الأرجوحة. قال (ديل): "سوف نذهب معك".

راحت أنف الأنسة (ستيفاني) ترتجف من فضولها، إذ كانت تريد أن تعرف من أعطانا الإذن لنذهب للمحكمة؟ هي لم ترنا ولكن البلدة كلها كانت تتحدث عن أننا كنا في شرفة الملونين. هل وضعنا (أتيكوس) هناك كمحاولة...؟ هل كان الوضع مناسباً في الأعلى مع كل هؤلاء...؟ هل فهمت (سكاوت) كل...؟ هل غضبنا لرؤية والدنا يخسر القضية؟.

"اخرسي يا (ستيفاني)". كان أسلوب الأنسة (مودي) قاطعاً. "ليس لدي النهار بطوله لأقضيه على الشرفة... (جيم فينش)، لقد ناديتك لأعرف إن كنت أنت وأصحابك تريدون أكل بعض الكعك. لقد استيقظت في الخامسة لأخبزها، لذلك من الأفضل أن تحبب بنعم. اعذرنا يا (ستيفاني). صباح الخير يا سيد (أفيري)".

كان هناك كعكة كبيرة وكعكتان صغيرتان على طاولة مطبخ الأنسة (مودي). كان من المفترض أن يكون هناك ثلاث كعكات صغيرة. لم يكن من عادة الأنسة (مودي) أن تنسى (ديل)، ولا بد أننا أظهرنا تساؤلنا، ولكننا تفهمنا حينما قطعت قطعة من الكعكة الكبيرة وأعطتها لـ(جيم).

بينما رحنا نأكل، شعرنا أن هذه كانت طريقة الأنسة (مودي) لإخبارنا بأنه بالنسبة لها لم يتغير أي شيء. جلست بهدوء في كرسي المطبخ تراقبنا ونحن نلتهم الكعك.

فجأة بدأت تتحدث: "لا تقلق يا (جيم). الأشياء لا تكون بالسوء الذي تبدو به". كان من عادة الأنسة (مودي)، حينما ترغب بقول شيء يطول، أن تنتشر أصابعها فوق ركبتيها، ثم تعدل من وضع طقم أسنانها. وقد فعلت ذلك، وانتظرنا نحن حديثها.

"أريد فقط أن أخبرك أن هناك بعض الرجال الذين ولدوا في هذا العالم ليقضوا لنا الوظائف التي لا نرغب بقضائها. أبوك أحد هؤلاء الرجال".

قال (جيم): "أوه. حسناً".

"لا- تقل- لي- (أوه، حسناً)- يد سيدي"- أجابت الأنسة (مودي)- وقد أدركت الأصوات الجبرية التي صدرت من حجرة (جيم). "أنت لست كبيراً بما يكفي لكي تدرك ما قلته لك".

كان (جيم) يحدق في كعكته نصف المأكولة. قال: "الأمر يشبه البرقة الملفوفة داخل الشرنقة. هذا هو الأمر. كشيء نائم ملفوف في مكان دافئ. كنت دائماً ما أعتقد أن سكان (مايكومب) أفضل الناس في العالم. هذا ما كان يبدو لعيني على الأقل".

قالت الأنسة (مودي): "نحن أكثر الناس أماناً في العالم. نادراً ما يطلب منا أن نثبت مسيحتنا، ولكن حينما يستدعي الأمر ذلك، فلدينا رجال مثل (أتيكوس) ليفعلوا ذلك بالنيابة عنا".

ابتسم (جيم) بأسف. "أتمنى لو كانت بقية المقاطعة تشاركك هذا الشعور".

"سوف تتدهش لمعرفة عدد الناس الذين يؤمنون بهذا".

تصاعد صوت (جيم): "من؟ من في هذه البلدة قام بشيء واحد لمساعدة (توم روبنسون)؟ من؟".

"أصدقاؤه الملونون، كبداية. وأناس آخرون مثلنا نحن. أشخاص كالقاضي (تايلور) والسيد (هيك تايت). توقف عن الأكل وابدأ بالتفكير يا (جيم). هل فكرت لحظة أن تعيين القاضي (تايلور) لـ(أتيكوس) ليدافع عن هذا الفتى لم يكن محض صدفة؟ هل فكرت أن القاضي (تايلور) كانت له أسبابه حينما عينه؟".

كانت هذه فكرة جديدة. قضايا الدفاع كانت توكل عادة لـ(ماكسويل جرين)، آخر من انضم لثقافة محامي (مايكومب) والذي كان يحتاج للخبرة. كان من المفترض أن تكون قضية (توم روبنسون) من نصيب (ماكسويل جرين).

كانت الأنسة (مودي) تقول: "فكر في هذا. لم يكن الأمر محض صدفة. كنت أجلس هناك على الشرفة ليلة أمس، أنتظر. أنتظر. وانتظرت حتى رأيتم جميعاً تمشون على الرصيف. وبينما كنت أنتظر رحلت أفكر أن (أتيكوس

فينش) لن يفوز، لا يمكن أن يفوز، ولكنه الرجل الوحيد في هذه الأرجاء الذي يمكنه أن يبقي هيئة المحلفين تتداول لأطول فترة ممكنة في قضية كهذه. عندها قلت لنفسى: حسناً، نحن نتقدم خطوة... هي خطوة رضيع ولكنها لا تزال خطوة".

دمدم (جيم): "لا بأس من الحديث بهذه الطريقة... لا يمكن لأي قاضي أو محامي مسيحي أن يعوض ما فعله هيئة المحلفين الوثنية. ما إن أكبر قليلاً...".

قاطعته الأنسة (مودي): "هذا شئ ستحتاج لمناقشته مع أبيك".

نزلنا درج الأنسة (مودي) الجديد الرائع وواجهتنا أشعة الشمس. وجدنا السيد (أفيري) والأنسة (ستيفاني كراوفورد) لا زالا يتحاوران. كانا قد تحركا على الممشى وصارا يقفان أمام منزل الأنسة (ستيفاني). كانت الأنسة (راشيل) تمشي نحوهم.

قال (ديل): "أظن أنني سأصبح مهرجاً حينما أكبر".

توقفت أنا و(جيم) عن المشي.

قال (ديل): "نعم سيدي، سأصبح مهرجاً. ليس هناك ما أستطيع فعله في هذا العالم غير الضحك، لذلك سوف أنضم للسيرك وأضحك حتى الثمالة".

قال (جيم): "أنت تنظر للأمر بالعكس يا (ديل). المهرجون حزانى. الناس هم من يضحكون عليهم".

"حسناً، سوف أكون نوعاً جديداً من المهرجين. سوف أقف في منتصف الحلبة وأضحك على الناس. فقط انظرا هناك". أشار بإصبعه. "كل واحد منهم ينبغي أن يكون راكباً عصا مكنسة. العمة (راشيل) تركبها بالفعل".

كانت الأنسة (ستيفاني) والأنسة (راشيل) تلوحان لنا بشدة، بطريقة كانت تؤكد نظرية (ديل).

تنفس (جيم) بتوتر. "يا إلهي. أظن أنه من الصعب عدم رؤية ذلك".

كان هناك شيء ما خطأ. كان وجه السيد (أفيري) محمراً من جراء نوبة عطس ألمت به، وحينما وصلنا كاد أن يطيرنا من على الرصيف بعطاسه. كانت الأنسة (ستيفاني) ترتجف حماسة، بينما أمسكت الأنسة (راشيل) بكتف (ديل) وقالت: "اذهبوا للفناء الخلفي وابقوا هناك. هناك خطر قادم".

سألته: "ماذا حدث؟".

"ألم تسمعوا بالأمر بعد؟ البلدة كلها تضج...".

في هذه اللحظة جاءت العمدة (ألكساندرا) للباب ونادتنا، ولكنها كانت متأخرة. كان الأنسة (ستيفاني) من أخبرتنا أن السيد (بوب إيويل) قد أوقف (أتيكوس) هذا الصباح عند زاوية مكتب البريد وبصق في وجهه وأخبره أنه سينتقم منه ولو استغرق ذلك منه عمره كله.

## الفصل 23

كان كل ما قاله (أتيكوس) حول هذا: "أتمنى لو لم يكن (بوب إيويل) يمضغ التبغ".

ولكن حسب رواية الأنسة (ستيفاني كراوفورد) فإن (أتيكوس) كان يغادر مكتب البريد حينما اقترب منه السيد (إيويل) وشتمه، ثم بصق في وجهه، ثم هددته بالقتل. الأنسة (ستيفاني) – والتي كانت حتى الآن قد حكّت القصة مرتين وقالت أنها كانت هناك وشاهدت المشهد كاملاً لأنها كانت عائدة من غابة (جنتي) – قالت أن (أتيكوس) لم يرمش له جفن، فقط أخرج منديلته ومسح وجهه وظل واقفاً هناك والسيد (إيويل) يطلق عليه نعوتاً أفطع من أن تقوم بإعادتها على مسامعنا. كانت حقيقة أن السيد (إيويل) كان مقاتلاً قديماً في حرب غامضة، بالإضافة لرد فعل (أتيكوس) السلمي، قد دفعا السيد (إيويل) لأن يسأل: "هل أنت أكثر فخراً من أن تقاتلني أيها اللقيط محب الزوج؟". قالت السيدة (ستيفاني) أن (أتيكوس) قال: "لا، بل أكبر عمراً"، ثم وضع يديه في جيبه وسار مبتعداً. قالت السيدة (ستيفاني) أن (أتيكوس) فينش) كان يمكنه أن يكون جافاً حينما يريد ذلك.

لم نظن أنا و(جيم) أن القصة ممتعة بأي حال من الأحوال.

قلت: "رغم كل شيء، كان أبرع رامٍ في المقاطعة في وقتٍ ما. كان بإمكانه...".

قاطعني (جيم): "أنت تعلمين أنه لن يحمل مسدساً يا (سكاوت). هو لا يملك واحداً حتى. أنت تعلمين أنه لم يكن حتى يحمل مسدساً في تلك الليلة أمام السجن. أخبرني مرة أنك حينما تحمل مسدساً فأنت تدعو الناس ليطلقوا النار عليك".

قلت له: "هذا شيء مختلف. يمكننا أن نطلب منه اقتراض واحد".

وقد فعلنا، لكنه قال: "كلام فارغ".

كان رأي (جيم) أننا قد ننجح إن قمنا بمناشدة خلق (أتيكوس) الطيب: في النهاية، نحن سنجوع لو قام السيد (إيويل) بقتله، كما أن العمدة (ألكساندرا) ستقوم بتربيتنا لوحدها، وجميعنا نعلم أن أول ما ستفعله حتى قبل أن يتم دفن (أتيكوس) هو أن تطرد (كالبورنيا). قال (جيم) أن القصة قد تعطي مفعولاً لو أنني بكيت ودخلت في حالة غضب، بما أنني فتاة صغيرة. ولكن هذا أيضاً لم يؤد لنتيجة. ولكن (أتيكوس) اكتشف أننا خائفون بحق حينما لاحظ أننا نجرجر أرجلنا في الحيرة، ولا نأكل بشهية، ولا نبدو مهتمين بنشاطاتنا المعتادة. حاول أن يغري (جيم) بإعطائه مجلة كرة القدم في إحدى الليالي، ولكن حينما راح (جيم) يقلب الصفحات بلا اهتمام ثم رمى المجلة جانباً قال (أتيكوس): "ما الذي يضايقك يا بني؟".

أجاب (جيم) إجابة مباشرة: "السيد (إيويل)".

"ماذا حدث؟".

"لم يحدث شيء بعد. ولكننا خائفون عليك، ونعتقد أنك يجب أن تفعل شيئاً ما بخصوصه".

ابتسم (أتيكوس) بامتعاض. "أفعل ماذا؟ أجعله يوقع تعهداً بعدم التعدي؟".

"حينما يقول رجل أنه سيقتلك، فهو غالباً يقصد ذلك".

قال (أتيكوس): "لقد كان يقصد ذلك حينما قاله. حاول أن تنتظر للأمر من وجهة نظر (بوب إيويل) يا (جيم). لقد قمت بتدمير آخر ما تبقى من مصداقيته في تلك المحاكمة، هذا إن كان له مصداقية بدايةً. كان لا بد للرجل من أن يحاول العودة منتصراً، فأمثاله دائماً ما يفعلون ذلك. لذلك إن كان البصق في وجهي وتهديدي قد أعفيا (ماييلا إيويل) من نوبة ضرب أخرى، فأنا سعيد بذلك. كان لا بد من أن ينفس غضبه على أحدهم وأنا أفضل أن أكون أنا بدل ذلك المنزل المليء بالأطفال. هل تفهمني؟".

أوماً (جيم) برأسه.



دخلت العمدة (ألكساندرا) الغرفة حينما كان (أتيكوس) يقول: "ليس لدينا ما نخافه من (بوب إيويل). لقد نفّس عن مكنون صدره في الصباح".

قالت العمدة: "لست واثقة من هذا يا (أتيكوس). أمثاله سيفعلون أي شيء لينتقموا ممن يحملون ضدّهم ضغينة، أنت تعرف هؤلاء الناس".

"ما الذي يمكن أن يفعله (إيويل) لي يا أختي؟".

قالت العمدة (ألكساندرا): "شيء ماكر. يمكنك أن تعتمد على هذا".

أجاب (أتيكوس): "لا أحد لديه فرصة أن يكون ماكراً في (مايكومب)".

بعد هذا الحوار لم نعد خائفين. كان الصيف مغادراً، وكنا قد شهدنا معظمه. كان (أتيكوس) قد أكد لنا أنه لن يحدث شيء لـ(توم روبنسون) حتى تراجع المحكمة العليا قضيته، وأن (توم) لديه فرصة طيبة لأن يتم إطلاق سراحه، أو أن يحظى بمحاكمة جديدة على الأقل. كان محتجراً في مزرعة سجن (إنفيلد) الواقع على بعد سبعين ميلاً في مقاطعة (تشستر). سألت (أتيكوس) إن كانت زوجته وأولاده يتمكنون من زيارته، ولكن (أتيكوس) أجاب بالنفي.

سألت في إحدى الأمسيات: "لو خسر الاستئناف. ما الذي سيحدث له؟".

أجابني (أتيكوس): "سوف يعدم على الكرسي، ما لم يخفف الحاكم عقوبته. لم يحن وقت القلق بعد يا (سكاوت). لدينا فرصة طيبة".

كان (جيم) منبطحاً على الكنبه يقرأ مجلة (الميكانيكا الشعبية)، حينما رفع رأسه وقال: "هذا ليس عادلاً. هو لم يقتل أحداً، حتى لو كان مذنباً. هو لم يقبض روحاً".

قال (أتيكوس): "أنت تعلم أن الاغتصاب جريمة عقوبتها الإعدام في ولاية (ألاباما)".

"أعلم سيدي. ولكن المحلفين لم يكونوا مضطرين للحكم عليه بالإعدام... لو أرادوا كان يمكنهم أن يحكموا عليه بعشرين سنة سجن".

قال (أتيكوس): "صحيح، ولكن (توم روبنسون) رجل ملون يا (جيم). لا توجد هيئة محلفين في هذا الجزء من العالم ستجرؤ على أن تقول (نحن نراك مذنباً، ولكن ليس بشدة) في تهمة كهذه. إما البراءة الكاملة أو لا شيء".

كان (جيم) يهز رأسه. "أنا أعلم أن هذا ليس صحيحاً، ولكنني لا أستطيع أن أضع يدي على الشيء الخطأ. ربما لم يكن من الصواب أن تكون عقوبة الإعدام هي الإعدام...".

وضع (أتيكوس) جريدته على المقعد جواره. قال أنه لم يكن لديه مشكلة مع قانون الإغتصاب من البداية، ولكن رادته شكوك عميقة حينما طلب الادعاء عقوبة الإعدام وقام المحلفون بإصدار الحكم، بناءً على أدلة ظرفية. نظر (أتيكوس) نحوي ووجد أنني أستمع إليه، فحاول توضيح كلامه. "... ما أعنيه هو، قيل أن يتم الحكم على رجل بالإعدام لجريمة القتل مثلاً، يجب أن يكون هناك شاهد أو اثنان. لا بد من وجود شخص بإمكانه أن يقول: نعم، لقد كنت هناك ورأيتُه يضغظ الزناد".

قال (جيم): "ولكن الكثير من الناس تم شنقهم استناداً على أدلة ظرفية".

"أعلم ذلك. والكثير منهم قد استحقوا العقوبة على الأرجح... ولكن في غياب شاهد عيان يظل الشك موجوداً. القانون يقول (شك معقول)، ولكنني أعتقد أن المدعى عليه يحق له الاستفادة من أقل شك. هناك دائماً احتمالية أن يكون بريئاً، مهما كانت بعيدة الاحتمال".

كان (جيم) مصراً: "إذا الأمر كله يعود لهيئة المحلفين. يجب أن نتخلص من المحلفين إذاً".

حاول (أتيكوس) ألا يبتسم ولكنه لم يستطع. "أنت تقسو علينا يا بني. أعتقد أنه ربما كان هناك طريقة أفضل. قم بتغيير القانون. غير القانون بحيث لا يصبح بإمكان أحد غير القضاة أن يثبتوا الحكم في قضايا الإعدام".

"إذا اذهب إلى (مونتجيري) وغير القانون".

"سوف تندهش حينما تعلم مدى صعوبة الأمر. أنا لن أعيش حتى أرى القانون قد تغير، وإن عشت أنت لترى ذلك فسوف تكون رجلاً كهلاً".

هذا لم يكن كافياً بالنسبة لـ(جيم). "لا سيدي، يجب أن يتخلصوا من المحلفين. الرجل لم يكن مذنباً من البداية ولكنهم قالوا أنه مذنب".

قال (أتيكوس): "لو كنت أنت في هيئة المحلفين يا بني، ومعك إحدى عشر ولداً مثلك، فإن (توم) كان سيكون رجلاً حراً. حتى الآن لم يحدث شيء في حياتك من شأنه أن يتداخل مع تفكيرك المنطقي. هيئة محلفي (توم) هم اثنا عشر رجلاً، وهم منطقيون في حياتهم اليومية، ولكنك ترى شيئاً قد حال بينهم وبين المنطق، وقد رأيت نفس الشيء في تلك الليلة أمام السجن. حينما غادر ذلك الجمع، لم يغادروا لأنهم رجال منطقيون، ولكن لأننا كنا هناك. هناك شيء في هذا العالم يجعل الرجال يفقدون عقولهم، فلا يستطيعون أن يحكموا بعدالة حتى ولو حاولوا ذلك. في قاعات محاكمنا، حينما تواجه كلمة الرجل الأبيض بكلمة الرجل الأسود، فإن الرجل الأبيض دائماً ما يفوز. هذا شيء قبيح، ولكنها حقائق الحياة".

"هذا لا يجعل الأمر صحيحاً". قال (جيم) بإصرار، ثم ضرب قبضته بهدوء على ركبته. "لا يمكنك أن تدين رجلاً استناداً على دليل كهذا... لا يمكنك ذلك".

"لا يمكنك... ولكن يمكنهم... وقد فعلوا ذلك. كلما كبرت، كلما شهدت مثل هذا وأكثر. المكان الوحيد الذي ينبغي أن يجد فيه الرجل الحكم العادل هو قاعة المحكمة، بغض النظر عن لون جلده، ولكن بطريقة ما فإن الناس يحملون مشاعرهم واحتقارهم داخل ركن المحلفين. عندما تكبر، سترى الرجال البيض يخدعون الرجال السود بصورة يومية. ولكن دعني أخبرك شيئاً عليك أن تتذكره دائماً... حينما يفعل رجل أبيض ذلك لرجل أسود، عندها وبغض النظر عن من هو، أو مقدار ثروته، أو من أي عائلة هو، فإن هذا الرجل الأبيض حثالة".

كان (أتيكوس) يتحدث بهدوء حتى اصطدمت كلمته الأخيرة بأذاننا. رفعت بصري ورأيت وجهه صارماً. "ليس هناك ما يثير اشمئزازي أكثر من رجل أبيض لا أخلاق له يستغل جهل زنجي. لا تخدعوا أنفسكم... الحساب يجمع وفي يوم من الأيام سوف نضطر لأن ندفع الفاتورة كاملة. فقط أتمنى ألا يحدث هذا في زمنكما أو زمن أبنائكما".

كان (جيم) يحك رأسه فجأة اتسعت عيناه وقال: " (أتيكوس). لماذا لا ينضم أناس مثلنا نحن والآنسة (مودي) لهيئة المحلفين؟ لم يحدث أن رأيت شخصاً من (مايكومب) في هيئة المحلفين... جميعهم يأتون من الخارج".

مال (أتيكوس) للخلف في كرسيه المتأرجح. لسبب ما كان يبدو سعيداً بـ(جيم). قال: "كنت أتساءل متى ستأتيك الفكرة. هناك أسباب كثيرة. أحدها أن الآنسة (مودي) لا يمكنها أن تخدم في هيئة محلفين لأنها امرأة...".

قاطعته بسخط: "هل تعني أن النساء في ولاية (آلاباما) لا يمكنهن...؟".

"بالضبط. أظن أنها محاولة لحماية نساءنا الضعيفات من القضايا الدنيئة كقضية (توم). بالإضافة لذلك". ابتسم (أتيكوس) وواصل: "أشك لو كنا سنتمكن من إكمال قضية واحدة... السيدات سيستمررن بالمقاطعة لإلقاء الأسئلة".

ضحكنا أنا و(جيم). وجود الآنسة (مودي) في هيئة محلفين كان سيكون مثيراً. فكرت في السيدة (دوبوس) العجوز وهي تجلس في كرسيها المتحرك وتقول: "أوقف هذا القرع يا (جون تايلور). أريد أن أسأل هذا الرجل عن شيء". ربما كان أجدادنا حكماء بعد كل شيء.

كان (أتيكوس) يقول: "مع أشخاص مثلنا، هذا هو نصيبنا من الفاتورة. عادة ما نحصل على هيئة المحلفين التي نستحقها. مواطنو (مايكومب) الشجعان ليسوا مهتمين، هذا أولاً. ثانياً، هم خائفون. ثالثاً، هم...".

قاطعته (جيم): "خائفون؟ لماذا؟".

"حسناً، ماذا لو... كان على السيد (لينك دياس) أن يقرر كمية الأضرار التي ستعوضها الآنسة (مودي) بعد أن دهستها الآنسة (راشيل) بسيارتها، على سبيل

المثال. لن يكون من مصلحة (لينك) أن يخسر أيضاً من السيدتين كعميلة في محله، أليس كذلك؟ وعليه فهو سيخبر القاضي (تايلور) أنه لا يستطيع أن يخدم في هيئة المحلفين لأنه ليس لديه أحد ليبقي المتجر مفتوحاً طوال فترة غيابه، فيقوم القاضي (تايلور) بإعفائه. وأحياناً يعفيهم بغضب".

سألت أنا: "ما الذي يجعله يفكر أن إحداهما ستتوقف عن الشراء من متجره؟".

قال (جيم): "الآنسة (راشيل) سوف ستفعلها، ولكن الآنسة (مودي) لن تفعلها. ولكن تصويت هيئة المحلفين سري يا (أتيكوس)".

ضحك والدانا وقال: "لديك الكثير لتتعلمه يا بني. تصويت هيئة المحلفين من المفترض أن يكون سراً. الخدمة في هيئة المحلفين تجبر الرجل أن يتخذ قراراً وأن يعلن عن رأيه، وهذا ما لا يحب الرجال فعله، لأن هذا يكون مزعجاً في أحيان كثيرة".

دمدم (جيم): "هيئة محلفي (توم) اتخذت قرارها بسرعة".

أدخل (أتيكوس) أصابعه في جيب ساعته. "لا، هذا لم يحدث". قالها مخاطباً نفسه أكثر مما كان يخاطبنا نحن. "كان هذا الشيء الوحيد الذي جعلني أفكر أن هذه ربما تكون شرارة البداية. هيئة المحلفين استغرقت عدة ساعات في المداولة. الحكم كان محتوماً، ربما، ولكن التداول عادة يستغرق عدة دقائق فقط. أما هذه المرة...". قطع (أتيكوس) كلامه ونظر نحونا. "ربما ترغيان في معرفة أن هناك شخصاً واحداً قد أرهق الهيئة في التداول، لأنه كان يطالب في البداية بالحكم بالبراءة".

"من؟". كان (جيم) مذهولاً.

لمعت عينا (أتيكوس). "لا يحق لي القول، ولكنني سأخبركم بهذا القدر. كان أحد أصدقائكم من (ساروم) القديمة...".

"أحد آل (كانينجهام)؟". صاح (جيم) بصوت كالعواء. "أحد ال... أنا لم أتعرف على أي شخص منهم... أنت تمزح". وراح ينظر نحو (أتيكوس) بركن عينه.

## قتل الطائر المحاكي

"أحد معارفهم. لم أ حذفه من هيئة المحلفين لإحساس داخلي غريب، فقط إحساس داخلي. كان يمكنني شطبه، ولكنني لم أفعل".

قال (جيم) بوقار: "يا رب العالمين. في لحظة يحاولون قتله، وفي اللحظة التالية يحاولون تبرئته... لن أفهم هؤلاء الأشخاص طالما حييت".

قال (أتيكوس) أن كل ما عليك فعله هو أن تتعرفهم. قال أن آل (كانينجهام) لم يأخذوا أي شيء من أي شخص منذ أن هاجروا للعالم الجديد. قال أيضاً أن الشيء الآخر بخصوصهم هو أنك إن كسبت احترامهم فإنهم سوف يدعمونك بكل ما لديهم من قوة. قال (أتيكوس) أنه كان لديه إحساس، لا شيء أكثر من شك داخلي، أنهم حينما غادروا السجن في تلك الليلة كانوا يحملون احتراماً كبيراً لآل (فينش). قال (أتيكوس) أنه على الرغم من ذلك فإن الأمر تطلب ساعة وفرداً آخر من (كانينجهام) ليجعل أحدهم يغير رأيه. "لو كان لدينا اثنان مثله في ذلك الجمع، كان سيكون لدينا هيئة تحكيم منقسمة".

قال (جيم) ببطء: "أتعني أنك وضعت رجلاً كان ينوي قتلك في الليلة السابقة في هيئة المحلفين؟ كيف أمكنك أن تقوم بمخاطرة كهذه يا (أتيكوس)؟ كيف؟".

"حينما تحلل الأمر، ستجد أن المخاطر كانت قليلة جداً. ليس هناك فرق بين رجلين سيصدران حكماً، أليس كذلك؟ ولكن هناك فرق بين رجل سيصدر حكماً وآخر ذي عقل مضطرب، أليس كذلك؟ هو كان الوحيد المشكوك فيه من ضمن قائمة المحلفين".

سألته: "ماذا كانت قرابته من السيد (والتر كانينجهام)؟".

نهض (أتيكوس) واقفاً وتمطى ثم تئأب. لم يكن موعد نومنا قد جاء، ولكننا كنا نعلم أنه يريد فرصة ليقرأ جريدته. رفع جريدته وطواها، ثم ربت على رأسي وقال مدندناً لنفسه: "لنر الآن. لقد وجدتها. كان قريباً مزدوجاً من الدرجة الأولى".

"كيف يمكن ذلك؟".

"أختان تزوجتا أخوين. هذا كل ما سأخبرك به... عليك أن تكتشفي الأمر بنفسك".

عذبت نفسي بالتفكير وخلصت إلى أنني لو تزوجت (جيم)، وكان لدى (ديل) أخت وتزوجها، فإن أطفالنا سوف يكونون قرائباً مزدوجين من الدرجة الأولى. قلت لـ(جيم) حينما غادر (أتيكوس): "يا للعجب. هؤلاء أشخاص غريبون للغاية. هل سمعت القصة يا عمتي؟".

العمة (ألكساندرا) كانت تقوم بتعليق سجادة ولم تكن تنتظر إلينا، ولكنها كانت مستمعة لما نقول. وضعت سلتها جوار المقعد ثم جلست عليه وقد فردت السجادة على حجرها. لم أتمكن أبداً من معرفة السبب وراء تعليق السيدات للسجادات الصوفية في الليالي الحارة.

قالت العمة: "لقد سمعتها".

تذكرت الحادثة الكارثية البعيدة حينما هرعت لمساعدة (والتر كانينجهام) الصغير. الآن أنا سعيدة لأنني فعلت ذلك. "سوف تبدأ المدرسة قريباً وسوف أطلب من (والتر) أن يرافقتنا للمنزل لتناول الغداء". كنت أخطط وقد نسيت قراري السابق بأن أضربه حينما أراه. "يمكنه البقاء معنا بعد المدرسة. يمكن أن يعيده (أتيكوس) بعدها لـ(ساروم) القديمة. ربما يمكنه أن يقضي الليلة معنا مرة، أليس كذلك يا (جيم)؟".

"سوف نبحث الموضوع". قالت العمة (ألكساندرا) جملتها التي دائماً ما كانت تكون بمثابة تهديد بدلاً عن أن تكون وعداً. التفت نحوها بدهشة وقلت: "لم لا يا عمتي؟ إنهم أشخاص طيبون".

نظرت إليّ من فوق نظاراتها الخاصة بالخياطة. "(جين لويس). ليس هناك ذرة شك في كياني أنهم أشخاص طيبون. ولكنهم ليسوا ملائمين لنا".

قال (جيم): "هي تقصد أنهم ريفيون يا (سكاوت)".

"ما معنى (ريفيون)؟".

"أوه، مبتذلون. أي أنهم تافهون وأشياء كهذه".

"حسناً، أنا أيضاً...".

قالت العمدة (ألكساندرا): "لا تكوني سخيفة يا (جين لويس). ما أقوله هو أنه يمكنك أن تحكي (والتر كانينجهام) حتى يصير لامعاً، ويمكنك أن تلبسيه حذاءً وبذلة جديدة، ولكنه لن يصبح أبداً مثل (جيم). بالإضافة لأن هناك ميلاً للشرب في تلك العائلة. نساء (فيتش) لسن مهتمات بهذا النوع من الناس".

قال (جيم): "عمتي. هي لم تبلغ التاسعة بعد".

"من الأفضل أن تعرف الحقيقة الآن".

كانت العمدة (ألكساندرا) قد أعلنت قرارها. تذكرت بصورة حية آخر مرة قالت رأيها بحزم. لم أعرف أبداً السبب. كان ذلك حينما كنت غارقة في خطي لزيارة منزل (كالبورنيا). كنت مليئة بالفضول والاهتمام، وأردت أن أكون "رفيقتها" لأرى كيف تعيش ومن هم أصدقاؤها. كانت أمنية شبيهة بأن أتمنى رؤية النصف المظلم من القمر. هذه المرة كانت تكتيكات العمدة (ألكساندرا) مختلفة، ولكن هدفها كان واحداً. ربما كان هذا السبب الذي جاءت من أجله لتسكن معنا: لتساعدنا على اختيار اصدقائنا. حاولت مجادلتها لأطول فترة ممكنة: "إن كانوا أناساً طبيين، فلماذا لا يمكنني أن أتعامل مع (والتر) بصورة جيدة؟".

"أنا لم أقل أنك يجب ألا تعاليمه بصورة جيدة. يجب أن تكوني لطيفة ومهذبة معه، كما يجب أن تكوني مع أي شخص آخر يا عزيزتي. ولكن لا يتوجب عليك أن تدعيه للمنزل".

"وماذا لو كان من أقاربنا يا عمتي؟".

"الحقيقة هي أنه ليس من أقاربنا. وحتى لو كان، فإن إجابتي ستكون واحدة".



تحدث (جيم) هنا: "عمتي. يقول (أتيكوس) أنك يمكنك أن تختار أصدقاءك ولكنك لا تستطيع اختيار عائلتك، وأنهم سيظلون أقباءك سواءً اعترفت بذلك أم لا، وأنك ستبدو سخيلاً حينما لا تعترف بذلك".

قالت العممة (ألكساندرا): "هذا أبوك مرة أخرى. ولا زلت أقول أن (جين لويس) لن تقوم بدعوة (والتر كانيجهام) لهذا المنزل. حتى لو كان قريبها المزدوج من الدرجة الأولى فإنه لن يتم استقباله في هذا المنزل، إلا أن يحضر لمقابلة (أتيكوس) في شأن عمل. هذه نهاية القصة".

كانت قد أعلنت رفضها بوضوح، ولكنني أردت معرفة السبب. "ولكنني أريد أن ألعب مع (والتر) يا عمتي. لماذا لا يمكنك ذلك؟".

خلعت العممة نظارتها وهدقت فيّ ملياً وهي تقول: "سوف أخبرك لماذا. لأنه... حثالة. لذلك لا يمكنك أن تلعب معي. لن أسمح بتواجدك حوله لتلتقطي منه عاداته وتتعلمي أشياء لا يعلمها إلا الرب. أنت تشكلين مشكلة لوالدك بدون أي إضافات أخرى".

لم أكن أعرف ما سأفعله، ولكن (جيم) أوقفني عن فعله. أمسك بي (جيم) من كتفي ووضع ذراعه حولي وقادني وأنا أنتحب غضباً نحو غرفته. سمعنا (أتيكوس) وأطل برأسه من الباب. قال (جيم) بخشونة: "لا بأس يا سيدي. لا شئ هناك". عاد (أتيكوس) من حيث أتى.

"كلي شيئاً يا (سكاوت)". بحث (جيم) في جيبه ثم أخرج قطعة حلوى استغرقتني دقائق لكي أحولها لقطعة لينة داخل فمي.

راح (جيم) يرتب الأشياء الموجودة على طاولته. كان شعره منتصباً من الخلف ومرتحياً من الأمام، وتساءلت إن كان شعره سيبدو مثل شعر الكبار يوماً ما. ربما إن قام بحلقه تماماً وبدأ من جديد فإن شعره سينمو بصورة سلسلة في مكانه. كان حاجباه يزدادان كثافة، ولاحظت أن جسده أصبح أكثر نحافة، كما أنه كان أطول. حينما نظر حوله، لا بد أنه فكر أنني سأبدأ في البكاء من جديد، لأنه قال: "سأريك شيئاً لو وعدت بالأخباري أحداً". سألته ما هو هذا الشئ. قام بفك أزرار قميصه وهو يبتسم بخجل.

"حسناً. ماذا؟"

"ألا تريه؟"

"لا".

"إنه الشعر".

"أين؟"

"هناك. بالضبط هناك".

كان قد واساني بصورة طيبة، فأخبرته أن شعره يبدو رائعاً. ولكنني في الحقيقة لم أتمكن من رؤية أي شيء. "إنه رائع بحق يا (جيم)".

قال (جيم): "وتحت إبطي أيضاً. سوف أبدأ بممارسة الكرة في العام القادم. لا تدعي العمّة تستثيرك يا (سكاوت)".

بدا وكأنه كان بالأمس القريب يخبرني ألا استثير العمّة. واصل (جيم): "أنت تعلمين أنها غير متعودة على الفتيات. ليس من هن على شاكلتك، على الأقل. إنها تحاول أن تجعل منك سيّدة. ألا يمكنك أن تتعلمي الخياطة أو أي شيء آخر؟"

"قطعاً لا. هي لا تحبني، وهذا هو لب الموضوع، وأنا لا يهمني ذلك كثيراً. لقد استفزتني بقولها عن (والتر كانيجهام) أنه حثالة يا (جيم)، وليس بسبب كلامها عن أنني أشكل مشكلة لـ(أتيكوس). لقد حللت هذا الموضوع معه من قبل بأن سألته إن كنت أشكل مشكلة له، وقال أنني لست مشكلة كبيرة، على الأقل كنت مشكلة يمكنه أن يحلها، وأن عليّ ألا أقلق لثانية واحدة حول مضايقتي له. لا، لقد كان (والتر)... هذا الصبي ليس حثالة يا (جيم). هو لا يشبه آل (إيويل)".

ركل (جيم) حذائيه ليخلعهما وطوح قدميه فوق السرير، ثم سند نفسه على المخدة وأضاء مصباح القراءة. "هل تعلمين شيئاً يا (سكاوت)؟ لقد فهمت

الموضوع الآن. لقد كنت أفكر كثيراً في الفترة الماضية وفهمت الموضوع. هناك أربعة أنواع من الناس في العالم. هناك النوع العادي مثلنا نحن والجيران. هناك نوع آل (كانينجهام) الذين يعيشون في الغابة. هناك نوع مثل آل (إيويل) الذين يعيشون في مكب النفايات. وهناك الزوج".

"وماذا عن الصينيين، وشعب (الكاجون) الذين يعيشون هناك في مقاطعة (بالدوين)؟".

"أنا أعني في مقاطعة (مايكومب). الموضوع هو أن الأشخاص مثلنا لا يحبون آل (كانينجهام)، وآل (كانينجهام) لا يحبون آل (إيويل)، وآل (إيويل) يكرهون ويحتقرون الملونين".

أخبرت (جيم) أنه إن كان الأمر كذلك، فلم لم تقم هيئة المحلفين في قضية (توم)، وأغلبهم من أشخاص كآل (كانينجهام)، بتبرئة (توم) نكايّة في آل (إيويل)؟".

تجاهل (جيم) سؤالي باعتباره سؤالاً طفولياً وقال: "أتعلمين. لقد رأيت (أتيكوس) يربت بقدمه حينما يكون هناك شيء ما على المذراع. كما أنه يحب وعاء الخمر كما لم أر شخصاً آخر يحبه...".

قاطعته: "هذا يجعلنا مثل آل (كانينجهام). لا أرى لماذا تقول العمة...".

"لا، دعيني أنهي حديثي... نحن نشبههم فعلاً ولكننا نختلف عنهم بصورة ما. أخبرني (أتيكوس) مرة أن العمة موسوسة بموضوع العائلة لأن كل ما لدينا هو اسم العائلة ولكننا لا نملك مالاً".

"حسناً يا (جيم). أنا لست متأكدة، ولكن (أتيكوس) أخبرني مرة أن معظم هذا الحديث عن العائلة العريقة هو سخافة لأن جميع العائلات عريقة بنفس القدر. سألته هل هذا يشمل الملونين والرجال الانجليز فقال نعم".

قال (جيم): "الإرث لا يعني بالضرورة عراقة العائلة، وإنما كم مضى على عائلتك وهي تقرأ وتكتب. لقد درست هذا الأمر بعناية يا (سكاوت) وهذا هو السبب الوحيد الذي أستطعت العثور عليه. في زمان قديم حينما كان آل (فينش)

يعيشون في مصر القديمة، تعلم أحدهم حرفاً أو اثنين من الهيروغليفية وقام بتعليمها لابنه". ضحك (جيم) ثم واصل: "تخيلي أن العممة فخورة لأن جدها الأكبر كان يستطيع القراءة والكتابة... السيدات يخترن مواضيع مضحكة ليفخرن بها".

"أنا سعيدة لأنه كان يستطيع القراءة والكتابة، وإلا من كان سيعلمها لـ(أتيكوس)؟ ولو كان (أتيكوس) لا يستطيع القراءة، فأنت وأنا كنا سنكون في معضلة حقيقية. لا أظن أن هذا معنى الإرث يا (جيم)".

"حقاً؟ إذاً كيف تفسرين اختلاف آل (كانينجهام) عنا؟ السيد (والتر) يمكنه أن يكتب اسمه بصعوبة، لقد رأيته من قبل. كل ما حدث أننا كنا نقرأ ونكتب لفترة أطول مما فعلوا هم".

"لا... يجب على الجميع التعلم... لا أحد يولد عالماً من بطن أمه. هذا الفتى (والتر) ذكي للغاية، ولكنه مضطر للغياب لأنه يساعد أباه. ليس هناك شيء خطأ بالفتى نفسه. لا يا (جيم)، أظن أن هناك نوعاً واحداً من الناس، وهم الناس".

استدار (جيم) ولكم مخدته. حينما استكان أخيراً كان وجهه غائماً. كان قد دخل في إحدى حالات الضعف الخاصة به، وصرت قلقة عليه. انعقد حاجباه، وتحول فمه لشريط رقيق أسفل أنفه. ظل صامتاً لدقائق، ثم قال في النهاية: "هذا ما فكرت فيه أيضاً، حينما كنت في مثل عمرك. إن كان هناك نوع واحد فقط من الناس، لماذا إذاً لا يتمكنون من التعايش مع بعضهم البعض؟ لو كانوا جميعاً متشابهين، لماذا يخرجون عن أطوارهم ليحتقروا بعضهم البعض؟ أعتقد أنني بدأت أفهم شيئاً يا (سكاوت). أعتقد أنني بدأت أفهم لماذا ظل (بو رادلي) محبوساً في المنزل طوال هذه الفترة... لأنه أراد أن يظل بالداخل".

## الفصل 24

لبست (كالبورنيا) أكثر منظر متيبس بالنشا. كانت تحمل صينية من حلوى (شارلوت). تراجعت بظهرها نحو الباب الدوار ودفعته برفق. كنت أعجب بالبساطة والرشاقة التي كانت تتعامل بها مع الأحمال الثقيلة. أعتقد أن العمدة (ألكساندرا) كانت تشاركني الشعور، لأنها سمحت لـ(كالبورنيا) بتقديم الخدمة اليوم.

كان أغسطس على وشك التحول إلى سبتمبر. كان (ديل) سيغادرنا إلى (مريديان) في الغد، أما اليوم فقد غادر مع (جيم) إلى دوامة (باركر). كان (جيم) قد اكتشف باندهاش غاضب معلومة أنه لا أحد قد كلف نفسه بأن يعلم (ديل) كيف يسبح، وهي مهارة كان (جيم) يعتبرها أساسية كالمشي. كانا قد قضيا ظهيرتين عند الجدول، وقد أخبراني أنهما سيسبحان عاريين لذلك لن أتمكن من الذهاب معهما، ولذلك رحلت أقضي الساعات وحيدة بين (كالبورنيا) والأنسة (مودي).

اليوم كانت العمدة (ألكساندرا) ومجموعتها التبشيرية يقاتلون للهدف الأسمى في كل أرجاء المنزل. كنت أسمع من مكاني في المطبخ صوت السيدة (جريس ميريويدر) وهي تعطي تقريرها في غرفة المعيشة حول حياة قوم (مرونا) القذرة، وبدا كأنها توجه الحديث لي. كانوا يضعون النساء في أكواخ، حينما تحين ساعاتهم، بغض النظر عن معنى هذا. لم يكن لديهم إحساس بالعائلة – كنت أعرف أن هذا سيضايق العمدة – وكانوا يعرضون الأطفال لاختبارات فظيعة عندما كانوا يبلغون الثالثة عشرة. كانوا موبوئين بالداء العليقي (yaws) وديدان الأذن. كما كانوا يعضون لحاء الأشجار وبيصقونه في وعاء مشترك، ثم يشربونه ويسكرون.

بعد هذه القصة قامت السيدات بتأجيل الجلسة لتناول المرطبات.

لم أستطع أن أحزم أمري حول الدخول لغرفة الطعام أو البقاء خارجها. أخبرتني العمدة (ألكساندرا) أن أنضم إليهم لتناول المرطبات. لم يكن مهماً حضوري للجزء العملي من الاجتماع لأنها قالت أنه سيصيبي بالملل. كنت ألبس فستاني الوردية الذي ألبسه يوم الأحد، مع الحذاء والتتورة، وفكرت أنني لو دلفت أي شيء عليه فإن (كالبورنيا) كانت ستضطر لغسل الفستان لألبسه مرة أخرى غداً. كان هذا يوماً حافلاً لها، فقررت ألا أسبب أي مشاكل.

"هل يمكنني أن أساعدك يا (كال)؟". سألتها، وأنا أحاول أن أقدم يد العون.

توقفت (كالبورنيا) في المدخل وقالت: "يمكنك أن تظلي هادئة كالفأر في ذلك الركن. حينما أعود يمكنك أن تساعدني لأملأ الصواني".

تعالى صوت همهمة السيدات حينما فتحت الباب: "ولكن يا (ألكساندرا) لم يحدث لي أن رأيت حلوى (شارلوت) مثل هذه... رائعة للغاية... لا يمكنني أن أجعل قشرة الحلوى هشة كهذه أبداً... لم أفكر أبداً بقطائر الفواكه... (كالبورنيا)؟... من كان يظن أن... هل أخبرك أحد أن زوجة الواعظ... لا!!!!، ولكنها كذلك، والآخر لم يبدأ المشي بعد...".

هدأت الأصوات، وعلمت أنهن منهنمكات في الأكل. عادت (كالبورنيا) ووضعت إبريق أمي الفضي الثقيل على صينية وهي تتمتم: "إبريق القهوة هذا من العجائب. لم يعودوا يصنعون مثله هذه الأيام".

"هل يمكنني أن أحمله للدخل؟".

"فقط إن كنت حريصة جداً ولن توقعيه أرضاً. ضعيه في نهاية الطاولة جوار الأنسة (ألكساندرا)، جوار الأكواب والأشياء الأخرى. هي ستقوم بصب القهوة".

حاولت أن أضغط مؤخرتي على الباب كما فعلت (كالبورنيا) ولكن الباب لم يستجيب. ابتسمت (كالبورنيا) وفتحت لي الباب. "احذري الآن، الإبريق ثقيل. لا تنتظري إليه حتى لا تريقيه".

كانت رحلتي ناجحة. ابتسمت العمة (ألكساندرا) ابتسامة كبيرة وقالت: "ابقي معنا يا (جين لويس)". كان هذا جزءاً من حملتها لتعليمي كيف أصبح سيده.

كان من عادة مضييفة الجماعة أن تدعو جاراتها لتناول المرطبات، سواء كانوا مشيخية أو معمدانيين، وهذا كان تفسير وجود الأنسة (راشيل) المتيقظة، والأنسة (مودي) والأنسة (ستيفاني كراوفورد). جلست بتوتر على الكرسي المجاور للأنسة (مودي) وأنا أتساءل عن السبب الذي يجعل السيدات يضعن قبعاتهن فقط ليقطعن الشارع. السيدات المحزمات كن دائماً يملأنني بخوف مبهم ورغبة عارمة في أن أذهب لمكان آخر، ولكن هذا الشعور هو ما كانت العمة (ألكساندرا) تطلق عليه "البنت المدللة".

كانت السيدات يبدين بارادات، بسبب الألوان الباهتة على ملامهن الهشة. أغلبهن كن يضعن طبقات ثقيلة من من البودرة، ولكنهن لم يكن يضعن أحمر الشفاه إلا من ماركة (تانجي الطبيعية). جميع الأظافر كانت مطلية بطلاء (كيوتكس الطبيعي)، إلا أن بعض السيدات الأصغر سناً كن يضعن طلاء (روز). كانت رائحتهن سماوية.

جلست في صمت، وقد تمكنت أخيراً من التحكم في يدي بأن قبضتهما بقوة على ذراعي الكرسي، ورحت أنتظر من إحدهن أن تخاطبني.

التمعت سن الأنسة (مودي) الذهبية وهي تقول: "أنت متزينة بصورة استثنائية يا (جين لويس). أين سروالك اليوم؟".

"أسفل الفستان".

لم أكن أقصد أن أكون مضحكة، ولكن السيدات انفجرن بالضحك. احمرت وجنتاي حينما استوعبت خطأي، ولكن السيدة (مودي) كانت تنظر نحوي بصرامة. لم تكن تضحك علي أبداً ما لم أكن أقصد أن أكون مضحكة.

بعد أن ساد الهدوء، نادى الأنسة (ستيفاني كراوفورد) من الطرف الآخر للغرفة: "ماذا تريدين أن تصبحي حينما تكبرين يا (جين لويس)؟ محامية؟".

"لا سيدتي، لم أفكر- بعد بهذا"- أجبتها وأند شاكراً لها لتغيير هذا الموضوع. حاولت بسرعة أن أختار مهنتي. ممرضة؟ قائدة طائرة؟ "حسناً...".

"اللعنة، ظننت أنك تريد أن تصبحي محامية، فأنت قد بدأت الذهاب للمحكمة".

ضحكت السيدات مرة أخرى. قالت إحداهن: " (ستيفاني) هذه مضحكة"، مما شجع الأنسة (ستيفاني) لتواصل: "ألا ترغبين بأن تصبحي محامية حينما تكبرين؟".

لمست يد الأنسة (مودي) يدي فأجبت بهدوء كافٍ: "لا سيدتي، أريد فقط أن أصبح سيدة".

نظرت نحو الأنسة (ستيفاني) بشك، ثم اقتنعت بأنني لم أعن أي معنى وقح، فأقنعت نفسها بأن قالت: "حسناً، لن يمكنك الذهاب بعيداً حتى تبدأي بلبس الفساتين أكثر وأكثر".

انطبقت يد الأنسة (مودي) بشدة على يدي فأغلقت فمي. كان دفء يدها كافياً.

كانت السيدة (جريس ميريويدر) تجلس علي يساري، وأحسست أنه من الذوق أن أحادثها. السيد (ميريويدر) كان تابعاً للطائفة (الميثودية) تحت الإكراه، وكان لا يرى بأساً في غناء: "النعمة المذهلة، يا لهذا الصوت العذب، الذي أنقذ بانساً مثلي...". ولكن رأي (مايكومب) كان أن السيدة (ميريويدر) كانت قد جعلته يصحو وحولته لمواطن صالح. الحقيقة أن السيدة (ميريويدر) كانت أكثر سيدة ورعة في (مايكومب). حاولت البحث عن موضوع يمكن أن يثير اهتمامها. سألتها: "ماذا كنت تدرسن هذه الظهيرة؟".

"أوه يا طفلتي. (مرونا)، هؤلاء البائسون". قالت ذلك ثم صمتت تماماً. سوف أحتاج لأن أطرح أسئلة أكثر.

كانت عينا السيدة (ميريويدر) البنيتان الكبيرتان دائماً ما تمتلئان بالدموع حينما تفكر في المضطهدين. كانت تقول: "العيش في الغابة بدون رفيق غير (ج).



جرايمس إيفيريت). لا أحد من البيض سيدنو منهم غير ذلك القديس (ج. جرايمس إيفيريت)".

كانت السيدة (ميريويذر) تتحكم في صوتها وكأنه أورغن، وكانت كل كلمة تأخذ حقها كاملاً: "الفقر... الظلام... الفجور... لا أحد غير (ج. جرايمس إيفيريت) يعلم الحقيقة. أتعلمين، حينما كلفتني الكنيسة بالذهاب لأرض المعسكر قال لي (ج. جرايمس إيفيريت)...".

"هل كان موجوداً هناك يا سيدتي؟ كنت أظن...".

"عاد للمنزل في إجازة. قال لي (ج. جرايمس إيفيريت): سيدة (ميريويذر)، أنت ليست لديك أدنى فكرة، ولا أدنى فكرة، عن ماهية ما نحاربه هناك. هذا ما قاله لي".

"نعم سيدتي".

"قلت له: 'سيد (إيفيريت)، إن سيدات الكنيسة الأسقفية الميثودية الجنوبية بـ(مايكومب)، بولاية (ألاباما)، يقفن وراءك ويساندنك مائة بالمائة! هذا ما أخبرته. وهل تعلمين، في تلك اللحظة بالضبط قطعت عهداً على نفسي. قلت لنفسي أنني حينما أعود للمنزل فسوف أقوم بإعطاء دورة عن قوم (المرونا) وأوصل رسالة (ج. جرايمس إيفيريت) لأهل (مايكومب)، وهذا بالضبط ما أفعله الآن".

"نعم سيدتي".

حينما هزت السيدة (ميريويذر) رأسها، اهتزت معه لفائف شعرها. قالت لي: "أنت فتاة محظوظة يا (جين لويس). أنت تعيشين في منزل مسيحي لأهل مسيحيين في بلدة مسيحية. هناك في أرض (ج. جرايمس إيفيريت) لا يوجد شيء غير الخطيئة والقذارة".

"نعم سيدتي".

"الخطيئة والقذارة... ما كان ذلك يا (جيرترود)؟". التفتت السيدة (ميريويذر) لتصب هجومها على السيدة الجالسة جوارها. "أوه، هذا. حسناً، كنت دائماً ما أقول: 'اغفر وانس، اغفر وانس'. الشيء الذي يجب أن تفعله الكنيسة هي أن تساعدنا لتربي أطفالها تربية مسيحية من الآن فصاعداً. يجب أن يذهب بعض الرجال ليخبروا الواعظ أن عليه أن يحثها على ذلك".

قاطعتها: "اعذريني يا سيدة (ميريويذر). هل أنتم تتحدثون عن (مايلا إيويل)؟".

"(ماي...؟ لا، يا طفلي. نتحدث عن زوجة الأسود. زوجة (توم). (توم)...".

"(روبنسون)، سيدتي".

التفتت السيدة (ميريويذر) لجارتها مرة أخرى وواصلت: "هناك شيء واحد أو من به يا (جيرترود)، ولكن بعض الناس لا يرون الأمر كما أراه. لو تمكنا فقط من جعلهم يعرفون أنا سامحناهم، وأنا نسينا ما حدث، فإن هذا الأمر بأكمله سوف يتلاشى".

قاطعتها مرة أخرى: "آآآ، سيدة (ميريويذر)، ما الذي سيتلاشى؟".

مرة أخرى التفتت إلي. كانت السيدة (ميريويذر) لا تملك أطفالاً ولذلك كانت تعتقد أنها يجب أن تغير نبرة صوتها حينما تتحدث إلى طفل. قالت لي بنبرة فخمة: "لا شيء يا (جين لويس). هؤلاء الطباقون وعمال الحقول لم يكونوا راضين، ولكنهم هدأوا الآن... لقد ظلوا يتذمرون طوال اليوم التالي للمحاكمة".

التفتت السيدة (ميريويذر) لتواجه السيدة (فارو). "لا يوجد شيء أكثر إلهاءً من زنجي عابس يا (جيرترود). أفواههم تتدلى إلى هنا. وجود أحدهم في المطبخ يخرب يومك تماماً. هل تعلمين ما قلت لـ(صوفي) يا (جيرترود)؟ قلت لها: 'صوفي)، أنت ببساطة لا تمارسين مسيحتك في هذا اليوم. المسيح لم يكن يمشي في الأرجاء يتذمر ويشكو'. وهل تعلمين، لقد كان هذا مفيداً لها. رفعت

عينها من على الأرض وقالت: 'لا سيدة (ميريويذر)، المسيح لم يكن يتذمر'.  
أنا أخبرك يا (جيرترود)، لا يجب أن تتركي فرصة لتمجيد الرب تفوتك".

تذكرت الأورغن الصغير العتيق في الكنيسة الصغيرة بمزرعة (فينش). حينما كنت صغيرة وكنت أتصرف بصورة جيدة طوال اليوم، كان (أنيكوس) يتركني أضخ الهواء في منفاخ الآلة بينما يقوم بعزف لحن بإصبعه. آخر نوتة كانت تستمر طالما أن هناك هواءً يحافظ عليها. فكرت في أن السيدة (ميريويذر) قد نفذ هواؤها وأنها كانت تعيد ملأ خزائنها بينما جهزت السيدة (فارو) نفسها لتأخذ دورها في الحديث.

السيدة (فارو) كانت امرأة ذات جسم فارغ، وعينين باهتتين وقدمين صغيرتين. كان لديها تموج حديث في شعرها، كما أن بقية الشعر كانت مجموعة من الجداول الرمادية المشدودة. كانت ثاني أكثر سيدة ورعة في (مايكومب). كانت لديها عادة غريبة باستهلال أي عبارة تقولها بصوت صغير ناعم.

كانت تقول: "سسس يا (جريس)، هذا بالضبط ما كنت أخبر به الأخ (هتسون) في ذلك اليوم. قلت له: 'سسس أخ (هتسون)، يبدو أننا نحارب في معركة خاسرة. معركة خاسرة. سسس. الأمر لا يهمهم في كثير أو قليل. يمكننا أن نقوم بتعليمهم حتى ينقطع نفسنا. يمكننا أن نحاول جعلهم مسيحيين متدينين حتى نسقط إعياءً. على الرغم من ذلك، لن توجد سيدة آمنة في سريرها في هذه الليالي'. وقد قال لي: 'سيدة (فارو)، لا أدري ما النتيجة التي سنصل إليها هنا'. سسس أخبرته أن هذه حقيقة".

أمأت السيدة (ميريويذر) برأسها بحكمة. تصاعد صوتها فوق قرع أكواب القهوة والأصوات البقرية الناعمة التي تصدر من السيدات وهن يقضن مأكولاتهن. كانت تقول: " (جيرترود)، أخبرتك أن هناك بعض الناس الطيبين في هذه البلدة، ولكنهم مضللون. طيبون، ولكن مضللون. أعني الأشخاص الذين يظنون أنهم يفعلون الصواب. الآن أنا لن أسمى الفاعلين، ولكن بعض الناس في هذه البلدة كانوا يظنون أنهم يفعلون الصواب قبل فترة، ولكن كل ما فعلوه كان أن يثيروا المشاكل أكثر. هذا كل ما فعلوه. ربما بدا لهم ما فعلوا عين الصواب في وقتها، لا أدري، أنا لست خبيرة في هذا المجال، ولكن العابسين... غير الراضين... سأخبرك بشئ، لو أن خادمتي (صوفي) واصلت سلوكها ذاك ليوم

آخر فأنا كنت سأطرد لها. لم يحدث أن دار بخلدها أن السبب الوحيد الذي يجعلني أبقى عليها هو الكساد الاقتصادي وأنها تحتاج الدولار وربع الأسبوعي الذي أعطيه لها".

"طعامه لا ينزل من الحلق، أليس كذلك؟".

كانت الأنسة (مودي) من قال هذا. كان هناك خطان مشدودان قد ظهر ا على زاويتي فمها. كانت حتى الآن تجلس بصمت إلى جواري، وقد استقر كوب قهوتها على إحدى ركبتيها. كنت قد أضعت خيط الحديث منذ فترة طويلة حينما توقفت السيدتان عن الحديث حول زوجة (توم روبنسون)، وأقنعت نفسي بالتفكير حول مزرعة (فينش) والنهر. اكتشفت العمدة (ألكساندرا) أن الأمسية مقلوبة: فالجزء العملي من الاجتماع كان رهيباً، والجزء الاجتماعي كان كئيباً.

قالت السيدة (ميريويذر): "أنا متأكدة أنني لا أعلم ما تتحدثين عنه يا (مودي)".

قالت الأنسة (مودي) باختصار: "أنا متأكدة أنك تعلمين". ولم تضيف حرفاً زائداً.

حينما تكون الأنسة (مودي) غاضبة فإن اختصارها يكون قاطعاً. هناك شيء ما قد أغضب الأنسة (مودي) بشدة، فصارت عيناها الرماديتان بنفس برودة صوتها. احمرت السيدة (ميريويذر) ونظرت نحوي ثم نظرت بعيداً. لم أتمكن من رؤية السيدة (فارو).

نهضت العمدة (ألكساندرا) من الطاولة ومررت المزيدي من المرطبات، ثم أدخلت السيدة (ميريويذر) والسيدة (جيتس) بعناية في محادثة نشطة. حينما تطورت المحادثة وانضمت إليها السيدة (بيركنز)، تراجعت العمدة (ألكساندرا) للوراء، وأعطت الأنسة (مودي) نظرة امتنان عميقة، مما جعلني أفكر بحيرة في عالم النساء. لم تكن الأنسة (مودي) والعمدة (ألكساندرا) مقربتين بأي حال من الأحوال، ولكن العمدة كانت تشكرها في صمت على شيء فعلته، وهو الشيء الذي لم أتمكن من معرفته حينها. كنت راضية بمعرفة أن العمدة يمكن أن تتم مضايقتها لدرجة أن تشعر بالامتنان لمن يساعدها. لم يكن هناك شك في أنني لا

بد أن أدخل هذا العالم قريباً، حيث تتأرجح السيدات المتعطرات على كراسيهن وهن يروحن عن أنفسهن بلطف ويشربن الماء البارد.

ولكنني كنت أحس بأنني أنتمي لعالم والدي. الناس مثل السيد (هيك تايت) لم يكونوا ينصبون لك الفخاخ بإلقاء الأسئلة البريئة التي يقصد منها الاستهزاء بك، وحتى (جيم) لم يكن ينتقد بشدة ما لم تقل شيئاً غيباً. كان يبدو أن السيدات يعشن في رعب خفي من الرجال، وأنهن لا يستطعن الموافقة عليهم بإخلاص. ولكنني كنت معجبة بهم. كان هناك شيء مميز بخصوصهم، بغض النظر عن كمية شربهم وألفاظهم القبيحة وقمارهم ومضغهم. بغض النظر عن عدم نظافتهم، كان هناك شيء يعجبني فيهم بصورة فطرية... لم يكونوا...

"منافقين، يا سيدة (بيركنز). منافقين بالفطرة". كانت السيدة (ميريويذر) تتحدث. "نحن على الأقل لا نحمل هذه الخطيئة فوق ظهورنا هنا في الجنوب. الناس في الشمال حرروا العبيد، ولكنهم لا يجلسون على الموائد معهم. على الأقل نحن لا نخدمهم بقولنا لهم أنتم مثلنا ولكن ابقوا بعيداً عنا. هنا في الجنوب نحن نقول لهم عيشوا كما تشاءون وسنعيش نحن كما نشاء. أعتقد أن هذه المرأة، السيدة (روزفلت)، قد فقدت عقلها... فقدت عقلها تماماً حينما جاءت إلى (بيرمنجهام) وحاولت الجلوس معهم. لو كنت عمدة (بيرمنجهام) كنت سد...".

حسناً، لم يكن أينا عمدة (بيرمنجهام)، ولكنني تمنيت لو كنت حاكم (ألاباما) ليوم واحد: كنت سأترك (توم روبنسون) يهرب بسرية حتى لا تجد الجماعة التبشيرية وقتاً لتلتقط أنفاسها. في يوم سابق كانت (كالبورنيا) تخبر طباحة الأنسة (راشيل) عن سوء تصرفات (توم)، ولم تتوقف عن الحديث عندما دخلت أنا للمطبخ. قالت أنه لم يكن بمقدور (أتيكوس) أن يفعل أي شيء ليجعله يصمت، وأن آخر ما قاله لـ(أتيكوس) حينما أخذه للسجن كان: "وداعاً يا سيد (فينش). ليس بمقدورك فعل أي شيء الآن، ولذلك لا فائدة من المحاولة". قالت (كالبورنيا) أن (أتيكوس) أخبرها أن (توم) فقد الأمل حين أخذه للسجن. قالت أن (أتيكوس) حاول أن يشرح له وأخبره أن عليه ألا يفقد الأمل لأن (أتيكوس) سيفعل ما بوسعه ليضمن براءته. سألت الطباحة (كالبورنيا) لماذا لم يخبره (أتيكوس) أنه سيعود رجلاً حراً ويترك الأمر عند هذا - كانت هذه ستكون تعزية كافية لـ(توم). قالت (كالبورنيا): "لأنك لا تعرفين القانون. أول شيء

تتعلمينه حينما تكونين في أسرة ضليعة بالقانون هو أنه لا توجد إجابات واضحة لأي سؤال. السيد (فينش) لا يستطيع أن يقول شيئاً ما لم يكن متأكداً منه".

سمعت صوت الباب يغلق بقوة ثم سمعت صوت أقدام (أتيكوس) في البهو، وتساءلت بصورة تلقائية عن الساعة. لم يكن موعد عودته قد حان، كما أنه كان يبقى في الخارج لساعة متأخرة في أيام اجتماع الجماعة التبشيرية.

توقف (أتيكوس) في المدخل. كان يحمل قبعته في يده، وكان وجهه مصفراً. قال: "معذرة سيداتي. أرجو أن تواصلن اجتماعكن ولا تتركنني أقاطعن. هل يمكنك أن تأتي للمطبخ لدقيقة يا (ألكساندرا)؟ أريد اقتراض (كالبورنيا) قليلاً".

لم يدخل أبي عبر قاعة الطعام بل التف حول البهو ودخل المطبخ من الباب الخلفي، حيث قابلته أنا والعمة (ألكساندرا). انفتح باب غرفة الطعام مرة أخرى وانضمت إلينا الأنسة (مودي). نهضت (كالبورنيا) من مقعدها.

قال (أتيكوس): "(كال)، أريدك أن تذهبي معي لمنزل (هيلين روبنسون)...".

"ما المشكلة؟" تساءلت العمة (ألكساندرا) وقد أفلقتها النظرة التي علت وجه أبي.

"توفي (توم)".

وضعت العمة (ألكساندرا) يديها على فمها بينما قال (أتيكوس): "لقد أطلقوا عليه النار حينما حاول الهرب خلال فترة التمرين. يقولون أنه اعتلى السور مهتاجاً وحاول الفرار أمام أعينهم...".

اترجف صوت العمة (ألكساندرا) وهي تقول: "ألم يحاولوا إيقافه؟ ألم يعطوه أي تحذير؟"

"بالطبع حاول الحراس إيقافه. أطلقوا بضعة طلقات في الهواء ثم صوبوا نحوه. أصابوه في اللحظة التي عبر فيها السور. قالوا أنه لو كان ذراعاه سليميتين لكان

## قتل الطائر المحاكي

قد تمكن من الفرار بالسرعة التي كان يركض بها. لقد أصابوه بسبع عشرة طلقة. لم يكن يتوجب عليهم إطلاق النار بهذه الغزارة. (كال)، أريدك أن تأتي معي لتساعديني في إخبار (هيلين)".

تمت (كالبورنيا) وهي تتحسس منظرها: "نعم سيدي". سارت الأنسة (مودي) نحو (كالبورنيا) وحلت منظرها.

قالت العمدة (ألكساندرا): "هذه آخر قشة يا (أتيكوس)".

أجاب (أتيكوس): "هذا يعتمد على الزاوية التي تتظرين بها للأمر. ما الذي يعنيه زنجي واحد لمائتين من البيض؟ لم يكن (توم) بالنسبة لهم، كان مجرد سجين هارب".

مال (أتيكوس) على البراد ورفع نظارته للأعلى ثم فرك عينيه. قال: "كانت لدينا فرصة طيبة. لقد أخبرته بأفكاري، ولكنني لم أستطع أن أخبره بصدق أن لدينا أكثر من فرصة طيبة. أظن أن (توم) قد تعب من محاكم البيض وقرر أن يأخذ روحه بيده. هل أنت جاهزة يا (كال)؟".

"نعم، سيد (فينش)".

"إذا فلنذهب".

جلست العمدة (ألكساندرا) في مقعد (كالبورنيا) وغطت وجهها بكفيها. كانت هادئة لدرجة أنني تساءلت إن كانت ستفقد الوعي. سمعت صوت تنفس الأنسة (مودي) العالي وكأنها قد صعدت الدرج لتوها، بينما واصلت السيدات حديثهن المرح في غرفة الطعام.

ظننت أن العمدة (ألكساندرا) كانت تبكي، ولكن عندما أزاحت كفيها عن وجهها عرفت أنها لم تكن كذلك. كانت تبدو متعبة، وحينما تحدثت كان صوتها هادئاً: "لا أستطيع أن أقول أنني أوافق على كل ما يفعله يا (مودي)، ولكنه أخي، وأنا أريد أن أعرف متى سينتهي هذا".

ارتفع صوتها وهي تواصل: "إن هذا الأمر يمزقه تمزيقاً، رغم أنه لا يظهر ذلك. لقد رأيته حينما... ماذا يريدون منه بعد يا (مودي)؟ ماذا بعد؟".

تساءلت الأنسة (مودي): "من يريد ماذا يا (ألكساندرا)؟".

"أعني هذه البلدة. إنهم مستعدون لأن يتركوه يفعل ما يخافون هم من فعله لأن ذلك لن يكلفهم شيئاً. هم مستعدون لتركه يهدم صحته ليفعل ما يخافون هم من فعله... إنهم...".

قاطعتها الأنسة (مودي): "اخفضي صوتك وإلا سيسمعونك. هل فكرت بالأمر بهذه الطريقة يا (ألكساندرا)؟ ربما لا تعلم (مايكومب) ذلك، ولكننا ندفع أكبر ضريبة يمكننا أن ندفعها لرجل. نحن نثق فيه ليفعل الصواب. الأمر بهذه البساطة".

"من؟". لم تكن العمدة (ألكساندرا) تعلم أنها تردد مقولة ابن أخيها صاحب الاثني عشر عاماً.

"القلة من الناس في هذه البلدة الذين يؤمنون أن العدل ليس حكراً على البيض. القلة من الناس الذين يؤمنون أن المحاكمة العادلة حق لكل شخص وليست حكراً علينا. القلة من الناس الذين لديهم من التواضع ما يجعلهم ينظرون نحو الزوج ويفكرون أنهم صنيعة الرب مثلنا تماماً". كان صوت الأنسة (مودي) قد عاد هشاً كما كان. "القلة من الناس الذين لديهم خلفية عن الأمور. هذه هي الإجابة".

لو كنت منتبهة، كان سيكون لدي قطعة أخرى أضيفها لتعريف (جيم) عن الخفيات، ولكنني كنت أرتجف بلا توقف. كنت قد رأيت سجن مزرعة (إينفيلد)، وكان (أتيكوس) قد أشار إلى ساحة التمرين التي كانت بحجم ملعب الكرة.

"توقفي عن الارتجاف". أمرتني الأنسة (مودي) فتوقفت. "انهضي يا (ألكساندرا). لقد تركناهم لفترة مطولة".



نهضت العمّة (ألكساندرا) وسوت ملابسها، ثم أخرجت منديلها من حزامها ومسحت أنفها. بعدها قالت وهي تربت على شعرها: "هل يبدو الأمر ظاهراً للعيان؟".

ردت الأنسة (مودي): "لا، على الإطلاق. هل استجمعت قواك يا (جين لويس)؟".

"نعم سيدتي".

قالت بتجهم: "إذا فلننضم إلى السيدات".

ارتفعت أصواتهن حينما فتحت الأنسة (مودي) باب غرفة الطعام. كانت العمّة (ألكساندرا) أمامي ورأيت رأسها يرتفع عالياً حينما عبرت الباب.

قالت العمّة: "أوه، سيدة (بيركنز). أنت تحتاجين للمزيد من القهوة. دعيني أحضر لك المزيد".

تحدثت الأنسة (مودي): "لقد ذهبت (كالبورنيا) لتؤدي غرضاً ما يا (جرايس). دعيني أمرر لك بعض الفطائر. هل سمعت بما فعله ابن عمي الذين يحب صيد الأسماك؟...".

وهكذا مضت السيدتان في وسط الجمع الضاحك، وحول غرفة الطعام، يعدن ملاً أكواب القهوة ويتحدثن كأن مشكلتهن الوحيدة كانت فقدان (كالبورنيا) لفترة مؤقتة. تصاعدت الهمهمات مرة أخرى.

"نعم يا سيدة (بيركنز)، إن (ج. جرايس إيفيريت) قديس وشهيد. إنه... كان لا بد من أن يتزوجاً لذلك هرباً... لصالون التجميل كل ظهر أحد... حينما تغيب الشمس. إنه يذهب للسريير مع... الدجاج، صندوق ملئ بالدجاج المريض، يقول (فريد) أن هذا ما بدأ المشكلة. يقول (فريد)...".

نظرت العمّة (ألكساندرا) نحوي عبر الغرفة وابتسمت، ثم نظرت نحو صينية كعك على الطاولة وأومات إليها. حملت الصينية بحرص وراقبت خطواتي وأنا

## قتل الطائر المحاكي

---

أسير نحو السيدة (ميريويذر). سألتها إن كانت ترغب في المزيد بأفضل أسلوب  
تمكنت من السؤال به.

إن كانت العمة تستطيع أن تتعامل كسيدة في وقت كهذا، يمكنني أنا أيضاً فعل  
ذلك.

## الفصل 25

"لا تفعل هذا يا (سكاوت). أطلقه على الدرج الخلفي".

"هل جننت يا (جيم)؟...".

"أطلقه على الدرج".

تنهدت ثم حملت الكائن الصغير ووضعته على أسفل الدرج وعدت لسريري. كان سبتمبر قد حل، ولكنه لم يكن يحمل جوه البارد، وكنا ننام على الشرفة الخلفية. كان اليراع يتطاير حولنا، بينما راحت الزواحف الليلية والحشرات الطائرة تضرب النافذة الشبكية كما كانت تفعل طوال فترة الصيف.

كان ذلك (الأرماديلو) قد وجد طريقه لداخل المنزل، أعتقد أنه قد زحف على الدرج ثم دخل من أسفل الباب. كنت أضع كتابي على الأرض جوار السرير حينما رأيته. لم يكن طوله أكثر من بوصة، وحينما تمسك به كان يلف نفسه في شكل كرة رمادية صغيرة.

رقدت على بطني ومددت يدي ونغزته بإصبعي فتكور على نفسه. بعد فترة أحس بالأمان ففرد نفسه من جديد. سار بضع بوصات على أرجله المتعددة حتى لمستته من جديد، فتكور على نفسه. أحسست بالنعاس فقررت أن أنهي الموضوع. كانت يدي تحط عليه حينما تحدث (جيم).

كان (جيم) متجهماً. ربما كان هذا جزءاً من المرحلة التي يمر بها، وتمنيت أن يعجل بانتهاء هذه المرحلة. لم يكن متوحشاً في تعامله مع الحيوانات، ولكنني لم أكن أعرف أن طبيئته تمتد لتشمل عالم الحشرات.

سألته: "لماذا لم تتركني أهرسه؟".

"لأنه لم يضايقك بشئ". أجابني (جيم) في الظلام بعد أن أطفأ مصباح القراءة.

قلت له: "أظن أنك في المرحلة التي لا تقتل فيها الحشرات والبعوض، كما أعتقد. أعلمني حينما تغير رأيك. ولكنني أخبرك أنني لن أجلس هنا وأمسك يدي عن ضرب الحشرات".

أجابني ناعساً: "أوه، اكبري قليلاً".

كان (جيم) هو من يتحول لفتاة، لا أنا. رقدت على ظهري بارتياح وانتظرت النوم، ورحت أفكر في (ديل). كان قد غادرنا في أول الشهر مؤكداً أنه سوف يعود لحظة انتهاء المدرسة... كان قد خمن أن والديه قد فهما أنه يحب قضاء الصيف في (مايكومب). أخذتنا الأنسة (راشيل) معهما في التاكسي حتى محطة (مايكومب)، وراح (ديل) يلوح لنا من نافذة القطار حتى اختفى عن أنظارنا. لم يكن قد غاب عن ذاكرتي لأنني كنت أفقده. في آخر يومين له معنا، كان (جيم) قد استطاع تعليمه السباحة.

علمه السباحة. استيقظت تماماً وأنا أتذكر ما أخبرني به (ديل). كانت دوامة (باركر) تقع في آخر الطريق الترابي المتفرع من شارع (مايكومب) السريع على بعد ميل واحد من البلدة. كان من السهل أن تجد طريقة للوصول إليها عبر امتطاء إحدى عربات نقل القطن أو الركوب مع أحد السائقين المارين بالشارع، ومن ثم المشي نحو الجدول. ولكن فكرة العودة سيراً على الأقدام وقت الغسق حينما تضعف حركة المرور كانت فكرة متعبة، وكان على السباحين أن يحذروا ألا يتأخروا في العودة.

حسبما أخبرني (ديل)، كان هو و(جيم) قد وصلا للطريق السريع حينما رأيا (أتيكوس) يقود سيارته نحوهما. لم يبد عليه أنه رأهما فراحا يلوحان له. أبطأ (أتيكوس) حتى توقف. حينما اقتربا من السيارة أخبرهما: "من الأفضل أن تجدا وسيلة للعودة. أنا سأغيب عن المنزل لفترة". كانت (كالبورنيا) تجلس في المقعد الخلفي. اعترض (جيم)، من ثم توسل، فقال (أتيكوس): "حسناً، يمكنكما أن تأتيا معنا، إن بقيتما في السيارة".

في الطريق لمنزل (توم روبنسون) أخبرهما (أتيكوس) ما حدث.

انحرفت السيارة مغادرة الطريق السريع، ثم سارت مجاوزة مكب النفايات ومنزل (إيويل)، ثم عبرت الطريق الضيق المؤدي لمساكن الزوج. قال (ديل) أن مجموعة من الصبية الزوج كانوا يلعبون في فناء (توم) الأمامي. أوقف (أتيكوس) السيارة ونزل منها تتبعه (كالبورنيا)، ثم دخلا من البوابة الأمامية.

سمعه (ديل) يسأل أحد الصبية: "أين والدتك يا (سام)؟"، وسمع الصبي يجيب: "ذهبت لمنزل آل (ستيفن) يا سيد (فينش). هل تريدني أن أذهب لأحضرها؟".

قال (ديل) أن (أتيكوس) بدأ متردداً، ثم أجاب بالإيجاب، فركض الفتى ليحضر والدته، بينما قال (أتيكوس) للصبية: "واصلوا لعبتكم يا أبنائي".

جاءت فتاة صغيرة لباب الكوخ ووقفت ترمق (أتيكوس). قال (ديل) أن شعرها كان كتلة من الضفائر المنتصبة، تنتهي جميعها بأربطة شعر لامعة. ابتسمت ابتسامة عريضة وسارت نحو والدنا، ولكنها كانت أصغر من أن تنزل الدرج. قال (ديل) أن (أتيكوس) سار نحوها، ثم خلع قبعته ومد لها إصبعه. أمسكت الفتاة بإصبعه وساعدها على هبوط الدرج، ثم ناولها لـ(كالبورنيا).

كان (سام) يخب وراء والدته حينما عاد الاثنان للكوخ. قال (ديل) أن (هيلين) حيثهم قائلة: "مساء الخير يا سيد (فينش). لم لا تجلس؟". ولكنها لم تضيف أي شيء آخر، كما لم يفعل (أتيكوس).

قال (ديل): "لقد سقطت على التراب يا (سكاوت). سقطت على التراب ببساطة، كأن عملاقاً برجل كبيرة جاء ومشى فوقها. فقط هكذا...". ضرب (ديل) الأرض برجله الكبيرة. "كما تسحقين نملة".

قال (ديل) أن (كالبورنيا) و(أتيكوس) أوقفا (هيلين) على قدميها وسانداها حتى أدخلها لكوخها. غابوا جميعاً في الداخل لفترة طويلة من الزمن، ثم عاد (أتيكوس) وحيداً. حينما كانوا عائدين ومروا بمكب النفايات، صاح بعض آل (إيويل) بهم، ولكن (ديل) لم يتمكن من فهم ما كانوا يقولون.

انشغلت (مايكومب) بخبر موت (توم) ليومين على الأقل، وكان اليومان كافيين لتنتقل الأخبار عبر المقاطعة. "هل سمعت الخبر؟... لا؟ حسناً، يقولون أنه كان

يجري بسرعة البرق...". بالنسبة لـ(مايكومب) كان موت (توم) عادياً. كان من المعتاد أن يحاول زنجي الهرب. عقلية الزوج كانت تعني عدم التخطيط، وعدم التفكير في المستقبل، والهرب في أول فرصة. الشيء المثير للسخرية أن (أتيكوس فينش) كان بإمكانه أن يخلصه بسهولة، ولكن...؟ بالطبع لا، أنت تعرف كيف هم، هؤلاء القوم. ما يجنى بسهولة يفقد بسهولة. هذا يريك أنه رغم أن الفتى (روبنسون) كان متزوجاً بصورة قانونية، وأنه كان يبقي نفسه نظيفاً حسب قولهم، وأنه كان يذهب للكنيسة، رغم كل ذلك اتضح أن المظاهر خداعة حينما ساءت الأمور. الزنجي دائماً يتصرف كزنجي.

من ثم تتم إضافة بعض التفاصيل حتى يتمكن المستمع من إعادة نسخته من القصة، ثم لا يوجد شيء آخر للتحديث عنه، حتى صدرت جريدة (منبر مايكومب) في الخميس التالي. كان هناك نعي مختصر في صفحة أخبار الملونين، كما كان هناك افتتاحية.

كان السيد (ب. ب. أندروود) لاذعاً في مقاله كما لم يكن من قبل، كما يبدو أنه لم يكن يهتم بالمعلنين والمشاركين الذين قد يلغوا اشتراكهم. (ولكن مايكومب) لم تكن تعمل بهذه الطريقة: كان بمقدور السيد (أندروود) أن يصيح حتى يغمى عليه وأن يكتب ما شاء، ورغم ذلك كان سيجد مشتركين ومعلنين. إن كان يريد أن يجعل نفسه أضحوكة على أوراق جريدته الخاصة فهذا شأنه). لم يكن السيد (أندروود) يتحدث عن انعدام العدالة، بل كان يكتب بحيث يفهمه الأطفال. كان رأيه أنه من الخطأ قتل المعوقين، بغض النظر عن كونهم واقفين أو جالسين أو هاربين. كان يشبه مقتل (توم) بمذبحة قتل الطيور المغنية من قبل الصيادين والأطفال، واعتقد أهالي (مايكومب) أنه كان يحاول كتابة افتتاحية شعرية يمكن إعادة طبعها في جريدة (معلن مونجمرى).

تساءلت كيف يمكن أن يكون الأمر كذلك وأنا أقرأ افتتاحية السيد (أندروود). قتل لا معنى له... كان (توم) قد خضع لمحاكمة مطولة في نفس اليوم الذي قتل فيه. محاكمته كانت مفتوحة وتمت إدانته من قبل اثني عشر رجلاً صادقاً، والحقيقة أن أبي قد قاتل لأجله طوال الوقت. عندها اتضح لي معنى كلام السيد (أندروود): لقد استعمل (أتيكوس) كل الأساليب المتاحة لتبرئة (توم) روبنسون)، ولكن في المحاكم السرية المغلقة في قلوب الرجال، كانت قضية

(أتيكوس) خاسرة. لقد أصبح (توم) رجلاً ميتاً في اللحظة التي فتحت فيها (ماييلا إيويل) فمها وصرخت.

اسم (إيويل) صار يصيبني بالغثيان. لم تضع (مايكومب) وقتاً في تناقل رؤية السيد (إيويل) حول نهاية (توم) عبر قناة النميمة المسماة الأنسة (ستيفاني كراوفورد). الأنسة (ستيفاني) أخبرت العمّة (ألكساندرا) في حضور (جيم) بعد (يا إلهي، إنه كبير كفاية لكي ينصت) أن السيد (إيويل) قال أن واحداً قد سقط وتبقى اثنان. أخبرني (جيم) أنه لا داعي للخوف، لأن السيد (إيويل) كان فماً ثرثاراً لا أكثر. أخبرني (جيم) أيضاً أنني لو أخبرت (أتيكوس) بكلمة مما قاله، أو جعلت (أتيكوس) يعرف بأي صورة من الصور ما أعرفه، فإن (جيم) لن يتحدث معي مطلقاً مرة أخرى.

## الفصل 26

بدأت المدرسة وبدأت معها رحلاتنا اليومية أمام منزل (رادلي). كان (جيم) في الصف السابع وكان يذهب للمدرسة الثانوية التي تقع خلف مبنى مدرسة القواعد. كنت في الصف الثالث، وكان روتيننا اليومي مختلفاً لدرجة أنني صرت أراه في الصباح حينما نسير للمدرسة وفي ساعة الطعام فقط. كان قد انضم لفريق الكرة، ولكنه كان أنحف وأصغر من أن يفعل أي شيء سوى حمل دلاء الماء للفريق. كان يفعل هذا بحماس، ولم يكن يعود للمنزل إلا بعد حلول الظلام.

توقف منزل (رادلي) عن إثارة الرعب في قلبي، ولكنه ظل كئيباً ومثيراً للرجفة تحت أغصان شجر البلوط، كما ظل غير مرحب بالزوار كعادته. كان لا زال بإمكانك رؤية السيد (ناثان رادلي) في يوم صافٍ، متمشياً من وإلى البلدة. كنا نعلم أن (بو) لا زال هناك، لنفس السبب القديم: لم يره أحد محمولاً للخارج. أحياناً كنت أحس بوخزة ندم حينما أمر بالمنزل القديم لأنني شاركت في ما يمكن وصفه بأنه تعذيب سادي للسيد (آرثر رادلي)... لا يوجد مكان منعزل يرغب في الأطفال الذين يختلسون النظر خلال مصاريعه المقفلة، أو يضعون مذكرات التحية في نهاية صنارات صيد السمك، أو يتجولون ليلاً في حقول الكرنب المحيطة به. ولكنني كنت أتذكر. تذكرت بنسين عليهما رأسا هنديين، وقطعة من اللادن، وتمائيل من الصابون، وميدالية صدئة، وساعة مكسورة معلقة في سلسلة. لا بد أن (جيم) قد أخفى هذه الأشياء في مكان ما. توقفت ونظرت نحو الشجرة في ظهيرة أحد الأيام: كان الجذع منتفخاً حول الرقعة الأسمنتية، وكانت الرقعة نفسها مصفرة.

كنا نكاد نراه عدة مرات، وهي كافية للجميع. ولكنني كنت لا أزال أبحث عنه كلما مررت بالمكان. ربما استطعنا رؤيته في يوم ما. تخيلت شكل المقابلة حينما تحدث. سنكون جالسين في الأرجوحة حينما يمر بنا. سأقول له: "مساء الخير يا سيد (آرثر)" كما كنت أقول له كل ظهيرة طوال حياتي، وسوف يرد



عليّ: "مساء الخير يا (جين لويس)" كما كان يقول لي كل ظهيرة طوال حياتي. "تتعمون باستراحة جميلة أليس كذلك؟". "نعم سيدي، جميلة للغاية".

كان هذا مجرد خيال، لأننا لن نراه على الإطلاق. على الأرجح أنه خرج حينما صار الظلام حالكاً ووقف يحملق في الأنسة (ستيفاني كراوفورد). لو كنت مكانه كنت سأختار شخصاً آخر لأنظر إليه، ولكن هذا شأنه. كان من المستحيل أن ينظر نحونا.

"لن تفتحي هذا الموضوع مرة أخرى، أليس كذلك؟". قالها لي (أتيكوس) في إحدى الليالي، حينما صرحت برغبتني في أن ألقى نظرة واحدة جيدة على (بو رادلي) قبل أن أموت. "إن كنت كذلك، فأنا أخبرك الآن: توقفي. أنا أكبر سنّاً من أن أقوم بمطاردتك حول منزل (رادلي). كما أن الموضوع خطير. قد تتعرضين لإطلاق النار. أنت تعلمين أن السيد (ناثان) يطلق النار على أي ظل يراه، حتى الظلال التي تترك آثار أقدام مقاسها أربعة. كنت محظوظة كفاية أنك لم تلقي حتفك في ذلك اليوم".

أقفلت الموضوع وصمت تماماً، في نفس الوقت الذي رحنت أتعجب من (أتيكوس). كانت هذه المرة الأولى الذي يجعلنا ندرك فيها أنه يعرف أكثر مما نتخيل حول موضوع ما. بالإضافة لأن الحادث كان قبل بضعة سنين. لا، كان الصيف الماضي... لا، الصيف قبل الماضي، حينما... يبدو أن الزمن يلعب بذاكرتي. لا بد من أن أتذكر أن أسأل (جيم).

حدثت لنا أحداث كثيرة حتى صار (بو رادلي) آخر مخاوفنا. قال (أتيكوس) أنه لا يرى احتمالية حدوث أي شيء آخر، وأن الأشياء ستهدأ من تلقاء نفسها، وأن الناس سينسون مع مرور الزمن أن (توم روبنسون) قد عاش بيننا.

ربما كان (أتيكوس) محقاً، ولكن أحداث الصيف كانت تحلق فوق رؤوسنا كالدخان في غرفة مغلقة. لم يفتح أحد من البالغين في (مايكومب) الموضوع مع (جيم) أو معي، ولكن بدا أنهم كانوا يناقشون الأمر مع أطفالهم، ويبدو أن انطباعهم كان أنني و(جيم) ليس لدينا خيار في أن يكون (أتيكوس) والدنا، لذلك كان يجب أن يعاملنا أطفالهم بصورة لطيفة عوضاً عنه. كان من المستحيل أن يفكر الأطفال في هذا من تلقاء أنفسهم: لو كان زملاؤنا في الصف يتصرفون

على سجيبتهم، كنا أنا و(جيم) سنحظى بالعديد من المعارك بالأيدي، وكنا سنتمكن من إنهاء الموضوع للأبد. ولكننا اضطررنا لأن نرفع رأسينا ونتعامل كسيد وسيدة محترمين. بطريقة ما، كان الأمر يشبه فترة حياة السيدة (هنري لافاييت دوبوس) ولكن بدون صياحها العالي. على الرغم من ذلك، كان هناك شيء غريب لم أتمكن أبداً من فهمه: على الرغم من عيوب (أتيكوس) الأبوية، كان الناس راضين بإعادة انتخابه للمجلس التشريعي في تلك السنة كعادتهم بدون أي اعتراض. خلصت إلى أن الناس غريبو الأطوار، وصرت أبتعد منهم ولا أفكر فيهم إلا لو اضطررت لذلك.

وقد اضطررت لذلك في أحد أيام المدرسة. كانت لدينا حصة أسبوعية عن (الأحداث المعاصرة). كان من المفترض أن يقوم كل طفل بقض مقالة من الجريدة، وأن يقرأها ويفهمها جيداً، ثم يشرحها للفصل. هذا النشاط، على زعمهم، كان يحقق عدة أهداف: الوقوف أمام زملاء كان يجعلك تقف باتزان ويجعلك رابط الجأش، وإلقاء خطاب كان يجعلك مستوعباً لكلماتك، ومعرفة الأحداث المعاصرة كان يحفز ذاكرتك، ووقوفك منفرداً كان يجعلك متحفزاً للعودة للمجموعة.

كانت الفكرة عميقة، ولكن بطبيعة الحال، لم تنجح بصورة طيبة في (مايكومب). في المقام الأول، كانت قلة من الأطفال الريفيين ممن لديهم إمكانية التحصل على جرائد، ومن ثم انصب عبء (الأحداث المعاصرة) على أطفال البلدة، مما ساهم في إقناع أبناء الريف أن أبناء المدينة وضعهم أفضل في جميع الأحوال. أطفال الريف الذين كانوا يتمكنون من الحصول على جريدة، كانوا يحضرون قطعاً من جريدة كانوا يسمونها (جريدة الشجاعة)، وهي جريدة كانت ترى الأنسة (جايتس) مدرستنا أنها زائفة. لم أكن أعلم لماذا تقطب جبينها حينما يقرأ طفل ما من (جريدة الشجاعة)، ولكن الأمر كان يشبه بالنسبة لها قراءة شيء تافه، أو تناول البسكويت بالشراب وقت الغداء، أو المزاح الثقيل، أو الغناء بصوت نشاز، وهي أشياء كانت الولاية تدفع للأساتذة ليثبطوا الأطفال عنها.

رغمًا عن ذلك، لم يكن أغلب الأطفال يعرفون ما معنى (الأحداث المعاصرة). كان (ليتلت تشاك ليتل)، وهو الضليع بمعرفته عن الأبقار وأساليبها، في

منتصف قراءته لقصة عن العم (ناتشيل)، حينما أوقفته الأنسة (جايتس) قائلة:  
" (تشارلز)، هذا ليس حدثاً معاصراً. هذا إعلان".

ولكن (سيسل جاكوبز) كان يعلم ما هو الحدث المعاصر. حينما جاء دوره،  
ذهب لمقدمة الفصل وبدأ يقول: " (هتلر العجوز)...".

" (أدولف هتلر) يا (سيسل)!. قاطعته الأنسة (جايتس). "لا تبدأ أي جملة بـ فلان العجوز".

قال الفتى: "نعم سيدتي. (أدولف هتلر) العجوز كان يطارد الـ...".

"يضطهد يا (سيسل)...".

"لا يا سيدتي.. إنها مكتوبة هنا... أيلاً كان، (أدولف هتلر) العجوز. كان يطارد اليهود ويضعهم في السجون ويصادر ممتلكاتهم ولم يكن يسمح لأبيهم أن يغادر البلاد وكان يغسل ضعيفي العقول و...".

"يغسل ضعيفي العقول؟".

"نعم سيدتي. أظن أنهم لم يكونوا أذكياء كفاية لكي يغسلوا أنفسهم. لا أظن البلهاء يمكنهم الحفاظ على نظافتهم. على كل حال، بدأ (هتلر) برنامجاً لمطاردة أنصاف اليهود أيضاً وأراد تسجيلهم في حالة أنهم أرادوا التسبب بأي مشكلة، وأظن أن هذا شيء سيء، وهذا هو حدثي المعاصر".

"جيد جداً يا (سيسل)". قالت الأنسة (جايتس) وهي تنفخ، بينما عاد (سيسل) لكرسيه.

ارتفعت يد في مؤخرة الغرفة. "كيف يمكنه فعل ذلك؟".

"من فعل ماذا؟". سألت الأنسة (جايتس) بصبر.

"أقصد كيف يمكن لـ (هتلر) أن يضع الكثير من الناس في الحجز هكذا. يجب أن توقعه الحكومة". كان هذا من صاحب اليد المرفوعة.

"(هتلر) هو الحكومة". أجابت الأنسة (جايتس)، واغتتمت الفرصة لجعل التعليم عملية ديناميكية، فسارت نحو السبورة وكتبت "ديمقراطية" بحروف كبيرة ثم قالت: "ديمقراطية. هل لدى أحدكم تعريف للكلمة؟".

"نحن". قالها أحدهم.

رفعت يدي وقد تذكرت شعار حملة قديماً أخبرني به (أتيكوس) من قبل.

"ماذا تظنين أن الكلمة تعني يا (جين لويس)؟".

"حقوق متساوية للجميع، لا امتيازات خاصة". أجبته مقتبسة من الشعار.

ابتسمت الأنسة (جيتس) وقالت: "جيد جداً يا (جين لويس)، جيد جداً". من ثم كتبت "نحن" أمام كلمة "ديمقراطية" وقالت: "والآن أيها الفصل، لنقرأ جميعاً: نحن ديمقراطية".

قرأنا الجملة، ثم قالت الأنسة (جايتس): "هذا هو الفرق بين أمريكا وألمانيا. نحن ديمقراطية وألمانيا دكتاتورية. دكتاتورية. نحن لا نؤمن باضطهاد أي شخص هنا. الاضطهاد ينبع من الأشخاص المتحيزين. التحيز". أعادت نطق الكلمة بعناية. "لا يوجد أشخاص أفضل من اليهود في هذا العالم. أما لماذا يظن (هتلر) غير ذلك فهذا لغز محير بالنسبة لي".

تساءل شخص مستفسراً في منتصف الفصل: "لماذا لا يحبون اليهود في ظنك يا أنسة (جايتس)؟".

"لا أدري يا (هنري)... إنهم يشاركون في أي مجتمع يعيشون فيه، بالإضافة لأنهم أناس متدينون بشدة... (هتلر) يحاول القضاء على الدين، ربما لذلك لا يحبهم".

تحدث (سيسل): "أنا لست متأكداً، ولكن أعتقد أنهم يقومون بالتجارة في المال أو شيء من هذا القبيل، ولكن هذا ليس سبباً كافياً لاضطهادهم. إنهم بيض، أليس كذلك؟".

قالت الأنسة (جايتس): "حينما تذهب للمدرسة الثانوية يا (سيسل)، سوف تعرف أن اليهود كانوا مضطهدين منذ بداية التاريخ، حتى أنهم طُورِدوا خارج بلدهم. إنها قصة من أقطع القصص في التاريخ. حان وقت الحساب يا أطفال".

ولأنني لم أكن أحب الحساب رحمت أقضي الوقت في النظر خارج النافذة. المرة الوحيدة التي رأيت فيها (أتيكوس) متجهماً كانت حينما أعطانا (المرد ديفس) آخر أخبار (هتلر). أغلق (أتيكوس) المذياع وقال: "همف!". سألته مرة لماذا كان متضايقاً من (هتلر) وأجاب: "لأنه مجنون".

هذا ليس منطقياً، رحمت أفكر بينما راح بقية الفصل يؤدون الحساب. مجنون واحد وملايين الألمان. من المنطق أن يقوموا بحبس (هتلر) بدلاً من أن يتركوه هو يحبسهم. هناك شيء آخر خاطئ، وسأقوم بسؤال أبي عنه.

سألته عن ذلك فأجابني بأنه لا يستطيع إجابة السؤال لأنه لا يعرف الإجابة.

"ولكن من المقبول أن أكره (هتلر)؟".

قال: "لا. ليس من المقبول كراهية أي شخص".

سألته: "هناك شيء لا أفهمه يا (أتيكوس). الأنسة (جايتس) قالت أن ما يقوم به (هتلر) فظيع، واحمر وجهها بشدة حينما كانت تقول ذلك...".

"أعتقد أنها يجب أن تحمر لذلك".

"ولكن...".

"نعم؟".

"لا شيء سيدي" - غادرت المكان. لأنني لم أكن أعرف كيف أشرح لـ(أتيكوس) ما كان يدور بخاطري، وهو ما لم يكن أكثر من شعور داخلي. ربما كان بمقدور (جيم) أن يجيب على سؤالي، فـ(جيم) كان يفهم المسائل المتعلقة بالمدرسة أكثر من (أتيكوس).

كان (جيم) متعباً من يومه الذي قضاه في حمل الماء. كانت هناك حوالي اثنتي عشرة قشرة موز ملقاة على الأرض حول سريره، تتوسطها زجاجة حليب فارغة. سألته: "لماذا تملأ معدتك؟".

أجابني: "يقول المدرب أنني لو ازددت خمسة وعشرين رطلاً بحلول السنة بعد القادمة فيمكنني أن ألعب الكرة. هذه أسرع طريقة".

قلت له: "هذا إن لم تفرغ معدتك يا (جيم). كنت أريد أن أسألك عن شيء".

"أسألي". وضع كتابه جانباً ومد رجليه.

"الآنسة (جايتس) سيدة لطيفة، أليس كذلك؟".

قال (جيم): "بالطبع. كنت مولعاً بها حينما كنت في صفها".

"إنها تكره (هتلر) بشدة...".

"وما المشكلة في هذا؟".

"حسناً. كانت تتحدث اليوم عن سوء معاملته لليهود. اضطهاد الآخرين ليس أمراً جيداً يا (جيم)، أليس كذلك؟ ولا حتى التفكير بسوء حول الآخرين، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا يا (سكاوت). ما الذي يضايقك؟".

"حسناً. حينما غادرنا قاعة المحكمة في ذلك اليوم، كانت الآنسة (جايتس) تنزل الدرج أماناً. أنت على الأرجح لم ترها، ولكنها كانت تتحدث مع الآنسة (ستيفاني كراوفورد). سمعتها تقول أنه قد حان الوقت ليقوم شخص ما بتعليمهم درساً لأنهم كانوا يتطاولون فوق مكانتهم، وأن الشيء القادم الذي سيفكرون فيه هو الزواج منا. كيف يمكنها أن تكره (هتلر) لهذه الدرجة ثم تتعامل بقسوة مع أناس من بلدتها...".

فجأة صار (جيم) غاضباً بشدة. قفز من السرير وقبض علي من ياقتي وهزني. "لا أريد أن أسمعك تتحدثين عن قاعة المحكمة أبداً، هل تسمعين؟ هل تسمعين؟ لا تذكريني لي مطلقاً، هل تسمعين؟ والآن اذهبي!".

كنت مصدومة فلم أتمكن من البكاء. انسلت خارج غرفة (جيم) وأغلقت الباب بهدوء خوفاً من أن تهيجه الضوضاء مرة أخرى. أحسست بالتعب فجأة، وأردت أن أرى (أتيكوس). كان جالساً في غرفة المعيشة. ذهبت إليه وحاولت الجلوس على حجره.

ابتسم (أتيكوس) وقال: "أنت تكبرين بسرعة. سأضطر لأن أحضن جزءاً منك فقط". احتضنني (أتيكوس) قريباً منه وقال بهدوء: "لا تدعي (جيم) يحبطك يا (سكاوت). إنه يمر بوقت عصيب هذه الأيام. لقد سمعت حواركما".

قال (أتيكوس) أن (جيم) كان يحاول جاهداً نسيان شيء ما، ولكن ما كان يفعله حقيقةً هو أن يتناسى الأمر لفترة ما حتى يمر وقت كافٍ عليه. بعدها يمكنه أن يفكر في الموضوع ويتفهم ما حدث. حينما يحدث ذلك، سيعود (جيم) كما كان.

## الفصل 27

هدأت الأمور بعد فترة، تماماً كما قال (أتيكوس). بحلول منتصف أكتوبر، لم يحدث سوى حادثان صغيران لسكان (مايكومب). في الحقيقة كان هناك ثلاثة أحداث ولكنها لم تكن تهمنا بصورة مباشرة، أعني آل (فينش)، ولكنها كانت تعيننا بصورة ما.

أول حدث كان أن السيد (بوب إيويل) تحصل على وظيفة وفقدها في غضون أيام، وأنه على الأرجح سجل لنفسه موقعاً مميزاً في سجلات الثلاثينيات: كان الرجل الوحيد الذي سمعت أنه قد طرد من عمله بسبب الكسل. أعتقد أن فترة شهرته القصيرة قد كفلت له وظيفة لم تستمر أكثر من سوء سمعته، لأن السيد (إيويل) وجد نفسه منسياً بعد فترة، مثل مثل (توم روبنسون). من بعدها عاد للظهور المنتظم في مكتب الشؤون الاجتماعية ليقبض شيك الإعانة، وكان يقبضه بلا شكر في وسط همماته الخفيضة حول الأوغاد الذين يديرون البلدة والذين لا يتركون للشرفاء فرصة للعمل الكريم. الأنسة (روث جونز) العاملة في مكتب الشؤون الاجتماعية، قالت أن السيد (إيويل) اتهم (أتيكوس) علناً بأنه سرق وظيفته. كانت مستاءة من ذلك لدرجة أنها سارت بنفسها لمكتب (أتيكوس) لتخبره عن ذلك. أخبر (أتيكوس) الأنسة (روث) أن عليها ألا تقلق، وأن (بوب إيويل) إن أراد أن يناقش "سرقة" (أتيكوس) لوظيفته، فإنه يعرف الطريق للمكتب.

الحدث الثاني أصاب القاضي (تايلور)، والذي لم يكن يذهب للكنيسة في ليلة الأحد، بينما كانت السيدة (تايلور) تذهب. كان القاضي (تايلور) يستمتع بساعة في ليلة الأحد وحيداً في منزله الكبير، وفي وقت الكنيسة كان يكون غارقاً في مكتبته يقرأ في كتابات (بوب تايلور) – الذي لم يكن قريبه، ولكن القاضي كان سيكون فخوراً بإعلان ذلك.

في إحدى ليالي الأحد، بينما كان القاضي غارقاً في الاستعارات المكنية والأسلوب المنمق للكاتب، فقد القاضي تركيزه بسبب صوت خربشة مثير



للإزعاج. "ششش". قالها القاضي لكلبه السمين الذي يصعب وصفه والذي يطلق عليه (آن تايلور). عندها اكتشف أنه كان يخاطب الغرفة الخالية، وأن صوت الخربشة كان يأتي من مؤخرة المنزل. مضى القاضي (تايلور) حتي الشرفة الخلفية ليفتح الباب ل(آن) ولكنه وجد الباب الشبكي مفتوحاً ومتأرجحاً. لمح بطرف عينه شيئاً في ركن المنزل، وكان هذا كل ما تمكن من رؤيته من الزائر. عادت السيدة (تايلور) من المحكمة لتجد زوجها جالساً في كرسيه، غارقاً في كتابات (بوب تايلور)، ويضع بندقية صيد على حجره.

الحدث الثالث أصاب (هيلين روبنسون)، أرملة (توم). إن كان السيد (إيويل) قد نُسي مثل (توم روبنسون)، فإن (توم روبنسون) قد نُسي مثل (بو رادلي). ولكن (توم) لم يكن منسياً من قبل رب عمله السيد (لينك دياس). قام السيد (لينك دياس) بإعطاء (هيلين) وظيفة. لم يكن يحتاجها حقيقةً، ولكنه قال أنه كان يشعر بالسوء للنهائية التي آلت إليها الأمور. لم أكن أعلم من يرعى الأطفال بينما تكون (هيلين) في العمل. قالت (كالبورنيا) أن الأمر كان صعباً على (هيلين) لأنها كانت مضطربة لأن تسيير- ميلاً زائداً حتى تتحاشى آله (إيويل)، والذين "تكالبوا عليها" حينما حاولت استخدام الطريق العام لأول مرة - حسب ما روت (هيلين). لاحظ السيد (لينك دياس) أن (هيلين) كانت تأتي للعمل من الاتجاه الخاطئ، ولذلك استمر يسألها حتى أقرت بالسبب.

راحت (هيلين) تترجى السيد (لينك): "أرجوك أن تترك الأمر يمضي يا سيد (لينك)، أرجوك سيدي". ولكنه أجاب: "فلتحل علي اللعنة لو تركته". أخبرها السيد (لينك) أن تمر عليه في المتجر بعد انتهاء دوامها. حينما جاءت، أغلق السيد (لينك) متجره، ثم وضع قبعته بإحكام على رأسه، ثم سار مع (هيلين) لمنزلها. سار معها عابراً الطريق القصير الذي يمر بمنزل (إيويل). في طريق عودته، توقف السيد (لينك) أمام البوابة المجنونة ونادى: "(إيويل)؟ أنا أناديك يا (إيويل)!!".

كانت النوافذ - التي تكون عادة مكتظة بالأطفال - خالية.

"أعلم أنكم جميعاً في الداخل، مستلقين على الأرض! والآن اسمعني جيداً يا (بوب إيويل): لو سمعت حرفاً من (هيلين) حول عدم قدرتها على اجتياز هذا

الطريق فسوف ألقبك في السجن قبل غروب الشمس!" بصق السيد (لينك) في التراب وسار عائداً للمنزل.

سارت (هيلين) للعمل في الصباح التالي مستخدمة الطريق العام. لم يتكالب عليها أحد، ولكن حينما تجاوزت منزل (إيويل) ببضعة خطوات نظرت وراءها ورأت السيد (إيويل) سائراً خلفها. استدارت مرة أخرى وواصلت المسير، وواصل السيد (إيويل) المسير خلفها تاركاً نفس المسافة بينهما حتى وصلت لمنزل السيد (لينك دياس). قالت (هيلين) أنها كانت تسمع صوتاً خافتاً من خلفها يدندن بألفاظ قبيحة طوال الطريق. كانت خائفة للغاية فاتصلت على السيد (لينك) في متجره، والذي لم يكن يبعد كثيراً عن منزله. حينما خرج السيد (لينك) من متجره وجد السيد (إيويل) مستنداً على السور. بادره السيد (إيويل): "لا تنظر إلي يا (لينك دياس) وكأنني قذارة. أنا لم أهاجم تلك الـ...".

"أول شيء فعلته يا (إيويل) هو أن تخرج جثتك القذرة من ملكيتي. أنت تستند عليها وأنا لا أملك ثمن دهان جديد. الشيء الثاني هو أن تبقى بعيداً عن طباختي وإلا سوف أسجنك بتهمة التعدي...".

"أنا لم ألمسها يا (لينك دياس)، ولست ممن يختلطون بالزواج!".

"لا تحتاج لأن تلمسها، كل ما عليك هو أن تخيفها. وإن كان التعدي غير كافٍ لحبسك في السجن، فسوف أسجنك تحت قانون حماية المرأة. والآن اذهب من أمامي! إن كنت تظنني غير جاد، حاول فقط أن تضايق هذه المرأة مرة أخرى!".

من الواضح أن السيد (إيويل) ظن أنه جاد، لأنه لم يضايق (هيلين) مرة أخرى.

"أنا لست مرتاحة لهذا يا (أتيكوس)، لست مرتاحة على الإطلاق". كان هذا تقييم العمدة (ألكساندرا) حينما علمت بالموضوع. "هذا الرجل لديه ضغينة دائمة ومستمرة ضد كل من كان له علاقة بتلك القضية. أنا أعلم كيف يسوي هؤلاء ضغائنهم، ولكنني لا أفهم لماذا يحمل ضغينة في البدء... لقد سارت القضية على هواه، أليس كذلك؟".

قال (أتيكوس): "أعتقد أنني أفهم. ربما يكون السبب أنه يعلم في قرارة نفسه أن القليل جداً من سكان (مايكومب) هم من صدقوا روايته هو و(مايبيلا) للأحداث. كان يظن أنه سيصبح بطلاً، ولكن كل ما جناه كان هو... هو، حسناً، سوف ندين هذا الزنجي ولكنك ستعود لمكب النفايات. لقد سوى أمره مع الجميع تقريباً، ولذلك أتوقع أن يكون راضياً الآن. سوف يهدأ بالأحاديث حينما يتغير الجو مرة أخرى".

"ولكن لماذا حاول السطو على منزل (جون تايلور)؟ من الواضح أنه لم يكن يعلم أن (جون) كان في المنزل، وإلا لما حاول. المصاييح الوحيدة التي ينيرها (جون) في ليالي الأحد هي على الشرفة الأمامية وفي عرينه الخلفي...".

قال (أتيكوس): "أنت لا تعرفين إن كان (بوب إيويل) هو من كسر الباب، أنت لا تعرفين من فعلها. ولكنني أستطيع أن أخمن. أنا أثبتت أنه كاذب ولكن (جون) جعله يبدو مغفلاً. طوال فترة جلوس (إيويل) على منصة الشهادة لم أكن أجرواً على النظر إلى (جون) وكتم ضحكاتي. كان (جون) ينظر إليه كما لو أنه كان دجاجة بثلاثة سيقان، أو بيضة مربعة. لا تخبريني من فضلك أن القضاة لا يقومون بتحيز المحلفين". أطلق (أتيكوس) ضحكة حينما انتهى.

بنهاية أكتوبر كانت حياتنا قد آلت إلى الروتين المعتاد: مدرسة، لعب، دراسة. بدا أن (جيم) قد نسي الشيء الذي كان يحاول نسيانه، وتركنا زملائنا نتناسى غرائب والدنا. سألتني (سيسل جاكوبز) مرة إن كان (أتيكوس) منظرراً. حينما سألت (أتيكوس)، بدا عليه الاستمتاع لدرجة أنني تضايقت منه، ولكنه قال أنه لم يكن يضحك علي. قال لي: "أخبرني (سيسل) أنني متطرف بنفس درجة (كوتون توم هيفلن)".

ازدهرت العمرة (الكساندرا). لا بد أن الأنسة (مودي) قد أخرجت جميع المتحدثين في الجماعة التبشيرية بضربة واحدة، لأن العمرة سيطرت على الاجتماعات تماماً. صارت مرطباتها أكثر شهية من ذي قبل. تعلمت الكثير عن الحياة الاجتماعية لقوم (مرونا) المساكين من الاستماع للسيدة (ميريويذر): لم يكونوا يستوعبون فكرة العائلة فكانت القبيلة كلها عائلة واحدة كبيرة. كان لكل طفل عدة آباء بعدد الرجال في القبيلة، وعدة أمهات بعدد النساء. كان (ج).

جرايمس إيفيريت) يفعل ما بوسعه لتغيير هذه الحالة، وكان يحتاج لدعواتنا بشدة.

عادت (مايكومب) كما كانت من قبل في السنة التي خلت والسنة التي قبلها، ما عدا تغييرين طفيفين. أولاً، نزع الناس الملصقات التي تقول "قانون الإصلاح الوطني – سنعمل ما بوسعنا" من نوافذ المتاجر والسيارات. سألت (أتيكوس) عن السبب فقال أن ذلك بسبب أن قانون الإصلاح الوطني قد تم وأده. سألته من فعل ذلك فأجاب بأنهم تسعة رجال كهول.

التغيير الثاني في (مايكومب) لم يكن ذا أهمية وطنية. حتى ذلك الوقت، كان عيد الهالووين في (مايكومب) مناسبة غير منظمة على الإطلاق. كان كل طفل يقوم بفعل ما يحلو له، بمساعدة الأطفال الآخرين إن كان هناك شئ يحتاج للنقل، كوضع فانوس أعلى الاسطبل مثلاً. ولكن الأباء ظنوا أن الأمور خرجت عن السيطرة في السنة الماضية، حينما فقدت الأنستان (توتي) و(فروتى) سلامهما.

الآنسة (توتي باربر) والآنسة (فروتى باربر) كانتا أختين عانستين، وكانتا تعيشان في المنزل الوحيد بـ(مايكومب) الذي يحوي قبواً. كانت الإشاعة أن الآنستين (باربر) جمهوريتان، وأنهما هاجرتا من (كلانتون) بولاية (ألاباما) في العام 1911. كان أسلوبهما غريباً علينا، ولم يكن أحد يعلم لماذا تريدان قبواً، ولكنهما أردتا قبواً وحصلتا عليه، ومن ثم قضيتا بقية حياتهما في مطاردة الأطفال خارج القبو.

الآنستان (توتي) و(فروتى) – واسماؤهما الحقيقية هي (سارة) و(فرانسييس) – كانتا فاقدتين للسمع، بالإضافة لأسلوب اليانكي الذي كانتا تتعاملان به. الآنسة (توتي) كانت تنكر صممها، وعاشت في عالم من السكينة. أما الآنسة (فروتى) فلم تكن تريد أن تفقد شيئاً مما يحدث حولها، فكانت تستخدم بوقاً للأذن، وكان كبيراً للغاية لدرجة أن (جيم) قال أنه يشبه مكبر الصوت من ماركة (فكترول).

بهذه المعلومات ومع اقتراب عيد الهالووين، قام بعض الأطفال الخبثاء بالانتظار حتى نامت الآنستان (باربر)، من ثم انسلوا لغرفة المعيشة (لم يكن

أحد يغلق أبوابه في تلك الليلة ما عدا آل رادلي)، وقاموا بنقل جميع الأثاث للقبو بمنتهى السرية. أنا لم أشارك في هذا الحدث على الإطلاق.

"لقد سمعتمهم!". كانت الصبحة التي أيقظت جيران الأنستين (باربر) فجر اليوم التالي. "سمعتمهم يوقفون الشاحنة عند الباب! صوت أقدامهم كان كصوت أقدام الأحصنة. لا بد أنهم قد وصلوا إلى (نيو أورليانز) الآن!".

كانت الأنسة (توتي) متأكدة من أن تجار الفراء المتجولين الذين مروا بالبلدة قبل يومين كانوا هم من سرق الأثاث. قالت الأنسة: "لقد كانوا داكني البشرة. سوريون على الأرجح".

تم استدعاء السيد (هيك تايت) الذي قام بمسح المنطقة ثم قال أنه يظنها عملية محلية. قالت الأنسة (فروتى) أنها تتعرف على أصوات أهل (مايكومب) في أي مكان، وأنه لم يكن هناك أصوات من (مايكومب) في الردهة في الليلة الماضية حينما كانوا يسرقون الأثاث. أصرت الأنسة (توتي) أن يتم استخدام الكلاب البوليسية، فاضطر السيد (تايت) أن يقود مسافة عشرة أميال خارج الطريق العام ليحضر الكلاب البوليسية لتتبع الأثر.

أطلق السيد (تايت) الكلاب عند الدرج الأمامي للأنستين (باربر)، ولكن الكلاب جرت لمؤخرة المنزل وراحت تنبح أمام باب القبو. بعدما أطلقها السيد (تايت) ثلاث مرات وتكرر ذلك، حينها فهم ما يحدث. بحلول الظهيرة، لم يكن هناك طفل واحد يمشي حافياً في (مايكومب)، واستمر الجميع يلبسون أحذيتهم حتى أعيدت الكلاب.

كانت سيدات (مايكومب) يتحدثن أن الأمور ستختلف هذه السنة، لأن قاعة احتفالات المدرسة الثانوية سيتم افتتاحها، وسيتم تنظيم عرض كبير للبالغين، وألعاب متنوعة للأطفال. كما سيكون هناك جائزة تقدر بخمسة وعشرين سنتاً لأفضل زي هالوين تعطى لصاحب الزي.

تأوهنا جميعاً أنا و(جيم). ليس لأننا سنفعل أي شيء، ولكن المسألة كانت مسألة مبدأ. اعتبر (جيم) نفسه كبير السن على ألعاب الهالوين، وقال أنه لن يقترب من المدرسة الثانوية أثناء العرض. أما أنا ففكرت أن (أتيكوس) سيأخذني.

ولكنني عرفت لاحقاً أن خدماتي كانت مطلوبة على المسرح في تلك الأمسية. كانت السيدة (جرايس ميريويدر) قد قامت بتحضير عرض بعنوان (مقاطعة مايكومب: نحو النجوم، رغم المصاعب)، وكان علي أن أؤدي دور خنزير. كانت تظن أنه من الرائع أن يلبس بعض الأطفال أزياءً تمثل منتجات المقاطعة الزراعية، فكان علي (سيسل جاكوبز) أن يتنكر في زي بقرة، وكانت (أجنس بون) ستمثل زبدة الفول، كما كان هناك طفل آخر متنكر في شكل فول سوداني، وهكذا حتى نصب خيال السيدة (ميريويدر) وانتهى صف الأطفال.

دورنا الوحيد، كما أتذكره من البروفتين، كان أن ندخل المسرح من جهة الشمال، بينما تعرفنا السيدة (ميريويدر) للجمهور (لم تكن المؤلفة فحسب بل كانت أيضاً الراوي). حينما نادى: "الخنزير"، كان علي الدخول. بعدها كان علي المجموعة أن تتشد: "مقاطعة (مايكومب)، مقاطعة (مايكومب)، سوف نظل مخلصين لك" في فقرة النهاية، ثم تصعد السيدة (ميريويدر) المسرح حاملة علم الولاية.

لم يشكل زبي مشكلة، فالسيدة (كرينشاو) خياطتنا المحلية كان لديها خيال خصب مثل السيدة (ميريويدر). أخذت السيدة (كرينشاو) بعض السلك الذي نسور به بيوت الدجاج وقامت بثنيه حتى صار في شكل لحم خنزير مطبوخ، ثم غطته بثوب بني وقامت بتلوينه حتى صار يشبه اللحم الأصلي. كان علي أن أنحني تحت الشيء، من ثم يعلق أحدهم الزبي علي، والذي كان يغطي ركبتني. قامت السيدة (كرينشاو) بعمل ثقبين حتى أتمكن من الرؤية، وكان عملها جيداً في مجمله.

قال (جيم) أنني كنت أبدو كلحم خنزير يمشي على قدمين. كان هناك بعض الإخفاقات، حيث أن الزبي كان حاراً وكان مقاسي بالضبط. إن أحسست بحكة في أنفي فلن يمكنني لمسها، وبعد لبس الزبي لم يكن يمكنني الخروج منه بدون معونة.

حينما حل عيد الهالوين توقعت أن تحضر العائلة جميعها لترى أدائي المسرحي، ولكنني أصبت بالإحباط. قال (أتيكوس) بمنتهى الدبلوماسية أنه لا يظن أنه سيتمكن من حضور أي عرض الليلة، وعليه فقد خلد للنوم. كان قد

قضى أسبوعاً في (مونتجمري) وعاد متأخراً عصر ذلك اليوم، وكان يعتقد أن (جيم) سيرافقني إن سألته.

العمة (ألكساندرا) قالت أنه يجب عليها ان تخذ للنوم مبكراً لأنها كانت متعبة من تزيين المسرح طوال اليوم، حتى أنها لم تكمل عبارتها. فتحت فمها ثم أغلقته ثم حاولت أن تقول شيئاً ولكن لم يخرج أي صوت من فمها.

سألتها: "ما المشكلة يا عمتي؟".

أجابت: "لا شيء، لا شيء. أحدهم داس على قيري". بدا عليها أنها تحاول تجاوز الأمر الذي أثار خوفها قبل قليل. اقترحت علي أن أمثل عرضاً سريعاً للعائلة في غرفة المعيشة. تفضل (جيم) بحشري في داخل الزي، ثم وقف على باب غرفة المعيشة ونادى: "خنزير"، تماماً كما كانت السيدة (ميريويذر) ستفعل، ثم دخلت أنا. بدت السعادة على وجهي (أتيكوس) والعمة (ألكساندرا).

أعدت تمثيل دوري في المطبخ أمام (كالبورنيا) التي قالت أنني كنت رائعة. أردت أن أعبر الطريق لمنزل الأنسة (مودي) حتى أريها، ولكن (جيم) قال أنها ستكون حاضرة في المسابقة في جميع الأحوال.

بعد هذا لم يعد مهماً إن كانوا سيحضرون أم لا. قال (جيم) أنه سيرافقني. من هنا بدأت أطول رحلاتنا سوية.

## الفصل 28

كان الجو دافئاً جداً بالنسبة لآخر أيام أكتوبر، حتى أننا لم نحتج لللبس ستراتنا. كانت الرياح تشتد، وقال (جيم) أن هناك فرصة لهطول الأمطار قبل عودتنا للمنزل. لم يكن هناك قمر في السماء. المصباح الموجود في زاوية الطريق كان يلقي ظلالاً حادة على منزل (رادلي). سمعت (جيم) يضحك بهدوء ثم يقول: "أراهن أنه لا أحد سيضايقهم الليلة". كان (جيم) يحمل زيي بطريقة خرقاء لأنه كان صعب الحمل، وهو تصرف شجاع في رأبي.

قلت له: "ولكنه لا زال مكاناً مرعباً، أليس كذلك؟ أعلم أن (بو) لا يقصد إيذاء أي شخص، ولكنني سعيدة لمرافقتك لي".

أجابني: "أنت تعلمين أن (أتيكوس) لم يكن ليتركك تذهبين لمبنى المدرسة وحيدة".

"وهو ما لا أرى سبباً له. المبنى هناك خلف الزاوية وعبر الساحة".

"هذه الساحة كبيرة على الفتيات الصغيرة ليعبرنها في الليل". قال (جيم) مازحاً.

"ألا تخاف من الأرواح الضائعة؟".

ضحكنا سوية. الأرواح الضائعة والتعاويذ والعلامات السرية كانت كلها قد تلاشت مع السنين مثلما يتلاشى الضباب مع شروق الشمس. قال (جيم): "ماذا كانت التعويذة؟ أيها الملاك الناصع، أيها الحياة في الموت، غادر هذا الطريق، ولا تمتص أنفاسي".

"توقف عن هذا الآن". أخبرته إذ وصلنا أمام منزل (رادلي).



## قتل الطائر المحاكي

قال (جيم): "لا بد أن (بو) خارج المنزل. استمعي".

هناك في الظلام على أغصان إحدى الأشجار، راح أحد الطيور المحاكية يخرج مخزونه الغنائي وهو يجهل تماماً صاحب الشجرة التي يقف عليها. تنوع أدائه من الهتاف الحاد لطائر زهرة عباد الشمس، للصرخات الغاضبة لطائر الفيق الأزرق، للمرثيات الحزينة لطيور الليل.

درنا حول الزاوية وتعثرت في جذع شجرة نام في منتصف الطريق. حاول (جيم) أن يساعدني ولكن كل ما فعله كان إلقاء زبي في التراب. لم أقع على الأرض لحسن الحظ، وتابعنا مسيرنا.

غادرنا الطريق ودخلنا فناء المدرسة الذي كان مظلماً تماماً.

"كيف تعرف أين نحن بالضبط يا (جيم)؟". سألته إذ خطونا عدة خطوات للداخل.

"أستطيع أن أقول أننا تحت شجرة البلوط الكبيرة لأننا في بقعة باردة. حاذري لئلا تسقطي مرة أخرى".

رحنا نمشي ببطء حذر متحسسين طريقنا حتى لا نصطدم بالشجرة. كانت الشجرة قديمة للغاية وكبيرة. لو أن طفلين وقفوا حولها فإنهما لن يتمكنوا من إحاطة الجذع بأيديهما. كانت الشجرة بعيدة عن الأساتذة وجواسيسهم والجيران الفضوليين، على الرغم من أنها كانت قريبة من منزل (رادلي)، ولكن آل (رادلي) لم يكونوا فضوليين. قطعة صغيرة من الأرض كانت متصلة تحت الشجرة من جراء المعارك والألعاب الحمقاء التي كان الأطفال يمارسونها في تلك البقعة.

كانت أضواء قاعة المسرح بالمدرسة الثانوية تشتعل من على البعد حتى كادت تعميها. قال (جيم): "لا تنظري للأمام يا (سكاوت)، انظري للأسفل وسوف لن تقع".

"كان يجب أن تحضر المصباح اليدوي يا (جيم)".

## قتل الطائر المحاكي

"لم أكن أظن الليل حالكاً لهذه الدرجة. لم تكن بداية الليلة حالكة الظلام. ربما كان هذا بسبب الغيوم. سوف يستمر هذا لفترة على الأرجح".

قفز أحدهم علينا وصاح (جيم): "يا رب السماوات!".

تفجرت دائرة من الأضواء في وجهنا، وراح (سيسل جاكوبز) يتقافز طرباً وراءها وهو يصيح: "هاهاااا، تمكنت منكما! توقعت أن تأتي من هذا الطريق".

"ما الذي تفعله هنا وحيداً يا فتى؟ ألا تخاف من (بو رادلي)؟".

كان (سيسل) قد وصل القاعة بسلام مع والديه، ولكنه لم يرنا، فقام بهذه المغامرة لأنه كان يعلم جيداً أننا سنأتي، رغم أنه كان يظن أن السيد (فينش) سيكون مرافقاً لنا.

قال (جيم): "للأسف أنت لم تسر أبعد من الزاوية. من الذي يخاف الالتفاف حول الزاوية؟". كان يجب الاعتراف بأن مقلب (سيسل) كان جيداً للأسف. كنا قد خفنا فعلاً، وكان بإمكانه إخبار القصة لكامل المدرسة فهذا كان امتيازه الوحيد علينا الآن.

قلت له: "أست تمثل بقرة الليلة؟ أين زيك؟".

أجابني: "إنه خلف المسرح. قالت السيدة (ميريويذر) أن العرض لن يبدأ لفترة. يمكنك وضع زيك خلف المسرح جوار زبي يا (سكاوت) ومن ثم يمكننا الانضمام للبقية".

ظن (جيم) أن هذه فكرة رائعة، كما ظن أن وجودي مع (سيسل) كان أفضل له، حيث أنه سيتمكن من الانضمام لمن هم في عمره.

حينما وصلنا لقاعة المسرح وجدنا أن البلدة بأكملها قد حضرت ما عدا (أتيكوس) والسيدات اللاتي كن قد تعبن من تزيين المسرح، بالإضافة لبعض المنبوذيين والمنغلقين على أنفسهم. بدا أن أغلب المقاطعة قد حضرت، لأن القاعة كانت مزدحمة بأبناء الريف الذين تزينوا للمناسبة. أسفل مبنى المدرسة

الثانوية كان يحوي بهواً واسعاً امتلأ بالحضور الذين كانوا يدورون حول الأكشاك التي تم تركيبها على جانبي البهو.

تنهدت وقلت حينما رأيت الحضور: "أوه يا (جيم)، لقد نسيت مالي".

قال (جيم): "ولكن (أتيكوس) لم ينس. هذه ثلاثون سنتاً، يمكنك فعل ستة أشياء بها. سأراك فيما بعد".

"حسناً". قلتها وأنا راضية بثلاثين سنتاً ورفقة (سيسل). ذهبت مع (سيسل) إلى مقدمة قاعة المسرح، ثم عبرنا باباً جانبياً ودخلنا الكواليس. تخلصت من زي الخنزير وغادرت باستعجال، لأن السيدة (ميريويذر) كانت واقفة خلف منضدة القراءة أمام الصف الأول، وكانت تقوم بعمل تعديلات مسعورة في اللحظة الأخيرة على النص.

"كم معك من المال؟". سألت (سيسل). كان يحمل ثلاثين سنتاً مثلي، مما جعلنا متساوين. بددنا خمس سنتاتنا الأولى على (منزل الرعب)، والذي لم يكن مرعباً على الإطلاق. أدخلونا غرفة الصف السابع المظلمة، وقادنا الغول الساكن بها حول المكان وهو يخبرنا أن نلمس عدة أشياء زعموا أنها أجزاء من جسم إنسان. "هذه عيناه" أخبرونا بهذا حينما لمسنا عنبتين منزوعتي القشرة داخل صحن صغير. "هذا قلبه" والذي كان ملمسه ككبد نيء. "هذه أحشاؤه" بينما أدخلت أيدينا في صحن من السباجيتي البارد.

زرنا عدة أكشاك، واشترينا كيساً من حلوى السيدة زوجة القاضي (تايلور) المصنوعة منزلياً. أردت أن ألعب لعبة اصطياد التفاح، ولكن (سيسل) قال أن هذا لم يكن صحياً. أخبرته أمه أنه سيمرض بسبب إدخال الجميع لرؤوسهم في نفس الحوض. اعترضت قائلة: "لا يوجد أي مرض في البلدة حالياً لتصاب به". ولكن (سيسل) قال أن أمه قالت أن الأكل بعدما أكل الناس ليس أمراً صحياً. سألت العمدة (ألكساندرا) فيما بعد عن هذا الأمر، وأخبرتني أن الناس الذين يحملون مثل هذه الآراء عادة يكونون متسلقين اجتماعيين.

كنا على وشك شراء كمية من الفطائر حينما ظهر رسول السيدة (ميريويذر) وأخبرنا أن علينا التوجه للكواليس لكي نستعد للعرض. كانت قاعة المسرح

## قتل الطائر المحاكي

مكتظة بالناس، وقد تجمعت فرقة مدرسة مقاطعة (مايكومب) الثانوية في المقدمة أسفل المسرح، بينما تراقصت الستارة الحمراء المخملية من النشاط الدائر خلفها.

في الكواليس، وجدنا أن الرواق الضيق كان مكتظاً بالناس الذين تنوعت أغطية رؤوسهم ما بين القبعات ثلاثية الأركان منزلية الصنع، وقبعات الاتحاد، وقبعات الحرب الأمريكية الأسبانية، وقبعات الحرب العالمية. تجمع الأطفال الذين يمثلون المشاريع الزراعية حول النافذة الوحيدة الصغيرة. "أحدهم هرس زيي"، رحت أندب في يأس، فهزعت السيدة (ميريويذر) إلي وأعادت تشكيل السلك ثم دفعتني داخل الشئ.

سألني (سيسل): "هل أنت بخير في الداخل يا (سكاوت). صوتك بعيد للغاية كأنك على الجانب الآخر من التل".

أجبتة: "أنت أيضاً لا يبدو صوتك قريباً".

عزفت الفرقة النشيد الوطني، وسمعنا الحضور يقفون على أقدامهم. قرعت الطبول، واتخذت السيدة (ميريويذر) مكانها خلف منضدة القراءة المجاورة للفرقة، وأعلنت: "مقاطعة مايكومب: نحو النجوم، رغب الصعاب". تصاعد قرع الطبول مرة أخرى، بينما راحت السيدة (ميريويذر) تترجم حديثها للريفيين: "هذا يعني: النهوض من الطين والوصول للنجوم". ثم أضافت إضافة لا لزوم لها في رأيي: "عرض مسرحي".

"أظن أنه لم يكن بإمكانهم معرفة ذلك بدون إخبارهم". همس بها (سيسل) قبل أن يتم إخراسه على الفور.

"البلدة كلها تعرف ذلك". قلت وأنا أتتنفس بعمق.

قال (سيسل): "ولكن سكان الريف قد حضروا أيضاً".

"فلتصمتوا هناك في الخلف". تصاعد الصوت الرجولي الأمر، فأغلقنا أفواهنا.

كان صوت الطبل يتعالى مع كل جملة تنطقها السيدة (ميريويذر). راحت تترنم بحزن حول كون مقاطعة (مايكومب) أقدم من الولاية نفسها، وأنها كانت جزءاً من منطقتي (المسييسيبي) و(آلاباما)، وأن أول رجل أبيض وضع قدمه في الغابات التي لم يدخلها بشر من قبل كان الجد الأكبر لقاضي الإرث والوصايا، والذي لم يسمع به أحد بعد ذلك. من بعدها جاء الكولونيل الجري (مايكومب) والذي سميت المقاطعة باسمه.

كان (أندرو جاكسون) قد أعطاه السلطة، ولكن بسبب ثقته المفرطة بنفسه وإحساسه الخاطيء بالاتجاهات فإن الكولونيل (مايكومب) قد جلب المصائب على رأس كل من قاتل معه في المعارك ضد الهنود. استمر الكولونيل (مايكومب) في جهوده لجعل المنطقة آمنة لممارسة الديمقراطية، ولكن أول حملة بالنسبة له كانت هي الأخيرة أيضاً. كانت أوامره، والتي بلغها له رسول هندي صديق، أن يتحرك جنوباً. قام الكولونيل باختيار الطريق نحو الجنوب عبر النظر نحو الحزاز النامي فوق الأشجار وتحديد طريقه هكذا، وحاول تابعوه أن يصححوا له خطأه ولكنه أصر على رأيه، من ثم بدأ الكولونيل (مايكومب) رحلته الهادفة لهزم العدو والتي انتهت بضياع قواته داخل الغابات البدائية في الاتجاه الشمالي الغربي، حتى قام بعض المستوطنين بإنقاذهم منها.

تحدثت السيدة (ميريويذر) لنصف ساعة عن مآثر الكولونيل (مايكومب). اكتشفت أنني لو ثنيت ركبتي فعندها يمكنني دسهما تحت زبي والجلوس. جلست أرضاً، واستمعت لدندنة السيدة (ميريويذر) وضربات الطبل حتى غرقت في النوم.

أخبروني فيما بعد أن السيدة (ميريويذر) كانت مجتهدة في تقديم خاتمة العرض، وأنها نادت: "خنزير" بثقة تامة، لأن زبدة الفول وأشجار الصنوبر كانوا قد دخلوا قبلها بانتظام. انتظرت لعدة ثوانٍ، ثم نادت مرة أخرى: "خنزير؟". حينما لم يظهر شيء، صاحت: "خنزير!".

لا بد من أنني قد سمعتها في نومي، أو- أن الفرقة التي كانت تعزف مقطوعة (ديكسي) قد أيقظتني. ولكنني قررت الصعود للمسرح في اللحظة التي اعتلت فيها السيدة (ميريويذر) المسرح بانتصار حاملة علم الولاية. كان اختياري خاطئاً إذ فكرت أنه من الأفضل أن ألحق بالمجموعة.

أخبروني فيما بعد أن القاضي (تايلور) غادر قاعة المسرح ووقف يضحك وهو يضرب ركبتيه بكفيه، حتى اضطرت السيدة (تايلور) لإحضار كوب من الماء وحنة من حبوه ليهدأ.

كان يبدو أن السيدة (ميريويذر) قد قدمت عرضاً رائعاً حيث كان الجميع يهتفون لها، ولكنها أمسكت بي في الكواليس وأخبرتني أنني قد قمت بتخريب عرضها. جعلني حديثها أشعر بالسوء، ولكن (جيم) كان متعاطفاً معي حينما جاء لمرافقتي. أخبرني أنه لم يتمكن من رؤية زبي بصورة جيدة من حيث كان يجلس. لا أفهم كيف تمكن من معرفة أنني كنت أشعر بالسوء من تحت الزي، ولكنه أخبرني ألا أقلق، إذ أنني جئت متأخرة قليلاً فقط. كان (جيم) قد أصبح مقارباً لـ(أتيكوس) في الطريقة التي يجعلك بها لا تشعر بالسوء حينما تسوء الأمور. ولكن حتى (جيم) لم يكن يستطيع أن يقتعني بأن أخرج وأقابل الجمهور، ولذلك اضطر لأن ينتظر معي في الكواليس حتى يغادر الحضور.

سألني: "هل تريد خلع الزي؟".

"لا، سأظل مرتدية إياه". أجبته، إذ يمكنني أن أخفي عاري تحت الزي.

"هل ترغبون بتوصيلة للمنزل؟". سأل أحدهم.

سمعت (جيم) يجيب: "لا يا سيدي، شكراً لك. إنه مشوار قصير".

قال الصوت: "احذروا من الأرواح. والأفضل من ذلك أن تحذروا الأرواح من (سكاوت)".

أخبرني (جيم): "لا يوجد الكثير من الناس الآن. هيا بنا".

عبرنا قاعة المسرح ثم الرواق، ثم نزلنا الدرج. كان الظلام حالكاً. ما تبقى من سيارات كانت متوقفة على الجهة الأخرى من المبنى، وكانت الأنوار الأمامية للسيارات تضيئ المكان قليلاً. قال (جيم): "لو كان بعضهم مضيئاً في اتجاهنا لكان أفضل. هيا يا (سكاوت)، دعيني أمسكك حتى لا تفقدي توازنك".

"يمكنني الرؤية جيداً".

"نعم، ولكن يمكنك أن تفقدي توازنك". أحسست بضغط بسيط على رأسي، وافترضت أن (جيم) قد أمسك بمؤخرة الزي. "هل أمسكت بي؟".

"أها".

بدأنا نقطع فناء المدرسة ونحن نجاهد لرؤية أقدامنا. قلت: "(جيم). لقد نسيت حذائي. إنه خلف الكواليس".

"حسناً، لنعد ونحضره". ولكن أضواء القاعة انطفأت حينما التفتنا لنعود.

قال (جيم): "يمكننا إحضاره غداً".

"ولكن غداً الأحد". اعترضت حينما أدارني (جيم) باتجاه المنزل.

"يمكنك أن تخبري البواب ليدخلك ... (سكاوت)؟".

"هممم؟".

"لا شيء".

لم يفعل (جيم) هذا لفترة طويلة، وتساءلت عما كان يفكر فيه. سوف يخبرني ما يريد حينما يريد ذلك، غالباً عندما نصل للمنزل. أحسست بأصابعه تضغط قمة زبي بقوة. هزرت رأسي وقلت: "(جيم). لا يجب عليك أن...".

"اخرسي لحظة يا (سكاوت)". قال (جيم) وهو يقرصني.

مشينا فترة في صمت ثم قلت: "انتهت اللحظة. ما الذي تفكر فيه؟". التفت لأنظر إليه، ولكنني بالكاد تمكنت من رؤية الخطوط العريضة لجسده.

قال: "ظننت أنني سمعت شيئاً. توقفي لحظة". توقفنا جميعاً.

سألته: "هل تسمع أي شيء؟".

"لا".

تحركنا أقل من خمس خطوات حينما أوقفني مرة أخرى.

"هل تحاول إخافتي يا (جيم)؟ أنت تعلم أنني أكبر من أن...".

"اصمتي". قالها فعرفت أنه لا يمزح.

كان الليل هادئاً، وكنت أسمع صوت تنفسه من ورائي. أحياناً كان بعض النسيم يضرب قدمي العاريتين، وكان هذا كل ما تبقى من الليلة التي توقعناها أن تكون عاصفة. كان هذا الهدوء قبل العاصفة. أصخنا السمع ثم قلت: "سمعت صوت كلب عجوز".

قال (جيم): "ليس هذا هو. أنا أسمعه حينما نمشي، ولكنه يتوقف حينما نتوقف".

"إنها صلصلة زيبي. أوه، أنت متأثر بالهالوين...".

قلت هذا لأقتع نفسي بأكثر من (جيم)، لأننا حينما بدأنا السير مرة أخرى، سمعت ما كان يتحدث عنه، ولم يكن الصوت صادراً من زيبي.

قال (جيم): "هذا على الأغلب (سيسل)، ولكنه لن يخدعنا مرة أخرى. لا تدعيه يظن أننا خائفان".

أبطأنا السير حتى صرنا نرحف. سألت (جيم) كيف يمكن أن يتابعنا (سيسل) في الظلام. توقعت أن يصطدم بنا من الخلف.

قال (جيم): "أستطيع أن أراك يا (سكاوت)".

"كيف؟ أنا لا أستطيع أن أراك".



"شرائطك الدهنية ظاهرة. السيدة (كرينشاو) دهنتهم بشئ لامع حتى يظهر وا بوضوح تحت الأضواء. أنا أراك بوضوح وأتوقع أن (سيسل) يراك أيضاً بوضوح مما يساعده ليترك مسافة بيننا وبينه".

أردت أن أعلن لـ(سيسل) أننا نعلم أنه خلفنا وأنا نترقبه، لذلك التفت فجأة وصحت: "(سيسل جاكوبز) دجاجة كبيرة مبتلة!".

توقفنا وصمتنا. لم يكن هناك رد غير "مبتلة" التي ردها الصدى.

قال (جيم): "سوف أناديه. هيببييه!".

تردد الصدى: "هيببيبييه". لم تكن من عادة (سيسل) أن يظل مختبئاً لفترة طويلة، إذا قام بأداء مقلب فإنه سيعيده مرة أخرى كما هو، لذلك كان يجب أن يهاجمنا قبل فترة طويلة. أشار لي (جيم) لأتوقف مرة أخرى وقال بهدوء: "هل يمكنك أن تخلعي هذا الشئ يا (سكاوت)؟".

"أظن ذلك، ولكنني لا ألبس الكثير تحته".

"لدي فستانك هنا".

"لا يمكنني ارتداؤه في الظلام".

قال (جيم): "حسناً، انسي الموضوع".

"هل أنت خائف يا (جيم)؟".

"لا. أظن أننا اقتربنا من الشجرة الآن. بعدها بعدة ياردات سنكون في الطريق وستتمكن من رؤية أضواء الطريق". كان صوت (جيم) هادئاً وخالياً من المشاعر. تساءلت كم من الزمن سيواصل خرافة (سيسل) الذي يتبعنا.

"هل تظن أننا يجب أن نغني يا (جيم)؟".

"لا. الزمي الهدوء مرة أخرى يا (سكاوت)".

لم نغير من سرعة مشينا. كان (جيم) يعلم – كما أعلم – أنه من الصعب السير بسرعة بدون إصابة إصبعك أو التعثر بحجر أو الاصطدام بأي عقبة أخرى، كما أنني كنت حافية القدمين. ربما كان ذلك حفيف الرياح بين أوراق الشجر. ولكن لم يكن هناك ريح، كما لم يكن هناك أشجار غير شجرة البلوط الكبيرة.

كان مرافقنا يجر جر قدميه كما لو أنه يلبس حذاءً ثقيلاً، كما أنه كان يلبس بنطالاً قطنياً سميكاً. ما ظننته حفيف الأشجار كان صوت انزلاق القطن فوق بعضه مع كل خطوة يخطوها.

أحسست ببرودة الرمال تحت قدمي وعرفت أننا اقتربنا من شجرة البلوط الكبيرة. ضغط (جيم) على رأسي فوقنا وأرهفنا السمع.

هذه المرة لم تتوقف جرجرة الأقدام، واستمر البنطال في الحفيف بهدوء وانتظام، ثم توقفت فجأة. كان الشخص يجري نحونا في خطوات كبيرة.

صاح (جيم): "اجري يا (سكاوت)! اجري! اجري!"

خطوت خطوة كبيرة ووجدت نفسي أترنح. لم أتمكن من استخدام يدي، وفي هذا الظلام لم أتمكن من الحفاظ على توازني.

"(جيم)، (جيم)، ساعدني يا (جيم)!"

شئ ما أصاب السلك المحيط بي فتحطم الحديد على بعضه وسقطت أرضاً. تدرجت لأبعد مسافة ممكنة وأنا أتخبط للفرار من سجني المعدني. من مكان قريب تصاعدت أصوات الشجار والركل والأحذية على الأرض والقذارة التي راحت تعلق بالأجساد. تدرج شخص ما بجانبني واتضح أنه (جيم). قفز واقفاً على قدميه بسرعة البرق وجذبني لأنهض وأجري، ولكنني كنت لا أزال مشتبكة في الزبي فلم أتمكن من السير بعيداً.

كنا قد اقتربنا من الطريق حينما أحسست بيد (جيم) تفارقني، وأحسست به يهتز ويسقط خلفاً على الأرض. تعالي صوت العراك مرة أخرى، وصاحبه صوت طحن وصياح (جيم).

ركضت باتجاه صرخة (جيم) وغرقت في بطن الرجل المترهل. صاح صاحب البطن: "أوووف!" وحاول القبض على ذراعي، ولكنهما كانا موتقتين في الزرني. كانت بطنه مترهلة ولكن ذراعيه كانتا من الحديد. قبض علي وراح يعصر الهواء من صدري ببطء. لم أتمكن من الحراك. فجأة اهتز وسقط خلفاً، وكاد يحملني معه. عرفت حينها أن (جيم) عاد للمعركة.

عقل المرء يفكر ببطء شديد أحياناً، وهذا ما حدث لأنني وقفت مكاني بمنتهى الغباء. كانت أصوات العراك تتلاشى، بعدها سمعت لهاث شخص ما، ثم عاد الليل ساكناً كما كان، فيما عدا صوت التنفس الثقيل لشخص ما المصاحب لصوت المشي المترنح. أعتقد أن الشخص قد سار نحو الشجرة واستند عليها. ثم تصاعدت كحة عنيفة، أشبه بشهقة قوية تهز الضلوع.

"(جيم)؟"

لم يكن هناك إجابة غير صوت التنفس الثقيل.

"(جيم)؟"

لم يجب (جيم).

بدأ الرجل يتحرك في الجوار وكأنه يبحث عن شيء ما. سمعته يتأوه ويجر شيئاً ثقيلاً على الأرض. فجأة انتبهت أن هناك أربعة أشخاص تحت الشجرة.

"(أتيكوس)...؟"

كان الرجل يسير بثقل وعدم اتزان نحو الطريق.

سرت نحو المكان الذي كان يشغله الرجل ورحت أجري بحثاً محموماً على الأرض بأصابع قدمي. لمست شيئاً ما.

"(جيم)؟"

أحسست بأصابع قدمي بنظالاً، ثم المشبك المعدني لحزام، ثم أزرار قميص، ثم شئ آخر لم أتمكن من معرفته، ثم ياقة قميص، وأخيراً وجه الشخص. الذقن النامية على الوجه أخبرتني ان هذا ليس (جيم). كما تصاعدت أيضاً رائحة الويسكي المتعفن.

شقت طريقي نحو ما ظننه اتجاه الطريق الرئيسي. لم أكن متأكدة لأنني قد استدرت عدة مرات، ولكنني تمكنت أخيراً من إيجاد الطريق ونظرت نحو المصباح حيث كان الرجل يمر من تحته. كان الرجل يسير بالخطوات المتقطعة المميزة لمن يحمل حملاً ثقيلاً عليه، وكان يدور حول الزاوية. كان يحمل (جيم)، الذي كانت ذراعه تتدلى بحرية أمامه.

حينما وصلت الزاوية كان الرجل قد قطع فناءنا الأمامي. الضوء الآتي من الباب الأمامي أراني (أتيكوس) للحظة، والذي هبط الدرج مسرعاً وأعان الرجل على حمل (جيم) لداخل المنزل.

كنت قد وصلت الباب الأمامي حينما دخلا البهو. جاءت العممة (ألكساندرا) تجري إلي، بينما صاح (أتيكوس) بصوت حاد من داخل غرفة (جيم): "اتصلي على الدكتور (رينولدز)! أين (سكاوت)؟".

صاحت العممة (ألكساندرا) مجيبة: "إنها هنا". جذبتني معها نحو الهاتف وراحت تتحسني بقلق. أخبرتها: "أنا بخير يا عمتي. من الأفضل أن تجري الإتصال". جذبت السماعية من الجهاز وقالت: "(إيولا ماي). اتصلي على الدكتور (رينولدز)، بسرعة!".

"(أجنس)، هل أبوك في المنزل؟ يا إلهي، أين هو إذاً؟ أرجوك أن تخبريه أن يحضر لمنزلنا فور عودته. أرجوك، الأمر طارئ!!".

لم تكن العممة (ألكساندرا) تحتاج لتعريف نفسها. الناس في (مايكومب) كانوا يعرفون بعضهم من الصوت.

جاء (أتيكوس) خارجاً من غرفة (جيم). تناول الساعة من يد العمّة في اللحظة التي أنهت فيها اتصالها، ثم ضغط الكلاب عدة مرات وقال: "(أيولا ماي). صليني بالمأمور من فضلك".

"(هيك)؟ أنا (أتيكوس فينش). أحدهم هاجم طفلي، و(جيم) مصاب. في الطريق بين منزلي والمدرسة. لا أستطيع أن أفارق ولدي. أرجوك أن تذهب للخارج وترى إن كان الجاني لا زال في الجوار. لا أظن أنك ستجده الآن، ولكنني أرغب في رؤيته إن وجدته. أنا مضطر للذهاب. شكراً يا (هيك)".

"هل (جيم) ميت يا (أتيكوس)؟".

"لا. يا (سكاوت) - أرجو - أن تقوم برعايتها يا أختي" - صاح أبي - بينما اختفى داخل البهو.

ارتجفت أصابع العمّة (ألكساندرا) وهي تفك القماش والمعدن المتقطع من حولي. سألتني مراراً وهي تحررني من الزي: "هل أنت بخير يا عزيزتي؟".

كنت مرتاحة لخروجي من الشرك. كانت ذراعِي قد صارتا خدرتين، كما امتلأتا بأشكال سداسية حمراء اللون. فركت ذراعِي وأحسست بتحسن.

"هل (جيم) ميت يا عمتي؟".

"لا... لا. يا عزيزتي، هو فاقد للوعي فحسب. لا نستطيع أن نعرف مدى سوء الوضع حتى يأتي الدكتور (رينولدز). ما الذي حدث يا (جين لويس)؟".

"لا أعرف".

لم تزد العمّة حرفاً وأحضرت لي شيئاً ألبسه. لو فكرت في الأمر حينها لما تركتها تنسى الموضوع، لأنه في وسط ارتباكها، قامت العمّة بإحضار ثوب العمل الذي كنت ألبسه كثيراً وقالت: "البسي هذا يا عزيزتي"، وناولتني الملابس التي كانت تحتقرها بشدة.

أسرعت العمدة عائدة لغرفة (جيم)، ثم عادت إليّ في البهو. ربتت عليّ بعدم تركيز، ثم عادت لغرفة (جيم) مرة أخرى.

توقفت سيارة أمام المنزل. كنت أعرف صوت خطوات الدكتور (رينولدز) جيداً كما كنت أعرف صوت خطوات أبي. كان هو من استقبلني أنا و(جيم) إلى هذا العالم، وهو من قادنا خلال كل أمراض الطفولة بما فيها المرة التي سقط فيها (جيم) من بيت الشجرة، كما أننا لم نفقد صداقته أبداً. كان الدكتور (رينولدز) يقول أن الأمر كان سيختلف لو كنا من الكائنات التي يمكن سلقها، ولكنني أستبعد ذلك.

دخل الدكتور من الباب وقال: "يا إلهي الرحيم". مشى نحوي ثم قال: "أنت لا زلت واقفة على قدميك"، ثم غير مساره. كان يعرف جميع الغرف في المنزل، كما أنه كان يعرف أنني إن كنت في حالة سيئة فإن (جيم) سيكون كذلك.

بعد فترة طويلة للغاية عاد الدكتور (رينولدز). سألته: "هل مات (جيم)؟".

قال وهو يجثم إلى جوارِي: "بل هو بعيد عن ذلك. لديه كدمة على رأسه كذلك التي على رأسك، ولديه ذراع مكسور. انظري في هذا الاتجاه يا (سكاوت)... لا، لا تديري رأسك، فقط حركي عينيك. والآن انظري هناك. لديه كسر سيء، حتى الآن أستطيع أن أقول أنه في الكوع. كما لو أن أحدهم كان يحاول انتزاع ذراعه... والآن انظري نحوي".

"إذاً هو ليس ميتاً؟".

"لااااا!!" - وقف الدكتور (رينولدز) على قدميه وقال: "لا- يمكننا فعل الكثير الليلة، عدا أن نحاول جعله مستريحاً قدر الإمكان. سنحتاج لعمل صورة أشعة لذراعه... يبدو أنه سيضطر لتعليق ذراعه جوار جسده لفترة. ولكن لا تقلقي، سوف يعود مثل الأول. الأولاد في عمره يستعيدون عافيتهم".

كان الدكتور (رينولدز) ينظر إليّ باهتمام وهو يتحدث، كما كان أصابعه تتلمس الكدمة التي كانت تتكون على جبهتي. "أنت لا تحسين بكسر في أي مكان، أليس كذلك؟".

## قتل الطائر المحاكي

جعلتني دعاة الدكتور (رينولدز) البسيطة هذه ابتسم. قلت: "إذا أنت لا تظن أنه ميت؟".

وضع قبعته على رأسه وقال: "ربما أكون مخطئاً بالطبع، ولكنني أظنه حياً للغاية. لديه جميع الأعراض الملائمة لذلك. ادخلي وألقي نظرة عليه، وحينما أعود سوف نجتمع ونقرر".

كانت خطوات الدكتور (رينولدز) شابة وسريعة، على عكس خطوات السيد (هيك تايت). كان حذاؤه الثقيل يعاقب الشرفة بخطوه، ثم انفتح الباب بصورة مرتبكة، ولكنه قال نفس ما قاله الدكتور (رينولدز) حينما حضر، وأضاف: "هل أنت بخير يا (سكاوت)؟".

"نعم سيدي. أنا ذاهبة لأرى (جيم). (أتيكوس) بالداخل معه".

قال السيد (تايت): "سأرافك إذا".

كانت العمدة (ألكساندرا) قد غطت مصباح القراءة الخاص بـ(جيم) بمنشفة، فصارت الغرفة معتمة. كان (جيم) راقداً على ظهره. كانت هناك علامة قبيحة ظاهرة على جانب وجهه. كانت ذراعه اليسرى راقدة بعيداً عن جسده، والتوى كوعه ولكن في الاتجاه الخاطئ. كان (جيم) مقطباً.

"(جيم)...؟".

تحدث (أتيكوس): "لا يمكنه أن يسمعك يا (سكاوت)، إنه فاقد للوعي. كاد يستعيد وعيه، ولكن الدكتور (رينولدز) قام بتخديره".

"حسناً سيدي". تراجعت للخلف. كانت غرفة (جيم) كبيرة ومربعة. كانت العمدة (ألكساندرا) تجلس على كرسي هزاز جوار المدفأة. الرجل الذي أحضر (جيم) كان واقفاً في الركن، مستنداً إلى الحائط. كان ابن بلد ولكنني لم أتمكن من معرفته. على الأرجح أنه كان في العرض ومن ثم كان قريباً منا حينما حدث ما حدث. لا بد أنه سمع صراخنا فجاء يجري إلينا.

كان (أتيكوس) يقف جوار سرير (جيم).

وقف السيد (هيك تايت) في المدخل. قبعته كانت في يده، وبدا المصباح اليدوي بارزاً من جيب بنطاله. كان يلبس ملابس العمل.

قال (أتيكوس): "ادخل يا (هيك). هل تمكنت من العثور على أي شيء؟ لا أستطيع أن أتخيل أن هناك شخصاً حقيراً لدرجة أن يفعل شيئاً كهذا، ولكنني أرجو أن تكون قد وجدته".

استنشق السيد (تايت)، ثم ألقى نظرة حادة إلى الرجل الواقف في الركن وأوماً إليه، ثم نظر حول الغرفة: نحو (جيم)، ثم العمدة (ألكساندرا)، ثم (أتيكوس).

"اجلس يا سيد (فينش)". قالها بهدوء.

أجاب (أتيكوس): "انجلس جميعاً. اجلس على ذلك الكرسي يا (هيك). سوف أحضر واحداً آخر من غرفة المعيشة".

جلس السيد (تايت) في كرسي القراءة الخاص بـ(جيم)، وانتظر حتى عاد (أتيكوس) وسوى نفسه جالساً. تساءلت لم لم يحضر (أتيكوس) كرسيّاً للرجل الواقف في الركن، ولكن (أتيكوس) كان يعرف أساليب أبناء البلد أفضل مني. بعض عملائه من أبناء الريف كانوا يربطون أحصنتهم تحت أشجار العنب في الفناء الخلفي، وكان (أتيكوس) يجري مقابلاته معهم على الدرج الخلفي. هذا الرجل كان على الأرجح مرتاحاً بوقوفه.

قال السيد (تايت): "سيد (فينش). سوف أخبرك بما وجدته. وجدت فستان فتاة صغيرة، وهو موجود في سيارتي. هل هذا فستانك يا (سكاوت)؟".

أجبتة: "نعم سيدي، إن كان وردياً بزخارف". ولكن السيد (تايت) كان يتصرف كما لو كان واقفاً على منصة الشهادة. كان يحب رواية الأمور بطريقته الخاصة، بدون أن يقيده ادعاء أو دفاع، وأحياناً كان يستغرق وقتاً في ذلك.

"وجدت قطعاً غريبة من لباس بلون الطين...".

"هذا زيي التنكري يا سيد (تايت)".



أجرى السيد (تايت) يديه على فخذه، ثم حك ذراعه اليسرى وبحث في رف الموقد، ثم بدا أنه مهتم جداً بالمدفأة. راحت أصابعه تبحث في أنفه الطويل.

سأله (أتيكوس): "ما الأمر يا (هيك)؟".

بحث السيد (تايت) عن رقبتة وحكها، ثم قال: "(بوب إيويل) يرقد على الأرض تحت تلك الشجرة، وسكين مطبخ مغروس في صدره تحت ضلوعه. لقد فارق الحياة يا سيد (فينش)".

## الفصل 29

نهضت العمدة (ألكساندرا) وأمسكت برف الموقد. نهض السيد (تايت) لمعاونتها ولكنها رفضت. للمرة الأولى فشل (أتيكوس) في أن يكون مجاملاً. فقط جلس مكانه بلا حراك.

لسبب ما، تذكرت السيد (بوب إيويل) وهو يقول أنه سينتقم من (أتيكوس) ولو استغرقه الأمر بقية حياته. كاد السيد (إيويل) يتمكن منه، وكان هذا آخر شيء يفعله في حياته.

"هل أنت متأكد؟". تساءل (أتيكوس) ببؤس.

قال السيد (تايت): "إنه ميت بالتأكيد. إنه ميت وهذا جيد لأنه لن يؤدي هؤلاء الأطفال مرة أخرى".

"لم أكن أعني هذا". بدا (أتيكوس) وكأنه يتحدث أثناء النوم. بدأ عمره الحقيقي بالظهور على شكله. خط فكه القوي الذي كان يدل على عزمته بدأ في التلاشي، كما بدأت تظهر التجاعيد تحت أذنيه، وبدت الشعيرات الرمادية على صدغيه أوضح للعين من بقية شعره الأسود.

تحدثت العمدة (ألكساندرا) أخيراً: "أليس من الأفضل أن نذهب لغرفة المعيشة؟".

قال السيد (تايت): "إن لم تكونوا تمانعون، أفضل أن نبقى هنا إن لم يكن في هذا ضرر على (جيم). أرغب بفحص جراحه بينما تخبرنا (سكاوت) ما حدث".

سألت العمدة: "هل يمكنني المغادرة؟ أنا أشكل إضافة لا لزوم لها هنا. سأكون في غرفتي إن احتجتني يا (أتيكوس). سارت العمدة نحو الباب، ثم توقفت

والتفتت: " (أتيكوس). لقد راودني شعور سيئ في بداية هذه الليلة... أنا... هذا خطئي. كان يجب أن...".

رفع السيد (تايت) يده. "يمكنك المغادرة يا أنسة (ألكساندرا). أعلم أن هذه كانت صدمة كبيرة بالنسبة لك. وأرجو ألا تقلقي حيال أي شيء. لو كنا سنتابع شعورنا طوال الوقت لصرنا مثل القطط التي تطارد ذبولها. أنسة (سكاوت)، حاولي أن تخبرينا ما حدث طالما ذاكرتك منتعشة. هل يمكنك ذلك؟ هل رأيت الرجل وهو يترصدكما؟".

سرت نحو (أتيكوس) وأحسست بذراعيه تضمامني. دسست رأسي في حجره. "كنا نسير نحو المنزل. أخبرت (جيم) أنني قد نسيت حذائي. استدرنا لنعود ولكن الأضواء انطفأت. أخبرني (جيم) أنني يمكنني العودة لجلب حذائي غداً...".

قال (أتيكوس): "ارفعي رأسك يا (سكاوت) حتى يتمكن السيد (تايت) من سماعك". زحفت لأجلس على حجره وواصلت: "عندها أخبرني (جيم) أن أحرص لحظة. ظننته يفكر. كان دائماً ما يخبرني أن أصمت حينما يفكر... عندها قال أنه سمع صوتاً. كنا نظنه (سيسل)".

"(سيسل)؟"

"(سيسل جاكوبز). كان قد أخافنا في بداية الأمسية وظننا أنه يحاول إرعابنا مرة أخرى. كان يلبس رداءً. كان هناك جائزة لأحسن زي ولكنني لا أدري من فاز بها...".

"أين كنتما حينما ظننتما أنه (سيسل)؟"

"على مقربة من مبنى المدرسة. صحت فيه...".

"ماذا قلت حينما صحت؟"

"(سيسل جاكوبز) دجاجة كبيرة سمينة، على ما أظن. لم نسمع شيئاً... ثم صاح (جيم): مرحباً، أو شيء كهذا، بصوت عالٍ يكفي لإيقاظ الموتى...".

قاطعني السيد (تايت): "لحظة يا (سكاوت). هل سمعت الصياح يا سيد (فينش)؟".

قال (أتيكوس) أنه لم يسمع شيئاً لأنه كان يستمع للمذياح، كما كانت العمة (ألكساندرا) تستمع للمذياح في غرفتها. تذكر (أتيكوس) هذا لأنها أخبرته أن يخفض صوت مذياحه حتى تستمع لمذياحها. ابتسم (أتيكوس) وقال: "أنا دائماً ما استمع للمذياح بصوت عالٍ".

غمغم السيد (تايت): "أتساءل إن كان الجيران قد سمعوا شيئاً...".

"أشك في ذلك يا (هيك). أغلب الجيران يستمعون للمذياح أو يخلدون للنوم مبكراً. ربما كانت (مودي أتكسون) متيقظة ولكنني أشك في ذلك".

قال السيد (تايت): "واصلني يا (سكاوت)".

"حسناً. بعدما صاح (جيم)، واصلنا المسير. كنت صامتة آنذاك يا سيد (تايت)، ولكنني تمكنت من سماع الصوت. أعني صوت الأقدام. كانت الأقدام تسير حينما نسير وتتوقف حينما نتوقف. قال (جيم) أنه يستطيع أن يراني لأن السيدة (كربينشاو) وضعت بعض الطلاء البراق على زيي. كنت ألبس زي خنزير".

"كيف هذا؟". تساءل السيد (تايت) مندهشاً.

شرح (أتيكوس) دوري للسيد (تايت)، كما شرح له تركيب اللباس. قال: "كان يجب أن تراها حينما دخلت. تحطم الزي كلبّ ثمرة".

حك السيد (تايت) ذقنه وقال: "كنت مستغرباً من العلامات التي وجدتها عليه. أكمامه كانت تحوي ثقوباً صغيرة، كما كانت هناك ثقوب صغيرة على ذراعيه تتماشى مع ثقوب الأكمام. هل يمكنني أن أرى هذا الشيء لو سمحت؟".

جلب (أتيكوس) ما تبقى من الزي. قلبه السيد (تايت) ثم تناه ليفهم كيف كان شكله الأولي. قال بعدها: "هذا الشيء أنفذ حياتها على الأرجح. انظر".

أشار بسببته نحو خط طويل لامع انتصب فوق السلك وغمغم: "(بوب إيويل) كان جاداً".

قال (أتيكوس): "لقد جن الرجل".

"لا أريد أن أعاركك يد سيد (فينش)... ولكنه لم يكن مجنوناً بل لئيماً. شخص لئيم وحقير ومنتشع بالكحول لدرجة جعلته يجد الشجاعة لقتل الأطفال. لم يكن بإمكانه مواجهة وجهك".

هز (أتيكوس) رأسه. "لا أستطيع تخيل رجل يمكنه أن...".

"سيد (فينش). هناك بعض الرجال الذين يتوجب عليك أن تطلق عليهم النار قبل إلقاء التحية. حتى في ذلك الحين هم لا يساوون الطلقة التي تطلقها عليهم. (إيويل) كان واحداً من هؤلاء".

قال (أتيكوس): "كنت أظن أنه أفرغ مشاعره في اليوم الذي هددني فيه. حتى لو لم يكن كذلك، كنت أظنه سيترصدني أنا".

"كان لديه من الشجاعة ما جعله يضايق امرأة ملونة. كان لديه من الشجاعة ما جعله يضايق القاضي (تايلور) حينما ظن المنزل خالياً. هل كنت تظن أنه سيقابلك وجهاً لوجه في وضوح النهار؟". تنهد السيد (تايت) ثم واصل: "من الأفضل أن نواصل. (سكاوت). قلت أنك سمعته خلفكما...".

"نعم سيدي، حينما كنا تحت الشجرة...".

"كيف عرفت أنكما تحت الشجرة؟ لم تكونا تستطيعان رؤية أي شيء هناك".

"كنت حافية و(جيم) قال أن الأرض تكون باردة تحت الشجرة".

"سنضطر لجعله نائب المأمور إذاً. واصل الحكاية".

"فجأة أمسك بي شيء ما وحطم الزبي... أعتقد أنني سقطت على الأرض... بعدها سمعت عراكاً تحت الشجرة وكأنما... بدا الصوت وكأنما كانوا يضربون

بعضهم على جذع الشجرة. وجدني (جيم) وبدأ يجرنني نحو الطريق. شخص ما... السيد (إيويل)، جذبته بعنف وألقاه أرضاً، حسبما أعتقد. تعاركا مرة أخرى، ثم سمعت هذا الصوت الغريب... ثم صاح (جيم)...". توقفت عن السرد. كان ذلك صوت ذراع (جيم) وهي تتحطم.

"على كل حال. صاح (جيم) ثم لم أسمع صوته مرة أخرى. الشيء التالي التي أدركته كان السيد (إيويل) وهو يعصرني ليقتلني على ما أظن... ثم جذب شخص ما السيد (إيويل). أظن أن (جيم) كان قد نهض مرة أخرى. هذا كل ما أعرفه...".

"ثم ماذا؟". كان السيد (تايت) ينظر لي بانتباه.

"كان هناك شخص يترنح ويلهث، كما كان يكح بشدة. ظننته (جيم) في البداية، ولكن الصوت لم يكن يشبه صوت (جيم). بدأت أبحث عنه على الأرض. ظننت أن (أتيكوس) جاء ليساعدنا ولكنه تعب من العراك...".

"من كان هناك؟".

"ولكنه واقف هنا يا سيد (تايت)، ويمكنه أن يخبرك باسمه".

قلت هذا وأنا أشير للرجل الواقف في الركن، ولكنني خفضت اصبعي بسرعة حتى لا يوبخني (أتيكوس) لأن الإشارة للناس أمر غير مهذب.

كان الرجل لا يزال مستنداً إلى الحائط. عندما دخلت للغرفة كان يقف مستنداً إلى الحائط وذراعه معقودتان أمام صدره. حينما أشرت إليه أنزل ذراعيه وضغط كفيه إلى الجدار. كانت كفاه بيضاء اللون وشاحبة كيديني لم تريا ضوء النهار قط. كانتا بيضاوين لدرجة جعلتهما تتوجهاً أمام اللون الأصفر الشاحب للحائط.

نظرت إلى يديه ثم إلى بنطاله الكاكي المتسخ بالرمال، ثم أجلت عيني في بنيته النحيلة وقميصه المقطع المصنوع من قطن (الذنييم). كان وجهه في بياض يديه، ما عدا بروزاً خفيفاً على فكه. كان فكاه ضامرين كفجوتين، وكان فمه واسعاً،

كما كانت هناك فجوات خفيفة على صدغيه. كانت عيناه رماديتي اللون حتى كأنه لا يرى بهما. كان شعره باهتاً وخفيفاً، كأنه ريش على قمة رأسه.

حينما أشرت إليه انزلت كفاه قليلاً تاركتين خطوطاً دهنية متعركة على الحائط، بعدها شبك إبهاميه على حزامه. سرت في جسده رعدة خفيفة وكأنه سمع صوت أظافر تخدش سطحاً صلباً. تطلعت إليه بينما زال التوتر تدريجياً من وجهه. افتر ثغره عن ابتسامة خجولة، وتشوشت صورة جارنا حينما اغرورقت عيناها بالدموع.

قلت له: "مرحباً، (بو)".

## الفصل 30

"السيد (آرثر)، يا عزيزتي". قال (أتيكوس) مصححاً. "هذا السيد (آرثر رادلي) يا (جين لويس). أعتقد أنه يعرفك بالفعل".

إن كان (أتيكوس) قام بتعريفني إلى (بو رادلي) بهذه الطريقة المتملقة فذلك لأنه... (أتيكوس).

رأني (بو) أركض تلقائياً لسرير (جيم)، لأن نفس الالتهامة الخجولة علت وجهه مرة أخرى. حاولت أن أعطي حرجي بأن قمت بتغطية (جيم).

قال (أتيكوس): "أهاهاه، لا تلمسيه".

راح السيد (هيك تايت) يطالع (بو) باهتمام من وراء زجاج نظارته. كان على وشك التحدث حينما وصل الدكتور (رينولدز) إلى البهو.

قال الدكتور (رينولدز) وهو يدخل من الباب: "أرجو من الجميع المغادرة. مساء الخير، (آرثر). لم أرك في المرة الأولى التي أتيت فيها".

كان صوت الدكتور (رينولدز) مرحاً كخطوته، كما لو أنه كان يلقي هذه التحية طوال حياته. أذهلتني هذه المفاجأة بأكثر من حقيقة وجودي في نفس الغرفة مع (بو رادلي). بالطبع، حتى (بو رادلي) كان يمرض في بعض الأحيان. فكرت في هذا الأمر ولكنني لم أكن متأكدة.

كان الدكتور (رينولدز) يحمل رزمة كبيرة ملفوفة في جريدة، وضعها على طاولة (جيم) ثم خلع معطفه وتحدث إلي: "هل أنت مقتنعة الآن بأنه على قيد الحياة؟ سأخبرك كيف عرفت. حينما حاولت فحصه قام بركلي. اضطررت لتخديره حتى أتمكن من لمسه. إذا؟ انصراف".



قال (أتيكوس) وهو ينظر نحو (بو): "آآآآ. هيا بنا للشرفة الأمامية يا (هيك). هناك العديد من الكراسي على الشرفة، والجو لا زال دافئاً".

تساءلت لم دعانا (أتيكوس) للشرفة الأمامية بدلاً عن غرفة المعيشة، ثم فهمت السبب. كانت أضواء غرفة المعيشة قوية للغاية. غادرنا جميعاً، يتقدمنا السيد (تايت) بينما وقف (أتيكوس) على الباب منتظراً إياه ليخرج، ثم غير رأيه وخرج خلف السيد (تايت).

هناك عادة غريبة لدى الناس بفعل الأشياء التي يفعلونها يومياً حتى في أغرب الظروف، وأنا لم أكن استثناءً. سمعت نفسي أقول: "هيا بنا يا سيد (آرثر). أنت لا تعرف المنزل جيداً. سوف آخذك للشرفة يا سيدي".

نظر نحوي ثم أوماً برأسه. قدته عبر البهو ثم غرفة المعيشة.

"ألا تأخذ مقعداً يا سيد (آرثر)؟ هذا الكرسي الهزاز لطيف ومريح".

كان تخيلي الطفولي قد صار حياً مرة أخرى: تخيلته جالساً على الشرفة، بينما أحاوره عن الطقس ويجيبني عن ذلك. كنت لا أزال في عالم الخيال حينما قدته لأبعد كرسي عن (أتيكوس) والسيد (تايت) والذي كان غارقاً في الظل. (بو) سيكون مرتاحاً أكثر في الظلام.

كان (أتيكوس) جالساً على الأرجوحة، وكان السيد (تايت) جالساً على مقعد مجاور. الضوء القادم من غرفة المعيشة كان يغمرهما. جلست جوار (بو).

كان (أتيكوس) يقول: "حسناً يا (هيك). أظن أن الشئ الواجب علينا فعله... يا إلهي، يبدو أنني أفقد ذاكرتي...". رفع (أتيكوس) نظارته ثم ضغط عينيه بأصابعه. ("جيم) لم يبلغ الثالثة عشرة... لا، إنه في الثالثة عشرة من عمره... لا أستطيع التذكر. على كل حال، فإن القضية ستمثل أمام محكمة المقاطعة...".

"ماذا سيحدث يا سيد (فينش)؟". حل السيد (تايت) رجليه المتصالبتين وانحنى للأمام.

"القضية دفاع عن النفس وهذا واضح، ولكنني سأضطر للمرور على المكتب والتحصل على...".

"سيد (فينش)، هل تظن أن (جيم) قتل (بوب إيويل)؟ هل تظن هذا؟".

"لقد سمعت رواية (سكاوت)، لا شك في ذلك. قالت أن (جيم) نهض وجذب الرجل بعيداً... على الأرجح أنه تحصل على سكين (إيويل) بطريقة ما في الظلام... سوف نكتشف ذلك غداً".

قال السيد (تايت): "توقف قليلاً يا سيد (فينش). (جيم) لم يقم بطعن (بوب إيويل)".

صمت (أتيكوس) للحظة نظر خلالها للسيد (تايت) وكأنه يبدي امتنانه لما قال. بعدها هز رأسه.

"إنك في غاية اللطف يا (هيك)، وأنا أعلم طيبة قلبك، ولكني أرجوك ألا تبدأ قصة كهذه".

نهض السيد (تايت) وسار حتى حافة الشرفة وبصق على النباتات، ثم وضع يديه في جيبه والتفت ليووجه (أتيكوس): "قصة مثل ماذا؟".

قال (أتيكوس) ببساطة: "أعتذر إن تحدثت بحدة يا (هيك). ولكن لا أحد هنا يحاول تغطية القضية. هذا ليس أسلوبى".

"لا أحد سيغطي أي شيء يا سيد (فينش)".

كان صوت السيد (تايت) هادئاً، ولكن حذاه كان مثبتاً على أرضية الشرفة الخشبية كما لو أنه قد نما هناك. كان هناك تحدٍ لم أفهمه يتكون بين أبي والمأمور.

كان دور (أتيكوس) لينهض ويسير نحو حافة الشرفة. قال: "هممم"، ثم بصق بجفاف في الفناء. وضع يديه في جيبه واستدار ليووجه السيد (تايت).

"أنت لم تقلها يا (هيك)، ولكنني أعرف ما تفكر فيه، وأشكرك على ذلك. (جين لويس)...". التقت نحوي وواصل: "ألم تقولي أن (جيم) جذب السيد (إيويل) بعيداً عنك؟".

"نعم سيدي، هذا ما ظننته... أنا...".

"أسمعت هذا يا (هيك)؟ أنا أشكرك من أعماق قلبي، ولكنني لا أريد لابني أن يكبر وشئ كهذا يطارده. أفضل شئ لحل الموضوع هو أن نطرح القضية في العراء. فلتأت المقاطعة بأكملها وتحضر معها الغداء. لا أريده أن يكبر وهناك ساعة واحدة تحيط به. لا أريد أن يقول شخص ما: '(جيم فينش)... أبوه قد دفع لإخراجه من هذا'. كلما سارعنا بإنهاء هذا الأمر كلما كان أفضل".

تحدث السيد (تايت) بـ(بيروود): "سيد (فينش). (بوب إيويل) سقط على سكينه. لقد قتل نفسه بنفسه".

سار (أتيكوس) إلى ركن الشرفة ووقف يطالع الكرم. بدا لي أن كليهما عنيد بطريقته الخاصة، وتساءلت من سيستسلم أولاً. عناد (أتيكوس) كان صامتاً ولا يبدو للعيان، ولكنه كان في نفس عناد آل (كانينجهام). عناد السيد (تايت) كان حاداً وغير مدرب، ولكنه كان مماثلاً لعناد أبي.

استدار (أتيكوس). "(هيك). لو قمنا بتغطية شئ كهذا فإن هذا سيكون معارضاً للطريقة التي حاولت تربيته بها. أحياناً أظن أنني فاشل تماماً كأب، ولكنني الشئ الوحيد المتبقي لهما. (جيم) يتطلع إلي قبل أن يتطلع لأي شخص آخر، وقد حاولت أن أعيش حياتي بحيث أكون كفواً لهذا التطلع... لو تسترت على شئ كهذا، فلا أظنني أستطيع أن أنظر في وجهه مرة أخرى. اليوم الذي يحدث فيه هذا سأعلم أنني فقدته للأبد. أنا لا أريد أن أفقده هو ولا (سكاوت) لأنهما كل ما لدي".

"سيد (فينش)". كان السيد (تايت) لا يزال مثبتاً قدميه على خشب الأرضية. (بوب إيويل) سقط على سكينه ويمكنني إثبات ذلك".

دار (أتيكوس) على عقبيه، ثم قال وهو يضع يديه في جيبه: "ألا يمكنك حتى أن تحاول أن ترى الأمر من وجهة نظري يا (هيك)؟ أنت لديك أطفال مثلي، لكنني أكبر سناً منك. حينما يكبر أطفالى سأكون صرت شيخاً مسناً إن لم أكن قد مت، أما الآن فأنا... إن لم يتمكن أطفالى من الثقة بي فلن يتمكنوا من الثقة بأى شخص آخر. (جيم) و(سكاوت) يعلمان ما حدث. لو سمعاني أقول في البلدة أن شيئاً آخر قد حدث... سأفقدهم إلى الأبد يا (هيك). لا أستطيع أن أعيش بشخصيتين، واحدة في البلدة والأخرى في المنزل".

دق السيد (تايت) كعبيه وقال بصبر: "الرجل أطاح بـ(جيم)، ثم تعثر بجذع تحت الشجرة... انظر، أنا أستطيع أن أبرهن لك".

أدخل السيد (تايت) يده في جيبه وأخرج مديّة، في نفس اللحظة التي حضر فيها الدكتور (رينولدز). "ال... القنيل تحت تلك الشجرة يا دكتور، داخل فناء المدرسة. هل لديك مصباح يدوي؟ من الأفضل أن تأخذ هذا".

"يمكنني الدوران حول المكان وإشعال مصابيح السيارة". قال الدكتور (رينولدز) ذلك ولكنه أخذ مصباح السيد (تايت). "(جيم) بخير، ولكنه لن يستيقظ الليلة، كما أتمنى، فلا داعي للقلق. هل هذه السكين التي قتلتها يا (هيك)؟".

"لا يا سيدي- تلك لا زالت في جسده- يبدو أنها سكين مطبخ من شكل المقبض. من المفترض أن يكون (كين) قد وصل بعربة نقل الموتى الآن".

فتح السيد (تايت) المديّة وقال: "حدث الأمر هكذا". أمسك المديّة وتظاهر بالتعثر في شئ. انحنى للأمام وطوح يده اليسرى أمامه. "هل ترى هذا؟ لقد طعن نفسه بين الضلوع، وساعد ثقل وزنه على أن تغوص السكين في جسده".

أغلق السيد (تايت) المديّة وأعادها لجيبه ثم قال: "(سكاوت) في الثامنة. لقد كانت مذعورة فلم تدر ما حدث".

"ربما تدهشك". قال (أتيكوس) بتجهّم.

"أنا لا أقول أنها ألقت القصة. ما أقوله هو أنها كانت مذعورة فلم تع ما حدث بالضبط. الظلام كان دامساً هناك، أسوداً كحبر الكتابة. سيحتاج الأمر شخصاً متعوداً على الظلام حتى يصبح شاهداً موثقاً...".

"لن أقبل بهذا". قال (أتيكوس) بهدوء.

"عليك اللعنة. أنا لا أفكر في (جيم)!"

دق حذاء السيد (تايت) خشب الأرضية بقوة فاشتعلت الأضواء في غرفة نوم الأنسة (مودي)، كما اشتعلت أضواء الأنسة (ستيفاني كراوفورد). نظر الرجلان قبالة الشارع، ثم عاد ينظران لبعضهما وانتظرا في صمت.

حينما تحدث السيد (تايت) من جديد كان صوته يكاد لا يسمع. "أكره أن أتساجر معك وأنت بهذه الحالة يا سيد (فينش). لقد تعرضت لضغط شديد لا ينبغي أن يتعرض له أي شخص. لا أعلم ما الذي يبقيك صامداً، ولكنني أعرف أنك لأول مرة لم تتمكن من رؤية الوضع على حقيقته، ولا بد من أن نسوي الوضع الليلية لأن غداً سيكون متأخراً جداً. (بوب إيويل) تلقى طعنة في أحشائه".

أضاف السيد (تايت) أنه ليس بمقدور (أتيكوس) الادعاء أن فتى في حجم (جيم) بذراع مكسورة لديه القدرة القتالية ليقتل رجلاً بالغاً في جنح الظلام.

قال (أتيكوس) فجأة: "هذه كانت مدية يا (هيك). من أين حصلت عليها؟".

أجاب السيد (تايت) ببرود: "انتزعتها من رجل سكران".

حاولت أن أتذكر. السيد (إيويل) كان فوقي... ثم سقط على الأرض... لا بد أن (جيم) قد نهض. أو هكذا كنت أعتقد...

"(هيك)؟".

"أخبرتني أنني انتزعتها من رجل سكران في البلدة. على الأرجح أن (إيويل) وجد سكين المطبخ في مكب النفايات. قام بشحذها وانتظر فرصته... فقط انتظر الفرصة".

سار (أتيكوس) نحو الأرجوحة وجلس عليها، بينما تدلت ذراعاها بين ركبتيه. كان ينظر نحو الأرض. كان يتحرك بنفس البطء في تلك الليلة أمام السجن، حينما فكرت أنه استغرق وقتاً طويلاً ليطوي الجريدة ويقيها على الكرسي.

تمشى السيد (تايت) بهدوء حول الشرفة. "هذا ليس قرارك يا سيد (فينش)، بل هو قرارك بالكامل. إنه قرارك ومسئوليتي. لأول مرة، رغم أنك لا ترى الأمر كما أراه، ولكن ليس بمقدورك فعل شيء. إن حاولت فعل شيء، سأقول أنك كاذب. ابنك لم يطعن (بوب إيويل)". كان يتحدث بهدوء. "لم يقترب حتى من فعل ذلك وأنت تعلم هذا الآن. كل ما كان يريد هو أن يبلغ المنزل بأمان هو وأخته".

توقف السيد (تايت) عن المشي أمام (أتيكوس) وأولانا ظهره. "أنا لست إنساناً جيداً سيدي، ولكنني مأمور مقاطعة (مايكومب)، وقد عشت في هذه البلدة طوال سني عمري الثلاث وأربعين. أنا أعلم جميع الأحداث التي حدثت هنا، حتى التي حدثت قبل ولادتي. هناك فتى أسود قتل بغير جرم، والرجل الذي تسبب في ذلك لقي حتفه. دع الموتى يدفنون الموتى هذه المرة يا سيد (فينش). دع الموتى يدفنون الموتى".

سار السيد (تايت) إلى الأرجوحة والتقط قبعته التي كانت جوار (أتيكوس). أعاد السيد (تايت) شعره للوراء ثم لبس قبعته.

"لم أسمع من قبل أن قيام مواطن ببذل أقصى ما عنده ليمنع حدوث جريمة هو أمر ضد القانون. هذا هو بالضبط ما فعله، ولكن ربما تقول لي أنه من واجبي أن أخير البلدة ولا أتستر على ما حدث. أتعلم ما سيحدث عندها؟ جميع السيدات في (مايكومب) – بما يشمل زوجتي – سيطرقن بابه حاملات الكعك المحلي. رأيي يا سيد (فينش)، أنك إن أخذت الرجل الوحيد الذي أدى خدمة عظيمة لك ولهذه البلدة وجرجرته بطريقته الخجول ليقف تحت الأضواء... في رأيي أن هذه خطيئة. هذه خطيئة وأنا لست مستعداً لحملها على عنقي. إن كان هذا أي رجل آخر كان الأمر سيختلف. ولكن ليس هذا الرجل، يا سيد (فينش)".

كان حذاء السيد (تايت) يكاد يحفر حفرة في الأرضية. رفع السيد (تايت) يده وجر أنفه، ثم فرك ذراعه اليسرى وقال: "أنا لست شيئاً يذكر يا سيد (فينش)، ولكنني لا زلت مأمور مقاطعة (مايكومب)، و(بوب إيويل) سقط على سكينه الخاص. تصبح على خير يا سيدي".

غادر السيد (تايت) الشرفة وسار قاطعاً الفناء الأمامي. انغلق باب سيارته بقوة ثم غادر المكان.

ظل (أتيكوس) جالساً مكانه ينظر للأرض لفترة طويلة، بعدها رفع رأسه وقال: "لقد سقط السيد (إيويل) على سكينه يا (سكاوت). هل يمكنك أن تستوعبي هذا؟".

بدا وكأن (أتيكوس) يحتاج لمن يسري عنه. جريت نحو وحضنته وقبلته بقوة وأخبرته مؤكدة: "نعم سيدي، أنا أفهم. السيد (تايت) كان محقاً".

انتزع (أتيكوس) نفسه من ذراعي ونظر إلي: "ماذا تعنين؟".

"حسناً. الأمر سيكون مثل قتل الطائر المحاكي، أليس كذلك؟".

دس (أتيكوس) رأسه في شعري وفركه. حينما نهض وسار عبر الشرفة ليغيب في الظل، كانت خطوته قد عادت شابة كما كانت. قبل أن يغيب داخل المنزل، توقف أمام (بو رادلي) وقال: "أشكرك لحفظك أطفالنا يا (آرثر)".

## الفصل 31

حينما نهض (بو رادلي) واقفاً على قدميه، أضاءت جبهته بالنور القادم من نوافذ غرفة المعيشة. كل حركاته كانت غير واثقة، كأنما كان يشك في أن يديه وقدميه يمكن أن تلمس الأشياء المحيطة به بصورة طبيعية. كح كحته المروعة تلك، والتي هزته بشدة حتى اضطر للجلوس مرة أخرى. راحت يده تبحث في جيب بنطاله لتخرج حاملة منديلاً. راح يكح في المنديل، ثم مسح جبهته.

تعودي على غيابه جعل من المذهل لي أن يكون جالساً جوار ي طوال الوقت، رغم أنه لم ينبس ببنت شفة.

وقف مرة أخرى على قدمية، ثم التفت إلي وأوماً نحو الباب الأمامي. "ألا تريد أن تتمنى لـ(جيم) ليلة سعيدة يا سيد (آرثر)؟ تفضل بالدخول". سرت أمامه إلى داخل البهو. كانت العمدة (ألكساندرا) تجلس جوار سرير (جيم). قالت له: "ادخل يا (آرثر). (جيم) لا زال نائماً. الدكتور (رينولدز) أعطاه مخدراً قوياً. هل والدك في غرفة المعيشة يا (جين لويس)؟".

"نعم سيدتي، أظن ذلك".

"سوف أذهب لأتحدث معه قليلاً. الدكتور (رينولدز) ترك بعض الـ...".  
تلاشى صوتها مع انصرافها.

وقف (بو) في ركن الغرفة بوجه مرفوع يطالع (جيم) من على البعد. أمسكت بيده التي كانت دافئة بالنسبة للونها الأبيض. جررته قليلاً حتى تركني أقوده لسرير (جيم).

كان الدكتور (رينولدز) قد حضر شيئاً يشبه الخيمة فوق ذراع (جيم)، ربما لينزع الغطاء عنه. انحنى (بو) للأمام وراح ينظر من فوق الخيمة. علا وجهه تعبير فضولي خجول وكأنها المرة الأولى التي يرى فيها وجه طفل. كان فمه



نصف مفتوح، وراح يطالع (جيم) من رأسه حتى أخمص قدميه. رفع (بو) يده ثم تركها تسقط مرة أخرى جواره.

"يمكنك أن تربت عليه يا سيد (آرثر)، فهو نائم. لو كان مستيقظاً لم يكن ليسمح لك بذلك...". وجدت نفسي أشرح له. "يمكنك ذلك".

حامت يد (بو) فوق رأس (جيم).

"تقدم يا سيدي، إنه نائم".

حطت يده ببطء على شعر (جيم).

كنت قد بدأت أفهم لغة جسده. شددت يده الأخرى يدي وأعلن أنه يرغب بالمغادرة.

قدته نحو الشرفة الأمامية، حيث سار قليلاً ثم توقف. كان لا زال ممسكاً يدي ولم تبد عليه أي علامة تبين أنه سيتركني أذهب.

"هل يمكنك مرافقتي للمنزل؟". قالها في ما يشبه الهمس، بصوت طفل يخاف من الظلام.

وضعت قدمي على الدرجة الأولى وتوقفت. يمكنني أن أقوده داخل منزلنا، ولكنني لا أستطيع أن أقوده لمنزله.

"سيد (آرثر)، أرجو أن تثني ذراعك من هنا، مثل هذا. هذا جيد يا سيدي". أدخلت يدي داخل انحناء ذراعه.

كان مضطراً للانحناء قليلاً حتى يمسك يدي، ولكن إن كانت السيدة (ستيفاني كراوفورد) تراقبنا من نافذتها العلوية، كانت ستري (آرثر رادلي) يرافقتي على الممشى كما يجب أن يفعل أي سيد نبيل.

وصلنا لمصباح الشارع الموجود في الزاوية، وتساءلت عن عدد المرات التي وقف فيها (ديل) في هذا المكان محتضناً العمود السمين، مراقباً ومنتظراً

ومؤملاً. تساءلت كم مرة قمت أنا و(جيم) بهذه الرحلة، ولكن هذه المرة دخلت بوابة (رادلي) الأمامية، للمرة الثانية في حياتي. سعدنا أنا و(بو) الدرج الأمامي وعبرنا الشرفة. بحثت أنامله حتى وجدت مقبض الباب الأمامي، ثم ترك يدي وفتح الباب، ثم دخل المنزل وأغلق الباب وراءه. كانت هذه آخر مرة أراه فيها.

الجيران يحضرون الأكل لأهل المتوفي، والزهور للمرضى، وأشياء أخرى صغيرة فيما بينهما. كان (بو) جارنا، وقد أعطانا دميّتين من الصابون، وساعة مكسورة مع سلسلة، وزوجاً من البنسات، وحياتنا التي أنقذها. ولكن الجيران يعطون شيئاً في المقابل. نحن لم نعد ما أخذناه من الشجرة لمكانه، كما أننا لم نعطه أي شيء في المقابل، وكان هذا يملؤني حزناً.

التفت لأعود للمنزل. مصابيح الطريق كانت تغمز لي على طول الطريق إلى البلدة. لم يحدث أن رأيت بلدتنا من هذه الزاوية. هناك يوجد منزل الأنسة (مودي) والأنسة (ستيفاني)، وهناك أرى منزلنا والأرجوحة على الشرفة، وهناك منزل الأنسة (راشيل) خلف منزلنا، جميعها مرئية بوضوح، كما رأيت منزل السيدة (دوبوس) أيضاً.

نظرت خلفي. على يسار الباب البني كانت توجد نافذة طويلة مغلقة. سرت نحوها ووقفت أمامها واستدرت. أظن أنه يمكنك الإبصار حتى مكتب البريد في ضوء النهار.

ضوء النهار... تلاشى الليل في عقلي، وجاء النهار ومعه صارت الجيرة حية. الأنسة (ستيفاني كراوفورد) كانت تقطع الطريق للجهة الأخرى لتخبر الأنسة (راشيل) آخر الأخبار. الأنسة (مودي) كانت منحنية فوق أزهار (الأزاليا) الخاصة بها. الوقت كان صيفاً، وكان هناك طفلان يركضان على الرصيف نحو رجل يقترب من على البعد. لوح الرجل بيده، وتسابق الطفلان نحو الرجل.

كان الوقت لا زال صيفاً، وصار الطفلان أقرب لبعضهما. جاء فتى يمشي متثاقلاً جاراً وراءه صنارة صيد سمك. كان هناك رجل يقف واضعاً يديه على

وركيه. وقت الصيف، والأطفال يلعبون في الفناء الأمامي مع صديقهم ويمثلون دراما مسرحية غريبة قاموا بتأليفها.

حل الخريف، وراح الطفلان يتشاجران على الممشى أمام منزل السيدة (دوبوس). ساعد الفتى الفتاة لتقف على قدميها، ثم سارا نحو المنزل. وقت الخريف، والطفلان يركضان من وإلى الزاوية، ووجهاهما يعكسان المحن والانتصارات التي مرت بهما في ذلك اليوم. توقف الاثنان أمام شجرة البلوط وهما سعيدان، ومتحيران، ومتوتران.

حل الشتاء، وارتجف الطفلان أمام البوابة الأمامية، بينما البيت يشتعل ناراً. وقت الشتاء، حيث سار رجل إلى الشارع، ورمى نظارته، ثم أطلق النار على كلب مسعور.

حل الصيف، وشاهد الرجل طفليه بقلبين مكسورين. حل الخريف مرة أخرى، وأطفال (بو) يحتاجونه.

كان (أتيكوس) محقاً. أخبرني مرة أنك لا تستطيع أن تعرف حقيقة شخص ما، ما لم تلبس جلده وتتجول فيه. وقوفي على شرفة (رادلي) كان كافياً.

كانت أضواء الطريق غائمة بسبب المطر الخفيف الذي بدأ يتساقط. حينما سرت عائدة للمنزل أحسست بأنني عجوزة للغاية، ولكنني نظرت إلى قمة أنفي واستطعت أن أرى حيوباً صغيرة بصورة ضبابية. توقفت عن النظر حينما جعلني الحول أحس بدواخ. رحلت أفكر في غرابة القصة التي سأحكيها لـ(جيم) غداً، وأنه سيكون غاضباً لأنه لم يحضرها لدرجة أنه لن يتحدث معي لأيام. بينما واصلت المسير نحو المنزل، فكرت أنه حتى لو كبرنا أنا و(جيم) فليس هناك الكثير أمامنا لتعلمه بعد، ما عدا علم الجبر على الأرجح.

ركضت صاعدة الدرج ثم دخلت المنزل. العمدة (ألكساندرا) كانت قد أوت لسريرها، كما كانت غرفة (أتيكوس) مظلمة. فكرت أن أرى إن كان (جيم) قد استيقظ. وجدت (أتيكوس) في غرفة (جيم)، جالساً جوار السرير، يقرأ في كتاب ما.

"هل استيقظ (جيم)؟".

"إنه نائم بسلام. لن يستيقظ حتى الصباح".

"أوه. هل ستجلس جواره حتى الصباح؟".

"فقط لساعة أو أكثر بقليل. اذهبي للنوم يا (سكاوت). لقد كان يوماً طويلاً".

"حسناً. أظن أنني سأجلس معك قليلاً".

قال (أتيكوس): "كما تشائين". كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، فاستغربت لإذعانه الودي. ولكنه كان أذكى مني، لأنني أحسست بالنعاس فور أن جلست.

سألته: "ماذا تقرأ؟".

قلب (أتيكوس) غلاف الكتاب. "كتاب من كتب (جيم) عنوانه 'الشبح الرمادي'".

استيقظت فجأة. "لماذا اخترت هذا الكتاب؟".

"لا أدري، يا عزيزتي. فقط اخترت كتاباً وكان هذا أحد الكتب القليلة التي لم أقرأها من قبل". كان رده واضحاً.

"اقرأ بصوت عالٍ يا (أتيكوس) لو سمحت. الكتاب مخيف للغاية".

قال: "لا. لقد حصلت على حصتك من الرعب. هذا...".

"ولكنني لم أكن خائفة يا (أتيكوس)".

رفع (أتيكوس) حاجبيه فاعترضت قائلة: "على الأقل لم أكن كذلك حتى رحلت أحكي للسيد (تايت) ما حدث. (جيم) أيضاً لم يكن خائفاً. سألته من قبل وأخبرني أنه لم يكن خائفاً. بالإضافة لأنه لا يوجد شيء مخيف حقاً إلا في الكتب".

فتح (أتيكوس) فمه ليقول شيئاً ثم أغلقه مرة أخرى. حرك إبهامه من منتصف الكتاب ليفتح الكتاب من الصفحة الأولى. تحركت قريباً منه وملت برأسي على ركبته. قال: "هممم. الشبح الرمادي، بقلم (سيكاتاري هوكنز). الفصل الأول...".

حاولت أن أظل مستيقظة، ولكن المطر كان هادئاً والغرفة كانت دافئة وصوته كان عميقاً وركبته كانت مريحة فغبت في النوم.

بعد لحظات، كما بدا لي، كان حذاؤه يدفع برفق جانب صدري. أوقفني على قدمي وقادني إلى غرفتي. تمتمت: "سمعت كل كلمة قلتها... لم أنم على الإطلاق. كنت تحكي عن سفينة و(فريد) صاحب الثلاثة أصابع وصبي ما...". قام بفك أزرار ملابس العمل التي أرتديها، ثم أسندني عليه وخلع عني اللباس. أمسكني بيد واحدة وراح يبحث عن بيجامتي بيده الأخرى.

"حقاً. وكانوا جميعاً يظنون أن الصبي هو من كان يعبث بالنادي ويرسم بالحبر في الحوائط و...".

قادني (أتيكوس) للسرير وأجلسني عليه، ثم رفع رجلي وأدخلني تحت الغطاء.

"ثم طاردوه ولكنهم لم يتمكنوا من القبض عليه لأنهم لم يكونوا يعرفون شكله. ثم لما رأوه في النهاية، وجدوا أنه لم يفعل أيّاً من هذه الأشياء... لقد كان لطيفاً للغاية يا (أتيكوس)...".

كانت كفاه تحت ذقني تجذبان الغطاء للأعلى وتدسانه حولي. "أغلب الناس كذلك يا (سكاوت)، حينما ترينهم في النهاية".

أطفاً (أتيكوس) الأضواء وعاد لغرفة (جيم). سيظل جالساً هناك طوال الليل، كما سيكون هناك حينما يستيقظ (جيم) في الصباح.

قتل الطائر المحاكي) هي رواية نشرت أول مرة عام 1960 للكاتبة (هاربر لي). فازت الرواية بجائزة بوليتزر للصحافة وأصبحت تعتبر من كلاسيكيات الأدب الأمريكي الحديث. حبكة وشخصيات الرواية مستقاة من ملاحظات الكاتبة (هاربر لي) حول عائلتها وجيرانها في مسقط رأسها ب(موندوفيلد) بولاية (آلاباما) الأمريكية في ثلاثينيات القرن العشرين. تتناول الرواية قضايا أسهمت في تغيير التاريخ الأمريكي كالتفرقة العنصرية والاختصاب والفق والكساد الاقتصادي.

منصة ليلي الثقافية



<https://www.laylaccp.net>